

مجالس المؤمنين
تأليف
القاضي نور الله المرعشي التستري
الشهيد سنة ١٠١٩ هـ.ق


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



مجالس المؤمنين

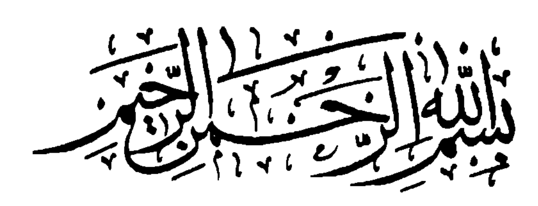
تأليف

القاضي نور الله المرعشي التستري

الشهيد سنة ١٠١٩ هـ.ق

الجزء الرابع

دار هشام


بسم الله الرحمن الرحيم

السلطان الأعظم شمس الدين محمّد الجويني
الملقّب بصاحب الديوان ﷺ

هو شمس السماء رفعةً، وبيت قصيد ديوان الحشمة والوزارة كما قال القاضي الإصفهاني في مدحه:

ما الناس إلّا كالقريض وإنّما   بيت القصيدة صاحب الديوان
شمس الممالك تزدهي بعلاءها   وبهاء دست الملك والإيوان

ومن أولاد أبي المعالي الجويني حضرة الصاحبي وهو إمام الطائفة الشافعيّة وهو مصداق قوله تعالى ومظهر آياته: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾[1] فاهتدى إلى مذهب الإماميّة، وكان آبائه إلى أبي المعالي يتقلّدون هذا المنصب الرفيع والعمل المنيع، وكان جدّه المعروف بخواجه شمس الدين محمّد مشتغلاً باستيفاء ديوان الخواجه السلطان خوارزم شاه، وكان في عهد السلطان جلال الدين يلي هذا المنصب أيضاً ورفع راية الرفعة والعزّ والمنعة، وأبوه العظيم كان وطن العزّ والجلال، وشمس سماء الفضل والإفضال الخواجه بهاء الدين محمّد، وكان رئيس ديوان أكابر ايران، وكان ملازماً لسلاطين المغول بشغل منصب أبيه نفسه، فكان مشكور السعي ومحمود الأثر، ولمّا عبر السلطان هلاكوخان جيحون ملك ممالك ايران كلّها من أقصاها إلى أقصاها، وأخضع

---

(١) الأنعام/٩٥.

البلاد إلى مصر، وأصبحت تابعة له، وفوّض أمر الوزارة باستقلال إلى قمر سماء الفضل والكمال.. الخواجه شمس الدين محمّد..

والحقّ يقال: إنّ جمال حال ذلك «الخواجه» المختار، وصاحب الفعال المرضيّة، متحلٍ بحلية أنواع مكارم الأخلاق، وأصناف محاسن الشيم، نظير وفرة الكرم والسخاء، وكثرة الفطنة والفصاحة وإصابة الرأي والتدبير وانشراح الصدر وانفتاح الضمير، وله في تسيير مهام الوزارة ورواح رونق بلاط السلطنة مثل آصف بن برخيا اليد البيضاء. شعر:

آصف از آن ملک را ضبط آنچنان کردی که او

گم کجا کردی سلیمان ملتی انگشتری

وإن ضبطت منك الأمور كآصف فهل ضيّع المولى سليمان خاتمه

وفي عهد هلاكو خان حين تمّ للمغول الاستيلاء على ولايات ايران فقد احتزم بالعزم وسعى جاهداً لحفظ دين الإسلام المبين وتقوية شريعة سيّد المرسلين.

شعر

گشت پشت شریعت نبوی نبوی از مساعی تو قوی

شددت أزر المصطفى ودينه وكنت من بين الورى أمينه

ولمّا هلك هلاكو خان ورقىٰ سرير الخانية آباقا خان فازداد الاستعداد وكثرت فيه المواد، وتعاظمت العناية، وبذل للوزير الإنعام أكثر فأكثر، وأشرقت شمس السعادة والإقبال على غرّة أيّامه حالاً بعد حال، وبحسن اهتمامه يمضي حسام الانتقام، كما يحفظ المسالك «بهرام»[1]، ويجري بقلم عطارد النظام،

(١) اسم ملك من الملائكة عليه حفظ المسافرين والمصالح التي تتعلّق بهم بالشهور الشمسيّة أو البروج، فهو دائم الحفظ لهم في البرّ والبحر والبرد والحرّ.

ودستور سوابق الأيّام، وعاد عليه اختيار الملك والمال في جميع الأحوال، لصواب أحكامه وعمق أفكاره التي بها تحلّ المشاكل[1].

ومع كونه بهذه الجلالة والقدر ونفاذ الحكم فقد كان له تعلّق خاصّ بذوي العلم والفضيلة، وغاية في التواضع لهم والتعلّق بهم، وكان يبالغ جدّاً في تعظيم أصحاب الدرس والكمال وإجلالهم مبالغة زائدة، وتفتّحت براعم آمال هذه الشريحة في روض الإقبال من هموع سحاب إنعامه، واستطال غراس أماني هذه الطبقة في الزمان من زلال غمام إفضاله وتكامل نشوئه ونمائه، وامتاز في أيّام وزارته الأفاضل من الأراذل، والعالم من الجاهل، واتّضح ذلك للعين، يبدئ كالضوء المبين، وانصرف النحس عن رؤوس إيذاء الفضلاء، وتقصد جفاء العلماء بحسن اهتمامه.. «شعر»:

نهال باغ دولت در بر آمد   جفاى خار محنت بر سر آمد

وأنبت روض الملك نبتاً مباركاً   وجمّعت السُّعدان عن دربنا الحسك

وفتح الدواوين، ورتّب فيها النوّاب الكفاة في جميع الولايات الإيلخانيّة تضبط الأموال وحصرها، وأمرهم بفتح أبواب الصدقات والصلات لأصحاب الاستحقاق وأصحاب الحاجات، ولذلك جعل عتبته ملاذاً وملجأً للعالمين من بين الأمراء والحكّام، وأعيان خراسان والعراقين وآذربيجان والشام والروم،

---

(١) هذه الفقرة احتاجت منّا إلى بذل الجهد لمعرفة مقاصد السيّد الشهيد رحمه الله وبعد طول عناء فقد وقعت على بعض المعنى المقصود من ترجمة بهرام بالملك الموكّل إليه حفظ المسافرين و«الخامه» بالقلم و«عطارد» بالنجم الذي يعدّ في الأساطير الفارسيّة من النجوم التي تدبر الفلك الثاني ويتعلّق بتدبيرها العلم والعقل، ولذا تعتبر عندهم «كاتب الفلك» و«سهم الفلك» النافذ في الأمور الخ، ومع هذا فإنّي لا أثق كلّ الثقة بالترجمة وقد حافظت جهدي على أن لا تتناقض الترجمة والمتن.

وعدّ النظراء عتبته المحظوظة والمحفوفة بالسعادة مقصد الحاجات، وكعبة الغايات والإرادات، وهو وكيل ذوي الأسرار وقبلة كلّ صاحب حاجة.

شعر

جنابٌ[1] مثل روضات الجنان ومنه نيل غايات الأماني

وكلّ شامخ برأسه أو متلع لجيده في زمنه إن حدّثته النفس بمخالفته ووضع رجلاً في غير دائرة موافقته، استطاع بقوّة دولته إغراقه في خضم الحيرة، وأناله ما يستحقّه من عرك الأُذن ولَيّ العنق:

چون تير هركه با تو نشد راست عاقبت

خود را زتير تو چو هدف خاكسار ساخت

إن لم يقم رمح من ناواك صعدته فسوف يمسي برمح منك مطعونا

وذكروا أنّ الخواجه بهاء الدين الذي كان قد شدّ الله به أزر صاحب الديوان وكان عضده ويمينه لمّا كان على قيد الحياة كان حضرة صاحب الديوان يقضي أيّامه مستقلّاً نافذاً أمره، مطاعاً بين رعيّته، فلمّا فارق بهاء الدين دار الملال وانتقل إلى دار البقاء صار أمر صاحب الديوان إلى التراجع، وفتحت الأيّام في وجهه ووجه أخيه علاء الدين عطا ملك أبواب الاضطراب والعذاب.. «شعر»:

بر جويبار روضهٔ اميد تا منم سرسبز و تازه هيچ نهالى نيافتم

مهر منير را و مه مستنير را بى وصمت محال و زوالى نيافتم

لم ألف في جنبات النهر من أملي عوداً نضيراً ولا نبتاً له ألق

لم ألق شمساً بأفقي لا ولا قمراً تبدو لعينيّ إلّا وهي تنمحق

---

(١) ورد صدر البيت عند المؤلّف هكذا: «جنابه مثل» ولا يستقيم الوزن إلّا بالوقف على الهاء فرأينا الصواب فيما أثبتناه.

وكيفيّة هذه الواقعة كما يلي:

إنّ مجد الملك اليزدي ابن صفي الملك أبي المكارم الذي انتظم في سلك أبناء الوزراء و«الأتابكيين»[١] من أهل يزد، استاء بسبب من الأسباب من الأتابك يوسف شاه اليزدي، فترك يزد وذهب إلى اصفهان واختار صحبة الخواجه محمّد ولكنّه رآه حادّ المزاج عصبيّه جدّاً، فخرج منه مبادراً إلى خدمة الخواجه شمس الدين محمّد فأوكل إليه صاحبه الجديد بعض أعمال الديوان، فقام مجد الملك بذلك المقام وتلك المهام كما ينبغي، ولكن حضيرة الصاحب شاهد على ناصية أحواله أمارات النفاق بآخرة وكان سعي الحسّاد مضيفاً سبباً آخر إلى هذه العلّة، فتغيّر عليه الوزير، وتقدّم بالشفعاء إلى جنابه، وكتب إليه كتب الاعتذار والتنصّل فلم تجد فتيلاً، فلم يجد عند الوزير ما يلقاه من الودّ والترحيب.

مـــردم فـــتنه جـوى را هـرگز   همدم و همنشين نبايد ساخت[٢]

مـردم چشـم راكـه فتنه كنند   فى المثل از نظر توان انداخت

ووصل مجد الملك ليله بنهاره ونهاره بليله قريناً للبأس والحرمان، وراح يتردّد على الأُمراء فتوطّدت بينهم العلاقة، وكان يظهر لهم ما تنطوي عليه المملكة من الأحوال والأموال، ويورد تفصيل ذلك على لوح خياله.

وفي هذه الأثناء ذكر مجد الدين أثير وهو نائب الخواجه علاء الدين عطا ملك ذات يوم على وجه التقريب جانباً من عظمة سلطان مصر وكثرة جنوده، فرأى مجد الملك الفرصة قد لاحت فأسرع بإبلاغ «آباقا خان» بذلك بواسطة

---

(١) جمع أتابكي نسبة إلى «أتابك» لفظ تركي يعني مربّي أبناء الملوك.

(٢)

لا تجعل الواشي جليسك إنّه   يؤذي الجليس ويبعد الأحبابا

وينال قدرك من وشايته أذىً   يدع الديار من الأنيس يبابا

واحد من معتمديه قائلاً: إنّ مجد الدين أثير واحد من مقرّبي صاحب الديوان وبناءاً على ما أشار عليه الإخوان واستصوبوا له ذلك، راسل صاحب مصر واتفقت كلمتهما على مناوئتك لذلك نراه في المجالس يكيل الممادح ويميط المقابح عن سلطان مصر وما برح يلهج بذكره.

وما أن سمع السلطان بهذا حتّى ثارت نائرة الغضب في نفسه وأمر من ساعته بالقبض على مجد الدين ووضعه تحت التعذيب والمراقبة، ومهما بالغوا في تعذيبه فإنّه لم يقرّ بما ادّعاه مجد الملك عليه، فسلّموه عندئذٍ إلى الصاحب السعيد.

ولمّا شاهد «جناب الصاحبي» مواقف مجد الملك بهذه المثابة أوكل إليه ضبط أموال سيواس ودفع إليه مبلغاً من المال له قدر، وبما أنّه صنع هذه الحركة الشنعاء بيديه ويعلم من نفسه كذبها فما كان ليعتمد على «جناب الصاحب» بسببها وحدها وعمد إلى حبك مقدّمات المكر والحيلة انتظاراً لسنوح الفرصة ويظهر الودّ والإخلاص والمحبّة للصاحب إلى أن قصد «آباقا خان» خراسان فنزل بقزوين وأقبل نجله «أرغون خان» لينال شرف تقبيل حاشية بساط أبيه، أقبل مجد الملك الباجي المنتظم في سلك بوّابي الأمير على مجلس أرغون خان وقال له: إنّ ذلك المقدار من المال الذي يحمل في كلّ عام من مجموع ولايات المملكة المحروسة ويدخل إلى الخزانة العامرة هو حاصل أموال الأملاك الخاصّة لصاحب الديوان التي اشتراها من أموال السلطان على سبيل الخيانة والكذب، ومع كلّ هذا فقد كفر النعمة واتصل بسلاطين مصر والشام وأظهر لهم الإخلاص والمحبّة وكاتبهم على ذلك، وكان أخوه عطاء الملك ملك بغداد والعراق يرى العرب هناك ملكاً طلقاً له، لذلك صنع له شأن الملوك ذوي الاقتدار تاجاً من

النضار مرصّعاً لنفسه، ولو أنّ الخان مالك الدنيا شرّفني برتبة المربّي لصاحب الديوان لأثبت له أنّ عنده أربعة آلاف «تومان»[1] يتصرّف بها، ولمّا علم أنّي مطّلع على عيوبه أوكل إليّ حكومة سيواس وأرسل مع العهد مبلغاً من المال يرشيني به.

فاستمع الأمير أرغون إلى هذا الكلام بثقة واطمئنان ورضاً به، ولمّا اختلىٰ بأبيه أطلعه على جانب منه، فقال له آباقا خان: اكتم السرّ ولا تفشه لكي نكشف الأمر على سبيل التدرّج والتأنّي. «شعر»:

مكن در مهمّى كه دارى شتاب	زراه تأنّى عنان بر متاب
كه اندر تأنّي زيان كس نديد	زتعجيل بسيار خجلت كشيد
لا تعجلنّ بحاجة مكتومة	وتأنّ في إظهار ما هو مضمر
ما نال من يتأنّى في الورى ضرر	لكن يكون مع المستعجل الضرر

وبعد زمان قليل من حدوث هذا القيل والقال تمكّن مجد الملك من بلوغ مجلس السلطان والاستقلال به، فأبلغ السلطان بما كان قد سطّره وحوّره، فحاز مجد الملك مكانة في قلب السلطان وتغيّر على الصاحب السعيد، وصار مجد الملك محلّ نظر السلطان وأخذ في ذلك المجلس يستفهمه عن أحوال الولايات وخراب كلّ ولاية وعمرانها، فأوضح له الوضع القائم يومئذٍ فيها على أحسن وجه، فأخرج له أمراً «يرليغ»[2] نافذاً من ساعته بأنّ مجد الملك له الإشراف على جميع الولايات المحروسة ونفقاتها، وقد خرج من قيد المحاسبات لسنين عدّة،

(١) لست أدري ما دخل «تومان» هنا، هل كان رائجاً يومئذٍ أو هو سهو من الناسخ أو أنّ المقصود به عشرة آلاف مسكوكة، وانظر بضرب الأربعة آلاف به كم يكون المبلغ.

(٢) «يرليغ» أمر السلطان أو الأمير وعهده لولاته بالتركيّة.

ولا يجوز لأحد من الأُمراء والمقرّبين أن يتدخّل في شئونه هذه... ومضافاً إلى هذه الأحكام التي لم تعط لأحد من قبله من السلاطين قد أُعطيت له بعناية ملحوظة.

والمهمّ في المسئلة أنّ مجد الملك بلحظة واحدة حين وقعت عليه أشعة عواطف الإيلخاني أصبح لامعاً فارتقىٰ من حضيض الانحطاط إلى أوج الارتقاء، وأحاط به الغلمان الذين وجوههم تضيء كأنّها الأقمار الساطعة والبدور اللّامعة، وعليهم القراطق المزركشة، ويركبون الخيول العربيّة والمراكب الخفيفة المسرعة من شاميّة وحجازيّة، واستطالت مضاربه من أخبية مسردقة وسرادق ممهّدة من المخمل إلى عنان السماء، وناطحت النجوم بروقيها.

زروزگار همين حالتم پسند آمد
كه خوب و زشت و بد و نيک درگذر ديدم

بر اين صحيفهٔ مينا به خامهٔ خورشيد
نگاشته سخن خوش به آب زر ديدم

كه اى به دولت ده روز گشته مستظهر
مباش غِرّه كه از تو بزرگتر ديدم

يكفي من الدهر ما يبدو لأعيننا ... من القبيح ومن حسن إذا كانا

بريشة الشمس خُطّت في السما صُحُفُ ... بالتبر قد رصفت والدرّ أحيانا

يا من خدعت بأيّام رفعت بها ... رأيت في الدهر أسمىٰ منك إنسانا

وأحضروا وكلاء صاحب الديوان ونوّابه الذين كانوا في تبريز، وأسرعت الرسل والبرد تسابق البرق إلى الصاحب السعيد وأركان دولته، وأخبروه عن رمية المكر والكيد التي رماها العدوّ فأصابت الهدف، لا بدع أن يطبق على خاطر

الصاحب الذي هو بمنزلة الفلك سموّاً وارتفاعاً جبل الهمّ والغم، وانحازت غرّته المضيئة عن تدبير الأُمور الديوانيّة وإكمال المهام السلطانيّة مرّة واحدة، وفي هذه الأثناء نظم مجد الملك هذه الرباعيّة وأرسلها إلى حضرته:

رباعيّة

در بحر غم تو غوطه خواهم خوردن يـا غـرقه شـدن يـا گـهرى آوردن

خصمى تو بس قويست خواهم كردن يـا سـرخ كـنم روى بـدان يـا گـردن

أغوص في بحرك الطامي على أمل إمّا الدراري وإمّا الموت والغرق

وأسمن الجسم من قاليك مبتغياً بـه سـقوطك أو لا تـقطع العنق

فلمّا قرأ الصاحب الرقعة كتب في جوابه هذه الرباعي:

رباعيّة

ولمّا تـعذّر أن نـعلن القـيام عـلى الشـاه بـين البشـر

صبرنا على الهمّ من أجـل ذا ومن مثل ذا الهمّ ما من مـفر

وما دمت تسعىٰ لنيل المنى ستحظىٰ بـالاثنين كرّ وفـر

وتمام الحكاية أنّ صاحب الديوان حُمِلَ الى آباقا خان والوحشة والدهشة قد ملأت إهابه وراح السلطان آخذاً بعتابه، فقال له: طالما عقدت محزمك في وسطك سنين عدداً وعميت علينا فأكرمناك وأنعمنا عليك، ولمّا آل الأمر إليّ وتزيّن سرير الملك بي بالغت في بذل الودّ لك والعناية بك أكثر وأكثر، وحدبت عليك بعواطفي ولطايفي حتّى فوّضت لرأيك ودرايتك ضبط جميع أموال ولاياتنا المحروسة، واليوم أبلغنا مجد الملك أنّ قصورك أكبر ممّا نتصوّر وأعظم ممّا نظنّ ونتخيّل، فقد أخربت الملك وضيّعت أموالاً لا عداد لها.

فعلم صاحب الديوان الذي كان غرّة الاقبال من خشونة المقال صعوبة أحوال

الاستدلال، ورأى موضع التكذيب محالاً، فأطلق لسانه بتلقين ملهم السعادة وباعث العقل ومرشد الهداية بجنان فسيح وبيان فصيح، فقال: رأسي ومالي وجسمي وروحي وأتباعي وأهلي فداء لروح الخان، فمن يستطيع جحود وفور النعم وأيادي السلطان، أو يتمكّن من إخفائها وسترها، ومن يقدر على إخفاء الشمس أو وضع الغطاء عليها وقد غمر العالم نورها وشاع سناءها. وعلى أيّة حال، نحن في هذه الدولة الأبديّة أنا وأخي وأولادي أخذنا وأعطينا وحملنا ووضعنا ووهبنا وأكلنا وأوكلنا وبذلنا أشياء خدمة للسلطنة، ووهبنا صدقات للمعوزين من أجل ثبات الدولة ودفعاً لشرّ حاسديها، ومانملكه اليوم من ضياع وعقار وأملاك وأسباب ونقود ودوابّ وعبيد ما هو إلّا لقمة من خوان إنعام السلطان، وما ناله عبيد عتبة ملجأ العالم أنا من صميم قلبي شريك به وحائز له معهم.

شعر

خواه صلاى خوف ده خواه بشارت امان

هرچه مراد تو بود هست مراد ما همان

وصلت خوفاً أو وصلت فضلا فـإنّه مـراد قـوم أصـلا

فإذا صدر أمر أو رأينا مصلحة، وإذا ما نفذت الإشارة فمنّا التسليم والطاعة ولا توقّف ولا إهمال بأيّ وجه وعلى كلّ حال، ولو بقي من زلال حياتنا قطرة واحدة في كأس وجودنا ولو لم نكتس إلّا بقباء واحد لعقدنا عليه زنّارنا وأقبلنا نلهج ألسننا بالدعاء.

شعر

تا جام اجل در ندهد ساقى عمر دست من و دامان تو و باقى عمر

ما دام لم يرم كأس العمر من يده ساقي الحياة وبالنُّعمىٰ يناولها
فذي يدي نشبت في عقد حجزته تبقىٰ حياتي كما قد كان أوّلها

ولمّا سمع آباقا خان ـ وهو العارف بالكلام الذي يحتلّ القلوب ـ هذه الكلمات التي مازجت سويداء القلب، هبّت نسائم عنايته من رياض مرحمته فانقشع غبار النفار عن خاطره الذي تسع البحار وأنعم على الخواجه شمس الدين محمّد بأصناف الألطاف الملوكيّة إنعاماً مستحدثاً وفوّض إليه منصب الوزارة بالعهد السابق، فعاد إلى جناب الصاحب اعتباره من جديد مرّة أُخرى، فسجد الصاحب سجدة الشكر، وقام بوفاء نذره وببذل الصدقات، وأوفد إلى الأطراف والأكناف رسلاً معرباً عن رضا آباقا خان عنه وإحاطته بالعناية الجديدة، ومن جملة الرقاع التي أرسلها لإخوانه رقعة بعثها لأخيه وصدّرها بالآية التالية: ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[1] وأتبعها بالبيت التالي:

امروز بحمد الله فارغ دلم از دشمن كندر دل تنگ من جز دست نمى‌گنجد
لم تبق في قلبي هموم العدىٰ وعوفي القلب من الهمّ
والآن ما فيه سوى صحبتي فرغت للعناق والضمّ

وتمام الحكاية أنّ مجد الملك لمّا عقمت مكائده في شأن الصاحب قرين آصف، ولم يكن لها تأثير يذكر، قلب الخطّة على أخيه علاء الدين عطا ملك فراح يسعىٰ للوقيعة به، وخدع نائبه «مجد الدين أثير» فأخذ يرفع التقارير عن الصاحب علاء الدولة حتّى استصدر من آباقا خان أمراً بأخذ عطاء الملك وتقييده، ولمّا شاهد الخواجه شمس الدين محمّد نازكي هذه المصيبة كتب إلى أخيه: خذ بالقبول جميع ما يثبته عليك المقرّرو وإيّاك أن تنكر ما يقولونه، وبعد

(١) يس/٢٦ ـ ٢٧.

المذاكرة المطوّلة قبل الصاحب علاء الدين محمّد بدفع المبلغ ثلاثمائة تومان[١] ولم يرض ذلك المعاندين، وبلغت الحال بهم أن قيّدوه بالسلاسل والأغلال وساقوه إلى «بغداد» ووضعوه قيد التعذيب حتّى اضطرّ لبيع كلّ ما يملك وتسليم ثمنه لهم وقاية لروحه، ولم يكتف أعداؤه ومعاندوه بالمطالبة وحدها بل نسبوا إليه العلاقات الوديّة والاتصالات المحكمة والاتفاق مع حكّام مصر والشام واتّهموه بشرّ التُّهَم، وفجئةً وإذا بهذا العزيز السليم يقع في الهوان والمحنة.

وفي هذه الأثناء عاد آباقا خان إلى همدان عجلاً فأرسل مجد الملك مبعوثاً إلى بغداد ليحضر الصاحب «علاء الدين» إلى المعسكر مقيّداً بالقيود الثقيلة، وفي هذا الظرف بالذات أي في العشرين من ذي الحجّة سنة ثمانين وستّمائة هلك آباقا خان واعتلا سرير الملك من بعده في ربيع الأوّل سنة إحدى وثمانين نكودار بن هلاكوخان الملقّب بالسلطان أحمد، وأشرقت أنوار عدالته على وجنات الإسلام وأصدر أوّل حكم يقضي بإرسال السفراء إلى همدان لتخليص الخواجه علاءالدين عطا ملك من قيده وحمله إلى المعسكر ويردّ زمام أُمور الأُمّة وبيوت أموالها استقلالاً إلى الكفّ الكفوءة للصاحب السعيد الخواجه شمس الدين محمّد وتغدق عليه العواطف الخسروانيّة والعوارف الشاهانيّة أكثر وأكثر من ذي قبل مرّات وكرّات.

فاشتعلت نيران البغض والحسد في أتون مجد الملك الباطني فتقدّم إلى «أرغون»..[٢] بالشكاية أنّ صاحب الديوان قتل الملك الوالد بالسمّ، ولمّا وقف

---

(١) لست أعرف معادل هذا المبلغ بالدرهم والدينار ولم أجد له ذكراً إلّا في كتاب السيّد وهذه هي المرّة الثانية.

(٢) أمير من أُمراء الأتراك كان موضع ثقة «آقا آن» يرسله في المهمّات الصعبة سفيراً بينه وبين

على علمي بفعلته الشنعاء هذه تقصّدني بالسوء لعلمي بالسرّ، فاطّلع سعدالدين ابن شقيق مجد الملك على مضمون هذه الشكاية وكان ممتعضاً من عمّه فجاء إلى الخواجه شمس الدين محمّد وعرض صورة المكاتبة كما حدثت، فوصل الأمر إلى السلطان أحمد وبلغه الحادث، فأمر بتقييد مجد الملك ووضع الغلّ في عنقه، ثمّ أصدر عهداً بردّ كلّ ما أُخذ من علاء الدين ملك في عهد «آباقا خان» بالقهر والغلبة، فأبلغ الخواجه «علاء الدين» «السمع الأشرف الأعلى» قائلاً:

إنّ كلّ نعمة أصبناها أنا وإخواني في مدّة الملازمة والخدمة هي من فواضل صدقات السلطان، وأنا الآن أُوثر بها على نفسي وأهبها، وأشار إلى الأموال كافّة التي جمعت في المعسكر والتي يتعذّر قياسها، فحذّر الحاضرون بعضهم من بعض.

عندئذٍ صدر الحكم واجب الامتثال على أثر موقف الجلال أن يحضر الأُمراء لمسائلة مجد الملك المهمّة، فامتثلوا أمره، وأخذ بتفتيش الأموال وتوجيه السؤال أثر السؤال، فأخرجوا من بين أمتعة مجد الملك وبزّه قطعة من جلد الأسد وقد كتب عليه عدّة أسطر بالزعفران إلّا أنّها لا تمكن قراءتها، وبما أنّ الأتراك ينكرون السحر خافوا من هذه الكتابة خوفاً شديداً فوقع في المسألة كثير من القيل والقال، وفي نهاية الأمر استصوبوا اقتراح السحرة والكهنة بأن تماص هذه الأسطر بالماء ويتجرّعها مجد الملك حتّى يرجع عليه ضرر السحر، فأبى مجد الملك من ذلك وامتنع لأنّه يظنّ بأنّ هذه الخطوط أودعها الشيخ عبدالرحمن رفيق صاحب الديوان في أمتعته وأخفاها وقد تكون مكيدة منه.

⊃ خصومه أو أوليائه حكم ولايات كثيرة من ولايات الدولة المغوليّة منها الموصل وحلب، توفّي في ٢٥ ذي الحجّة سنة ٦٧٣ هجريّة.

وتمام الحكاية أنّ التهمة ثبتت على مجد الملك ولكن «سونجاق پهلويان» ـ وهو واحد من قادة المغول ـ وضع جنبه على فراش العجز ومرض لم يرضوا بقتله، واتفق أنّ «سونجاق پهلو» مرض فذهب الشيخ عبدالرحمن لعيادته وما زال به حتّى رضي بقتل مجد الملك، عند ذلك أودعوه عند مماليك الخواجه علاء الدين، وأراد لسلامة نفسه وحسن خلقه أن يعمل بموجب الحكمة المأثورة «العفو عند الاقتدار من علوّ المقدار» فخلع على قامة مجد الملك خلعة العفو.

شعر

چون ملک دادگر داد بخش ... از كرم و لطف تو را داد بخش

پيش تو هركس كه گنه كار تر ... عفو گناه از تو سزاوارتر

إذا كان يعفو ويعطي المليك ... ومن كرم لطفه يعذق

فكن أنت عاف عن المذنبين ... وخصّ الذي ذنبه مطبق

وقال جماعة من المخلصين الحقيقيّين للصاحبي وأنصاره وأعوانه: لا يخفى على الإخوان والأصحاب أنّ هذا المدبّر الذي قصد هلاك الصاحبي وعطبه لم يترك الإيذاء والشرّ طرفة عين في أيّام اختياره، وفي عهد اعتباره لم يرع جانب الخالق أو جانب الخلق، ولو أنّ مخلصه قدر الآن على إنقاذه فإنّه لملأ قبضة ظلمه وتعذيبه وجوره بعالم من الناس فلا ينبغي تفويت الفرصة ويجب اجتثاث العدوّ من أصله.

شعر

سنگ در دست و مار بر سر سنگ ... نه زدانش بود فسوس و درنگ

فجئةً وإذا بأعوان الصاحبي يخرجون مجد الملك اليزدي من المجلس واحتوشوه بسيوفهم وبطرفة عين قطّعوه إرباً إرباً، وأرسلوا كلّ عضو منه إلى

صقع من أصقاع الأرض وعزّوا الرعيّة وأثلجوا أكبادهم بعد ما ذاقوه من يده من أنواع الظلم والعذاب، فأرسلوا رأسه إلى بغداد وأقاموه على خشبة الصلب زماناً، ورجله ذلك الشؤوم إلى شيراز، ويده إلى العراق، فأنشد بعض الفضلاء هذا البيت:

می‌خواست که او دست رساند بعراق　　دستش نرسید لیک دستش برسید

أراد أن تقبض العراق يده　　قد وصلته ولم يصل جسده

نقل الرواة أنّ بعضهم اشترى لسان مجد الملك بمأة دينار فصاغ عليه ذهباً، وقال هذه الرباعيّة أحد أصحاب القرائح الثرة ونظم حكايته هذا النظم الرائق:

روزى دو سه سر دفتر تزوير شدى　　جويندهٔ ملک و مال و توقير شدى

اعضاى تو هر يكى گرفت اقليمى　　فى الجمله به يک هفته جهانگير شدى

وقضيت في دنيا التلوّن فترة　　وأردت جمع المال بالتزوير

وتقاسمت أعضاك بلدان الورىٰ　　ولقد سبقت بذاك كلّ أمير

وفتحت دنيا الله فتحاً بيّناً　　والناس في زمن يمرّ قصير

إنّ الرجل العاقل هو الذي ينقذ نفسه من الورطات ولا يقع فيها من أجل الجاه والمنزلة والحصول على أيّام قليلة من الرفعة والسعادة، ولا يجعل نفسه في دار الدنيا هدفاً لرميّة الملامة، ويعرض نفسه في دار العقبى لاستحقاق العذاب والجحيم:

گرفتمت كه رسيدى به آنچه مى‌طلبى　　گرفتمت كه شدى آنچنان كه مى‌بانى

نه هرچه يافت كمال از پِيَش بود نقصان　　نه هرچه داد ستد باز چرخ مينائى

وصدتك إذ وصلت لما تمنّىٰ　　وصدتك إذ بلغت لما تريد

وما كلّ الكمال بسبق نقص　　ولا يعطى الزمان فيستعيد

وتمام الحكاية أنّ مجد الملك ذرّى دنياه بريح الفناء، وبعث السلطان أحمد

مرّة أُخرى علاء الدين أحمد إلى حكومة بغداد.

وأمّا الخواجه «عطا ملك» فلم يجد القرار الذي اتّخذه مع نفسه أن يقضي بقيّة عمره في زاوية منزوياً ويعرض عن شئون السلطان كلّه ويتلافى ما ضاع من أيّامه الماضية ويتدارك عمره الضايع.

شعر

چند روزی که درین مرحله مهلت داری
خوش برآسای زمانی که زمان این همه نیست

زن بعينيك ما تبقى من العمر فقد أمهلوك للميزان
إنّ ما تشتهيه جمٌ ولا يمكن إيعابه بهذا الزمان

ولكن لمّا كانت العواطف السلطانيّة والعوارف الخسروانيّة قد عملت على نجاته من مستنقعين: الأوّل: شماتة العدوّ، والثاني: هلاك النفس التي لا نظير لها، وقد خلص منهما كما يخلص الذهب، وألقىٰ خصمه الحاسد وعدوّه المعاند مع ما أخذه من الأموال وما حصل عليه من الأرباح والمكاسب في مدّة حكومته عن دربه، ونتيجة لذلك فإنّ في الشريعة والمذهب والفتوّة تردّ ذلك ولا تأذن به ولا تجيز منعه، وبناءاً على هذا فلم يكن باستطاعته أن لا يعتني بذلك الأمر الخطير والخطب الكبير.

ومجمل القول: إنّ الخواجه شمس الدين محمّد صاحب الديوان وأخاه قبضا مرّة أُخرى زمام الأُمور، ونالا الاستقلال في التصرّف بالأُمور، وصارا يديران الملك والمال بحسن التقدير والسياسة التامّة، وقد بذلا سعياً موفوراً وجهداً مشكوراً في تقويةالدين المبين وتيسير مهام علماء شريعة سيّد المرسلين، فأظهرا من اللطف مع العلماء وأهل الفنّ والمكرمة بما لا مزيد عليه، وأدخلا

الجذل والسرور على قلوب الرعايا العاجزين بوفور العدل والإحسان، فأخلدوا في رحابهما إلى مهاد الأمن والأمان.

شعر

آرام يافت دركنف عدل وحش طير آسوده گشت در حرم امن انس و جان

ويسكن وحش الأرض في ظلّ عدله ويأمن إنسٌ في حماه مع الجان

وفي غمرة هذه الحال بعث الأمير أرغون خان «جوشي»[1] إلى سدّة السلطان أحمد بأخبار مجد الملك وتأجّج نار الغضب في قلب آباقا خان، وعودة الدولة لصاحب الديوان.

وملخّص القضيّة أنّ الخواجه شمس الدين محمّد قطع على نفسه عهداً أنّ كلّ ما يعود إليه ملكه ويدخل تحت اقتداره من نقد وجنس وضياع وعقار وما إلى ذلك فإنّه موهوب لـ«إيلخان»، ومتى ما صدر الأمر باستلامه أو تصدر الإشارة النافذة بذلك فإنّه وبدون تأخير أو إهمال يدفع إليه ويوضع بين يديه، والآن يجري الرجاء منّا إلى حرس البلاط السلطاني توجيه الصاحب مصاحباً لـ«جوشي» إلينا لكي يستجوب ونقف على جليّة الحال وحقيقة الوضع.

فلمّا بلغ السلطان هذا القول علم أنّ غرض أرغون ليس مال صاحب الديوان فحسب وإنّما يريد التعجيل عليه وتصفيته، فأجابه: إنّ أُمّهات مهمّات الملك قد ضبطت بحسن تدبيرالوزير ويقظة ضميره فلو أنّه غاب عن سدّة ملجأ العالم فإنّ مصالح الملك وتدبير المال وتسيير الحال يقع في إهمال واختلال، ولم يلق بالاً للرسول ولا ما أُرسل به.

---

(١) لم أعثر على معنى لها في كتب اللغات وظننتها لأوّل وهلة صفة ولمّا تكرّرت وحدها علمت أنّها كلمة مستقلّة، وما أكثر هذه الألفاظ في هذا الفصل التي ليس لها رابطة رحم باللغة الفارسيّة إنّما هي تركيّة محضة.

ورجع «جوشي» قرين البأس والحرمان إلى عتبة أرغون خان.

وهذه الحكاية أوجبت الشكاية وكمنت العداوة الأرغونيّة تحت الستار، وأرسل علامات إلى أطراف الولايات أن يتركوا أملاك الصاحب تحت تصرّف نوّاب أرغون، وأن يردع خدمه وحشمه عن التصرّف في مهمّاته ومعاملاته بصورة قطعيّة. ولمّا كان الأمير الرفيع المنيع يوجد حوالي العراق فاستبدّ الخوف بالعراقيّين لذلك عمد إلى كلّ شيء يوجد في قبضة وكلاء الصاحب إلى انتزاعه ودفعه إلى خدم أرغون خان وحشمه.

وأقبل الأمير بنفسه النفيسة إلى بغداد وعمّان، وأغدق على المتصرّفين بأموال تلك الديار جرعة من لذائذ انتقامه، وأقبل في سنة اثنين وثمانين وستّمائة بعسكر مجرّ ينحو البلاد الشرقيّة وبسرعة متون الرياح من أجل الفتنة والفساد اجتاز بتلك البلاد وكان يعوم في الفكر كيف يستطيع انتزاع سرير الملك ثابت الأساس من قبضة هذا العمّ القادر المشهور، وأيّة وسيلة نافذة تستعمل في هذا السبيل. وعام في هذه الفكرة الشاوية ليله ونهاره، وسلبت راحته واستقراره، وبأيّة وسيلة يزيح السلطان أحمد عن دربه، ولمّا وصلت إلى الذهن الأنور السلطاني بعث رسلاً إلى بغداد في أواخر العام نفسه من أجل حبس خاصّة أرغون وتقييدهم، فأخذ صاحب الديوان يحشّد الجنود ويهيّأهم لليوم الموعود، واستطاع أن يجمع في هذه الأيّام كثيراً من أسباب العتاد والعدّة من أدوات الحرب وآلات الطعن والضرب.

وأقبل الأمير أرغون في غرّة صفر سنة ثلاث وثمانين وستّمائة ينحو «أذربيجان» وفي صحراء «مخواجه»[1] التقى بإليناق وهو مقدّمة عسكر السلطان،

(١) كذا وردت عند سيّدنا وأحسبها سهواً من الناسخ ولا سبيل إلى تصحيحها فقد راجعنا اللغات وكتب البلدان فلم نقع لها على عين ولا أثر.

ونشبت معركة شرسة انهزم على أثرها الأمير أرغون خان الذي كان يتمشدق بالشجاعة ولاذ بالفرار واستجار بقلعة «كلاة» وتعقّبه «اليناق» إلى تلك النواحي ووصل القلعة فرأى الأمير وهو خارج منها فأجرى الفرس نحوه والتقى به وأقبلا معاً نحو القلعة يتحدّثان، وأخذ اليناق ينصحه بأنواع النصائح وأعطاه الأمان من جانب السلطان، ولمّا رأى الأمير أن لا طريق لديه إلّا التسليم، ولا وسيلة عنده إلّا التوكّل واللجوء، صاحب اليناق حتّى بلغ السلطان في غوجان، وبلغ السدّة الرفيعة والحوزة المنيعة هناك، وطال انتظاره حتّى أذن له السلطان واحتضنه بحضن الرحمة والمحبّة، والتقى الوجه بالوجه، وأطمعه بمملكة خراسان، وأفرد له سرادق خاصّاً بسكناه، وأمر «روق» أخا بوقا ومعه أربعة فوارس بحراسته، وفي اليوم الثاني عزم السلطان على زيارة حرمه المحترمة فرفع للناس راية السفر ووظّف «اليناق» بجمع عسكر أرغون وسوقهم إلى «ممات».

شعر

بى خبر زانكه نقش بند قضا — در پس پرده نقشه‌ها دارد

ويجهل في أنّ القضا كامنٌ له — يحوك له خلف الستار الحبائلا

وبعد أن ذهب السلطان وارتحل كتب بوقا بعزم أخيه وقوّته على صحيفة ضمائر الأُمراء أنّ أحمد هدم نسل چنكيزخان وقضى على أُسرته وأطاح بها ورفع راية العزّة الإسلاميّة صاحب الديوان إلى عالم كيوان ونرى من المصلحة أن نستدعي «صاحب الفتنة» «بلاجو» وننحى أحمد عن سرير السلطنة فإذا تمشّت الأُمور على نحو أفضل أخرجو «أرغون» من السجن.

فاستصوب جميعهم هذا الرأي، ولقد علم في الأوّلين أنّ الدهر بمنزلة قلوب أهل المعصية فإذا عرته الظلمة خرجت هذه الفكرة من حيّز القوّة إلى حيز الفعل، على هذا الروي:

* چو چرخ بلند از شبه تاج كرد *

وأقبل بوقا يسعى حتّى دنى من سرادق أرغون ولمّا رفع الحجاب والسجف المضروب عليه هبّ أرغون من مخدع راحته مضطرباً لأنّه تصوّر أنّ نهايته قد دنت وساعة الفراق قد دقّت، فقبض بوقا على يده وأخرجه من الخيمة وأخبره بما تعاقدوا عليه، وفي هذه اللحظة اجتمع موافقوه واستووا على ذوات القوائم المماثلة لسرعة الريح والمميّزة عن كلّ قبيح، والخاطفة كأنّها البرق، وانحدروا نحو معسكر «اليناق» فوجدوه راقداً في كلّته فقطّعوه إرباً إرباً، فشوهد في تلك الليلة ضجيج ليلة المحشر، وخوف يوم اليوم الأكبر، وقتل أكثر المقرّبين من السلطان أحمد، وركب أحدهم على جواد الهرب وتعقّب السلطان وكان قد اجتاز اسفراين بأربعة فراسخ، فبلّغه بما جرى من خروج «أرغون» وتبييتهم والانقلاب الذي فاجأهم، وقتل الأعوان والأنصار بكلام مختصر.

فاضطرب السلطان من هذا الخبر الموحش، وتبلبل خاطره، وعند ذلك توجّه إلى جانب معسكر أُمّه «طوطي خاتون» الذي كان مجتمعاً في سراب، واعتزل من كلّ فوج جماعة من الأُمراء والقادة متخلّفين عن الخدمة ومسارعين إلى الجانب الآخر.

بهر گامى زكامى دور مى‌ماند زمحنت آيتى مسطور مى‌خواند

لا يرفع الخطو إلّا نحو كارثة وكلّ بلوىً عليها الآي مسطور

ولمّا وصل صاحب الديوان إلى جاجرم جمع عدداً من الحمير وأقبل بها لتقديم الخدمات اللايقة، وبعث جماعة من أصحابه إلى الأطراف والجوانب يتجسّسون الأخبار، ولمّا علم حقّاً بأنّ أرغون خان في معسكر «طوطي خاتون» وقد تمكّن من السلطان أحمد وكسر ظهر نظير ما فعل بقلوب أهل الإسلام وإنّه

اعتلا صهوة الخلافة وجلس على عرشها، رأى صاحب الديوان أن يؤمّ اصفهان ويذهب منه إلى شيراز ومن شيراز يتوجّه إلى هرمز ويركب البحر إلى الهند ويقضي الأيّام التي بقيت من عمره في تلك الديار بالفراغ وراحة البال، ولكنّه فكّر في قسوة المغول ووحشيّتهم، لأنّه إن نجّىٰ منهم نفسه وسلم من الغرق في هذا المستنقع وبلغ ساحل النجاة فإنّ أولاده وإخوانه وأُسرته ومَن لهم به علقة وحجّابه وبوّابه ومستخدميه سوف يظلّون في نيران تلك الفتنة المتّقدة، وفي ذلك الأتون المضطرم، ولقد قضى ثلاثين عاماً في منتهى العزّة والاحترام والاستقلال، وأوصل صبح النشاط لأيّام الشباب بليل غم المشيب فكان الختام هكذا، وإذا ما كان الدهر الغادر كما هي عادته بالغدر يغدر ويميل إلى الجفاء بعد الوفاء، فما جدوى متانة التدبير وسطوع الرأى المنير ماذا يفتح ماذا يحلّ. والأنسب أن نعقد يد الأمل بحجزة التوكّل ونثق بكرم السلطان ونلجأ إلى العتبة العليّة التي هي ملجأ العالم ونقلع عن الفكر بأنواع الهموم والملال والنزل والارتحال، فإمّا أن يهبّ نسيم العناية من مهبّ الألطاف الشاهانيّة ويعفو أرغون عن جريمة لم ترتكب.. مصرع:

*زمشک وز خورشيد نبود بديع *

ليس شيء أشدّ طيباً من المسك إذا ما سرت به الأرياح

لا ولا في الورى منير يفوق الشمس نوراً إن أشرقت في الصباح

وإلّا فإنّ الله سبحانه كم أنقذ من محنة العذاب والتعذيب حيّاً فلأكن أنا ذلك الحيّ، عند ذلك تهجّى بالكلمة الشريفة «وأُفوّض أمري إلى الله» وجرى بها لسانه وخطى خطوات سريعة نحو أرغون خان وفي هذه الأثناء وصل إلى جنابه «مير خماري» و«أتابك يوسف شاه» و«ملك إمام الدين القزويني» الذين أرسلهم

أرغون لاستمالته وقالوا: يقول ملك العالم لمّا أنعم علينا الربّ الأبدي الأزلي بالظفر على العدوّ وزيّن مفرقنا بتاج الخانيّة وأكليل الملوكيّة فقد عفوت عن جميع أصحاب الجرائم ومحوت بالعفو والسماح والتغاضي جرائر الخطاة كلّهم أجمعين أكتعين، فلو أنّ صاحب الديوان جائنا فإنّ عاقبة ذلك سوف نختصّه بالألطاف، وظهرت علامات مشتملة على مثل هذه الأحاديث، فاطمأنّ الخاطر الصاحبي من استماع هذه الكلمات وكالبرق الخاطف والضياء اللّامع قطع تلك المسافة إلى أن وصل إلى المعسكر يوم الجمعة العاشر من رجب سنة ثلاث وثمانين وستّمائة، ونزل في وثاق بوقا، وحمله بوقا في اليوم الثاني إلى حافّة السرير الأعلى فاستقبله أرغون بالتجلّة والإكبار، وأطمعه بمنصب الوزارة، فقبّل الصاحب الأرض بين يديه ودعا له وعاد إلى منزله.

ولمّا مرّ على هذه القضيّة أيّام وشاعت بين الجميع أنّ الخواجه شمس الدين محمّد سوف يلي الوزارة بالعهد المعهود، فقال فخرالدين المستوفي وحسام الدين الحاجب ـ لشدّة بغضهما عداوتهما له ـ لبوقان: إن تدخّل صاحب الديوان في شئون الملك والمال، مدعاة إلى بوار حكومتك وزوال نعمتك، وإن كان الخواجه يتملّقك أيّاماً فسوف يثب عليك إن أمكنته الفرصة ويسلب منك الاختيار كفعله بسائر الأُمراء.

شعر

دشمن چو بدست آيد و فرصت داری — زنهار كه از دست خودش نگذاری
وربگذاری و دست يابد بر تو — سودی نكند ندامت و غمخواری

إن تمكّنت من عدوّ فلا تتركه — حيّاً وداوه بالحمام
إن تركت العدوّ يدرج حيّاً — فتهيّأ سمعاً لقرع الملام

فلابدع بعد ذلك أن يطيل «بوقا» لسلان الملام على أرغون في بعض خلواته به، وقال له: إنّ امرءاً كان يكتضّ فكره بالسوء للسلطان أبيك وأقدم على كفر النعمة فسقاه السمّ الناقع فكيف تتوقّع منه الخدمة، بقاء دولة السلطان وقتل صاحب الديوان كلاهما قرينان، فلا يجوز تركه حيّاً.

شعر

چو فرصت يافتى بر خصم غدّار مكن تقصير و مغزش را برون آر

وبناءاً على هذا فقد حكم أرغون خان أن يؤخذ بصاحب الديوان إلى موقف «يرغو» (وهو القضاء عندهم) وليجتمع الأُمراء على مسائلته والتحقيق معه، وعند ذلك ربطت يداه تنفيذاً للأمر وأحضروه في الديوان، وضجّ الناس ضجّة واحدة حتّى بلغت عنان السماء مالكم أوصدتم باب أرزاق العباد وكسرتم قلوب الفقراء والمساكين كقلوب الفحول والأقران.

فقال الخواجه شمس الدين محمّد في ردّ أهل البغض والحسد: سوف أُجيب على التقصير والتصرّف الذي ينسبه لي أصحاب الأغراض مكان الجواب الواحد مأة جواب، وأعترف مأة اعتراف، أمّا الاتّهام بالغدر والخيانة لوليّ النعمة فلاعلم لي بذلك مطلقاً.

شعر

نه بر زبان گذرانيده‌ام نه بر خاطر

نه از عقيدهٔ من بنده هرگز آن بوده است

لم أقله بلساني لا ولا أضمر قلبي

عنه نزّهت اعتقادي وبذا يعلم ربّي

فلم تجده طلاقة لسانه ولا فصاحة بيانه... مصرع:

* با حكم خدا دم مسيحا چه كند *

* ما نفع إحياء المسيح مع القضاء إذا نزل *

وحكم على ضراح الفضائل والمعالي بالخراب، وعلى نبع الكرم وعين الجود والإحسان أن يكونا سراب. ولمّا علم الخواجه أنّ النجاة أصبحت مستحيلة والخلاص متعذّر اغتسل وصلّى ركعتين أخلص بهما للّه واستفتح بالمصحف الذي ما فارقه في حلّ وترحال متفائلاً، فخرجت هذه الآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

وأخرج علائق الدنيا من قلبه وقال في مقام التسليم.. مصرع:

* هرچه آيد از تو خوش خواهى شفا خواهى الم *

كلّما قد حكمت يرضى به القلب شفاء قد كان أو كان داءا

وآخر صلاة صلّاها يوم الاثنين الرابع من شعبان في موضع يقال له «اهزاز» سُقي رحيق الشهادة من أيديهم وقضىٰ عليه الجلّاد.

تيغى كشيد بر همه اين چرخ گوژپشت

كو صد هزار شاه و گدا را بقهر كشت

چون عاقبت فناست جهان دو رنگ را

سهلست خوب و زشت گريزم اگر درشت

وجرّد دولاب الزمان عليهم حساماً هو الموت الزؤام إذا هوىٰ

وجزّر ملّاكاً وجزر بائساً وما حاد عن هذا السبيل وما التوىٰ

إذا كان يفنينا الزمان بأسرنا فلا فرق بين القرب عندي والنوىٰ

(١) فصّلت/٣٠.

ذكر الرواة أنّ «مجد همگر»[1] وهو فاضل عالم ليس له نظير في عصره، وكان سيّد شعراء العراق وفارس، ومعاصراً للشيخ مصلح الدين «سعدي الشيرازي» قال يرثي الوزير صاحبالسادة بالرباعيّة التالية، ولمّا سمعها الشيخ سعدي أثنى على المجد ثناءاً جميلاً ونوّه به وهي:

از رفتن شمس از شفق خون بچكيد — مه روى بكَند وزهره گيسو ببريد
شب جامه سياه كرد از ماتم و صبح — برزد نفس سرد و گريبان بدريد

جرى دم الشفق المحزون مذ رحلت — شمس الوجود وأخفى البدر صورته
وزهرة النجم جزّت شعرها خصلاً — ما حال بدر يرىٰ بالحزن زهرته
قد ارتدى الليل أثواب الحداد فمن — كساه عند مغيب البدر حلّته
والصبح شقّ ثياباً كان يلبسها — وسوّدت آهة المحزون غرّته

ونظم القطعة التالية في رثائه:

---

(١) مجد الدين «همگر» من شعراء القرن السابع الهجري يعرف غالباً في الأدب الفارسي من خلال المقارنة بين الشعراء الثلاثة «امامي وهروي وسعدي» وكانوا متعاصرين، قيل: إنّ أحدهم سأله عن الموازنة بين الشعراء الثلاثة وإن كان يرجّح أحدهم أو لا، فقال:

در شيوهٔ شاعرى باجماع أمم — هرگز من وَ سعدى بامامى نرسم
أنا وسعدي بمنأىً — عن الأديب الإمامي
بذا قضى النّاس طرّاً — فاقنع بهذا الكلام

ولمّا سمع سعدي بهذا الشعر تألّم جدّاً وأجابه ساخراً:

همگر كه بعمر خود نكردست نماز — آرى چه عجب گر بامامى نرسد
إذا لم تصلّ طول عمرك ركعة — فلا عجب لا تقتدي بإمام

ومعنى «همگر» النسّاج أو الحائك، ولعلّه عمل أسرته أو عمله في أوّل أمره، كان يعيش تحت ظلّ صاحب الديوان المرحوم بهاء الدين الجويني حاكم العراق وفارس الذي توفّي سنة ثمان وسبعين وستّمائة هجري قمري، وأمّا وفاة هذا الشاعر فهي في سنة ستّ وثمانين وستّمائة ولا يعرف من أمره كبير أمر ـ راجع لغتنامة دهخدا.

خدایگان زمین و زمان یگانهٔ دهر کریم و سرور مرحوم خواجهٔ دوران
جهان پناه و سکندر نژاد و عالیقدر پناه و قوّت اسلام و صاحب دیوان
بعهد دولت او کرد روزگار بیاد زداد دادن محمود و عدل نوشروان
بسال ششصد و هشتاد و سه بخِطّ اَهَر شهید گشت دوشنبه چهارم شعبان
ندیده دیدهٔ افلاک مثل او هرگز بجود و همّت و فضل و سخاوت و احسان
فغان زگردش چرخ و زمانهٔ غدّار که کرد چشمهٔ خورشید زیر خاک نهان
بحقّ ذات تو ای کردگار بی چه و چون که باد مسکن و مأواش جنّة رضوان

تقريب المعنى :

مليك الأرض والدهر وحيد الزَمَن النضر
كريم ما له ثان رفيع الاسم والقدر
هو السيّد والمولى هو الحائز للفخر
له قد لجأ الدهر كما يلجأ مضطرّ
من الاسكندر الأوّل بالجذم تحدر
به قد منع الإسلام من شرّ ومن ضرّ
له الديوان والعسكر والبرّ مع البحر
لقد أرجع في أيّامه عدل أنوشر[1]
قضى الله بأن يقتل بالظلم ويقهر
وفي العام ثمانمائة حين استفحل الشرّ
أضف فيها ثلاثاً وثمانين لتنصر
شهيداً دمه الطاهر فيه الفلق أحمر

---

(١) أي أنو شروان، وجرى الترخيم للضرورة.

وما كان له ثالٍ بمثل الفضل يذكر
ولا الدهر بعينيه نظير الشيخ أبصر
ومن يذكر في جود فجود الشيخ أشهر
هو الجود هو الفضل هو الخير وأكثر
هو الجلّ هو النُّعم هو الدهر وأكبر
لك الله أيا دهر سددت المنبع الثرّ
بكيناه فهل ينفع دمع حين ينثر
تركت الشمس يا أقدار تحت الترب تستر
إلهي فاجعل الجنّة مأواه المقدّر
وأنزل رحمة منك كمثل البحر تزخر

الصاحب الفاضل العادل علاء الدين الخواجه عطا ملك

أخو الخواجه شمس الدين محمّد صاحب الديوان، وكان في العزّ والعلاء والفضل والعطاء أعلى أيوانٍ رفع راية الحكم في خطّة بغداد بحكم آباقا خان، ونشرها هناك، و كانت بغداد بعد قتل المستعصم قد أصبحت خراباً وصارت يباباً بحيث لا يمكن بيان ذلك، ولا يتّسع التعبير له، ولكن شمس الدين استطاع بمدّة وجيزة أن يعيد لبغداد بعضى عمرانها وروائها.

زيُمن مقدم او شهر بغداد باندک روزگاری گشت آباد
وبفضله وبيمن مقدمه دار السلام أُعيد ذاهبها

ومن أعماله الطيّبة وعمارته المذكورة النهر الذي أجراه في مدينة النجف وأنفق عليه أكثر من مأة ألف دينار ذهباً أحمر، وبلغ ماء الفرات إلى أرض

المشهد وأجراه في النجف الأشرف، ومن جملة أشعاره الدالّة على حسن اعتقاده قوله:

يا شمع أفل فقد بعد الغسق[1] والفجر بدئ ولاح منه الشفق

لوكنت بحبّ حيدر تفتلق ماكنت بحرّ نارها تحترق

ومن مؤلّفاته «تاريخ جهانگشاى جوينى» وهو مشهور فيالعالم ومرغوب فيه عند العلماء ومطلوب لهم، وكتب الشيخ الفاضل الكامل كمال الدين ميثم البحراني وهو من محقّقي علماء الإماميّة كتاب «شرح نهج البلاغة» له وباسمه، وقد وشّح قاضي القضاة نظام الدين الاصفهاني ديوان الرباعيّات باسمه السامي، وكان قد جاور ربّه في الأيّام التي تغيّر أرغونخان على الخواجه شمس الدين محمّد بها وأعلن عن شديد عداوته له وأراد القبض عليه أو حمل السلطان أحمد على الفتك به وترك دار المحنة إلى جنّة الفردوس، وكان تاريخ وفاته في ليلة السبت الرابع من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وستّمائة، ونهض الخواجه شمس الدين محمّد من مسند الوزارة وجلس على المسوح للتعزية، وقام السلطان أحمد بتفقّده ومواساته وخلع عليه خلعة خاصّة وسلّاه بأصناف الرعاية ولطايف الحماية حتّى تغلب الوزير على حزنه وسكنت نفسه.

الصاحب الأمير الرشيد بهاء الدين محمّد بن صاحب الديوان

هو سماء الرفعة والشأن، وبيت قصيد مكارم صاحب الديوان، واشتهر بين أعلام الوزراء بكمال الكفاية والشجاعة والمهابة، ويقرن على ألسنة الفضلاء

---

(١) أثبتُّ الرباعيّة كما وردت وماكان بالإمكان تصحيحها وفي الشطر الأوّل يبدو الوزن تالفاً والحكم للقارئ.

بالصاحب بن عبّاد الذي مرّ ذكره في غمرات بحر إحسانه مئآت مثل ابن الفرات يعتبرون ممسكين، وزيت خوانه بألوان النعم غطّى على الخلال والزيات وعدّهم ظالمين، ابن سهل قياساً إلى عظمته سهل، وذوالرياستين إلى جانب رياسته لا أهليّة له، مجلسه الشريف مجمع فضلاء المذهب الجعفري الحق، ومحطّ رحال الأُدباء والفضلاء الاثني عشريّين، ومولانا الفاضل الحسن بن عليّ الطبري وهو يُعدّ من فضلاء الإماميّة ومن أفاضل حاضري مجلس الخواجه بهاء الدين محمّد الشريف، وكان يحضر المجلس ولا يكاد يفارقه.

قال في خطبة كتاب «كامل البهائي»: المخدوم المطلق، حجّة الحقّ على الخلق، أعدل سلاطين الأوّلين والآخرين، بهاء الإسلام والمسلمين[1] رفع الله رايته على أقاصي العالم ببركة حسن سيرته وبسط عدله واعتقاده الصادق بآل بيت النبيّ صلوات الله عليهم، والبرائة من أعداءهم، وتعاهد سادات أهل البيت وعلمائهم بالرعاية والعناية، وذلّ له سلاطين الربع المسكون بحكم «تعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء»، وشدّوا زُنّار العبوديّة له على أوساطهم وصاروا معتكفين على عتبة جلاله.

وأمّا الطوائف التي تعادي هذا الإقبال فقد صاروا مصداقاً لـ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ** ﴾، وصار بعضهم في بحر الهلاك قشّة طافية على وجه الماء ﴿ **فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً** ﴾ وصارت التقيّة التي وجبت على الشيعة الإماميّة بسبب قلّة الأعوان والأنصار وكثرة الاعداء الجفاة الفجّار، وصار لا محيد عن إظهارها حرمت على الشيعة بظهور هذه الدولة، بل الأعظم من هذا فقد أظهر

---

(١) مَنّ الله سبحانه على عبده الفقير الحقير فترجمته إلى العربيّة في جزئين وانتشر في الأسواق منذ سنين /المترجم.

أكثر أهل السنة من خوف هذه الدولة التشيّع، والمحبّون والموالون من علماء أهل البيت حفظهم الله بهذه الدولة، وكتبت الكتب الشريفة باسمه وهذه نعمة شكرها على الشيعة كافّة فرض عين.

وقد أشار أقضى القضاة نظام الدين الاصفهاني في آخر بعض قصائده التي افتتحها بمدح أهل البيت عليهم السلام إلى مدح الخواجه بهاء الدين والإشادة بعقيدته، فقال:

قل للنواصب كفّوا لا أباً لكم ... لشيعة الحقّ يأبى الله تهوينا

أعاد أهل ملوك الترك رونقهم ... وزاده[1] ببهاء الدين تمكينا

هذا ابن صاحب ديوان الممالك قد ... أمضى عزيمته يخزي الملاعينا

عن المنابر نحن المبغضين لهم ... يرىٰ لأعينهم بالمنع تسخينا

يرى عليّاً وليّ الله مدّخراً ... للحشر أولاده الغرّ الميامينا[2]

وجاء في كتاب «تاريخ الوزراء» أنّ الخواجه بهاء الدين في ابتداء أمره وفي أوّل نشأته وارتقائه عهد إليه بحكومة اصفهان ويزد بموجب العهد الذي كتبه إليه «جهانگشا»..[3] وفي عادة الضبط والسياسة وإظهار القدرة والسطوة اجتازت راية الرفعة والتجمّل التي رفعها ذروة التعقّل. فقد أغلق أبواب العفو والتغاضي

---

(١) زادهم.

(٢) ورد ثلاثة أبيات منها في الذريعة ج١٤ ص ١٨٠، البيتان الأوّلان والبيت الأخير، وذكر بيتان من أوّلها محقّق بحار الأنوار وهما:

للّه درّكم يا آل ياسينا ... يا أنجم الحقّ أعلام الهدى فينا

لا يقبل الله إلّا في محبّتكم ... أعمال عبد ولا يرضى له دينا

ثمّ ذكر البيتين الأوّلين، وعزىٰ ذلك كلّه إلى الفوائد الرضويّة ص٢٩٣.

(٣) تعني الكلمة «فاتح العالم» ولم يذكر المؤلّف المعني بها.

في وجوه أصحاب تلك الولاية بصورة كليّة واتكأ على مسند الغلظة وكسر قلوبهم بتحميلها بالأحمال الثقيلة؛ فمن تكلّم بما لا يرضيه حكم بالقضاء عليه، فما بالك بالجريمة الصغيرة والكبيرة، وإذا بلغه قول لا يناسب مزاجه ولا يتّفق ومرامه فإنّه يذري البيوت في الرياح العاتية ويجعل أموالهم وأرواحهم هباءاً منثوراً، وكان أركان الدوله وبوّاب الديوان وساير أعيان اصفهان لو قضي لهم في الليل بساعة راحة وفترة استراحة فإنّهم عند هبوب نسيم الأسحار يكون كورق شجر الصفصاف إذ عصف به ريح صرصر يرتجفون خوفاً وهلعاً على أرواحهم، ويقولون في أنفسهم: ويحنا! كيف نجاتنا اليوم من حلقة القهر وما هو التدبير الذي يحالفنا الحظّ للنجاة، وأين تتأجّج نيران غضبه وترمي الأذلّاء من هذهالديار بالشرر، ائتلف الأسد الهصور مع الثعلب خوفاً من بطش سياسته، وأطاعه شجعان اصفهان والعراق خوفاً من خنجره الحاد كأنّه لسان الثعبان، وسلّموه القياد، وتأدّبوا في البلاد.

رباعيّة

از بيم سياستش جهان مى‌لرزد　　واز فرط مهابتش زبان مى‌لرزد

واز حدّت تيغ آبدارش خورشيد　　چو برگ زصرصر خزان مى‌لرزد

يرتجف العالم من بطشه　　وتفرق الألسن من سطوته

إن رأت الشمس سنا سيفه　　أو ثارت النيران من صفحته

صارت كأوراق أتىٰ عاصف　　فخرّ فوق الأرض من دوحته

كان صاحب الديوان يبالغ في ردعه عن كثرة سفك الدماء عن طريق الرحمة الأبويّة وشفقة الوالد على الولد، ويحذّره من عاقبة هذه التصرّفات بعبارات مختلفة، فكان الخواجه بهاء الدين لا يلقي بالاً لنصائحه، ولا يرتدع مطلقاً عن

سفك الدماء، وعن المثلة والإحراق.. مصرع:

*** پند پدر مانع نشد رسواى مادر زاد را ***

لم يجد نصح الأب في واحد   من رحم الأُمّ أتاه الخبث

وكانت العاقبة أنّ الدهر سعى سعيه في استرداد ما وهبه فاعترته الأمراض المختلفة والأسقام المتفاوتة في كبح سورة غضبه فلم يبلغ من العمر العقد الثالث حتّى أنشبت المنيّة به أظفارها وانتقل من العالم الفاني إلى العالم الباقي.

شعر

فغان زآفت اين رنج ساز راحت سوز

فغان زگردش اين روزگار چرخ پرست

كه صورتى كه بعمرى نگاشت خود بسترد

كه گوهرى كه بسى سال سفت خود بشكست

آه من هذا البلاء المتعب   آه من دورته في الطلب

يعدم الصورة إذ يصنعها   ويزيل الدرّ يا للعجب

وجاء في روضة الصفا أنّ الخواجه بهاء الين محمّد وإن كان في طريق سياسته وانتقامه سعىٰ سعياً جاداً وملأ الرعب منه السهل والجبل، إلّا أنّه كان يتحلّىٰ بخصال الجود والكرم، ويهتمّ بهذا الشأن اهتماماً زائداً، ولم يجر منه تقصير أو تفريط في تعظيم العلماء والفضلاء قيد ذرّة، ولا أهمل خدمته والعناية بشأنهم أبداً، وكانت خدماته هذه تعدل أضعافاً مضاعفة قسوته تلك، وقد قسّم أوقاته على النحو التالي: من الصباح إلى الضحى يجلس في صُفّة مفتوحة يستقبل بها الأصدقاء وإخوان الصفا يسامرهم ويسامرونه ويداعبهم ويداعبونه ويلاطفهم ويلاطفونه، وبعد مضيّ ساعات يستأنس بتجرّع الكاسات الأرجوانيّة،

ويصرف أوقاته الباقية يتفقّد مهامّ الملك واستكشاف حال الطبقات والاطّلاع على شئون الناس.

ومجمل القول إنّ نعي بهاء الدين محمّد لمّا بلغ مسمع صاحب الديوان أنشد هذه الرباعيّة في رثاء قرّة العين:

فرزند محمّد اى فلک هندويت ... بازار زمانه را بها يک مويت

تو پشت پدر بودى از آن پشت پدر ... خم گشت چو ابروى بتان بى‌رويت

ولدي محمّد أنت بدر زمانه ... والهند مطلعه ومنها يشرق

وكسرت ظهر أب وكنت ظهيره ... وكحاجب أخيته بك يحدق

وأجاد الأفاضل من شعراء زمانه في رثاء هذا العظيم الفذّ ومنها هذه المرثية التي نظمها قاضي القضاة نظام الدين الاصفهاني وقد قال الصدق ونطق بالحقّ.

القصيدة

ما للظلام يغطّي وجهة الأُفق ... ما للرواسي اضطربن اليوم من قلق

ما للحظوظ تولّى القوم أظهرها ... ما لنوائب تبدي صفحة العنق

بكى السماء وضجّ الأرض وانكدرت ... زهر النجوم وطاشت أنفس الفرق

اليوم يوم لعمري كاسمه فقدت ... به العُلىٰ والنُّهىٰ إنسانة الحدق

مولى الأنام بهاء الدين صاحبنا ... مضى فبدّل صفو العيش بالرنق[1]

مضى فقطّع أسباب الرجاء لنا ... من كان منه فؤاد الناس ذا فرق

عين المكارم والعلياء باكية ... في ذا المصاب وقلب الدهر ذو حرق

جاشت لعمري بحور اليمّ زاخرة ... وآذنت سفن الآمال بالغرق

---

(١) ذكر هذه الأبيات مولانا الأميني في غديره ج ٥ ص٤٣٦ وقال: ذكرها القاضي في مجالسه ص٤٣٨ ومطلعها ثمّ ذكر الأبيات.

إنسان عين العُلى ماذا أصابكم عيني عليك تموج اليوم في علق
من صبح وجهك عين قرّ ناظرها أسالت الدم تبدي صبغة الشفق
أنحىٰ على غصنك الريّان كاسره غضّاً بماء شباب ناضر الورق
بعدار تقاءك في أوج السماء على شدّ اكتنانك تحت الأرض في نفق[1]
أدمى القلوب صباح قد نعيت به بصارم من قراب الليل مندلق
نامت حدود الأُلىٰ دبّرت أمرهم وبات طرف ملوك الأرض ذا أرق
أبصر عبيدك قد جزّوا ذوائبهم وآثروا الترب مفروشاً على السرق
أبصر صنايع ذاك الباب قد فجعوا يشكون بعدك أمراً غير متّسق
أبصر معالم قد شيّدتها اكتأبت تشجوا[2] القلوب بذاك المنظر الأُفق
إن تفتح العين لم تبصر سوى قلق يشكو أسار الأسىٰ في هذه الحلق
هداك عمّك مولى الخافقين إلى تلك الممالك حثّ الخيل بالعنق
ماذا عليك لو استقبلت موكبه وقد دنا منك دأب الحازم اللبق
هلّا ابتدرت إلى تقبيل راحته هلّا انتهيت إلى ضمّ ومعتنق
أريته لا رأى سوءاً ولا سمع الكروه وجه نهار ظلمة الغسق
يبكيك صنوك (حزناً) لا قرار له أوهى قوىٰ عزمه ما في نواك لقي
لو استطاع فدىٰ بالروح نفسك عن صدقٍ من الودّ لا كذب ولا ملق
هارون خرّ كموسىٰ للأسى صعقاً من حيرة غشية[3] بعد لم يفق[4]

---

(١) معنى البيت واضح وطريف ولكن ألفاظه غير مستوية، اللهمّ إلّا أن تقرء «على» هكذا «علا» و«شدّ اكتنانك» بمعنى أفعل التعجّب: ما أشدّ اكتنانك. ولم أجد نسخة أُخرى تمكنني من مراجعة القصيدة عليها لتصحيحها. واكتنان معناها: الاستتار وهي مستعملة.

(٢ و٣) كذا.

(٤) «من غشية قد عرته بعد لم يفق» هكذا ينبغي أن يكون الشطر ليستيم الوزن والمعنىٰ.

أبــوك صــاحب ديــوان الـممالك فـي	ذاك العـــزاء عــلى الأقــدار ذو حــنق
هـــلّا تــمسّكت كـي تـلقاه ثـانية	ويســـتضيء بـــوجه مــنك مـؤتلق
يـا أيّـها القـمر الأرضـي مـالك فـي	طــيّ السـرار بـضوء عـنك مـفترق
بـالشمس لم تـقترن أعـني أبـاك فـلم	أخـفى رواك عـناد وشك مـنمحق[1]
قـبل اسـتداره بـدر التمّ لم يكـن الـ	خســـوف فـــيما ســـمعناه بـمتّفق
بـعد ارتـحالك مـن تـلك الديـار أرىٰ	روائـح الخـير لا تـرجـىٰ لمـنتشق
خـانتك زهـر الدراري سـود أوجـهها	مـن راجـع جـالب شـرّاً ومـحترق
لا كان في الروضة الخضراء بعدك من	نـور لهـا يـونق الأبـصار مـنفتق
لا أشـــرع الرامـح العـلوي صـعدته	لا البـــدر تـــاه بـفضيّ مـن الدرق
لا يـبق شـمل الثـريّا بـعد مـنتظماً	لا يـبدُ جـوزاء فـيها زيّ مـنتطق[2]
تـبرّج الجـوّ فـيحلي وفـي حـلل	بـعد استتارك تـحت الترب لم تـطق
نعم مـطارف ضـوء الصـبح لو صـبغت	ســوداً لحـق لدىٰ كـلّ مـن الخـرق
في صحن دورك بل في الأفق أجمعه	يرى البواكي حـزين اليـوم فـي طـلق
تـبكي الجـواري خـضيباً كـفّها بـدم	بـالفجر فـي سـود أثـواب لهـا مـزق
يـنشرن مـنك خـصال الخـير مـفضية	إلى المـــصالح للأشـــراف والســـوق
يحكين عن عزمات مـنك مـا قـصرت	عـن دفـع مـعضلة أو كـشف مـنغلق
سـقت الأمـور وأثـواب الصبا جـدد	لو رامـها طـاعن فـي السنّ لم يشـق
لو نـلت عـن قـرناء السـوء مـثلك مـا	ســاس البـريّة ذو حكـم ولم يـفق
لكـن تـبعت هـوىٰ قـوم حسـبتهم	عـين النـضار فكـانوا زائـف الورق

---

(١) يظهر معنى العجز من الصدر وإن كان مضطرباً.

(٢) «لا» هنا هي الناهية وليست النافية.

وكـلّ مـا شـاء مـن شـرّ أتـى عـرضاً إذ لا مـواد له مـن أصـل ذا الخـلق
نـعم سـليمان لم يكـفر ومـال إلى الكفر الشياطين إرصاداً عـلى الطـرق
أقـول للـواجـد المكـروب أوحشـه غـاب بـلا أسـد مـنذ ارتـحلت بـقي
عـوّل عـلى شـبله المـحمود عـاقبة مـثل اسـمه وعـلي ذي العـلىٰ وثـق
درّان مـن صـدف يـبقىٰ بـمثلهما عـقد المـمالك طـول الدهـر ذا نسـق
كلّا لعمري عـن المـاضي يـرىٰ عـوضاً تـرجـو انـتفاعك بـعد الورد بـالعرق
قـولا لمـنتهض مـن اصـفهان إلى مـخيّم المـلك يـطوي كـلّ مـخترق
إن جـئت والده والدمـع مـنهمر مـن كـلّ بـاك هـنا بـالترب مـلتصق
وخـبّروا بـوقوع الخـطب ضـاق بـه ذرعـاً وسـاء صـباحاً كـلّ ذي رمـق
فـعزّه عـن أخـي بأسـاء مـمتحن داء له اليـوم فـي بـحر الأسـى غـرق
عـن ذي لسـان لشكـر المكـرمات له وبـالثناء عـليه الدهـر مـنطلق
عـن ذي فـؤاد عـلى الأحـزان مشـتمل جـفن وعـين عـن الأقـذاء مـنطبق
حيران ضاقت عـليه الأرض عـن سـعة كأنّـه اليـوم فـي أُنشـوطة الوهـق
واذكـر وراثـة عـمر لا انـتهاء لهـا للـخير مـنه يـرجّـىٰ خـير مـرتفق
وقـل له عـن لسـان القـوم كـلّهم أمـا وجـدت مـجال القـوم لم يـضق
بـودّ أهـل العـلى والمـجد أنّـهم ذاقـوا المـنون وطـعم الثكـل لم يـذق
وارضـه بـقضاء الله نـافذة كـيما يـثاب بـلا شكّ ومـختلق
ورأيـه فـوق آراء الزمـان تُـرىٰ يـهدي لوامـع أفكـار إلى الفـلق
يحيط علماً بـما فـي الدهـر مـن غـير يـراع مـجتمع فـيه بـمفترق
لم يـرو عـلّة صـاد مـن مـوارده صـفو بـلا كـدر عـذب بـلا شـرق
ومـثله ووجـود المـثل مـمتنع أرضـى الإله ولم يسـخط كـذي حـرق

يرى التثبّت أولى في مقام رضى ... ربّ العباد فلا يؤتىٰ من الترق[١]
وسلّه بأخيه والأعزّة كي ... ينيل من قيدهم بالحشا علق[٢]
مولىٰ ملوك بني الأيّام قاطبة ... علاء دين الهدىٰ الفتّاح للغلق
من شاد قصر معاليه إخوته ... من شابه الأصل في الألطاف والخلق
هما ولا تدرك الأيّام شأوهما ... حتف العدو وأمن الخائف الفرق
كلّ يرىٰ لكنوز البرّ مدّخر ... عنه اعتناق أُمور الملك لم يعق
لولاه لم يرِ نجم العلم في فرح ... لولاه ما فاح روض الفضل عن عبق
سال السؤال بنا لولا وجودهما ... وساخ أقدام أهل العزّ في لثق
أعدى على نوب الأيّام لطفهما ... وفلّ نأياً لصرف الدهر ذا ورق
دامت بفيضهما الآمال واثقة ... وثوق نبت الربىٰ بالعارض الغدق
ما انساق دهم خيول الليل يتبعها ... شهباء خيل نهار جري مستبق

صاحب الفضل شرف الدين هارون بن صاحب الديوان

شابّ فاضل صاحب فنّ، كان قوّة ظهر أبيه، وعضداً ليمين أخيه، وتقدّم أخاه الخواجه بهاء الدين محمّد في وادي الفضيلة، بل كان وحيد دهره وفريد عصره في جميع العلوم حتّى في علم الموسيقىٰ. حضر الأُستاذ صفي الدين عبد المؤمن عالم الموسيقى عند حضرته زماناً وكتب باسمه الشريف الرسالة الشرقيّة وألّفها له.

وجاء في تاريخ الغياثي: إنّ الخواجه عطا ملك وصاحب الديوان وابنه

(١) لعلّها من النزق الخفّة والطيش، والأُنثى نزقة. راجع المحكم لابن سيدة.
(٢) كذا. وفي الشطر سقط وبه اضطرب الوزن والمعنى.

هارون في عهد آباقا خان الذين شغلوا وزارة العراق وإمارته زاروا ذات يوم النجف الأشرف مشهد أميرالمؤمنين عليه السلام، ومعهم جماعة كثيرة من أعيان البلد وأئمّة الفريقين، وبعد فراغهم من أداء تقاليد الزيارة أخذوا بأطراف الأحاديث بينهم، فأفضى بهم الحديث إلى ذكر الإمامة، فقال هارون بآخره: هلمّوا نستفتح بهذا المصحف الموضوع على ضريح أميرالمؤمنين الطاهر ونتّبع إيحاءآته وإشاراته، فلمّا نووا واستفتحوا خرجت هذه الآية في أوّل الصفحة: ﴿ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾[1] وبعد الاستفتاح أذعن الجميع للحقّ واتّبعوا مذهب التشيّع.

الخواجه سعد الدين محمّد الآوجي

الوزير السعيد، والكاتب الفاضل، والعالم، كانت له المساعي الجميلة في تعظيم ذريّة خير البرية وترويج مذهب الإماميّة ورعاية علماء الطائفة العليّة، وكتب الشيخ العلّامة جمال الدين ابن مطهّر الحلّي رسالته السعديّة باسمه، فبالغ في نعته وتعظيمه وتكريمه، وزيّن باسمه مولانا نظام الدين الأعرج «شرح المجسطي».

وجاء في تاريخ الوزراء أنّ الخواجه سعد الدين كان وزيراً متعاهداً للفنون راعياً لها، مكرماً للفضلاء، وكان خبيراً في علم (الاستيفا) والترسّل والإناقة في الإنشاء والكتابة، وليس له نظير يحاكيه، ولا شبيه يدانيه، وأقرّه غازان (ابن أرغون بن آباقا خان بن هلاكو بن تولا بن جنكيز) بعد شهادة الخواجه صدرالدين محمّد أحمد الزنجاني بصدور عهده له على الديوان شريكاً للخواجه رشيد الدين

---

(١) طه/٩٢ـ٩٣.

الطبيب فكان صاحب الديوان معه وله رتبة نيابة السلطان، ومن رشحات عدله وإحسانه وإفاضة برّه وامتنانه صار روض آمال العالم والعالمين حديقة غنّاء ذات سعة وطراوة ونضارة.

ولمّا مضت عدّة أيّام انبرى جماعة من أهل الحسد مثل القاضي صائن الدين سمناني وشيخ المشايخ محمود وسيّد قطب الدين ومعين الدين القابچي اجتمعوا على تأسيس جمعيّة وبنوا قاعدتها على النظر في مخالفة الوزراء وصاروا يختارون ضحيّتهم بالقرعة، ولمّا بلغت القضيّة إلى حضرة السلطان غازان، غضب وعرض أكثر مقرّبيه على السيف.

چو شمشير عدالت را علم كرد بسى دلت قلم زن را قلم كرد

وتوفّي غازان في الحادي عشر من شوّال سنة اثنين وسبعمائة، وتسلطن بعده في ذي الحجّة من السنة المذكورة أُلجايتو السلطان المعروف بالسلطان «خدابنده» ووضع التاج على رأسه وأسنده بعهد ذلك الزمان إلى أخيه الأكبر زمام أُمور الوزارة ومهمّات العسكر والرعيّة ووضعها بكفّه ذات الكفاية وقبضته صاحبة الدراية وإلى الوزراء العظام الخواجه رشيد الدين محمّد والخواجه سعد الدين وكانت شمس الدولة والإقبال مصونة ومحروسة من شائبة النقص والزوال ما دامت الموافقة بين الخواجه والخواجه رشيد الدين قائمة على أساس متين.

شعر

تا گل نشكست عهد گلزار نشكست زمانه در دلش خوار

ولمّا آلت الموافقة إلى المخالفة وتبدّلت الأحوال من حال إلى حال أمر سعد الدين «السيّد تاج الآوجي»؟ وجماعة من الحجّاب وحملهم على أن يأخذوا الخواجه رشيد الدين بالمحاسبة وأخذوا منه «خمسمائة تومان» فأحضر السلطان

عند ذلك الخواجه سعد الدين وتملّك الجماعة في موقف الخصومة إلى المسائلة وبعد ثبوت جرائمهم أطاح بقاعدة حياة الخواجه سعدالدين ومن وضع منعه الخطّة بالسيف وصادر المبلغ خمسمائة تومان التي تقبّلوها من الجهات الممتلكة لهم وخمدت الفتنة ونام عثيرها وهدأ أوارها بيمن السياسة السلطانيّة ...

عليّ بن هلال الكاتب المشهور بابن البوّاب

من مماليك بهاء الدولة ابن بويه، ابن مقلة، كتب سواد خطوط براعته مكان سواد العين على البصر وصحيفة لطف آثاره التي هي درج[1] الياقوت بل درج الياقوت جعلت الصيرفي بعد أن تثار غيرته وحسده يدفع روحه ثمناً لها. وقال بعض فضلاء الشيعة هذين البيتين من الشعر في مدحه:

ويا ابن هلال كم حويت فضيلة   غدوت بها بين البريّة أوحدا

ونحن عهدنا الدرّ أبيض ناصعاً   وأنت جعلت الدرّ أفحم أسودا

قال اليافعي: قيل: ليس له في الكتابة مثل ولا مقارب وإن كان أبو عليّ (ابن مقلة) أوّل من نقل هذه الطريقة من الخطّ الكوفي وأبرزها في هذه الصورة، وله بذلك فضيلة السبق وخطّه أيضاً في نهاية الحسن، ولكن ابن البوّاب هذّب طريقته ونقّاها وكساها حلاوة وبهجة، والكلّ معترفون له بالتفرّد وعلى منواله ينسجون، وليس فيهم من يلحق شأنه[2].

وجاء في تاريخ مصر والقاهرة ذكر حاله على هذا النحو: عليّ بن هلال،

---

(١) الدرج: سفيط صغير تجعل فيه المرأة طيبها وما أشبهه، راجع: جمهرة اللغة، ولعلّه يعني بالدرج الثاني المراتب، وللياقوت.

(٢) مرآة الجنان ج ١ ص٤١٧.

الإمام الأُستاذ أبوالحسن، صاحب الخطّ المنسوب الفائق، المعروف بابن البوّاب، كان أبوه بوّاباً لبني بويه، وقرأ هو القرآن وتفقّه وفاق أهل عصره في الخطّ المنسوب حتّى شاع ذكره شرقاً وغرباً، وكان هو خادماً لفخر الدولة[1].

توفّي في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، وهذان البيتان في رثائه:

استشعر الكتّاب فقدك سالفاً   وقضت بصحّة ذلك الأيّام

فلذاك سوّدت الرويّ كأنّه   أسف عليك وشقّت الأقلام

وقال بعضهم: إنّ وفاته كانت في جمادىٰ الأُولىٰ من سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ودفن ببغداد.

الخواجه المير علي العلوي التبريزي

واضع خطّ النستعليق، ومؤمن صاحب توفيق، وقد أشار مولانا السلطان علي ـ وهو تلميذه وأخذ العلم بواسطته ـ في رسالته المنظومة المشهورة إلى شطر من أحواله، فقال:

مثنوی

نستعليق اگر خفىّ و جليست   واضع اصل خواجه مير عليست

حسبش بود با على ازلى   نسبش نيز مى‌رسد به على

تا كه بوده است عالم و آدم   هرگز اين خط نبوده در عالم

وضع فرمود او زذهن دقيق   از خط نسخ و از خط تعليق

نى كلكش از آن شكر ريز است   كاصلش از خاک پاک تبريز است

نكنى نفى او زنادانى   بى‌ولايت نبود تا دانى

كاتبانى كه كهنه و نويند   خوشه چينان خرمن اويند

---

(١) النجوم الزاهرة ج١ ص٤٧٥ آلي.

در جميع خطوط بوده شگرف ... ز اوستادان شنيده‌ام اين حرف
خطّ پاكش چو شعر او موزون ... هست تعريف او زحد بيرون
بُد معاصر بمجمع الافضال ... شيخ شيرين مقال شيخ كمال
آنكه شعرش چو ميوه‌هاى خجند ... هست شيرين‌تر از نبات و زقند
همه رفتند از اين جهان خراب ... رخ نهفتند در نقاب تراب
بهرشان زآنچه خوانم و دانم ... روّح الله روحهم خوانم

تقريب المعنى:

لئن كان خطّ النسختعليق خافياً ... فواضعه في الأصل خواجه علي[1]
ولا فرق في نسخ يدقّ بشكله ... خفاءاً ونسخ للعيون جلي
له حسب أعطاه ربّ تعدّدت ... فواضله للعبد وهو غني
كذا نسب يعلو السماكين رفعة ... كذلك يعلو من أبوه علي
وليس له فيالناس خطّ مشابهاً ... وكان أبا الدنيا ولم يكُ شيُّ
إلى أن أتىٰ ذهن دقيق منوّر ... فأبعده والذهن يبدع حيّ
ويرشح من شقّ اليراع بكفّه ... مجاج من النحل المحبّب أري
وتبريز أرض تنجب الخير تربها ... وذهن بتبريز نماه بهيُّ
وأنت إذا تعزوه تلقاه قائماً ... على كتد الدنيا أشمُّ صفيّ
فلا تنفه إن كنت تجهل قدره ... فتبريز مهد بالكرام سخيّ
وكتابنا منهم قديم وحادث ... أصابوا غناءاً منه وهو رضي

---

(١) لمّا كنّا نترجم الشعر بالمعنى فقد نصطدم بألفاظ لا محيد عن ذكرها كلفظ النسختعليق والخواجه، مِن ثَمّ تركنا اللفظين كما هما في الفارسيّة ولم نجر عليهما القواعد بل ربّما اعتبرنا النسختعليق من غير المنصرف ونزّلناه منزلته.

وقد حصدوا منه سنابل أينعت ونـــالهم شــبع بــذاك وريّ
وقد عجبت أهل الخطوط بخطّه وكــان ضــجيج حــوله ودوي
وقــد قاله الأُستاذ يتلوه معجباً كما ديف أريٍ في الطعام شهي
له مــثل خطٍّ ساميات قصائد وفي وصفه الإنسان أخرس عيّ
يــعاصره شيخ كـريم مهذّب بــنيه كــذهن العبقري وفـيّ
له منطق أحلى من الشهد وقعه تــرنّ قــوافٍ أم يــرنّ حـلي
وشعر قطاف من جنان تعلّقت بأغــصانها تــزهو يــد وهــوي
وهل سمعت أُذناك أحلى مجاحة مــن الشهد أو للشهد كان سميُّ
ولكن أُولاء القوم قد عطّروا الثرىٰ وشــيخ تــهاوىٰ فـي الردىٰ وفـتي
ألا روّح الرحــمن قبراً يضمّهم ونــدّاه مــن دمع السحاب ركـي

مولانا السلطان علي المشهدي

أشهر من أن يحتاج إلى كلمات، تعرفه في كتابة «خطّ النستعليق» وإن كان احتاج إلى صقل موهبته عند جهابذة الخطّ أيّاماً أمّا الحقيقة فلها وجه آخر وذلك أنّه نال هذه الرتبة العليّة من أمداد الإمام أميرالمؤمنين عليه‌السلام كما أشار إلى ذلك في رسالته المنظومة فقال:

شعر

از جــوانــی بــخط بُدی میلم عشــق خــط رانــدی از مــژه سیلیم
بــر ســر کــوی کـم قـدم زدمی تــا تــوانســتمی قــلم زدمــی
گــــه زانگشـــتها قــلم کــردم بـــخیاط خــطی رقــم کــردم
از قـــضا مــیر مــفلسی روزی پــیشم آمــد بســان دلســوزی
قــلم وکــاغذ و دواتــم جست بیست و نه حرف را زحرف نخست

بنوشت و روان بدستم داد ‏ شدم از التفات او دلشاد

زآنکه ابدال بود و صاحب حال ‏ حسب حالش مبدّل الاحوال

زین سبب عشق خط زیاده شدم ‏ دل گرفتار مرد ساده شدم

بعد از آن مدّتی برین بگذشت ‏ مهر خطم از آن و این بگذشت

نیّت روزهٔ علی کردم ‏ قلم مشق را جلی کردم

در خیال این که کار بگشاید ‏ شه بخوابم جمال بنماید

تاش بی خواب دیدم از ره دید ‏ که خطم دید و خامه‌ام بخشید

خواب را مختصر نمودم باز ‏ قصهٔ خواب هست دور و دراز

بیش از این زین نمط نیارم گفت ‏ که ندارم مجال گفت و شنفت

بنده سلطانعلی غلام علی است ‏ شهرت خطّ او زنام علی است

روز و شب گوید از نبیّ و ولی ‏ ذکرش این است از خفیّ و جلی

تقريب المعنى:

ولعت في صباي بالنقوش ‏ كأنّني أكتب في رموشي

وسحت في رحاب أهل الودّ ‏ حتّى غدوت كاتباً بالعدّ

صنعت من أصابعي أقلاما ‏ خططت في دفاتري أرقاما

وقد قضى القضاء أن يزورنا ‏ مؤدّب يشكو من الدهر العنا

أقبل بالدواة والقرطاس ‏ عليّ كي يعين أو يواسي

خطّ برقي أحرف الهجاء ‏ تسع وعشرون بلا استثناء

وقدّم القرطاس فيه الأحرف ‏ لحوزتي وقد علاني الشرف

سررت واستراح منه قلبي ‏ ومن فعاله شكرت ربّي

ثمّ عرفته من الأبدال ‏ عرّفني مبدّل الأحوال

وزاد حبّ الخطّ في ضميري كأنّما ضمّخ بالعبير
وعاد قلبي للحياة ثانيه ونال ممّا يبتغي أمانيه
وجاء خطّي فتملّاه الورىٰ وقال كلّ لأخيه ما جرىٰ
حتّى نويت الصوم حبّاً بعلي وقد مشقت الخطّ حتّى ينجلي[1]
ومذ تقدّمت بهذا العمل رأيت في المنام مولاي علي
ينظر في خطّي الذي يجلو العمىٰ ونوره سما إلى أعلا السما
وقد كساني حلّة قشيبه وقد نشقت عرفه وطيبه
هنا اختصرت قصّة المنام واستغرقت بطولها أيّامي
وقال لي: تلاف ما قد فرطا إيّاك أن تترك هذا النمطا
وإنّني اسمي سلطان علي شهرة خطّه من المولى علي
ألهج في مدح النبيّ والولي لكي أجلّي حقّه فينجلي

قال مؤلّف حبيب السير: إنّ المترجم له حاز وجاهة الصورة ومحاسن السيرة وقد نال في خطّ «النستعليق» شهرة واسعة، وبرع فيه براعة نسخ بها خطوط المتقدّمين والمتأخّرين. وفي عهد السلطان حسين ميرزا شرع في نسخ النسخ الشريفة بإشارة منه ورجاء والتماس من مير علي شير، وكان ينظم الشعر أحياناً، ومع تقدّمه بالسنّ بحيث تجاوز السنة الستّين من العمر فما زال خطّه رشيقاً ويجيد تحبير الخطوط، ويظهر ذلك من هذين البيتين:

---

(١) الشطر الفارسي هكذا: «قلم مشق را جلى كردم» وترجمته بالشطر السابق «وقد مشقت الخط حتّى ينجلي» فاستعملت المشق وقد يخيّل لقارئ أنّ اللفظ ليس عربيّاً بل هو عربيّ صليبة ففي اللسان مشق الخطّ يمشقه مشقاً مدّه الخ.

مثنوي

مرا عمر شصت و سه شد بيش وكم   هنوزم جوانست مشكين قلم
توانم هنوز از خفيّ و جلى   نوشتن كه العبد سلطان علي
بلغت ثلاثاً بعد ستّين حجّة   وما زال خطّي يافعاً متدفّقاً
وأكتب خطّاً من خفيّ ومن جلٍ   أوقّعه باسمي جميلاً محقّقا

التحق بروضة الجنّات في سنة تسع عشرة وتسعمائة في المشهد المقدّس، وخلد إلى الراحة والسكينة إلى جانب حائط المكتبة للمحترم صاحب الفيض[1].

ملّا مير علي المشهدي

تعلّم عند ملّا زين الدين الكاتب وملّا سلطانعلي، وأخذ يمشق الخطّ ولمّا تكامل حسن خطّه نشبت بينه وبين مولانا سلطانعلي خصومة، وتوفّر المترجم له على منازعته وأعان أهل العصر مولانا عليه وصاروا إلى جانبه فعمد بآخرة إلى انتزاع ثلاث قطع من الملّا سلطانعلي وراح يقلّدها وقارنها بقطع مولانا، فاحتار مولانا في أيّ الكتابتين خطّه وبعد تأمّل طويل انتزع خطّ «مير علي» وحمل عبيد خان أوزبك ومعه أكثر فضلاء هرات الملّا مير علي إلى بخارىٰ بالقهر والإجبار، وبقي إلى آخر عمره هناك ينوء بعذاب صحبته وصحبة أولاد ذوي الاعتقاد الفاسد وهو وإن كان قد حظي برعاية جيّدة كبيرة منه إلّا أنّ اقتضاء الفطرة الأصيلة حمله على الشكوىٰ من الاستيطان هناك وقد نظم هذه القطعة من الشعر في هذا الباب:

عمرى از مشق دو تا بود قدم همچون چنك
تا كه خطّ من بيچاره بدين قانون شد

---

(١) يغلب على ظنّي أنّ السيّد الشهيد ﷺ يعني صاحب الترجمة لأنّ العبارة جاءت هكذا: «و در جوار كتابخانهٔ سركار فيض آثار قرار يافت» وانتهى.

سوخت از غصّه درونم چه كنم خون سازم

که مرا نیست از این شهر ره بیرون شد

طالب من همه شاهان جهانند و مرا

در بخارا جگر از بهر معیشت خون شد

این بلا بر سرم از بهر خط آمد امروز

که خطم سلسلهٔ پای من مجنون شد

تقريب المعنى:

صارت مقارنة الخطّين قاصمتي	إلى متى وأنا بالخطّ مسجون
شبّت بأحشاي نار أوقدت كبدي	ألا مجير يجير الحقّ مأمون
مخاصمي في بخارى كيف آلفها	هيهات يأتلفان الضبّ والنون
من ينقذ الخائب المسكين من بلد	ما فيه دينا لباغيها ولا دين
أظلّ فيها سجيناً محرقاً كبدي	في حين تطلب لقياي السلاطين
وما بلائي سوى خطّي عدمت يداً	خطته للناس وهي الماء والطين
وصار قيداً لأقدامي كسلسلة	يقاد فيها برغم منه مجنون

ومن تلاميذه المير سيّد أحمدي والخواجه محمّد الشياوشاني والخواجه محمود، وكان منضمّاً إلى خدمة المير علي منذو قوّة الشباب وقبل ظهور النبات في عارضيه، ولمّا ضجر الملّا منه أنشد هذه الأبيات:

خواجه محمود اگرچه یک چندی	بود شاگرد این فقیر حقیر
بهر تعلیم او دلم خون شد	تا خطش یافت صورت تحریر
در حق او نرفت تقصیری	لیکن او هم نمیکند تقصیر
هرچه او مینویسد از بد و نیک	جمله را میکند بنام فقیر

لئــن كـان مـحمود تـتلمذ مـدّة عـليّ ونـال الخـير حـين تـعلّما

فـإنّي قـد أجـريت بـالدم أضـلعي وكـانت له حـتّى تـعلّم سـلّما

وأصـبح ذا خـطّ لطـيف مـهذّب وصـار لتـحرير العكـاتيب أرقـما

فما قصّرت كفّاي عن ضبط خطّه ولم يك فـي التعليم للخطّ أبكـما

وما حرّرت كفّاه في الطرس أحـرفاً تأخّــر فـي تـحريرها أو تـقدّما

فـإنّي أنـا المـعنيّ فـيما يـخطّه وباسمي ما يلقيه في الطرس مـرقما

أُقيم قبر الملّا في فتح آباد بخارا في جوار مزار الشيخ سيف الدين الباخرزي المعبّر عنه بشيخ العالم، وللملّا أعقاب نشأوا هناك وتكاثروا ثمّ هاجروا إلى الهند بآخرة واعتنق جميعهم عقيدة أهل بخارى الفاسدة، فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

المجلس الحادي عشر
في ذكر شعراء العرب وهم سند أصحاب الأدب وعمادهم

كعب بن زهير بن أبي سلمة ربيعة بن رياح المزني

من أصحاب سيّد المرسلين وشيعة أميرالمؤمنين، عليهم أفضل صلوات المصلّين، وعلوّ كعبه في الفصاحة وعظمته في ميدانها ظاهر لكلّ صعب وذلول.

نقل رواة الآثار أنّ كعباً قبل أن يتشرّف بالإسلام أطلق لسانه في هجاء بعض خدّام عتبة الرسالة والعاكفين على كعبة الجلالة، فأهدر النبيّ دمه، ولمّا علم كعب بذلك أدرك أنّ النجاة من ذلك القهر مستحيله إلّا إذا آوى إلى ظلال رحمته التي شملت بحكم قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1] جميع ذرّات عالم الوجود، فأنشأ قصيدة عصماء محلّاة بزينة نعمة الكمال النبوي والجمال المصطفوي وركب راحلته كما يصنع العرب، وطوى المراحل مرحلة بعد أُخرى حتّى بلغ حضيرة القدس التي تحرسها الملائكة، ثمّ سلّم واندفع ينشد القصيدة الفريدة، وجعل لتلك القصيدة مقدّمة وتمهيداً، وفيهما كشف عن اعتذاره واستغفاره، فلمّا سمع المصطفى ﷺ الشعر فأصدر عفوه عن هفواته وخلع برده اليماني الذي بيُمنه تستنتج الأماني وكان البرد قد استنار بجسده وروحه على كعب، وأضافه إلى عبيده المتقبّلين.

---

(١) الأنبياء/١٠٧.

قال الشيخ ابن حجر العسقلاني في كتاب الإصابة: إنّ كعباً قدم المدينة وقد التثم حتّى صار بين يدي النبي ﷺ، فقال: رجل يبايعك، فمدّ النبيّ يده، فمدّ كعب يده فبايعه وأسفر عن وجهه فأنشده قصيدته التي يقول فيها... وألقى بعد ذلك لثامه وأنشد قصيدته فكساه النبيّ ﷺ بردة له فاشتراها معاوية من ولده (بأربعة آلاف درهم) فهي التي يلبسها الخلفاء بالأعياد[1] (خلفاء بني أُميّة وخلفاء بني العبّاس) ولمّا كان غرضنا الاختصار فإنّنا نكتفي بهذه الأبيات من القصيدة المذكورة:

وقال كلّ خليل كنت آمله لا أُلهينك إنّي عنك مشغول
فقلت خلّوا سبيلي لا أباً لكم فكلّ ما قدّر الرحمن مفعول
(كلّ ابن أُنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول)
أُنبئت أنّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
(مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيه مواعيظ وتفصيل)
لا تأخذنّي بأقوال الوشاة فلم[2] أذنب وإن كثرت فيّ الأقاويل
إنّ الرسول لسيف يستضاء به مهنّد من سيوف الله مسلول[3]

وله هذان البيتان اللذان ذكرهما السيّد مرتضى علم الهدى في كتابه «المشفي» (الشافي) في مدح إمام الورىٰ:

صهر النبي وخير الناس كلّهم فكلّ[4] من رامه بالفخر مفخور

---

(١) تصرّف مولانا بالنصّ لأنّ فيه كذباً صريحاً فحذف سيّدنا الكذب، ذلك أنّ ابن حجر جعل الواسطة بين النبي وبين كعب أبابكر ليكون في كلّ وادٍ أثر من ثعلبة.

(٢) ولم.

(٣) الدرجات الرفيعة للمدني ص٥٣٩.

(٤) وكلّ.

صلّى الصلاة مع الأُمّيّ أوّلهم قبل العباد وربّ الناس مكفور[1]

الفرزدق بن غالب بن صعصعة التميمي المجاشعي

اسمه همام وكنيته أبو فراس، ولقبه الفرزدق، كما صرّح بذلك السيّد الأجل المجتبى المير مرتضى علم الهدى في كتابه غرر الفوائد ودرر القلائد وهو من أعيان شيعة أميرالمؤمنين ومدّاح آل البيت الطيّبين الطاهرين، وعند قوم إنّه معدود من الصحابة، وله شرف صحبة النبيّ الأعظم ﷺ، وإنّه سمع هذه الآية من فم النبيّ المبارك: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[2] وقال: «هذه الآية الوافية، لهداية كافية».

ولكنّ صاحب الإصابة يرى هذه الرواية بعيدة عنالواقع مع أنّه نفسه روى أنّ عمر الفرزدق بلغ في رواية مأة عام، وفي أُخرى مأة وثلاثين عاماً، وتوفّي في سنة عشرين بعد المائة ولم يبطل رواية المائة والثلاثين.

وجاء في كتاب الغرر والدرر: والفرزدق مع تقدّمه في الشعر وبلوغه فيه الذروة العلياء والغاية القصوىٰ، شريف الآباء، كريم البيت، ولآبائه مآثر لا تدفع..[3]

وذكر في الإصابة أنّ غالباً والد الفرزدق كان من أهل الكرم والسماح، وله إبل كثيرة، وفد غالب على عليّ ومعه ابنه الفرزدق، فقال له: مَن أنت؟ قال: أنا غالب ابن صعصعة المجاشعي. قال: ذو الإبل الكثير؟ قال: نعم. قال: فما فعلت إبلك؟ قال: دعدعتها الحقوق والنوائب. قال: ذلك خير سبلها.

---

(١) الفصول المختارة ص٣٦٨.

(٢) الزلزلة/٧و٨.

(٣) الأمالي للمرتضى ج١ ص٤٤.

فقال: من هذا الفتى معك؟ قال: ابني الفرزدق وهو شاعر. فقال: علّمه القرآن فإنّه خير له من الشعر. قال: فكان ذلك في نفس الفرزدق حتّى قيّد نفسه وآلى أن لا يحلّ نفسه حتّى يحفظ القرآن..[1]

وروى الرواة أنّ هشاماً بن عبدالملك حجّ ذات عام في حكومته وطاف بالبيت أشواطاً وأراد أن يلتمس الحجر فعجز عن ذلك ومنعه الزحام، فجلس على كرسيّه يتفرّج على الطائفين وبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام الهمام عليّ بن الحسين عليه السلام وشرع بالطواف ولمّا بلغ الحجر انفضّ الناس عن الحجر من مهابته حتّى يقبّله زين العابدين، فقال أهل الشام لهشام: من هذا؟ فقال: لا أعرفه، مخافة أن يعرفه الناس فيميلوا إليه. وكان الفرزدق حاضراً هناك، فلمّا رأى تجاهل هشام له...

شعر

گفت من می‌شناسمش نیکو	زو چه پرسی بسوی من کن رو
فقال أعرفه فمالك إذ	تقول ويك انتبه وانظر لغرّته

قال هذه القصيدة الغرّاء في جوابه وهي هذه:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم	هذا النقيّ التقيّ الطاهر العلم
هذا عليّ رسول الله والده	أمست بنور هُداه تهتدي الأُمم
إذا رأته قريش قال قائلهم	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمىٰ إلى ذروة الغرّ التي قصرت	عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

---

(١) ومولاي الشهيد رحمه الله نقل النصّ مترجماً وأضاف إليه ألفاظاً تحلو بالفارسيّة أعرضت عنها لأنّها لا يمكن حشرها في خلايا النصّ وإلّا ذهبت بصورته /انظر الإصابة ج٢ ص٤٤٧.

أيّ القبائل ليست في رقابهم ... لأوّليّة هذا أو له النعم
يغضي حياءً ويغضي من مهابته ... فلا يكلّم إلّا حين يبتسم
في كفّه خيزران ريحه عبق ... من كفّ أورع في عرنينه شمم
ينشقّ نور الهدىٰ من نور طلعته ... كالشمس ينجاب من إشراقها الظُّلَم
مشتقّة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
من جدّه دان فضل الأنبياء له ... وفضل أُمّته دانت له الأُمم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد خُتِموا
اللّه شرّفه قدراً وأعظمه ... جرىٰ بذاك له في لوحه القلم
كلتا يديه غياث عمّ نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما العدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
الليث أهون منه حين تغضبه ... والموت أيسر منه حين يهتضم
حمّال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته ... رحب الفناء أريب حين يعتزم
ما قال لا قطّ إلّا في تشهّده ... لولا التشهّد كانت لاؤه نعم
عمّ البريّة بالإحسان فانقشعت ... عنه الغيابه والإملاق ولاعدم
من معشر حبّهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجاً ومعتصم
إن عُدّ أهل التُّقى كانوا أئمّتهم ... أو قيل من خير خلق الله قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يُدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أُسد الشرى والبأس محتدم
لا يقبض العسر بسطاً من أكفّهم ... سيّان ذلك إن أثروا وإن عدموا
مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كلّ بدو ومختوم به الكلم

يأبىٰ لهم أن يحلّ الذمّ ساحتهم خيم كريم وأيد بالندىٰ هضم
يستدفع السوء والبلوىٰ بحبّهم ويستقيم به الإحسان والنِّعَم
فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
من يعرف الله يعرف أوّليّة ذا فالدين من بيت هذا ناله الأُمم

وذكر الملّا عبدالرحمن الجامي في كتاب سلسلة الذهب الأبيات التالية:

چون هشام آن قصيدهٔ غرّا كه فرزدق همى نمود انشا
كرد آغاز تا بآخر گوش خونش اندر رگ از غضب زد جوش
بر فرزدق گرفت حالى دق همچو بر مرغ خوشنوا عقعق
ساخت در چشم شاميان خوارش حبس فرمود بهر آن كارش
اگرش چشم راست بين بودى راست كردار و راست دين بودى
دست بيداد و ظلم نگشادى جاى آن حبس خلعتش دادى

ومذ سمع الفرزدق راح يتلو قصيدته هشام مات غيضا
وفي مدح الإمام أبو فراس على شفتيه فاض الشعر فيضا
وفار به الدم المنحوس يذكو ولو وجد السبيل لكان حيضا
وراح معارضاً للشعر حتّى تخال به بغاثاً هاض هيضا
كأنّ بصدره يبدو شتاءاً ومذ سمع القصيدة صار قيضا
خذوه إلى السجون فأودعوه بسجن مثل فرخ حلّ بيضا
وقل عن عينه الحولاء ترنو كما قال امرئ في العطف أيضا
ولو بصرت رأت حقّاً يقيناً كغرّة طارق في الليل بيضا
ولم يأمر بحبس أبي فراس وعرق البغي ناض لديه نيضا[1]

---

(١) النيض هو ضربان العرق كالنبض بالموحدّة، وقد ناض العرق نيضاً إذا اضطرب. راجع تاج العروس مادّة نيض الخ.

ومذكور في السلسلة أيضاً

قصّة مدح بو فراس رشيد چون بدان شاه حق شناس رسيد
از درم بهر آن نكوگفتار كرد حالى رواه ده و دو هزار
بو فراس آن درم نكرده قبول گفت مقصود من خدا و رسول
بود از آن مال نى نوال و عا زآنكه عمر شريد را زخطا
همه جا از براى هر همجى كرده‌ام صرف در مديح و هجى
تافتم سوى اين مديح عنان بهر كفّارت چنان سخنان
قلته خالصاً لوجه الله لا لأن أستفيض ما أعطاه
قال زين العباد والعبّاد «ما نؤدّيه عوض لا نرتاد»[1]
زآنكه ما اهل بيت احسانيم هرچه داديم باز نستانيم
ابر جوديم در نشيب و فراز قطره از ما بما نگردد باز
آفتابيم بر سپهر علا نفتد عكس ما دگر سوى ما[2]
چون فرزدق به آن وفا و كرم گشت بينا قبول كرد درم
از براى خداى بود و رسول هرچه آيد ازو چه رد چه قبول
صادقى از مشايخ حرمين چون شنيد آن نشيد دور از شين
گفت نيل مراضى حق را بس بود اين عمل فرزدق را
مستعد شد رضاى رحمان را مستحق شد رياض رضوان را
زآنكه نزديك حكم جائر كرد حق را براى حق ظاهر

---

(١) أمكن الظفر بهذا الشعر في كتاب عقيقي بخشايشي: «چهارده نور پاك» ج٦ ص٧٤٩ وجاء فيه الشطر المحصور هكذا.

(٢) جاء هذا الشطر عند عقيقي هكذا: «نفتد عكس ما دگر سو را»، ولا معنى له والصحيح ما ذكره المؤلّف.

تقريب المعنى بالعربيّة:

قصّة مدح الشاعر الرشيد أبي فراس ذي الولا المجيد

لمّا رأى زين العباد مقبلا قام يعيد فضله على الملا

حباه في دراهم بها افتخر ألفاً وألفاً عدّها اثني عشر

وقال قل لسيّدي الكريم: عن عبده الفرزدق التميمي

والله ما مدحته للمال بل ساقني لذاك حبّ الآل

أرجو القبول من إله الخلق ينالني ومن رسول الحقّ

ما أكثر المعطين أصحاب الجُدى أذهبت عمري في مديحهم سُدى

في طول عمري قد مدحت الهمجا ونال غيرهم مديحي والهجا

لذا أردت للإمام مدحا لعلّ تقصيري بذاك يُمحىٰ

«قلته خالصاً لوجه الله لا لأن استفيض ما أعطاه

قال زين العباد والعبّاد ما نؤدّيه عوض لا نرتاد»[1]

ونحن أهل البيت أهل الفضل نحبو المحبّ بالعطاء الجزل

لا نستردّ حين نعطي الوافدا كانوا أُلوفاً عدداً أم واحدا

نحن سحاب الجود والنواحي نمطر في البلاد والنواحي

لا نستردّ قطرة من المطر وإن قضى الزرع من الماء الوطر

ونحن شمس في السماء العاليه صورتنا لا تستعاد ثانيه

ومذ رأى هذا الوفا والكرما فرزدق قد قبل المال فما

وقال صادق من الأخيار يكفي فرزدقاً رضا الجبّار

---

(١) ورد هذا الشطر عند المؤلّف بشكل لا يفهم له معنىً فصحّحته على كتاب عقيق بخشايشي والبيتان للناظم وليسا للمترجم.

مذ سمع الشيخ النداء الصالحا ... يملأ فيه السهل والأباطحا

ينال رضوان الإله من غدا ... يرشد ظالماً لساحة الهدىٰ

ويستحقّ الروضة البهيّه ... مجاوراً لسيّد البريّه

يهدي إلى الحقّ المبين الجائرا ... حين يكون الحقّ نوراً ظاهرا

وروى الرواة بأنّ الفرزدق شرع في الحبس في هجاء هشام وقبل أن يتمّ مضمون هذا البيت كان قد أعلمه:

كير خر نام بردهام لكن ... من نگويم كه دركجاست هنوز

ذكرت إير الحمار لكن ... ما قلت عن موضع الدخول

ولمّا علم هشام بمضمون الرسالة أطلقه من سجنه وسيّره إلى الكوفة.

وجاء في كتاب الغرر: إنّ الفرزدق حضر مجلس سليمان بن عبدالملك ومعه «نصيب» الشاعر، فقال سليمان للفرزدق: أنشدني من شعرك، وكان يرىٰ أنّه سيقرأ مدحه له، ولكن الفرزدق لعلوّ همّته وعداوته الدينيّة لا يراه أهلاً للمدح، لذلك قرأ له أبياتاً في الغزل. فاستشاط سليمان غضباً وظهر ذلك على تقاطيع وجهه النحس، فعلم نصيب بسبب ذلك، فأنشده من مدحه إيّاه فأسنى له الجائزة.

وجاء أيضاً في كتاب الغرر أنّ الكميت جاء إلى الفرزدق فقال له: إنّي قد قلت أبياتاً وأُريد عرضها عليك. فقال له الفرزدق: قل يابن أخي. وبدأ الكميت يقرأ، فلمّا أنشد البيت الأوّل وفيه: «طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب»، فقال الفرزدق: صانك الله لأُمّك، فلمن تطرب إذن؟ فأكمل الكميت البيت وقال:

ولا لعباً منّي وذوالشيب يلعب

ولم يلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربني بنان مخضّب

فأعاد الفرزدق عليه القول مرّة ثانية: لمن تطرب يا بني؟ فأنشد الكميت الأبيات التالية:

ولا أنا ممّن يزجر الطير همّه أصاح غراب أم تعرّض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشيّة أمر سليم القرن أم مرّ أعضب

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهىٰ وخير بني حوّاء والخير يطلب

فقال الفرزدق: أتريد من هذه الجماعة بني دارم؟ فقال الكميت:

إلى النفر البيض الذين بحبّهم إلى الله فيما نابني أتقرّب

فلمّا سمع الفرزدق البيت قال: هؤلاء بنو هاشم. فقال الكميت:

بني هاشم رهط النبيّ فإنّني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

عند ذلك قال الفرزدق: والله لو مدحت غيرهم لأضعت مدحك.

وجاء في كتاب الغرر أيضاً: إنّ الفرزق حضر ذات يوم مجلس «سعيد بن العاص» الأموي عليه اللعنة وكان الحطيئة الشاعر حاضراً أيضاً، فلمّا وصل الفرزق إلى المجلس أنشد هذه الأبيات لسعيد الشقي:

فررت إليك منك ومن زياد ولم أحسب دمي لكما حلالا

فإن يكن الهجاء أحلّ قتلي فقد قلنا لشاعركم وقالا

ترى الغرّ الجحاجح من قريش إذا ما الأمر في الحدثان عالا

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنّهم يرون به هلالا

فقال الحطيئة لسعيد الخبيث: والله يا أمير إنّ هذا لهو الشعر لا ما نقوله نحن بتكلّف. ثمّ قال للفرزدق: هل جاءت أُمّك يا فتى إلى الحجاز؟ فقال الفرزدق: كلّا بل جاء أبي.

وغرض الحطيئة من قوله قذف أُمّ الفرزدق بأنّها لو كانت قد أتت إلى الحاز فإنّ الحطيئة واقعها والفرزدق منه، وغرض الفرزدق: إنّ أبي جاء الحجاز وواقع أُمّ الحطيئة فالحطيئة أخوه.

وجاء في الغرر أيضاً: إنّ الفرزدق تاب في آخر عمره من القذف والفسق والفجور مع أنّه لم يكن بعيداً عن الدين أيّام شبابه وشاعريّته وأثناء نظمه الغزل والهجاء، ولم يهمل تقاليد الدين وطقوسه إلى أن حدّث عن بعض الثقات أنّه قال: جئت لزيارة الفرزدق ومحادثته وبينما كنّا نتجاذب أطراف الحديث سمعت خشخشة الحديد تحت ثيابه، فتأمّلته وإذا برجله قد عقدها بالحديد، ولمّا سألته عن سبب ذلك قال: إنّي عاهدت الله تعالى أنّي لا أفكّ عنّي القيد حتّى أحفظ كتاب الله القرآن.

وروي أنّ الفرزدق أقسم بين الركن والمقام في الكعبة أن يترك الهجاء والقذف بقيّة عمره وأنشد هذه الأبيات:

ألم ترني عاهدت ربّي وإنّني ... لبين رتاج قائماً ومقام

على حلفة لا أشتم الدهر مسلماً ... ولا خارجاً من فيّ زور كلام

أطعتك يا إبليس سبعين حجّة ... فلمّا انقضى عمري وتمّ تمامي

فزعت إلى ربّي وأيقنت أنّني ... ملاقٍ لأيّام المنون حمامي[1]

وجاء أيضاً في الغرر عن إدريس بن عمران ـ وكان من أعيان أهل زمانه ـ قال: جاءنا الفرزدق ذات يوم ونحن في بيتنا وكان عندي جماعة من أهل الفضل حضوراً وكان الكلام عن رحمة الله تعالى وسعه كرمه، وظهر ممّا دار بيننا من الحديث أنّ الفرزدق بدىٰ أكثرهم طمعاً برحمة الله وأملاً بالنجاة، فقال له أحد الحاضرين: إن كنت واثقاً هكذا برحمة الله وهذا مذهبك في الرجاء والثقة برحمة الحقّ، فلماذا تقذف المحصنات وتهجو الناس وتقطع هذه المفازات الموحشة؟!

---

(١) راجع خزانة الأدب والشعر طويل، وعليه توجيهات لطيفة وإشارات رشيقة، وفي شطر البيت الثالث الأخير: فلمّا انتهى شيبي. ج ٢ ص ١٠٧ آلي.

فقال الفرزدق: أترىٰ أنّ آبائنا وأُمّهاتنا يلقوننا في الأفران لأنّنا نشتم أو نلاحي أو نجادل أحداً من الناس ويرضون بذلك ؟

فقال الحاضرون: كلّا بل يرحمونك.

فقال الفرزدق: إنّ الله الذي نطمع برحمته أشدّ رحمة من أبوينا.

وجاء في الغرر أيضاً: إنّه لمّا ماتت النوار امرأة الفرزدق خرج الحسن البصري في جنازتها ووقف على قبرها والفرزدق واقف معه والناس ينظرون، فقال الحسن: ما للناس ؟

فقال الفرزدق: خير الناس وشرّ الناس.

فقال الحسن: لست بخير الناس ولست بشرّهم، ما أعددت لهذا المضجع ؟

قال: شهادة أن لا إله إلّا الله منذ ثمانين سنة.

فقال الحسن: هذا العمود، فأين الطنب ؟

فقال الفرزدق في الحال شعراً:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني	أشدّ من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاء في يوم القيامة قائد	عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
فقد خاب من أولاد آدم من مشىٰ	إلى النار مشدود القلادة أزرقا
يقاد[١] إلى نار الجحيم مسربلا	سرابيل قطران لباساً محرّقا

عند ذلك انطوى الحسن البصري على نفسه وقال: حسبك، أي إنّ هذه العقيدة تكفيك[٢].

---

(١) يساق.

(٢) راجع الأمالي الشجريّة وربيع الأبرار وأُنس المجالس والكامل في اللغة والدرجات الرفيعة ص٥٥٤ وبينها اختلاف يسير.

وفي كتاب الغرر أيضاً: إنّ شخصاً رأى الفرزدق في المنام فقال له: ما صنع الله بك؟ فقال: غفر لي. فقيل: بماذا؟ قال: بالكلمة التي نازعنيها الحسن على شفير القبر، أي الشعر الذي قاله وقد تقدّم.

الكميت بن زيد (يزيد) الأسدي

من أعلام الشيعة الاثني عشريّة وأعيانها. عاصر الإمامين الهمامين محمّد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام ونظم في مدحهما ومدح سائر أهل البيت القصائد الغرّاء.

وذكره العلّامة الحلّي في كتاب خلاصة الأقوال في المقبولين[1].

وأضاف الشيخ حسن بن داود هذا المعنى على ما تقدّم: وقول الإمام محمّد الباقر عليه السلام هذا الدعاء: «لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما دمت تقول فينا» في حقّه[2].

وروي إنّه دخل على أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام وأبو جعفر ينشد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... لم يبق إلّا شامت أو حاسد

فأنشده الكميت بديهة:

وبقىٰ على وجه البسيطة واحد ... وهو المراد وأنت ذاك الواحد

ونقل عنه أيضاً أنّه قال: سألت الإمام يوماً بالحاح أن يخبرني عن حال الشيخين، فقال عليه السلام: ما أُهريقت محجمة دم ولا دفع حجّة بغير حقّه ولا حكم

---

(١) الكميت بن زيد الأسدي رضي الله عنه مشكور / الخلاصة ص١٣٥.

(٢) الكميت بن زيد الأسدي أبو المستهل، مات في حياة أبي عبدالله عليه السلام، قال له الباقر عليه السلام لمّا أورده «من لقلب متيّم مستهام»: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما دمت تقول فينا.. الخ. رجال ابن داود ص١٥٦ ط الحيدريّة النجف ١٣٩٢ هجـ.

بظلم إلّا هو في أعناقهما إلى أن يقوم قائمنا[١].

وتوجد في بعض الروايات هذه الزيادة: «ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبّهما والبرائة منهما».

أجل، لمّا جرأ شيوخ أهل الضلال أن يتقدّموا على الآل وعترة رسول المتعال، وغصبوا حقوقهم من الاستخلاف وغيره، هان الأمر على الفسّاق والكفّار، وسهل هذا المعنى في نظرهم، واتّسعت العرصة على المنافقين، واستقرّت الشبهة بين الناس، وقال ضعفة الدين: لو لم يكن مجوّزاً لهذا الأمر لم يبدأ به الصحابة الذين هم الصدر الأوّل للإسلام من المهاجرين والأنصار، وأصحاب السيّد المختار، ومستمعوا التنزيل والآثار والأخبار، ولم يكن لهؤلاء الضعفاء قوّةٌ علميّة تدفع الشبهات، وليست لهم همّةٌ تسمو بهم إلى تحقيق معاني القرآن والحديث وإلّا لانتبهوا بأدنى تأمّل وإدراك في تفاصيل المظالم التي صدرت من الأوائل كأولاد الأنبياء وغيرهم على الأنبياء والأولياء؛ فقد قتل قابيل ابن آدم أخاه هابيل عياناً بدافع الحسد منه، وألقى أولاد يعقوب عليه السلام أخاهم يوسف في غيابة الجبّ وباعوه مرّة أُخرى بدراهم معدودة، واتّجه جلّ بني إسرائيل في طريق وادي الارتداد وسلكوه واتّبعوا السامري وعجله، واختاروهما على موسى وهارون عليهما السلام.

ويتّضح بأدنى التفات بأنّ صدور الظلم والغدر بأهل البيت من أولاد المشركين الذين قضوا سنين عدداً من حياتهم منكرين لربوبيّة الحقّ سبحانه ومعترفين بأُلوهيّة اللّات والعزّى وهبل فصار شركهم وكفرهم عادة فيهم وجبلّة هو أكثر إمكاناً وأعظم جوازاً بخاصّة، وأنّهم ما أظهروا الإسلام إلّا رهبة من سيف أميرالمؤمنين عليه السلام أو رغبة في نيل الخلافة، ولبس التاج والتربّع على السرير،

(١) وبعد هذا النصّ ترجمة لقول الإمام عليه السلام ولا زيادة فيها إلّا تسمية الإمام القائم.

وقد نالوا ما أمّلوا، وبلغوا ما طلبوا، وبمناسبة وصولهم إلى هذه الغاية ونيلهم بها هذه القوّة فقد ثأروا لدماء إخوانهم الذين جزروا في بدر وحنين من أهل البيت. ويقرّ ذلك بعلم جماعة من المؤرّخين الذين خالطوهم ويعرفونه جيّداً، أمّا جماعة التيه والضلال الذين نشأوا فيهما وأسمنوا النحر والترائب تحت ظلّهما، ورموا أنفسهم في غيابة جبّ ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾[1] أو أنّهم انساقوا وراء السواد الأعظم الذي هو بموجب الآية: ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾[2]، والآية: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾[3] علامة على خذلان الله وعلى الضلالة، وجعلوا ذلك نصب أعينهم وغيّبوا عقولهم ولم يستعملوها. وجاء الحكّام الجائرون والملوك الفجّار مثل بني أُميّة وبني العبّاس وغيرهم فنشروا ألويتهم ورفعوا راياتهم وعمدوا إلى ترويج هذه الأحاديث الموضوعة فلابدع أن تسفك بهذا السبيل الدماء البريئة، وتظلّ تسفك إلى أن يأذن الله بالفرج.

ومن هنا جاءت الحكاية المشهورة أنّ أحد ملوك مازندران سأل علوياً قائلاً له: أيّها السيّد، قتلوا الإمام الحسين في كربلاء واستشهد هناك.

فقال السيّد في جوابه: كلّا أيّها الملك، إنّ الإمام الحسين عليه السلام استشهد في سقيفة بني ساعدة عندما أُخذت البيعة لأبي بكر، ومن هنا قال الشاعر:

بر فلان لعنت كه آئين جفا از پيش اوست

قتل مظلومان دشت كربلا از پيش اوست

لعنة الله على فلان أصل البلا

---

(١) الزخرف/٢٣.

(٢) المائدة/١٠٠.

(٣) الزخرف/٧٨.

إنّــه ســنّ الجــفا للـــوصيّ المــبتلا
وجـرت مـن فـعله وقــعة فــي كـربلا
قــتلوا فـي سـاحها الآل من خير الملا

وهذا الكلام وإن كان ليس له ارتباط بترجمة الكميت إلّا أنّ خاطري الكليل وذهني العليل لمّا كان مكتظّاً بظلمالخصوم الغادرين فإنّ مثل هـذه الإفـرازات والمعاني تنثّ منه وتنضح، والكميت صاحب الترجمة الطيّبة يكون سبباً لإظهار هذه اللوعة ومحفزاً لكتابتها، وأنا على يقين تامّ من أنّ المخلصين لأهل البيت بالولاء يسرّهم ذلك، ومع ذلك فقد تعرّضت لذكر جملة من أبيات شعره التي نظم فيها تظلّم أهل البيت وأحقّيّتهم بمقام سيّد الأنام من غيرهم، ولئلا يملّ القارئ ويعتريه الكلال جمعتها من تفسير سيّد المفسّرين الشيخ أبي الفتوح الخزاعي الرازي ﷺ وكتاب المشفىٰ (الشافي) ونكتفي بها:

ويــــوم الدوح دوح غــدير خــمّ أبــــان له الولايــــة لو أُطـــيعا
ولكــــــنّ الرجــــال تـــبايعوها فــلم أر مــثلها خــطباً فـظيعا[١]

ذكر الشيخ أبوالفتوح أنّ الكـميت قـال: لمّـا نـظمت هـذه القـصيدة رأيت أميرالمؤمنين صلوات الله عليه في المنام فقال لي: يا كميت، أنشدني قصيدتك العينيّة، فلمّا قرأتها وبلغت البيت: «ويوم الدوح دوح غـدير خـمّ الخ»، قـال: صدقت، وأنشدني بعد ذلك:

ولم أر مـــثل ذاك اليــوم يــوماً ولم أر مـــثله حـــقّاً أُضــيعا[٢]

(١) اختلفوا في قافية الشطر الرابع اختلافاً بيّناً فمنهم من رواه خطراً مـنيعاً، ومـنهم مـن رواه: أمـراً شنيعا، وهكذا.

(٢) تروى هذه الرؤيا لغير كميت، راجع خلاصة العبقات ج٩ ص١٩٩ وبحار الأنوار ج٤٢ ص١٧.

والقطعة التالية تشتمل على الجواب عن السؤال المشهور الذي اغترّ به الجمهور وينسب إلى الكميت في بعض المجموعات:

قالوا فلم لم يقاتلهم هناك على ... حقّ ليدفع عنه الضيم مرهفه
أم كيف أمهل من لو سلّ صارمه ... في وجهه لرأيت الطير يخطفه
فقلت من ثبتت في العقل حكمته ... فلا اعتراض عليه حين تنصفه
لم عمّر الله إبليساً وسلّطه ... على ابن آدم في الآفاق تقذفه
لم أمهل الله فرعوناً يقول لهم ... إنّي أنا الله محيي الخلق متلفه
في مجلس لو أراد الله كان به ... وبالأُلىٰ نصروه كان يخسفه
أملى لهم فتمادوا في غوايتهم ... إنّ الغويّ كذا الدنيا تسوّفه
وهل خلا حجّة لله ويحك من ... جبّار سوء على البأساء يعطفه[1]

وفي كتاب الشافي: ومن شعره هذه المقطوعة نقلها السيّد:

يقولون لم يورث ولولا تراثه ... لقد شركت فيه بكيل وأرحب
وعكّ ولخم والسكون وحمير ... وكندة والحيّان بكر وتغلب
ولا انتشلت عضوين منها بحاير ... وكان لعبدالقيس عضو مؤرّب
ولا انتقلت من خندف في سواهم ... ولا اقتدحت قيس بها ثمّ أثقبوا
ولا كانت الأنصار فيها أذلّة ... ولا غيّباً عنها إذا الناس غيّبوا
هم شهدوا بدراً وخيبر بعدها ... ويوم حنين والدماء تصبّب
هم رئموها غير ظئر وأشبلوا ... عليها بأطراف القنا وتحدّبوا
فإن هي لم تصلح لحيّ سواهم ... فإنّ ذوي القربىٰ أحقّ وأوجب[2]

---

(١) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٢٥، ونسب الأبيات إلى العوني.

(٢) اعتمدنا في تصحيح الأبيات على رواية العيون والمحاسن ص ٢٨٧ مختار سيّدنا المرتضى ﵀.

وجاء في كتاب الشيخ أبي عمرو الكشّي (حدّثنا أبو المسيح عبدالله بن مروان الجواني، قال: كان عندنا رجل من عباد الله وكان راوية شعر الكميت يعني الهاشميّات [وكان فيها مدح بني هاشم والأئمّة عليهم السلام وهجاء المخالفين وذكر قبائحهم وأمثال ذلك] وكان يسمع ذلك منه وكان عالماً بها فتركه خمساً وعشرين سنة لا يستحلّ روايته وإنشاده، ثمّ عاد فيه، فقيل له: ألم تكن زهدت فيها وتركتها؟ فقال: نعم، ولكنّي رأيت رؤياً دعتني إلى العود فيه. فقيل له: وما رأيت؟ قال: رأيت كأنّ القيامة قد قامت وكأنّما أنا في المحشر، فدفعت إليّ مجلّة.

قال أبو محمّد: فقلت لأبي المسيح: وما المجلّة؟ قال: الصحيفة.

قال: فنشرتها فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: أسماء من يدخل الجنّة من محبّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام». قال: فنظرت في السطر الأوّل فإذا أسماء قوم لم أعرفهم، ونظرت في السطر الثاني فإذا هو كذلك، فنظرت في السطر الثالث والرابع فإذا فيه: الكميت بن زيد الأسدي. قال: فذلك دعاني للعود فيه..[1]

وبالغ الرواة في شعر الكميت أكثر وأكثر، فقد جاء على لسان بعض علماء الشافعيّة في شرح كتاب «شفاء القاضي عياض» المالكي، عن السيّد الحميري رحمه الله وأنّه من غلاة الشيعة ويكفّر الخلفاء الثلاثة، قال: والكميت لا يكفّر الصحابة، وهذا صريح في أنّه يعدّ الكميت أيضاً من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام لأنّه ليس من المعقول أن يقال فلان السنّي لا ينطق بكفر الصحابة وهذا نظير قولهم فلان الغير طيّب الذات هو طيّب الذات.

قال مؤلّف كتاب الخرايج والجرايح في باب أنّ السباع والبهائم تابعات

---

(١) القهپائي: مجمع الرجال ج ٥ ص ٧٤ و ص ٧٥.

لأحكام الأئمّة، مروّضات على تقديراتهم: روي أنّ جماعة عقدوا العزم على قتله لمحبّته لأهل البيت، فاستخفى خوفاً منهم، فقعد له قوم في الطريق ليقضوا عليه، فأمره الإمام محمّد الباقر عليه السلام أن يخرج ليلاً فإنّه يسلم منهم، ولمّا خرج الكميت من بيته وسار في إحدى الجوادّ، وإذا بأسد يعترض عليه طريقه ويمنعه من سلوكه، فاتّخذ الكميت طريقاً غيره، وإذا بالأسد نفسه يعترضه وأصدر حركة فهم الكميت منهاأنّه يشير إليه باتّباعه، ففعل ما أراده منه وسار الكميت ورائه حتّى بلغ مأمنه ونجىٰ من كيد العدوّ، وجرى للسيّد إسماعيل الحميري نظير لها بدعاء الإمام جعفر الصادق عليه السلام لمّا هرب السيّد من جور والديه (لعنهما الله - المترجم) حين حملا حاكم زمانه على مطاردته، والله أعلم.

السيّد أبو هاشم إسماعيل بن زيد بن ربيعة الحميري رحمه الله تعالى

وسيادته هنا بمعناها اللغوي لا أنّه فاطميّ أو علوي. كان السيّد من أعلام زمانه، وحاز قصب السبق في مضمار الفصاحة والبلاغة. ذكروا أنّ دفاتر أشعاره الميميّة كانت حمل بعغير، وفي بعض أسفاره عبّر عنه المكاري تعجّباً من هذه الأسفار بالسيّد وكان يجيب من يسأله عن حمل بعيره، يقول: أحمل ميمات السيّد.

وفي تذكرة ابن المعتزّ أنّ للسيّد أربع بنات تحفظ كلّ واحدة منهنّ أربعمائة قصيدة من قصائده.

ويستفاد من كلام أبي عمرو الكشّيّ أنّ السيّد اسم سمّاه به أبواه لأنّه روي أنّ الإمام جعفر بن محمّد الصادق رآه التفت إليه وقال: سمّتك أُمّك سيّداً ووفّقت في ذلك فأنت سيّد الشعراء، ويقول مفتخراً بما قاله الإمام الصادق عليه السلام:

ولقد عجبت لقائل لي مرّة ... علّامة فهم من الفهماء
سمّاك قومك سيّداً صدقوا به ... أنت الموفّق سيّد الشعراء
ما أنت حين تخصّ آل محمّد ... بالمدح منك وشاعر بسواء
مدح الملوك ذوي الغنا لعطائهم ... والمدح منك لهم لغير عطاء
فابشر فإنّي فائز في حبّهم ... لو قد غدوت عليهم بجزاء
ما تعدل الدنيا جميعاً كلّها ... من حوض أحمد شربة من ماء

وقال عبدالله بن المعتز في تذكرته: كان السيّد وسيماً جسيماً طريفاً، حسن النمط، مطبوعاً جدّاً، محكم الشعر مع ذلك، وكان أحذق الناس بسوق الحديث والأخبار والمناقب، ولم يترك لعليّ بن أبي طالب عليه السلام فضيلة معروفة إلّا نقلها إلى الشعر (وإن كانت مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام لا تحدّ).

وفي التذكرة وغيرها: إنّ والدي السيّد الحميري كان كلاهما ناصبيّاً، وذكر ذلك في بعض أشعاره وكان يردعهما فلا يرتدعان[1].

وروى الرواة أنّ السيّد سُئل: كيف صرت إلى ما صرت إليه وأنت من أهل الشام من حِمْيَر؟ قال السيّد في الحال: صبّت عليّ الرحمة صَبّاً فكنت كمؤمن آل فرعون.

ويُشعر كلام السيّد هذا بفرعونيّة معاوية لأنّ قبيلة حمير من أتباعه وأنصاره، وكان ذوالكلاع الحميري قائداً من قوّاده في حرب صفّين، وعداوته لأهل البيت

---

(١) لا يوجد هذا في طبقات الشعر لابن المعتزّ وقال محقّقه عبدالستار أحمد فراج: وهذا ما جعل (ق) أنّ نهاية الكلام ناقصة وإنّ كتاب المجالس المؤمنين للقاضي نور الله اقتبس من كتاب ابن المعتزّ فقال: ومن أشعاره المليحة:

أمسى بغرّة هذا القلب محزونا ... مستودعاً سقماً في القلب مكنونا

الخ. راجع ترجمة السيّد في طبقات الشعراء ص٣٢إلى ص٣٦.

مذكورة في التواريخ والسير و في بعض مجالس هذا الكتاب.

قال ابن كثير الشامي في تاريخه[1]: إنّ الأصمعي قال في إسماعيل الحميري: لولا أنّه يسبّ الصحابة في شعره ما قدّمت عليه أحداً في طبقته[2].

وقال المؤلّف ﷺ: ولا يخفى على أحد فساد هذا القول لأنّ العقيدة لا دخل لها في جودة الشعر وردائته وتقدّمه وتأخّره، ولكن لمّا كان الأصمعي ناصبيّاً مجاهراً بعداوة أهل البيت فلا بدع أن يتعصّب على السيّد مادح أهل البيت وينضح منه هذا القول طبقاً للمثل القائل: كلُّ إناء ينضح بما فيه. وعداوة الأصمعي لأهل بيت النبوّة معلومة وتظهر من هذين البيتين، فقد نقل الشيخ نور الدين علي بن العراق المصري في تذكرته قال: عن ابي العيناء أنّه قال: رأيت أبا قلامة الجرمي يمشي في جنازة الأصمعي ويقول:

قبّح الله أعظماً حملوها   نحو دار البلا على خشبات

أعظماً تبغض النبيّ وأهل   البيت والطيّبين والطيّبات[3]

ومجمل القول: إنّ السيّد كان في أوّليّاته كيسانيّاً وكان داعية لترويج إمامة محمّد ابن الحنفيّة ﷺ، مبالغاً في ذلك، وكان ينظم شعره في ذلك، كان مدمناً يعاقر الشراب، ولكنّه لمّا صحب الإمام الحقّ الناطق بالصدق جعفر بن محمّد الصادق ﷺ عدل عن مذهب الكيسانيّة إلى مذهب الحقّ الجعفري.

وفي كتاب الكشّي عن محمّد بن النعمان أنّه قال: دخلت على السيّد بن محمّد وهو لما به قد اسودّ وجهه وازرقّت عيناه وعطش كبده وهو يومئذٍ يقول

---

(1) استاد گرامی، در متن شما كلام ابن كثير را از تذكرهٔ ابن معتز نقل كرده بوديد كه حسب الظاهر اشتباهی در ترجمه تان رخ داده بود كه درست شد.

(2) البداية والنهاية ج ١٠ ص١٨٦.

(3) أعيان الشيعة ج٣ ص٤٠٧.

بمحمّد بن الحنفيّة عليه السلام وهو من حشمه وكان ممّن يشرب المسكر، فجئت وكان أبو عبدالله عليه السلام قدم بالكوفة لأنّه كان انصرف من عند أبي جعفر المنصور، فدخلت على أبي عبدالله فقلت: جعلت فداك، إنّي فارقت السيّد بن محمّد الحميري وهو لما به قد اسودّ وجهه وازرقّت عيناه وعطش كبده وسلب الكلام، وإنّه يشرب المسكر.

فقال أبو عبدالله: اسرجوا حماري، فأُسرج له، وركب ومضى، ومضيت معه حتّى دخلنا على السيّد وإنّ جماعة محدقون به، فقعد أبو عبدالله عليه السلام عند رأسه وقال: يا سيّد! ففتح عينه ينظر إلى أبي عبدالله عليه السلام ولا يمكنه الكلام وقد اسودّ وجهه، فجعل يبكي وعينه إلى أبي عبدالله عليه السلام ولا يمكنه الكلام، وإنّه لتبيّن فيه أنّه يريد الكلام ولا يمكنه، فرأينا أبا عبدالله عليه السلام حرّك شفتيه فنطق السيّد فقال: جعلني الله فداك، أبأولياءك يفعل هذا؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا سيّد، قل بالحقّ يكشف الله ما بك ويرحمك ويُدخلك الجنّة التي وعد أولياءه. فقال في ذلك، فلم يبرح أبو عبدالله عليه السلام حتّى قعد السيّد على استه[١].

وذكر ابن المعتز في «تذكرته» عن المدائني قال: كان أبو هاشم ينال من هذا الشراب وولي سليمان بن حبيب بن المهلّب الأهواز وكان للسيّد صديقاً، فرحل إليه من الكوفة فأكرمه ورفع مجلسه ونادمه وأقام عنده حيناً وكان سليمان لا يشرب الشراب ويمنع من شربه ويتشدّد فيه، فامتنع السيّد من شربه فأضرّ ذلك به وتغيّر لونه، فقال له يوماً: أراك قد تغيّرت عن الحال التي قدمت عليها؟ فقال: أصدقك أيّها الأمير، كنت أنال من هذا الشراب فيمرئ طعامي ويشدّ عضدي

(١) الطوسي: اختيار معرفة الرجال ج٢ ص٥٧٣ ونحن رجعنا إلى الأصل فلذلك تركنا بعض كلمات السيّد التي اقتضتها الترجمة.

ويقوّي بدني، فأمسكت عنه مساعدة للأمير أصلحه الله فصرت إلى ما ترىٰ.

فتبسّم سليمان وقال: أحبّ ما يجب علينا من حقّ من يمدح آل الرسول ﷺ أن نحتمل له شرب النبيذ، فأصب منه فإنّه غذاءك، ثمّ كتب إلى عامله بالجبل أن احمل إلى أبي هاشم مأتي دورق «مفختج» [(١) (وفي مجالس المؤمنين): فأمسكت عنه مخافة العدوّ فبلغت إلى ما بلغت إليه، والآن إن كنت تريد حياتي مر لي وجرّدني من قباء الزهد المهلهل والمزوّر وارمني في مستنقع الكأس:

شعر

پيش آور آن مى طرب انگيز جانفزا	برهم شكن مرا ورع و زهد زاويه
نوشين مئى كه تشنگى من برد مدام	از شيعيان بخون يزيد بن معاويه
ساير شود زفعل وى اجرام ثابته	زنده شود ببوى وى اجسام باليه

تقريب المعنى بالعربيّة:

جئني بكأس رحيق يبعث الطربا	واخلع ثياب التُّقى عنّي فقد ذهبا
إذا سقيت المدام الصرف تحسبني	أسقىٰ دماء يزيد قاتل النجبا
خلعت عنّي ثياب الزهد بالية	زهدت بالزهد إن صدقاً وإن كذبا
منها الفعال وإن سائت عواقبها	كذا الحياة لميت بالبلى عطبا](٢)

ودفع الرقة إلى السيّد، فقال: أصلح الله الأمير، البليغ من يوجز الكلام ويختصره.

---

(١) في الأغاني ج٧ ص٢٣ المي معناه النبيذ، وفي الأغاني: اكتب بمأتي دورق مي ولا تكتب بختج فإنّك تستغني عنه. هذا والبختج العصير وأصله بالفارسيّة ميخته «تاج العروس» ولعلّ الباء هي التي بثلاث نقط الخ. حاشية الأستاذ المرحوم عبدالستّار أحمد فراج على طبقات الشعراء ص٣٣.

(٢) ذكر السيّد شعره وتعليقه عليه في وسط الرواية ووضعنا ذلك بين المركنتين.

قال سليمان: وما رأيت من العيّ؟ قال: جمعك بين كلمتين مستغنىً بأحدهما، دع مي وامح «فختج». قال: صدقت، وحمل إليه ما أراد[١]. [٢]

وجاء في التذكرة أيضاً (طبقات الشعراء لابن المعتز) عن محمّد بن عبدالله قال: قال لي السيّد: اختصم رجلان في أبي بكر وعليّ فأطالا ثمّ رضيا بأن يحكم بينهما أوّل طالع يطلع عليهما، فكنت ذاك وأنا على بغلة وهما لا يعرفانني، قال محمّد: وكان السيّد وسيماً جسيماً فابتدر إليّ الشيعي منهما وقال: أصلحك الله، إنّا اختلفنا في شيء ورضينا بأوّل طالع يطلع علينا حكماً، فقلت: ففي ماذا اختلفنا؟ قال: أنا أقول: إنّ عليّاً خير الناس بعد رسول الله. قال: فقلت: فماذا يقول هذا ابن الزانية[٣]؟!

وهذه أبيات عدّة قالها السيّد عند رجوعه إلى المذهب الحقّ[٤]:

تجعفرت باسم الله والله أكبر ... وأيقنت أنّ الله يعفو ويغفر

ودنت بدين الحقّ ما كنت دائناً ... به ونهاني سيّد الناس جعفر

فقلت فهبني قد تهوّدت برهة ... وإلّا فديني دين من يتنصّر

فلست بغالٍ ما حييت وراجع ... إلى ما عليه كنت أخفى وأظهر

ولا قائل قولاً بكيسان بعدها ... وإن عاب جهّال مقالي وأكثروا

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص٣٢ و ص٣٣.

(٢) إضافات المولى الشهيد ﷺ في الترجمة على النصّ: ولمّا كان سليمان غاية في العفّة والتقوىٰ وعدم المعرفة بالشراب ظنّ أنّ «مي پخت» لاشتماله على اللفظ لون من ألوان الشراب مِن ثمّ كتب إلى عامل جبال الأهواز (ابعث إلى السيّد أبي هاشم مأتي دورق (نجيحاً) (فختجاً) وكنية السيّد إسماعيل أبو هاشم... الخ.

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص٣٢.

(٤) ذكر منها ابن المعتزّ بيتين، الاثني لم يرد عند السيّد المؤلّف ﷺ.

ولكـــنّه مـــمّا مـــقضى بســبيله على أحسن الحالات يقفىٰ ويؤثر[١]

وهذه أبيات في مدح إمام الأبرار وبيان جهات تقديمه على سائر الأغيار وتوجد في كتاب الاستيعاب[٢]:

سائل قريشاً إذا ماكنت ذا عَمَهٍ مَن كان أثبتها في الدين أوتادا

من كان أقدمها سلماً وأكثرها علماً وأطهرها أهلاً وأولادا

من وحّد الله إذ كانت مكذّبة تدعو مع الله أوثاناً وأندادا

من كان يقدم في الهيجاء إن نكلوا عنها وإن بخلوا في أزمة جادا

من كان أعدلها حكماً وأبسطها علماً وأصدقها وعداً وإيعادا

إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن إن أنت لم تلق للأبرار حسّادا

إن أنت لم تلق أقواماً ذوي صلف وذا عناد لحقّ الله جحّادا

وفي كتاب «المنتقى» مذكور أنّه في أيّام المنصور العبّاسي إنّ سوّار بن عبدالله القاضي وهو سنّيّ متعصّب جدّاً وكان يجلس للقضاء في بغداد، فجاء السيّد يشهد عنده، فلمّا وقعت عين سوّار عليه قال له: ألست إسماعيل بن محمّد المعروف بالسيّد؟ قال إسماعيل: نعم أنا هو ذاك. فقال سوّار: فكيف أقبل شهادتك وأنا أعلم أنّك تعادي أكابر السلف؟! فقال إسماعيل: أعاذني الله من أن أُعادي أوليائه. فغضب سوّار وقال: قم يا رافضي، أُقسم باللّه أنّ شهادتك ليست بصحيحة! فقام إسماعيل من المجلس وقال على البديهة بيتين من الشعر وأنشدهما لمن حوله وهما:

---

(١) إكمال الدين وتمام النعمة للصدوق ص ٣٤، الفصول المختارة ص ٢٩٩، مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٧١.

(٢) ج ١ ص ٣٥٠ آلي.

أبوك ابن سارق عنز النبي　　وأُمّك بنت أبي الجحدر

ونحن على زعمك الرافضون　　لأهل الضلالة والمنكر

ثمّ هجىٰ سواراً هجاءاً ممضّاً وأعطاه إلى واحد من نوّاب دار القضاء فوضعه بين السجلّات ليراه سوّار.

وذكرها عبدالله بن المعتز في تذكرته على الوجه التالي، فقال: ادّعى رجل على رجل مالاً عند سوّار القاضي، فطالبه سوار بالبيّنة فلم يكن له شاهد إلّا السيّد ورجل آخر، فأحضرهما، فقال سوار: قد قبلنا شهادة أبي هاشم ولكن زدنا في الشهود، فظنّ السيّد أنّه ردّ الشاهد الآخر، فلمّا خرجا قال له الرجل: والله ما ردّ إلّا شهادتك ولم يفصح بذلك خوفاً من لسانك، وتبيّن الأمر على ما قال. فغضب السيّد على سوّار وهجاه وخرّقه. وهذه الرواية في ظنّي أقرب إلى الصحّة لأنّ خوف معاصري السيّد من يده ولسانه أكبر من أن يقدروا على ردّ شهادته علناً.

وروي أنّ سواراً لمّا وقف على هجائه نفد صبره فأسرع إلى المنصور يشكو إليه إسماعيل، فعلم السيّد بقصده فأسرع حتّى وافىٰ المنصور وجلس معه على البساط، فلمّا أقبل سوار وجد السيّد قد أعطى المنصور ورقة وفيها هجاء سوار فهو ينظر فيها:

يا أمين الله يا منصور　　يا خير الولاة

إنّ سوّار بن عبدالله　　من شرّ القضاة

نعثليّ جمليّ　　لكم غير مواتي

جدّه سارق عنز　　فجرة من فجرات

والذي كان ينادي　　من وراء الحجرات

يا هنا اخرج إلينا　　إنّنا أهل هنات

فـاكـفنيه لاكـفاه الله شـــرّ الطــارقات
سَــنّ فــيها ســنّة كانت مواريث الطغاة
أطـعم أمـوال اليتامىٰ قــومه والصـدقات[١]

والمنصور وإن كان راضياً بهجاء سوار إلّا أنّ انفعال سوار الشديد من هجاء السيّد جعل المنصور يطلب منه نظم أبيات في مدحه ليتلافىٰ الهجو، واستجاب السيّد لذلك فنظم أبياتاً تحمل الوجهين ممّا أشعل نار عداوته.

وجاء في تذكرة ابن المعتز مارّة الذكر أنّ القضيّة وقعت في البصرة، وسوار بعث هذه الأبيات وكتب إليه: يا أميرالمؤمنين، إنّ السيّد رافضيّ يقول ويرى المتعة، فكتب إليه المنصور: إنّا بعثناك قاضياً ولم نبعثك ساعياً، وعزله، وأقطع السيّد أرضاً بالصرة من أراضي الحجّاج[٢].

وفي الكتاب توجد معارضات السيّد لسوّار.

ومذكور في هذا الكتاب أيضاً بعض ما دار بين السيّد وبين أولاد تيم وعدي في ذكر جانب من ترجمة المهدي العبّاسي.

ومجمل القول أنّ العلّامة الحلّي أحلّه الله في رياض الجنّة أشار في كتاب الخلاصة إلى جلالة شأن السيّد وعلوّ مكانته[٣] بحيث صار من المتعذر على أن أُنوّه بقليل من كثير بقلم التحرير من فضله، وقد كتب صالح بن محمّد وهو واحد من رواة أخبار أهل البيت عليهم السلام في ترجمته وشرح أحواله ومقاماته.

---

(١) هذا البيت لم يذكره ابن المعتزّ ص ٣٤ وهو مختلّ الوزن ولو وضع مكان «اطعم» لفظاً آخر لاستقام.

(٢) ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ٣٥.

(٣) الخلاصة: إسماعيل بن محمّد الحميري بالحاء غير المعجمة المكسورة والميم ساكنة والياء المنقّطة تحتها نقطتين بعدها راء، ثقة جليل القدر عظيم الشأن والمنزلة رحمه الله. الباب الثالث.

وأشار الشيخ النجاشي في كتاب الرجال إلى ذلك ولعلّنا لو قدّر لنا الظفر به لذكرنا شطراً من أحوال هذا السيّد سعيد المنقلب.

وروى الشيخ أبو عمرو الكشّي رحمه الله وهو من مجتهدي الشيعة الإماميّة في كتاب الرجال عن سهل بن ذبيان أنّه قال: ذهبت إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام وحضرت عنده قبل أن يحضر أحد من شيعته فرأيته مفكّراً مطرقاً برأسه إلى الأرض وهو ينكت في الأرض، فلمّا رآني قال: مرحباً بابن ذبيان، يابن ذبيان، الآن أرسلت رسولي ليطلبك. فقلت: يابن رسول الله، ما الذي تريده منّي؟ فقال: رأيت رؤياً عجيبة جعلتني في همّ وغمّ وحرقة.

ثمّ قال: رأيت كأنّي قد وُضِع لي سُلَّم من مأة درجة وإنّي اطّلعت عليه، فطالعتني قبّة خضراء غاية في اللطف شفّافة، يُرىٰ باطنها من ظاهرها، فرأيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جالساً فيها وعلى يمينه فتىً مليح الصورة قد جلس على فخذي رجل طاعن في السنّ، قد نزل حاجباه على عينيه كبراً، فتبيّن لي أنّه إسماعيل بن محمّد الحميري، فالتفت النبيّ إليّ وقال: سلِّم على أبيك عليّ بن أبي طالب، فسلّمت عليه، ثمّ أمرني قائلاً: سلِّم على أبويك الحسن والحسين عليهما السلام، فسلّمت، ثمّ قال: سلِّم على شاعرنا وصاحبنا ونديمنا في الدنيا والآخرة إسماعيل بن محمّد، فسلّمت عليه، فالتفت إلى ذلك الرجل العجوز وقال له: أعد ما كنّا فيه، فأخذ إسماعيل ينشد هذه القصيدة:

لأُمِّ عمرو باللِّوىٰ مربع   طامسة أعلامه بلقع

ولمّا وصل إلى هذه الأبيات التي فيها:

قالوا له لو شئت أعلمتنا   إلى مَن الغاية والمفزع

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا إسماعيل، تمهّل، ثمّ رفع يديه إلى السماء وقال: إلهي

وسيّدي، إنّك الشاهد عليهم على أنّني قد أعلمتهم أنّ الغاية والمفزع إليه، وأومأ بيده إلى أميرالمؤمنين وقال: يا علي، احفظ هذه القصيدة ومُر شيعتنا بحفظها؛ فمن حفظها ضمنت له على الله الجنّة.

وقال الرضا عليه السلام: ولم يزل جدّي عليه السلام يُكرِّرها ويردّدها حتّى حفظتها وهي هذه:

لأُمّ عمرو باللوى مربع ... طامسة أعلامه بلقع[١]

تروع عنه الطير وحشيّة ... والوحش من خيفته تفزع[٢]

رقش يخاف الموت من نفثها ... والسمّ في أنيابها منقع[٣]

برسم دار ما بها مؤنس ... إلّا صلال في الثرى وقّع[٤]

لمّا وقفن العيس في رسمه ... والعين من عرفانها تدمع

ذكرت ما[٥] قدكنت ألهو به ... فبتُّ والقلبُ شج موجع[٦]

كأنّ بالنار لما شفّني ... من حبّ أروى كبدي تلذع[٧]

عجبت من قوم أتوا أحمد ... بخطّه ليس لها مدفع[٨]

قالوا له لو شئت أعلمتنا ... إلى مَن الغاية والمفزع

---

(١) اللوى: مكان. البلقع: خالٍ.

(٢) في الديوان: تروح. والأسد. وفي الديوان بعده:

برسم دار ما بها مؤنس ... إلّا صلال في الثرىٰ وقّع

الخ.

(٣) حيّة رقشاء فيها نقط سواد وبياض. ومنقع مجتمع، وعند المؤلّف: «وقشاً» ولا معنى لها.

(٤) الصلال مفردها «صل» جنس من الحيّات خبيث جدّاً.

(٥) من.

(٦) القلب شج: أي حزين، وعند المؤلّف: من كنت ألهو به.

(٧) عند المؤلّف: «من حبّ أردى» ولا معنى له.

(٨) عند المؤلّف «بخطبة» وهي خطأ من الناسخ، وفي الديوان «موضع» بدل «مدفع».

إذا توفيت وفارقتنا وفيهم في الملك من يطمع[١]
فقال لو أعلمتكم مفزعاً ماذا عسيتم فيه أن تصنعوا[٢]
صنيع أهل العجل إذ فارقوا هارون فالترك له أوسع[٣]
وفي الذي قال بيان لمن كان إذنْ يعقل أو يسمع[٤]
ثمّ أتته بعد ذا عزمة من ربّه ليس لها مدفع
أبلغ وإلّا لم تكن مُبلغاً والله منهم عاصم يمنع
فعندها قام النبيُّ الذي كان بما يأمره يصدع
يخطب مأموراً وفي كفّه كفّ عليّ نورها يلمع[٥]
رافعها أكرم بكفّ الذي يرفع والكفّ التي تُرفَع[٦]
يقول والأملاك من حوله والله فيهم شاهد يسمع
من كنت مولاه فهذا له مولىً فلم يرضوا ولم يقنعوا
فاتّهموه وانحنت منهم على خلاف الصادق الأضلع[٧]
وضلّ قوم غاظهم قوله[٨] كأنّما آنافهم تجدع

---

(١) يا سيّدي القارئ، كان أساس إسلامهم من أجل هذا لعنهم الله.

(٢) عند المؤلّف: «كنتم عسيتم» والصحيح ما أثبتناه من الديوان.

(٣) «والترك له أودعوا» هكذا أثبتها المؤلّف وما أثبتناه من الديوان.

(٤) أمّا ما ورد في الديوان فهو على هذا النحو: «كان له أُذُنٌ بها يسمع».

(٥) وعند المؤلّف: «كفّ عليّ ظاهراً يلمع»، وفي الديوان: «نورها يلمع» والمعنى واحد.

(٦) «كلاهما الذي ويرفع» وما أثبتناه من الديوان.

(٧) جاء البيت عند المؤلّف هكذا:

فاتّهموه وحنت فيهم على خلاف صادق الأضلع

والديوان هو الصحيح.

(٨) عند المؤلّف: فعله.

حتّى إذا واروه في قبره   وانصرفوا عن دفنه ضيّعوا[١]

ما قال بالأمس وأوصىٰ به   واشتروا الضُرّ بما ينفع

وقطّعوا أرحامه بعده   فسوف يُجزَونَ بما قطّعوا

وأزمعوا غدراً بمولاهم   تبّاً لما كانوا به أزمعوا[٢]

لا هم عليه يردوا حوضه   غداً ولا هو فيهم يشفع

حوض له ما بين صنعا إلى   أيلة والأرض به أوسع[٣]

ينصب فيهم علم للهدىٰ   والحوض من ماءٍ به[٤] مترع

يفيض من رحمته كوثر   أبيض كالفضّة أو أنصع

حصباه ياقوت ومرجانة   ولؤلؤ لم يجنه إصبع

بطحاؤه مسك وحافاته   يهتزّ منها مونقاً مربع[٥]

أخضر ما دون الورى[٦] ناضر   وفاقع أصفر أو أنصع[٧]

فيه أباريق وقدحانه[٨]   يذبّ عنها الرجل[٩] الأصلع

---

(١) عند المؤلّف: «لحده» بدل «قبره» كما في الديوان، وفي الديوان «من» بدل «عن»، وعندي ما في الديوان هو أقرب إلى القبول.

(٢) الزمع والزماع المضاء في الأمر والعزم عليه، وأزمع الأمر وبه وعليه مضى فيه. لسان العرب مادّة زمع.

(٣) في الديوان: «أيلة أرض الشام أو أوسع».

(٤) له.

(٥) الديوان: مونقع موضع الخ.

(٦) الجنى.

(٧) في البيت إيطاء وهو تكرار القافية ولكن ما ورد في الديوان أحلى وأجمل: «وفاقع أصفر ما يطلع».

(٨) في المجالس: «إذحانه» ولا معنى له.

(٩) في الديوان: الأنزع.

يـذبّ عـنه ابـن أبي طـالب ... ذبّك جـربىٰ إبـل شـرّع[١]
والعطر والريحان أنـواعـه ... ذاك وقـد هبّت بـه زعزع[٢]
ريـح بـه الجـنّة مأمـورة ... ذاهـبة ليس لهـا مـرجـع[٣]
إذا دنـوا مـنه لكـي يشربوا ... قـيل لهم تـبّاً لكم فـارجعوا
فـالتمسوا دونكـم مـنهلاً ... يـرويكم أو مـطعماً يشـبع
هـذا لمـن والىٰ بـني أحـمد ... ولم يكـن غـيرهم يـتبع
فالفوز للشارب من حوضهم[٤] ... والويـل[٥] والذلّ لمـن يـمنع
والناس[٦] يوم الحشر راياتهم ... خـمس فـمنها هـالك أربـع
فـرايـة العـجل وفـرعونها ... وسـامريّ الأُمّـة المشـنع[٧]
ورايـــة يـقدمها أبكـم ... عـبد لئـيم لكَـع أكـوع[٨]
ورايـــة يـقدمها نـعثل ... لا بـرّد الله له مـضجع
ورايـــة يـقدمها حـيدر ... كأنّـها الشـمس إذا تـطلع[٩]

---

(١) جاء الشطر عند المؤلّف هكذا: «ذبّكبحر بابل شرّع» وهو خطأ.

(٢) وفي الديوان: تسطع إن هبّت به زعزع.

(٣) وفي الديوان: دائمة ليس لها منزع.

(٤) حوضه.

(٥) فالويل.

(٦) فالناس.

(٧) في الديوان: قائدها العجل والمفظع الخ.

(٨) في الديوان:

ومارق من دينه مخدج ... أسود عبد لكَع أوكع

ولم يذكر البيت بعده، وفيه إقواء.

(٩) في الديوان:

وراية قائدها وجهه ... كأنّه الشمس إذا تطلع

إمـــام صـــدق وله شـــيعة　　يرووا من الحوض ولم يـمنعوا
هــذا لمـن والى بـني أحـمد　　والحبّ في الغير فلا يـنفع[١]
بــذاك جاء الوحي من ربّنا　　يـا شيعة الحقّ فلا تـجزعوا
الحـميري مـادحكم لم يـزل　　ولو يــقطّع إصـــبع إصـبع
وبعدها صلّوا عـلى المـصطفى　　وصـــنوه حـيدرة الأصـلع[٢]

ومن روائع أشعاره قصيدته التي سمّيت المذهّبة لروعتها وهذه أبيات منها:

أيـــن التـــطرّب بـــالولاء وبـالهوىٰ　　أإلىٰ الكـــواذب مـــن بـــروق الخُـلّب
أإلى أُمـــــيّة أم إلى شـــــيع التـــي　　جاءت على الجمل الخدبّ الشوقب[٣]
تـــهوي إلى البـــلد الحـرام فـنبّهت　　بـعد الهـدوء كـلاب أهـل الحـوأب
يحدو الزبـير بـها وطـلحة عسكـراً[٤]　　يـــا للـــرجـال لرأي أُمّ مِشْــجَب[٥]
يـــا للـــرجـــال لرأي أُمّ قـــادها　　ذئـــبان يكـــتنفانها فـــي أذؤب
ذئـــبان قـــادهما الشــقاء وقــادها　　للحين[٦] فـاقتحما بـها في مِـنشب[٧]

---

(١) جاء الشطر عند سيّدنا هكذا: «والحبّ في غيرهم لا ينفع» وإذا حذفت لا يستقيم الوزن ويفسد المعنى فصحّحته على ذمّة الذوق.

(٢) البيتان الأخيران لم يردا في الديوان وهما ساقطان لفظاً ومعنى وإعراباً، وراجع ديوان المؤلّف ص١٢٨ شرح ضياء حسين الأعلمي، منشورات الأعلمي للمطبوعات.

(٣) الخدبّ الضخم، والشوقب الطويل.

(٤) معشراً.

(٥) مِشجَب: مهلك.

(٦) للحرب.

(٧) الحين: الهلاك. والمنشب: من نشب في الشيء إذا دخل فيه وعلق به كما ينشب الصيد في الحبالة.

ولقـد سرى فيما يسير بليلة	بعد العشاء بكربلا في موكب[١]
حتّى أتى متبتّلاً في قائم	ألقىٰ قواعده بقاع مجدب[٢]
تأتيه ليس بحيث تلقىٰ عامراً	غير الوحوش وغير أصلع أشيب[٣]
في مدمج زلق أشمّ كأنّه	حلقوم أبيض ضيّق مستصعب[٤]

(١) جاء البيت عند المؤلّف كما يلي:

ولقد سرى فيما يسير إليكم … بعد العشاء بليلة في موكب

وتابعنا رواية الديوان.

(٢) أراد بالمتبتّل الراهب، وسمّي متبتّلاً لقطعه نفسه عن الناس من البتل وهو القطع. والقائم صومعة الراهب. وهذا البيت وما بعده إلى ١٣ بيتاً إشارة إلى ما روي ممّا حاصله: أنّه لمّا سار أميرالمؤمنين عليه السلام إلى حرب صفّين أخذ طريق البرّ وترك الفرات وأصاب أصحابه عطش شديد، فلاح لهم دير، فهتف به فأشرف من صومعته، فقال: هل قرب قائمك من ماء؟ قال: بيني وبين الماء أكثر من فرسخين، فسار قليلاً ونزل بموضع فيه رمل وأشار إلى مكان فكشفوه فأصابوا تحته صخرة بيضاء عظيمة تلمع، فأمرهم بقلعها فلم يقدروا، فاقتلعها بيده ونحّاها فإذا تحتها ماء، فشرب الناس وارتووا وحملوا منه، الحديث. راجع الديوان ص ٤٠.

(٣) جاء الشطر الأوّل عند المؤلّف هكذا: «باتوا فليس يحبّ ألفىٰ عامراً» وفيه تصحيف من النسّاخ والصحيح ما أوردناه من الديوان. قال شارحه: في نسخة: «يأتيه ليس بحيث يلقىٰ عامراً» وفي نسخة: «عامر» بالرفع، «فيلقىٰ» يمكن أن يقرأ بالبناء للفاعل و«عامراً» مفعول، وبالبناء للمفعول و«عامر» بالرفع نائب فاعل، ويمكن أن يقرء «يلقي» أو «يلفي» بالفاء، والمراد بالأصلع الأشيب الراهب.

(٤) عند المؤلّف: «في مدح زلق أشمر كأنّه» ولا معنى له أصلاً، والصحيح ما في الديوان. «المدمج» قال السيّد في الشرح: هو الشيء المستور، يقال: دمج الرجل ودمّج ـ بتشديد الميم ـ إذا دخل في شيء فاستتر به، وصومعة الراهب تستر من دخل فيها لا محالة. أقول: الأولى أن يقرء «مدمج» اسم مفعول، في الصحاح: دمج الشيء دموجاً إذا دخل في الشيء فاستحكم فيه والتأم. وفي تاج العروس عن الأزهري: صلح دماج: تامّ محكم قوي. وفي التاج أيضاً: أدمجت الماشطة ضفائر المرأة أدرجتها وملستها، وأدمج الحبل أجاد فتله، وقيل: أحكم فتله في رقّة، ورجل مدمج ⇐

فدنا فصاح به فأشرف[١] ماثلاً كالنسر فوق شظيّة من مرقب[٢]
هل قرب قائمك الذي بوّته[٣] ماء يُصاب فقال ما من مشرب
إلّا بغاية فرسخين ومن لنا بالماء بين نقىً وقيٍّ سبسب[٤]
فثنى الأعنّة نحو وعث فاجتلى ملساء تبرق كاللُّجين المذهب[٥]
فاعصوصبوا في قلعها فتمنّعت منهم تمنّع صعبة لم تركب[٦]
حتّى إذا أعيتهم أهوى لها كفّاً متى ترد المغالب تغلب
فكأنّها كرة بكفّ حزوّر عبل الذراع رحابها في ملعب[٧]
فسقاهم من تحتها متسلسلاً عذباً يزيد على الألذّ الأعذب[٨]

⇐ ومندمج مداخل كالحبل المحكم الفتل وهو راجع إلى الأوّل، أو لأنّه مدرج مدلس كالضفيرة، ولعلّ هذا هو الأنسب بقوله: زلق، والزلق الذي لا تثبت عليه قدم، والأشمّ: الطويل المشرف الأبيض. قال السيّد: هو هاهنا الطائر الكبير من طيور الماء، والعرب تسمّي الكبير من طيور الماء أبيض، وتشبيه الصومعة الطويلة بحلقوم طائر الماء من أوقع التشبيه، وضيّق مستصعب صفتان لمدمج..

(١) وأشرف.

(٢) الماثل: المنتصب. وشبّه الراهب بالنسر لعلوّ سنّه، والشظيّة قطعة الجبل مفردة. والمرقب: المكان العالي.

(٣) بوّته: الذي أسكنته.

(٤) النقا: قطعة من الرمل محدودبة، والقيّ بكسر القاف وتشديد الياء في القاموس: قفر الأرض، وفي شرح السيّد المرتضى: الصحراء الواسعة. والسبسب: الأرض القفر.

(٥) الوعث: المكان الليّن الذي لا يسلك لأنّ الأخفاف تغيب فيه، ومن الرمل: كلّ لين سهل، واجتلى: أي نظر إلى صخرة ملساء وانجلت لعينه، واللجين الفضّة.

(٦) اعصوصبوا: اجتمعوا وصارا عصبة واحدة.

(٧) الحزوّر: الغلام القوي، والعبل: الغليظ الممتلئ.

(٨) المتسلل: السلس في الحلق. ويقال: إنّه البارد.

حــتّى إذا شــربوا جــميعاً ردّهــا ومــضى فـخلت مكـانها لم تـقرب
أعـني ابـن فـاطمة الوصيّ ومـن يقل فــي فــضله وفـعاله لم يكـذب[1]

قال ابن المعتزّ: وهي قصيدة طويلة مشهورة جدّاً فاقتصرنا على ما أردنا منها[2].

ومن أشعاره المقبولة هذه الأبيات:

أتى حسناً والحسين النبي وقد برزا ضحوة يلعبان
فــضمّهما وتــفدّاهــما وكـانا لديـه بـذاك المكـان
وطأطأ تــحتهما عـاتقيه فنعم المـطيّة والراكـبان[3]

---

(١) عند المؤلّف: لا يكذب، والصحيح ما في الديوان ص٤٢.

(٢) طبقات ابن المعتزّ ص٥١٢.

(٣) وردت هذه الأبيات في الديوان أكثر من ثلاثة وهي هكذا:

أتـى حسـناً والحسين النبي وقـد جـلسا حـجرة يـلعبان
فـفدّاهـما ثـمّ حـيّاهما وكـانا لديـه بـذاك المكـان
فـراحـا وتـحتهما عـاتقاه فـنعم المـطيّة والراكـبان
وليـدان أمّـهما بـرّة حـصان مـطهّرة لحـصان
وشـيخهما ابـن أبـي طـالب فـنعم الوليـدان والوالدان
خـليليّ لا تـرجـيا واعـلما بأنّ الهـدىٰ غـير مـا تـزعمان
وإنّ عـمى الشكّ بـعد اليقين وضـعف البـصيرة بـعد العيان
ضـلال فـلا تـلجـجا فـيهما فـبئست لعـمركما الخـصلتان
أيـرجـىٰ عـليٌّ إمـام الهدىٰ وعـثمان مـا أعـند المـرجيان
ويرجـىٰ ابـن حـرب وأشـياعه وهـوج الخـوارج بـالنهروان
يكـون إمـامهم فـي المـعاد خبيث الهوىٰ مؤمن الشيصبان
جـزى الله عـنّا بـني هـاشم بأنـعام أحـمد خـير الجنان
فكـلّهم طـيّب طـاهر كـريم الشـمائل حـلو اللسـان

راجع الديوان ص٢١٤ و ص٢١٥.

قال ابن المعتزّ: والقصيدة أيضاً مشهورة فاقتصرنا على ما ذكرناه فقط. ومن أشعاره المليحة هذه الأبيات:

أمسى بعزّة هذا القلب محزونا ... مستودعاً سقماً في اللُّبِّ مكنونا
يا عزّ إن تعرضي عنّا وتنتصحي ... قول الوشاة ومن لحاكم فينا
وتصرّمي الحبل من صبّ بكم كلف ... والصرم يخلق أهواء المحبّينا
نترك زيارتكم من غير مقلية ... إن كان في تركها ما عنك يسلينا
أقول لمّا رأيت الناس قد ذهبوا ... في كلّ فنّ بلا علم يتيهونا
من ناكثين ومرّاق وقاسطة ... دانوا بدين أبي موسى ومرجينا[١]
إنّي أُدين بما دان الوصيّ به ... يوم الخريبة من قتل المحلّينا[٢]
وما به دان يوم النهر دنت به ... وشاركت كفّه كفّي بصفّينا
في سفك ما سفكت يوم إذا حضرت ... وأبرز الله للقسط الموازينا
تلك الدماء معاً يا ربّ في عنقي ... ثمّ اسقني بعدها آمين آمينا[٣]

قال ابن المعتزّ عند ذكر هذه الأبيات: لا يعادل شيء هذه الأشعار في العذوبة، هيهات لقد تقطّت دونها الشعراء[٤].

---

(١) جاء الشطر عند المؤلّف هكذا: «دانوا بدين أبي موسى ورحينا» والتصحيح من الديوان. ولم يتّضح معنى «أبي موسى ومرجينا».

(٢) الخريبة موضع بالبصرة.

(٣) وللشعر بقيّة ذكرت في الديوان ص١٩٧ و ص١٩٨.

(٤) لم ترد هذه القطعة في تذكرة ابن المعتزّ وربّما تكون قد حذفت منها فلذلك قال المحقّق: انتهى لكن النصّ فهذا خبره ويومي أنّها نهاية الترجمة وإذن فما نقل عن مجالس المؤمنين يحتمل أنّه كان سابقاً لهذا وإنّه حذف. أقول: ويدلّ على الحذف قوله: وكان شعره ﷺ إلى هنا، وينقطع الكلام.

وهذه القطعة في بيان كرامة ردّ الشمس لأميرالمؤمنين عليه السلام من أشعار السيّد رحمه الله:

ردّت عليه الشمس لمّا فاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب[١]

حتّى تبلّج نورها في وقتها للعصر ثمّ هوت هويّ الكوكب

وعليه قد ردّت لبابل مرّةً أُخرى وما ردّت لخلق مغرب[٢]

إلّا ليوشع أوله من بعده ولردّها تأويل أمر معجب

وهذه أبيات له وردت في كتاب كشف الغمّة:

يا بايع الدين بدنياه ليس بهذا أمر الله

من أين أبغضت عليّ الرضا وأحمد قد كان يهواه[٣]

من الذي أحمد من بينهم يوم الغدير الخمّ ناداه

أقامه من بين أصحابه وهم حواليه فسمّاه

هذا عليّ ابن أبي طالب مولىً لمن قد كان مولاه

فوال من والاه يا ذا العُلىٰ وعاد من قد كان عاداه[٤]

شعر

إنّ امرأً خصمه أبو حسن لكاذب الرأي داحض الحجج

لا يقبل الله منه معذرة ولا يلقّنه حجّة الفلج[٥]

شعر

إنّي امرئ حميريّ حين ينسبني وذو رعين وإخواني ذوو يزن

---

(١) خبر ردّ الشمس ذكره جامع الديوان في تعليقه عليه ذكراً جميلاً فجزاه الله خيراً ص ٢٩.

(٢) في الديوان: «قد حبست»، والمغرب من دخل في المغرب.

(٣) في كشف الغمّة والديوان: يرضاه.

(٤) كشف الغمّة ج ١ ص ٣٠٠، والديوان ص ٢١٦.

(٥) دحضت الحجّة: بطلت. الفلج: الظفر والفوز بالمطلوب / الديوان ص ٦٥.

ثمّ الولاء الذي أرجو النجاة به　　يوم القيامة للهادي أبي حسن[١]

وله:

وإذا الرجال توسّلوا بوسيلة　　فوسيلتي حبّي لآل محمّد[٢]

وله:

مه لا تلومنّ في أبي حسن　　فلست عن حبّه بمشتغل

رست[٣] له بين أضلعي مقة　　لو زالت الراسيات لم تزل[٤]

إذا تبدّلت بعده بدلاً　　فلا تهنّأت ذاك من بدل[٥]

وله:

فيا ربّ إنّي لم أرد بالذي به　　مدحت عليّاً غير وجهك فارحم[٦]

وجاء في كتاب «رجال الكشّي»: إنّ السيّد ذكر في حضرة الإمام الصادق عليه السلام ذات يوم، فقال الإمام: رحمه الله.

فقال رجل من الأصحاب: إنّي رأيته يشرب نبيذ الرستاق.

قال: تعني الخمر؟

قلت: نعم.

---

(١) ذكر الديوان ستّة أبيات من هذا الشعر ومكان «إخواني» جعل «همدان»، ومكان «يوم القيامة» «من كبّة النار»، والشعر مذكور في الأغاني: قال لامرأة خارجيّة سألته عن نسبه.

(٢) الديوان ص٨٩.

(٣) مولى.

(٤) مه: اسكت. مقه: المحبّة.

(٥) الديوان ص١٦٣.

(٦) الديوان ص١٨٨.

قال: رحمه الله، وما ذلك على الله أن يغفر لمحبّ عليّ[١].

أي أنّ هذا اللون من الذنب ما قيمته أزاء حبّ عليّ عليه السلام حتّى يغفره الله تعالى.

قال المؤلّف: وهذا نظير ما ذكره صاحب الاستيعاب ـ وهو من علماء أهل السنة ـ عن نعيمان بن عمرو الأنصاري أنّه كان من قدماء الصحابة في مبادئ الإسلام وقد ابتلي بالإدمان ولمّا جيء به ثملاً إلى النبيّ أمر بجلده وجُلِد أربع مرّات كلّما شرب جلد، فلعنه واحد من الصحابة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تلعنه فإنّه يحبّ الله ورسوله[٢].

وقد ذكرنا في المجلس الخامس في ترجمة صفوان بن مهران الكوفي وأبي بكر الحضرمي أخباراً وآثاراً تدلّ على نجاة محبّي النبيّ والأئمّة الأطهار من عذاب النار وتُشعر بذلك، فمن عرضت له شبهة أو خامره شكّ ممّا قلناه أو مازجته السوانح والأوهام والأفكار المعلنة فليرجع إلى هناك.

وذكر الشيخ النحرير أبو جعفر الطوسي رحمه الله تعالى في أماليه: إنّ السيّد بن محمّد قبل وفاته بساعة وذلك أنّه أُغمي عليه واسودّ لونه ثمّ أفاق وقد ابيضّ وجهه... الخ[٣]. وكان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٤].

وجاء في كتب بعض الأصحاب أنّ اسوداد وجهه هو انتقام من الله في هذه الدنيا لما كان يأتيه من شرب الخمر..

---

(١) القهپائي: مجمع الرجال ج٣ ص١٨٣ و ص١٨٤ واقتصرنا على النصّ وتركنا بعض الكلمات التي مازجت النصّ.

(٢) الاستيعاب ج١ ص٤٨٢ آلي.

(٣) أمالي الطوسي ص٤٩.

(٤) آل عمران/١٠٧.

وذكروا أيضاً أنّ وجه السيّد لمّا عرض له السواد عند الموت وحزن المؤمنون الذين حضروا عنده، وفرح بذلك النواصب وشمتوا به، جاءه أميرالمؤمنين عليه السلام وهو في هذه الحال طبقاً لقوله:

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا

وحضر عنده، ولمّا رآه السيّد ناداه لشدّة اضطرابه: أهكذا يفعل بأولياءكم يا أميرالمؤمنين؛ فابيضّ وجهه ففتح عينه وهو يقرأ هذه الأبيات:

أُحبُّ الذي من مات من أهل ودّه ... تلقّاه بالبُشرىٰ لدى الموت يضحك

ومن مات يهوىٰ غيره من عدوّه ... فليس له إلّا إلى النار مسلك

أبا حسن تفديك نفسي وأُسرتي ... ومالي وما أصبحت في الأرض أملك

أبا حسن إنّي بفضلك عارف ... وإنّي بحبل من هواك لممسك

وأنت وصيّ المصطفى وابن عمّه ... وإنّا نعادي مبغضيك ونترك

مواليك ناج مؤمن بين الهدى ... وقاليك معروف الضلالة مشرك

ولاح لحاني في عليّ وحزبه ... فقلت لحاك الله إنّك أعفك[١]

وروى بعضهم هذه الأبيات عنه وهو في هذه الحال:

كذب الزاعمون أنّ عليّاً ... لا[٢] ينجّي محبّه من هنات

قد وربّي دخلت جنّة عدن ... وعفا لي الإله عن سيّئاتي

فابشروا اليوم أولياءَ عليٍّ ... وتولّوا عليّ حتّى الممات

ثمّ من بعده تولّوا بنيه ... واحداً بعد واحد بالصفات[٣]

---

(١) الأعفك: لا يحسن العمل بيّن العفك، وقيل: أحمق لا يثبت على حديث واحد، وهذا البيت يأتي في الديوان قبل سابقه، ص١٤٧.

(٢) لن.

(٣) الديوان ص٦٢.

ثمَ تكلّم بالشهادتين ولفظ أنفاسه الأخيرة[١].

لا يخفى بأنّ أشعار السيّد المتجرّد بالآثار تامّ الصفات والأطوار[٢]، تدلّ على تكدّر خاطره من استحالة لونه إلى السواد في حال النزاع، ودخوله في السياق لأنّه خاف شماتة العدوّ الخبثاء، أصحاب النظر القصير، لئلا يظنوا أنّ هذه الحالة علامة على الهلاك، وهي واقعة به بسبب سبّه أبابكر وعمر صاحبي البواطن المعتمة، كما روي ذلك عن مولانا «حيرتي» فإنّه لمّا ذكرت بعض انحرافاته وتقصيراته بين يدي السلطان صاحبقران المغفور له وأحضروه في المجلس السامي الراقي إلى حضيرة القدس فعلم من القرائن المحيطة به أنّه واقع تحت طائلة العتاب، فحار في أمره وعجّل في خطاب السلطان، المحبّ الولهان، والوليّ لأهل بيت النبي وقال: حذار أيّها الملك، إيّاك أن تعاتبني فإنّ متسنّني قزوين سيقولون إنّ دعوة عمر أصابت حيرتي، وبناءاً على هذا فقد عفىٰ عن حيرتي.

وكيف لا يحمل ذلك السيّد الحميري على إظهار الفزع من شماتة العدوّ وهم الجمهور بينما هو واثق من أنّ التوسّل بأبناء حيدرة الكرّار، ومطمئنّ تمام الاطمئنان بحظوته بشفاعة النبيّ المختار، وإنّ سواد جماله لا يمنع من بياض صحيفة أعماله، وإنّ جبين آماله لا يخدش بأظفر الاختلال.

فقد ذكر عين القضاة الهمداني في كتاب «الزبدة» رباعيّة تتضمّن عدم مبالاة

---

(١) جاء بعد هذه الأبيات مباشرة ترجمتها ولم يضف السيّد عليها شيئاً.

(٢) «تامّ الصفات والأطوار» جعلتها ترجمة لكلمة «قلندر اطوار» عند المؤلّف لأنّه ليس لقلندر معانٍ بالعربيّة. قال في تاج العروس: قلندر كسمندر: لقب جماعة من قدماء شيوخ العجم ولا أدري ما معناه.

«القلندريّين»[١] بحيّ العرفان والمحبّين والفدائيّين لأهل بيت الحقّ والإيمان ببياض هذا العالم وسواده، وهي هذه:

در كوى خرابات چه درويش و چه شاه — در راه يگانگى چه طاعت چه گناه

بر كنگرهٔ عرش چه خورشيد و چه ماه — رخسار قلندرى چه روشن چه سياه

في ديار الخراب لا يوجد التمييز — بين الفقير والسلطان

وبدرب الموحّدين سواء — من أطاعوا الله والشيطان

وبعرش الجليل وهو مفيض النور — فيضاً يُوحّد القمران

وسواءاً يبيّض وجه الموالى — أو تجلّىٰ كحالك الألوان

وروي أيضاً في أمالي الشيخ الطوسي عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال: ما ثبت الله (تعالى) حبّ عليّ عليه السلام في قلب أحد فزلّت له قدم إلّا ثبتت له أُخرى[٢].

إذن، لو أنّ قدم أعمال الحميري قد زلّت بسبب معاقرته الخمرة فإنّ قدم اعتقاده متمكّنة من موضعه ولن تتخلّى عنه قيد شعرة، ومدار الانتساب إلى دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومناط فوز المرء ونجاته الأبديّة متركّز على معرفة الله ورسوله وإمام زمانه، ولا وزن لمطلق العمل أزاء هذا الاعتقاد الصحيح ولا قدر له. كما قيل:

بى‌مذهب درست نمازش درست نيست — زاهد اگر زچشمهٔ حيوان وضو كند

لا تصلح الصلاة من صاحب المذ — هب إن كان باطلاً مذموماً

ولو أنّ الوضوء كان بعينٍ لحياة — أو كان ماءاً حميما

وقيل أيضاً:

مخالفان على را درست نيست نماز — اگرچه سينهٔ اشتر كنند پيشانى

---

(١) اضطررنا إلى استعمال كلمة قلندر لأنّ إيجاد مرادف لها لا يفي بمعناها.

(٢) الطوسي: الأمالي ص١٣٣.

ومن خالفوا المولىٰ تردّ صلاتهم ولو سجدوا يوماً على صدر مالك

ومن الطرائف المتعلّقة بهذا المقال أنّ واحداً من مدّعي الباطل قال ذات يوم لعزيز من أهل الحقّ: ما هو السبب في أنّ طائفة الشيعة مع كونهم يزعمون أنّهم من أهل الحقّ قليلوا العبادة والطاعة، وأهل السنة الذين يعدّونهم من أهل الباطل موفّقون في العبادة كثيروا الطاعة والاجتهاد فيها ويبالغون بتأدية السنن والمستحبّات؟

فقال ذلك العزيز في جوابه: إنّ أهل السنة لمّا ضيّعوا أُصول عقائدهم فقد أغنوا الشيطان عن التعرّض لهم ولا يضع عينه على عبادتهم الباطلة إذ لا مزيّة لها ولا تقدير ولا احترام، فليست موضع همّ الشيطان وليست محلّا لوسوسته، وعلى العكس من ذلك الشيعة فإنّه لا يقدر أن يُدخل خللاً على أصل اعتقادهم ولا يستطيع أن يغيّر فيها أو يبدّل مِن ثَمّ تراه يكمن لهم بوسوساته وتسويلاته في عباداتهم وبهذا يسلّي نفسه، وبما يدخله على عباداتهم من الشوائب والمصائب يفخر ويعتزّ، إنّ الاعتقاد الصحيح هو الذي يوصل إلى الجنّة ويُبعِّد عن النار، وليس التوفيق حاصلاً بكثرة العبادات من صوم وصلاة كما قال فاضل شعراء أهل السرّ الظاهر وأبدى حديثه:

مدّعى نازل كه توفيق عبادت يافته

خاک عصيانش بسر، توفيق جاى ديگر است

يدلّ بطاعته المدّعي وما ناله من كثير العباده

ولكنّه جاهل ما درىٰ فقد أفسد الشيخ منه اعتقاده

وباللّه التوفيق. انتقل إلى رحمة الله سنة تسع وسبعين ومائة من الهجرة[1]،

---

(١) قال جامع الديوان وشارحه: سنة ١٧٣، ونقلها القاضي المرعشي في مجالسه عن خطّ الكفعمي وهذا كما تراه، راجع ص١٧ من مقدّمة الديوان.

وأرسل إليه أشراف الشيعة في الكوفة سبعين كفناً، وكفّنه هارون الرشيد لعنه الله من ماله وأعاد أكفان أهل الكوفة إليهم، وصلّى عليه المهدي العبّاسي[1] وكبّر عليه خمساً كما هو عرف الشيعة.

وشوهد بخطّ الكفعمي في حاشية كتاب كشف الغمّة أنّ مولد السيّد كان سنة خمس ومائة وتوفّي سنة ثلاث وسبعين ومائة، والله أعلم.

ويوجد سرد لأحواله مفصّل وأشعاره في مطاعن الخلفاء الثلاثة في كتاب ابن الجوزي فارجعوا إليه[2].

دعبل بن عليّ الخزاعي رحمه الله تعالى

يوجد ذكر لأحواله، السعيد مآله بين التفصيل والإجمال في كتب «كشف الغمّة» و«عيون أخبار الرضا عليه السلام» وسائر كتب الرجال الشيعيّة الإماميّة.

وذكره السمرقندي في تذكرته على النحو التالي، فقال: كان دعبل بن عليّ الخزاعي ذا فضل وبلاغة زائدين عن الوصف، وهو متكلّم وأديب وشاعر وعالم، وجاء إلى بغداد في عهد هارون الرشيد من بلاد العرب فاحترمه هارون وأجلّ قدره، وورد خراسان ودخلها مع الإمام الرضا عليه التحيّة والثناء، و كان يعادل الإمام في المحمل الشيخ محمّد بن أسلم الكوفي ويقود البعير إسحاق بن راهويه الحنظلي، وكان دعبل معه يحدّث الإمام بالنوادر والأمثال والأشعار، ويُسلّيه، وكان دعبل قد رثى الإمام الكاظم عليه السلام فقرأها على الإمام ذات ليلة ولمّا وصل إلى هذا البيت:

فقبر ببغداد لنفس زكيّة ... تضمّنها الرحمن للغفرات

---

(١) لم يكن الرشيد خليفة يومذاك اللهمّ إلّا أن يكون كفّنه قبل استخلافه، والله أعلم.

(٢) لعلّ السيّد اكتفى بشهرة الكتاب فلم يشر إليه وإلّا فكتب ابن الجوزي كثيرة.

فقال له الإمام: وأنا أُلحق بها بيتاً أُنشئُهُ حتّى تكمل القصيدة:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة تـوقّدت الأحشـاء من حرقات

فقال دعبل: يا مولاي، هذا بيت من الشعر كئيب، فلمن هذا القبر؟

فقال: هذا القبر قبري، ولا يمضي زمن حتّى يكون قبري مقصد شيعة أجدادي ومزارهم.

فبكى دعبل وبكى الإمام عليه السلام.

ولدعبل ديوان يشتمل على ألطف القصائد وهو مشهور، وأوردها الخواجه حمد الله المستوفي القزويني صاحب «تاريخ گزيده» وأشكل عليها، انتهى كلام «الدولتشاهي».

ولايخفى أنّ ما ذكره من كون دعبل كان مصاحباً للإمام في سفره إلى خراسان مخالف لما هو مسطور في الكتب ومذكور فيها، من ذلك ما جاء في كشف الغمّة عن دعبل أنّه قال: نظمت القصيدة المعروف بمدارس آيات نويت أن أقصد الإمام في خراسان وأقرأ عليه القصيدة، ولمّا بلغت خراسان وتشرّفت بزيارته عليه السلام وقرأت عليه القصيدة استجادها وأثنى عليها ثناءاً كثيراً وقال: أحسنت يا دعبل، فلا تقرأ القصيدة بعد اليوم حتّى آذن لك. حتّى علم المأمون بخبري، فاستدعاني وسألني عن أخباري، ثمّ قال لي: اقرأ لي القصيدة، فأنكرت معرفتي بها، ثمّ بعث أحد المترفّقين إلى الإمام يستدعيه وما مضت برهة من الوقت حتّى أقبل الإمام، فقال له المأمون: إنّي طلبت من دعبل قرائة القصيدة فأنكرها، فأمرني الإمام بقرائتها فقرأتها عليهما فاستجاداها ووهبا لي خمسين ألف درهم، وأتمّ الإمام الرضا عليه السلام المبلغ، فقلت له: يا مولاي، أُريد أن تهب لي من ثيابك ثوبك الذي يلامس بدنك لأجعله في كفني.

فقال: أفعل إن شاء الله، ووهب لي ثوباً كان قد لبسه، ومنشفة لطيفة، وقال لي: احتفظ بها فإنّك تكون مصاناً محفوظاً بها، ثمّ أجازني الفضل بن سهل ذوالرياستين ـ وكان وزيراً للمأمون ـ بصلة حسنة ووهب لي برذوناً حسن السير مسرجاً، وشكّة من السلاح[1].

ولمّا مضت على بقائي في خراسان مدّةٌ عاودني الحنين إلى العراق فأزمعت السفر إليه، وفي الطريق خرج علينا جماعة من اللصوص فأخذوا ما معنا وجرّدونا من كلّ ما عندنا، ولم يتركوا عليّ إلّا قباءاً يستر عريي، ولم آسف على شيء ممّا أخذوه أسفي على الثوب الذي وهبنيه الإمام الرضا عليه السلام والمنشفة، وتفكّرت فيما قاله لي: أن أحتفظ بهما لأنّهما تحفظاني ويصان بهما جسمي وببركتهما أنجو.

وبينما أنا كذلك إذ أقبل عليّ أحد اللصوص راكباً الفرس التي وهبنيها الفضل بن سهل ولمّا دنى منّي شرع في قرائة تائيّتي وهو يبكي:

* مدارسُ آياتٍ خَلَت من تلاوة *

فعجبت من لُصّ مثله يتشيّع، فطمعت في استرداد الثوب والمنشفة منه، فسألته: يا سيّدي، لمن هذا الشعر؟

فقال: ما أنت وذاك؟

فقلت: سؤالي هذا لا يخلو من سبب وسوف أُخبرك به.

فقال: القصيدة لشاعر أعرف من أن يعرف وأشهر من أن يوصف.

فقلت: من يكون هذا الشاعر؟

---

(١) الشكّة سلاح الرجل التام مثل السيف والدرع والقوس والسهام وبغره، وهذا معنى يرادف الوارد في المتن وقد يكون معناه عدّة الفرس.

فقال: دعبل بن عليّ شاعر آل محمّد جزاه الله خيراً.

فقلت: أنا هو والله، أنا دعبل، وهذه القصيدة لي.

فاعتدل الرجل وقال: هذا القول بعيد عن الحقيقة.

فقلت له: سل عنّي أهل القافلة.

فأرسل إلى جماعة منهم وسألهم عن حالي، فاتفقوا بأجمعهم على أنّي دعبل بن عليّ الخزاعي، ولمّا تيقّن أنّي حقّاً دعبل، قال لي: وهبت لك ما أخذناه من أهل القافلة ونادى مناديه في أصحابه: ردّوا على أهل القافلة ما أخذتموه منهم وخفرونا حتّى أبلغونا دار الأمان، وظهر السرّ الذي أخبرني به الإمام عليه السلام، وأمن أهل القافلة كلّهم ببركة الثوب والمنشفة.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: (ولمّا خلص دعبل من هذه الورطة) سار دعبل حتّى وصل إلى قم، فسأله أهل قم أن ينشدهم القصيدة، فأمرهم أن يجتمعوا في المسجد الجامع فأنشدهم القصيدة، فوصله الناس من المال والخلع بشيء كثير واتصل بهم خبر الجُبّة، فسألوه أن يبيعها بألف دينار، فامتنع من ذلك، فقالوا له: فبعنا شيئاً منها بألف دينار، فأبى عليهم، وسار عن قوم، فلمّا خرج من رستاق البلد لحق به قوم من أحداث العرب وأخذوا الجبّة منه، فرجع دعبل إلى قم فسألهم ردّ الجبّة، فامتنع الأحداث من ذلك وعصوا المشايخ في أمرها، فقالوا لدعبل: لا سبيل لك إلى الجبّة فخذ ثمنها ألف دينار، فأبى عليهم، فلمّا يئس من ردّهم الجبّة سألهم أن يدفعوا إليه شيئاً منها، فأجابوه إلى ذلك وأعطوه بعضها، ودفعوا إليه ثمن باقيها ألف دينار.

وانصرف دعبل إلى وطنه فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله فباع المأة دينار التي كان الرضا عليه السلام وصله بها فباع من الشيعة كلّ دينار بمأة

درهم، فحصل في يده عشرة آلاف درهم، فذكر قول الرضا عليه السلام أنّك ستحتاج إلى الدنانير.

وكانت له جارية (لها) من قلبه محلّ، فرمدت عينها رمداً عظيماً، فأدخل أهل الطبّ عليها فنظروا إليها، فقالوا: أمّا العين اليُمنى فليس لنا فيها حيلة وقد ذهبت، وأمّا اليسرى فنحن نعالجها ونجتهد ونرجو أن تسلم.

فاغتمّ لذلك دعبل غمّاً شديداً وجزع عليها جزعاً عظيماً، ثمّ إنّه ذكر ما كان معه من وصلة الجبّة فمسحها على عيني الجارية وعصّبها بعصابة منها أوّل الليل فأصبحت وعيناها أصحّ ما كانتا من قبل ببركة أبي الحسن الرضا عليه السلام[1].

وهذه هي القصيدة التائيّة:

تجاوبن بالإرنان والزفرات ... نوائح عجم اللفظ والنطفات

يخبّرن بالأنفاس عن سرّ أنفس ... أُسارى هوىً ماضٍ وآخر آت

فأسعدن إذ أسعفن حتّى تقوّضت ... صفوف الدجىٰ بالفجر منهزمات

على العرصات الخاليات من المها ... سلام شجٍ صبّ على العرصات

فعهدي بها خضر المعاهد مألفاً ... من العطرات البيض والخفرات

ليالي يعدين الوصال على القلىٰ ... ويعدي تدانينا على الغربات

وإذ هنّ يلحظن العيون سوافراً ... ويسترن بالأيدي على الوجنات

وإذ كلّ يوم لي بلحظي نشوة ... يبيت بها[2] قلبي على نشوات

فكم حسرات هاجها بمحسّر ... وقوفي يوم الجمع من عرفات

ألم تر للأيّام ما جرّ جورها ... على الناس من نقصٍ وطول شتات

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام لمولانا الصدوق رضي الله تعالى عنه ج ١ ص ٢٩٨.

(٢) لها.

ومن دول المستهترين ومن غدا لهم[1] طالباً للنور في الظلمات
فكيف ومن أنّىٰ يطالب زلفة إلى الله بعد الصوم والصلوات
سوى حبّ أبناء النبيّ ورهطه وبغض بني الزرقاء والعبلات[2]
وهند وما أدّت سميّة وابنها أُولي الكفر[3] في الإسلام والفجرات
هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه ومحكمه بالزور والشبهات
ولم تكُ إلّا محنة كشفتهم بدعوى ضلال من هن وهنات
تراث بلا قربىٰ وملك بلا هدى وحكم بلا شورىٰ بغير هداة
رزايا أرتنا خضرة الأُفق حمرة وردّت أُجاجاً طعم كلّ فرات
وما سهلت تلك المذاهب فيهم على الناس إلّا بيعة الفلتات
وما نال أصحاب السقيفة إمرة بدعوىٰ تراث بل بأمر ترات
ولو قلّدوا الموصىٰ إليه أُمورها[4] لزمت بمأمون من العثرات
أخا خاتم الرسل المصفّى من الأذى ومفترس الأبطال في الغمرات
فإن جحدوا كان الغدير شهيدة وبدر وأُحد شامخ الهضبات
وآي من القرآن تتلىٰ بفضله وإيثاره بالقوت في اللزبات
وغرّ خلال أدركته بسبقها مناقب كانت فيه مؤتنقات
مناقب لم تدرك بكيد ولم تنل بشيء سوى حدّ القنا الذربات
نجيٌّ لجبريل الأمين وأنتم عكوف على العزّى معاً ومناة

---

(١) بهم.
(٢) الزرقاء: أمّ مروان بن الحكم لعنها الله. والعبلات جمع عبلة أمّ قبيلة من قريش.
(٣) الكوافر.
(٤) زمامها.

بكيت لرسم الدار من عرفات ... وأذريت دمع العين بالعبرات[١]

وبان[٢] عرى صبري وهاجت صبابتي ... رسوم ديار قد عنت[٣] وعرات

منازل آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منىً ... وبالبيت[٤] والتعريف والجمرات

«ديار لعبدالله بالخيف من منىً ... وللسيّد الداعي إلى الصلوات»[٥]

ديار عليّ والحسين وجعفر ... وحمزة والسجّاد ذي الثفنات

ديار لعبدالله والفضل صنوه ... نجيّ رسول الله في الخلوات[٦]

«وسبطي رسول الله وابنَي وصيّه ... ووارث علم الله والحسنات»[٧]

منازل وحي الله ينزل بينها ... على أحمد المذكور في السورات

منازل قوم يهتدىٰ بهداهم ... فتؤمن فيهم زلّة العثرات

منازل كانت للصلاة وللتُّقىٰ ... وللصوم والتطهير والحسنات

«منازل لا تيم يحلّ بربعها ... ولا ابن صهاك هاتك الحرمات»[٨]

(منازل جبريل الأمين يحلّها ... من الله بالتسليم والرحمات

---

(١) شطر سيّدنا المؤلّف هكذا: «وأجريت دمع العين من عبرات» وكلاهما حسن صحيح.

(٢) وفكّ.

(٣) أقفرت.

(٤) وبالركن.

(٥) لم يرد هذا البيت في الديوان.

(٦) أنا في شكّ من هذا البيت لأنّ أبناء عبدالله هذا هم الذين أخلوا ديار أهل البيت من أهلها وصاروا يملكون الدنيا فلا أرى البكاء على بيت خلا منهم سائغاً.

(٧) انفرد المؤلّف بهذا البيت.

(٨) انفرد السيّد رضوان الله عليه بهذا البيت.

منازل وحي الله معدن علمه سبيل رشاد واضح الطرقات[١]
ديار عفاها جور كلّ منابذ ولم تعف للأيّام والسنوات
(فيا وارثي علم النبيّ وآله عليكم سلام دائم النفحات)[٢]
قفا نسأل الدار التي خفّ أهلها متى عهدها بالصوم والصلوات
وأين الألىٰ شطّت بهم غربة النوىٰ أفانين في الأطراف[٣] مفترقات
هم أهل ميراث النبيّ إذا اعتزوا وهم خير سادات وخير حماة
مطاعيم في الاعسار في كلّ مشهد لقد شرّفوا بالفضل والبركات
إذا لم نناج الله في صلواتنا بذكرهم لم يقبل الصلوات[٤]
وما الناس إلّا حاسد ومكذّب ومضطغن ذو إحنة وترات
إذا ذكروا قتلىٰ ببدر وخيبر ويوم حنين أسبلوا العبرات
وكيف يحبّون النبيّ ورهطه وهم تركوا أحشائهم وغرات
لقد لاينوه في المقال وأضمروا قلوباً على الأحقاد منطويات
فإن لم تكن إلّا بقربىٰ محمّد فهاشم أولىٰ من هن وهنات
سقى الله قبراً بالمدينة غيثه فقد حلّ فيه الأمن بالبركات
نبيّ الهدى صلّىٰ عليه مليكه وبلّغ عنّا روحه التحفات
وصلّىٰ عليه الله ما ذرّ شارق ولاحت نجوم الليل مبتدآتِ
أفاطم لو خلت الحسين مجدّلاً وقد مات عطشاناً بشطّ فرات
إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده وأجريت دم العين في الوجنات

---

(١) لم يذكر السيّد هذين البيتين وانفرد بهما الديوان.

(٢) لم يذكر السيّد هذا البيت وانفرد به الديوان.

(٣) الآفاق.

(٤) هذا البيت لم يرد في الديوان وانفرد به السيّد وجاء قبل ما بعده.

أفاطم قومي يا ابنة الخير فاندبي[١] نجوم سماوات بأرض فلاة

قبورٌ بكوفان وأُخرى بطيبة وأُخرى بفخّ نالها صلواتي

وأُخرى[٢] بأرض الجوزجان محلّها[٣] وقبر بباخمرىٰ لدى الغربات

وقبرٌ ببغداد لنفس زكيّة تضمّنها الرحمن في الغرفات

وقبرٌ بطوس يا لها من مصيبة ألحّت على الأحشاء بالزفرات

إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً يفرّج عنّا الغمّ والكربات

عليّ ابن موسى أرشد الله أمره وصلّى عليه أفضل الصلوات[٤]

---

(١) واندبي.

(٢) وقبر.

(٣) محلّه.

(٤) هذه الأبيات الثلاثة ليست في الديوان ويظهر أنّها مقحمة في القصيدة لأنّ دعبل أنشدها والإمام على قيد الحياة وسمعها منه ودعى له وأثابه عليها فكيف يذكر قبره وهو ما يزال حيّاً.

أقول ـ وأنا السيّد محمّد ـ: تعجّبت يا سيّدي من كلامك هذا غاية العجب، لأنّ قضيّة الأبيات معروفة مذكورة في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام وكتاب كمال الدين وكتاب مناقب ابن شهر آشوب وغيرها من الكتب، وهي أنّ دعبل لمّا وصل إلى كلامه «الغرفات»:

قال له الرضا عليه السلام: أ فلا أُلحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟ فقال: بلى يا ابن رسول الله. فقال عليه السلام:

و قبر بطوس يا لها من مصيبة توقّد في الأحشاء بالحرقات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائما يفرّج عنّا الهمّ والكربات

فقال دعبل: يا ابن رسول الله، هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له، انتهى ما نقلته من عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، وهو في كمال الدين ٢: ٣٧٤.

فالسيّد التستري ألحق البيتين ولم يذكر القضيّة، والبيت الثالث لم يكن فيه إشكال أن يكون قائله دعبل. مع الاعتذار.

فأمّا المـمضّات التي لست بـالغاً ... مـبالغها مـنّي بكـنه صـفات
قبور بجنب النهر من أرض كربلا ... مـعرّسهم مـنها بشـطّ فـرات[1]
وتـوفّوا عُطاشى بالفرات فليتني ... تـوفّيت فيهم قبل حين وفاتي
إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم ... سـقتني بكأس الذلّ والفـظعات
أخـاف بأن أزدارهـم فـتشوقني ... مـصارعهم[2] بـالجزع فـالنخلات
تـقسّمهم ريب المنون فما ترى ... لهـم عـقوة مـغشيّة الحـجرات[3]
سـوى أنّ فـيهم بـالمدينة عـصبة ... مـدى الدهـر أنضاء من الأزمـات[4]
قـليلة زوّار سـوى أنّ زوّراً[5] ... مـن الضبع والعـقبان والرخمات[6]
لهـم كـلّ يـوم تـربة بـمضاجع ... ثوت في نـواحي الأرض مـختلفات[7]
تـنكّب لأواء السـنين جـوارهـم ... ولا تـصطليهم جـمرة الجـمرات
وقـد كـان مـنهم بالحجاز وأرضها ... مـغاوير نـحّارون فـي الأزمـات[8]

---

(١) رواية هذا البيت في الديوان هكذا:

نفوس لدى النهرين من أرض كربلا ... مـعرّسهم فـيها بشـطّ فـرات

(٢) معرّسهم.

(٣) العقوة: الساحة وما حول الدار والمحلّة جمعها: عقاء / حاشية الديوان ص ٦٠.

(٤) هذا البيت برواية الديوان، وأمّا بيت المؤلّف فقد أفسده الناسخ وإليكه:

فحلان فيهم بالمدينة عـصبة ... مدينين أنـضاء مـن اللزمات

(٥) بعض زوّر ـ الديوان.

(٦) الرخمة. جمع رخمات من فصيلات النسريات تتغذّى باللحوم / هامش الديوان.

(٧) الديوان:

لهـم كـلّ حـين نـومة بـمضاجع ... لهم في نواحي الأرض مختلفات

(٨) هذا البيت مقدّم على سابقه في الديوان، وفي صدره «وأهلها» بدل «وأرضها»، والعجز جاء هكذا: «مغاوير يختارون في السروات» وليس لها معنى إلّا بشيء من التصحيف، ورواية المؤلّف أصحّ.

حمىً لم تزره المذنبات وأوجه تضيء لدى الأستار في الظلمات

إذا أوردوا خيلاً بسمر من القنا مساعير حرب أقحموا الغمرات[١]

فإن فخروا يوماً أتوا بمحمّد وجبريل والفرقان والسورات[٢]

وعدّوا عليّاً ذا المناقب والعُلى وفاطمة الزهراء خير بنات

وحمزة والعبّاس ذا العدل[٣] والتُّقى وجعفرُ الطيّار في الحجرات[٤]

أُولئك لا منتوج هندٍ وحزبها سميّة من نوكى ومن قذرات[٥]

ستسأل تيم عنهم وعديّها وبيعتهم من أفجر الفجرات

هم منعوا الآباء عن أخذ حقّهم وهم تركوا الأبناء رهن شتات

وهم عدلوها عن وصيّ محمّد فبيعتهم جاءت على الغدرات

ملامك في آل النبيّ فإنّهم أحبّاي ما داموا[٦] وأهل ثقاتي

تخيّرتهم رشداً لنفسي[٧] إنّهم على كلّ حال خيرة الخيرات

مشيت[٨] إليهم بالمودّة صادقاً وسلّمت نفسي طائعاً لولاتي

---

(١) رواية الديوان:

إذا أوردوا خيلاً تسعّر بالقنا مساعر جمر الموت والغمرات

أمّا الصدر فالصحيح ما ذكر المؤلّف وقد أثبتناه، والعجز برواية الديوان أصحّ ولعلّها عند المؤلّف هكذا: «مشارع حرب أقحموا الغمرات».

(٢) ذي السورات.

(٣) ذا الهدى ـ الديوان.

(٤) الحجبات ـ الديوان.

(٥) رواية الديوان لصدر البيت هكذا: «أُولئك لا أشياخ هند وتربها».

(٦) ما عاشوا.

(٧) لأمري.

(٨) نبذت.

فيا ربّ زدني في هواي بصيرة[١] وزد بهم[٢] يا ربّ في حسناتي

سأبكيهم ما حجّ للّه راكب وما ناح قمريّ على الشجرات

وإنّي لمولاهم وقالٍ عدوّهم وإنّي لمحزون بطول حياتي[٣]

بنفسي أنتم من كهول وفتية لفكّ عناة أو لحمل ديات

وللخيل لمّا قيّد الموت خطوها فأطلقهم[٤] منهنّ بالذربات

أُحبّ قصيّ الرحم من أجل حبّكم وأهجر فيكم زوجتي[٥] وبناتي

وأكتم حبّيكم مخافة كاشح عنيد لأهل الخير غير مؤاتي

فيا عين بكّيهم وجودي بعبرة فقد آن للتسكاب والهملات

لقد خفت في الدنيا وأيّام سعيها وإنّي لأرجو الأمن عند وفاتي[٦]

ألم تر أنّي مذ[٧] ثلاثين حجّة أروح وأغُدو دائم الحسرات

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً وأيديهم من فيئهم صفرات

فكيف أُداوى من جوىً بي والجوىٰ أُميّة أهل الكفر[٨] واللعنات

وآل زياد في الحرير مصونة وآل رسول الله منتهكات[٩]

---

(١) من يقيني بصيرة.

(٢) حبّهم.

(٣) هذا البيت لا يوجد في الديوان.

(٤) فأطلقتم.

(٥) أُسرتي.

(٦) رواية الديوان للصدر هكذا: «لقد حفّت الأيّام حولي نشرها». ورواية المؤلّف أصحّ لوجود المطابقة فيه بين الأمن والخوف، وما هكذا رواية الديوان.

(٧) من.

(٨) الفسق.

(٩) رواية الديوان هكذا:

بنات زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات

سأبكيهم ما ذرّ في الأرض شارق ... ونادى منادي الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها ... وبالليل أبكيهم وبالغدوات
ديار رسول الله أصبح بلقعاً ... ودار زياد أصبحت عمرات[١]
وآل رسول الله تُدمىٰ نحورهم ... وآل زياد زيّنوا الحجلات
وآل رسول الله تسبىٰ حريمهم ... وآل زياد آمنوا السربات
وآل رسول الله هلب رقابهم ... وآل زياد غلّظ القصرات[٢]
إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم ... أكُفّاً عن الأوتار منقبضات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غداً ... تقطّع نفسي[٣] أثرهم حسرات
خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركات
يُميّز فينا كلّ حقّ وباطل ... ويجري على النعماء والنقمات
فيا نفس طيبي ثمّ يا نفس أبشري ... فغير بعيد كلّ ما هو آت
ولا تجزعي من مدّة الجور إنّني ... أرى قوّتي قد آذنت بلبات[٤]
فإن قرّب الرحمن من تلك مدّتي ... وأخّر من عمري ووقت وفاتي[٥]
شفيت ولم أترك لنفسي غصّة[٦] ... وروّيت منهم منصلي وقناتي
فإنّي من الرحمن أرجو بحبّهم ... حياتاً لدى الفردوس يوم ثبات[٧]

---

(١) أمّا رواية الديوان فهي هكذا: «وآل زياد تسكن الحجرات».

(٢) جاء الصدر في الديوان هكذا: «وآل رسول الله نحف جسومهم».

(٣) قلبي.

(٤) بشتات، وهذا هو الصحيح.

(٥) بطول حياتي.

(٦) رزية.

(٧) رواية الديوان: «غير بتات».

عسى الله أن يرتاح[١] للخلق إنّه ... إلى كلّ قوم دائم اللحظات[٢]

فإن قلت عرفاً أنكروه بمنكر ... وغطّوا على التحقيق بالشبهات

تقاصر نفسي دائماً عن جدالهم ... كفاني ما ألقىٰ من العبرات

أُحاول نقل الصمّ[٣] عن[٤] مستقرّها ... وإسماع أحجار من الصلدات[٥]

فمن عارف لم ينقطع ومعاند ... تميل به الأهواء للشهوات

كأنّك بالأضلاع قد ضاق ذرعها ... لما حملت من شدّة الزفرات[٦]

وروى الشيخ الأجل أبو جعفر الطوسي في كتاب الأمالي عن يحيى بن أكثم القاضي قال: أقدم المأمون دعبل بن عليّ الخزاعي ﷺ (بعد وفاة الإمام الرضا) وآمنه على نفسه، فلمّا مثل بين يديه وكنت جالساً بين يدي المأمون، فقال له: أنشدني قصيدتك، فجحدها دعبل وأنكر معرفتها، فقال: لك الأمان عليها كما أمنتك على نفسي، فأنشده:

تأسّفت جارتي لمّا رأت زَوَري[٧] ... وعدّت الحلم ذنباً غير مغتفر

---

(١) كذا.

(٢) وجاء في الديوان: «عسى الله أن يأتي لذا الخلق.. الخ».

(٣) الشمس.

(٤) من.

(٥) بعد هذا البيت جاء البيت التالي في الديوان:

فمن عارف لم ينقطع ومعاند ... يميل مع الأهواء والشهوات

ثمّ البيت الذي يليه جاء هكذا:

قصاراي منهم أن أأوب بغصة ... تردّد بين الصدر واللهوات

(٦) البيت برواية الديوان هكذا:

كأنّك بالأضلاع قد ضاق رحبها ... لما ضمنت من شدّة الزفرات

(٧) الزور: الميل. يريد الميل عنها.

ترجو الصبا بعد ما شابت ذوائبها وقد جرت طلقاً في حلبة الكبر

أجارتي إنّ شيب الرأس يقلبني[1] ذكر المعاد وأرضاني عن القدر

لو كنت أركن للدنيا وزينتها إذاً بكيت على الماضين من نفر

أخنى الزمان على أهلي فصدّعهم تصدّع الشعب لاقى صدمة الحجر[2]

بعض أقام وبعض قد أهاب به داعي المنيّة والباقي على الأثر

أمّا المقيم فأخشى أن يفارقني ولست أوبة من ولّى بمنتظر

أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي كحالم قصّ رؤياً بعد مدّكر

لولا تشاغل عيني بالأُولى سلفوا من أهل بيت رسول الله لم أقر

وفي مواليك للمحزون مشغله من أن تبيت لمفقود على أثر[3]

كم من ذراع لهم بالطفّ بائنة وعارض بصعيد الترب منعفر

أنسى الحسين ومسراهم لمقتله وهم يقولون هذا سيّد البشر

يا أُمّ السوء ما جازيت أحمد عن[4] حسن البلاء على التنزيل والسور

خلّفتموه على الأبناء حين مضى خلافة الذئب في أبقار ذي بقر

قال يحيى بن أكثم: وأنفذني المأمون في حاجة فقمت فعُدت إليه وقد انتهى إلى قوله:

لم يبق حيّ من الأحياء نعلمه من ذي يمان ولا بكر ولا مضر

إلّا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر

قتلاً وأسراً وتحريقاً ومنهبةً فعل الغزاة بأهل الروم والخزر

---

(1) في الأمالي: «يعلمني...» وهي أصحّ ممّا ذكره المؤلّف ﷺ بل لا معنى لما ذكر.

(2) الأمالي: تصدّع العقب الخ، والشعب: القدح.

(3) رواية المؤلّف لهذا البيت: وفي مواليك للبحرين. ولا معنى لها والتصحيح من الأمالي.

(4) في.

أرى أُمـيّة مـعذورين إن قـتلوا ولا أرى لبـني العـبّاس مـن عـذر
قـوم قـتلتم عـلى الإسـلام أوّلهـم حتّى إذا استمكنوا جـازوا عـلى الكـفر
أبـناء حـرب ومـروان وأُسـرتهم بـنو مـعيط أُولات الحـقد والوغـر
أربِـع بـطوس عـلى قـبر الزكـيّ بـها إن كـنت تـربع مـن ديـن عـلى وطـر
مـا يـنفع الرجس من قـرب الزكـيّ ومـا عـلى الزكـيّ بـقرب الرجس من ضـرر
هـيهات كـلّ امـرئ رهـن بـما كسبت له يـداه فـخذ مـا شـئت أو فـذر

قال: فضرب المأمون بعمامته الأرض وقال: صدقت والله يا دعبل..[1]

وذكر الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[2]: لمّا قال دعبل وهو في السياق:

أعـدّ للّـه يـوم يـلقاه دعـبل أن لا إله إلّاهُ
يقولها مخلصاً عصاه بـها يـرحـمه في القـيامة الله
الله مـولاه والنبيّ ومِن بعدهما فالوصيّ مولاه[3]

وأوصى أن تطوى معه في كفنه، ودفنوها معه، فرآه شخص في النوم وهو يسأله: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمني بتلك الأبيات، رحمه الله.

وجاء في آخر كتاب «روضة الشهداء» عن كتاب «عيون أخبار الرضا» عن ابن دعبل أنّه قال: لمّا أدركت أبي الوفاة انعقد لسانه واسودّ وجهه، فخفت عليه من ذلك خوفاً شديداً، وكتمت ذلك عن الناس وأمرتهم أن يغسلوه سرّاً، وبعد ذلك

---

(١) الشيخ الطوسي: الأمالي ج ١ ص١٠٨ آلي.

(٢) آل عمران/١٨.

(٣) توجد في الديوان ص١٧٩ ولها بقيّة وهي:

وفاطم بضعة النبيّ وفحلا هامن المرتضى وسبطاه
خمسة رهط دعا الإله بهم آدم مـن ذنبه فأرضاه

دفنّاه وكنت ملولاً من جهته، فرأيته في النوم ضاحكاً مستبشراً ووجهه مشرق وعليه ثياب بيض، فقلت له: يا أبتاه، لقد عجبت ممّا عراك عند الموت؟!

فقال: أمّا سواد وجهي وانعقاد لساني عند الموت فلأنّي كنت أشرب الخمر وأشتم الناس، فلمّا وضعوني في القبر رأيت رسول الله ﷺ قد جائني وقال لي: أنت دعبل؟ فقلت: نعم أنا هو يا رسول الله، فقال لي: اقرأ لي قصيدتك التي رثيت بها أهل بيتي، فقرأتها، ومنها:

لا أضحك الله سنّ الدهر إن ضحكت وآل أحمد مقهورون قد قُهِروا

حتّى أتيت على آخرها والنبيّ يبكي، ولمّا أتممتها قال: لقد أحسنت يا دعبل، وتشفّع بي حتّى شفّعوا لي وكساني هذه الثياب البيضاء (والحمدللّه ربّ العالمين).

أبو الطيّب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الملقّب بالمتنبّي

نبيّ الشعراء العرب، وإمام أهل العلم والأدب، أبوه ـ كما جاء في كتاب الأنساب للسمعاني ـ يُعرَف بعبدان السقّاء، يسقي لنا ولأهل المحلّة، وأُمّه همدانيّة[1]، وكلّهم شيعة أميرالمؤمنين المخلصين كما جاء في مقدّمات هذا الكتاب.

وجاء في كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير الشامي أنّ المتنبّي ولد في الكوفة سنة ستّ وثلثمائة ونشأ بالشام البادية فطلب الأدب ففاق زمانه فيه[2].

وفي كتاب الأنساب للسمعاني: إنّ قوّة الحافظة عند المتنبّي كانت بلغت حدّاً

(١) الأنساب ج٥ ص١٩١.

(٢) البداية والنهاية ج١١ ص٢٨٩.

رفيعاً ومستوىً بديعاً «وكان إذا نظر في ثلاثين ورقة حفظها بنظرة واحدة..»[١].

وذكر ابن خلّكان في كتابه: (هو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباه وجال في أقطاره واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها) وكان من الكثيرين من نقل اللغة والمطّلعين على غريبها وحوشيّها، ولا يُسئل عن شيء إلّا واستشهد بكلام العرب من النظم والنثر حتّى قيل: إنّ الشيخ أبا عليّ الفارسي ـ صاحب الإيضاح والتكملة ـ قال له يوماً: كم لنا من الجموع على وزن فعلىٰ؟ فقال: حجلى وظربىٰ، فطالعت في كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد، وحسبك من يقول في حقّه أبو عليّ هذه المقالة، وحجلى: جمع حجل وهو الطائر الذي يُسمّىٰ: القبج، والظربىٰ: جمع ظربان ـ على مثال قطران ـ وهي دويبّة منتنة الرائحة[٢].

وفي تذكرة دولتشاه السمرقندي: إنّ رشيد الدين الوطوط قال في حقّ المتنبّي أنّه: في اقتباس المعارف والدقائق ومتانة اللفظ والحديث، جميع شعراء الإسلام عيال عليه، ولديوانه شهرة بين العرب والعجم يعتزّ به الأكابر والفضلاء، وكثير منهم شرحه وكتب تعاليقه عليه نظير ابن جنّي النحوي حيث كتب عليه شرحاً وافياً وأكثره في مدح «همدان» وهم ملوك الشيعة الإماميّة.

وقال ابن كثير: إنّ المتنبّي (لمّا استجمع خصال الاستعداد) قد ادّعى حين كان مع بني كلب بأرض السماوة من حمص أنّه «علويّ» ثمّ ادّعى أنّه نبيٌّ يوحىٰ إليه فأتبعه جماعة من جهلتهم وسفلتهم... ولمّا اشتهر خبره بأرض السماوة وأنّه قد التفّ عليه جماعة من أهل الغباوة، خرج إليه نائب حمص من جهة بني

(١) الأنساب ج٥ ص١٩١.

(٢) وفيات الأعيان ج١ ص١٢٠.

الأخشيد وهو الأمير لؤلؤ (بيّض الله وجهه) فقاتله وشردّ شمله وأسر مذموماً مدحوراً وسُجِن دهراً طويلاً فمرض في السجن وأشرف على التلف فاستحضره واستتابه وكتب عليه كتاباً اعترف فيه ببطلان ما ادّعاه من النبوّة وأنّه قد تاب من ذلك ورجع إلى دين الإسلام، فأطلق الأمير سراحه، فكان بعد ذلك إذا ذكر له هذا يجحده إن أمكنه وإلّا اعتذر منه واستحيا[1].

ويستفاد من تاريخ اليافعي أنّ المؤرّخين اختلفوا في ادّعاء المتنبّي النبوّة غير أنّه يؤيّد الرواية التي ترجّح وقوع الادّعاء المذكور وحكم بصحّتها واعتبر تلقيبه بالمتنبّي أمارة على وقوع ذلك منه، والمؤلّف له نظر في كلّ من الترجيح والتأييد وهو دلالة سياق حال المتنبّي ومذهبه تظهر ومعها بعض الإشارات والعبارات ناظره إلى ذلك وهي أنّ المتنبّي حين رأى الطغمة من بني العبّاس تغلّبت على الأُمور وتحكّمت في الأُمّة تألّم خاطره من ذلك فأراد أن يخرج على أُولئك الغدرة الفجرة لذلك رأى من المصلحة أن يدّعي النسب العلوي ليجتمع عليه الناس كما اجتمع الشيعة على إبراهيم وغيره من العلويّين الخارجين على بني العبّاس، وبذلك يتقدّم خطوات نحو معالجة الوضع المتأزّم جرّاء حكمهم، ولو لم يكن الأمر على ما بدى لنا لاعتبر المتنبّي مرتدّاً فطريّاً وما كانت لتقنع توبته أهل زمانه ولا ينفع إنكاره لنبوّته إن صحّت دعواه فيها غير أنّها لم تصحّ وإنّ إنكاره لها شاهد على ذلك، والظاهر أنّ معنى نبوّته ولصوق هذا اللقب به كان من أجل لطائف أشعاره ودقائق أفكاره واختراع المعاني الأبكار كما قال بعض الفضلاء في مدحه:

ما رأى الناس ثاني المتنبّي　　أيّ ثانٍ يرىٰ لبكر الزمان

---

(١) البداية والنهاية ج١١ ص٢٩٠.

هـو فـي شـعره نـبيًا ولكـن ظهرت معجزاته في المعاني[١]

وبعد خلاصه من الحبس بعد اللتيّا والتي[٢] لازم سيف الدولة من آل حمدان وحصل منه على جوائز وصلات ثمينة، ومن الصدف السيّئة أنّ مشادّة جرت بينه وبين ابن خالويه في مجلس سيف الدولة وهو من أكابر الشيعة، فرماه ابن خالويه بشيء يحمل باليد ولم تكن بالمتنبّي قدرة على مقابلته بالمثل، فقام من مجلسه وقصد كافور الأخشيدي في مصر ـ وكان والياً عليها ـ وبقي عنده ولكنّه كان إذا حضر بين يديه فإنّما يحضر متقلّداً بسيفه ومعه مواليه وعبيده، فارتاب منه كافور بآخرة فتقصّده بالسوء، ولمّا علم المتنبّي بذلك هجاه وخرج من مصر.

وروى الرواة أنّ بعض الأعلام عاتب كافوراً على جفائه وقال له: إنّ المتنبّي رجل شاعر فما بالك توجّست منه خيفة؟ فأجابهم: لا يخلو ذلك من وجه مقبول؛ إنّ رجلاً ادّعى مشاركة محمّد بالنبوّة أيتعذّر عليه أن يشاركني بحكمي؟! وينتزع مصر من يدي.

ولمّا عاد المتنبّي من مصر ذهب إلى الكوفة ومدح عبيدالله الثالث فيها ـ وهو من كبار النقباء في الكوفة ـ بقصيدة توجد في مطلع الديوان، ومدح أيضاً أبا القاسم طاهر بن الحسن بن طاهر العلوي ـ وهو من أشراف أهل زمانه ـ بقصيدة، وهذه الأبيات منها:

نـصرت عـليّاً يـابنه بـبواتـر من الفضل لا فلّ لها في المضارب

وأبـهر آيـات التـهامي إنّـه أبوك وأجدى ما لكم من مناقب

---

(١) وفيات الأعيان ج١ ص١٢٤ ويتوسّط البيتين بيت ثالث لم يذكره المؤلّف وهو:

كـان فـي نـفسه الكـبيرة فـي جيش وفي كبرياء ذي سلطان

(٢) اسمان من أسماء الداهية. راجع الصحاح.

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله ... فما ذا الذي يعني كريم المناسب

إذا علويّ لم يكن مثل طاهر ... فما هو إلّا حجّة للنواصب

هو ابن رسول الله وابن وصيّه ... وشبههما شبّهت بعد التجارب

ألا أيّها المال الذي قد أباده ... تعزّ فهذا فعله بالكتائب

لعلّك في وقت شغلت فؤاده ... عن الجود أو كثّرت جيش المحارب

حملت إليه من لساني حديقة ... سقاها الحيا سقي الرياض السحائب

فحييت خير ابن لخير أب بها ... لأشرف بيت من لؤي ابن غالب

وهنا مدح ابن العميد الوزير ـ وهو من أكابر فضلاء الشيعة ـ وأعطاه برواية ابن كثير ثلاثين ألف دينار صلة، ثمّ قصد فارس لملازمة عضد الدولة الديلمي ومدحه هناك فأجزل له الصلة ووصله بثلاثة آلاف دينار.

ولا يخفى أنّ عذر المتنبّي في كبح جماح القلم عن الجري في مضمار نعت سيّد الأبرار ومناقب آله الأطهار ولم يسجّل من طغراء مدائحهم على صفحة الظهور شيئاً ذلك أنّه لم ير مدحه يليق بالحضرة النبويّة والعترة العليّة كما أشعر بذلك في بعض أشعاره بذلك وقال:

فواعجباً منّي أُحاول نعته ... وقد فنيت فيه القراطيس والصحف

وقال في قطعة أُخرى ذكرها الشيخ أبوالفتوح الكراجكي في كنز الفوائد:

وتركت مدحي للوصيّ تعمّداً ... إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا

وإذا استقلّ الشيء قام بنفسه ... وأرى صفات الشمس تذهب باطلا

وفي قطعة أُخرى نسبها إليه سيّد المتألّهين حيدر بن علي الآملي في كتابه «جامع الأنوار» وقال:

قيل لي قل في عليّ مدحاً ... ذكره تخمد ناراً موصده

قلت هل أمدح مَن في فضله حـار ذو اللبّ إلى أن عـبده
والنـبيّ المـصطفى قـال لنـا ليـلة المـعراج لمّـا صـعده
وضـع الله عـلى ظهري يـداً فأرانـي القـلب أن قـد بـرّده
وعـليٌّ واضـع رجـليه لي بـمكان وضـع الله يـده[1]

ومؤيّد هذا القول أنّ اليافعي وابن كثير قد ذكرا أنّ بعض أقران المتنبّي قال له: ما هو السبب في تركك مدح أبي فراس ابن عمّ سيف الدولة المحلّىٰ بحلبة الفضل والبراعة، والمزيّن بزينة العقل والرئاسة مع مدحك جميع سلاطين آل حمدان؟

فقال مجيباً: إنّي لأعرف منزلته في الشرف والفضل وأنّه فـوق مـا يـتصوّر ولكنّي لا أرىٰ شعري يفي بمقامه ولا مدحي يليق بجنابه.

ومن البديهي عقلاً أنّ المتنبّي لمّا يرىٰ أبا فراس وهو فرد من الشيعة ذا ميّزة ترفعه عمّن عداه من نظرائه وهو لا يعدو بأن يكون عبداً من عبيد السدّة النبويّة والعتبة العليّة المرتضويّة ومن البديهي أن يرىٰ ذلك المـقام الرفـيع والجـناب المنيع للسيّد الشفيع أجلّ وأعلى وأسـمى وأغـلى بـمراتب مـن ذلك المـقام الحمداني، بل إنّ جريان اسمه على اللسان لا يمكن إلّا بـعد تـقديم طـقوس التعظيم ومراسم التكريم مقرونة بالحياء والخوف.

هزار بار بشستم دهان بمشك گلاب هـنوز نـام تـو بـردن مـرا نمىشايد
بـماء الورد والمسك المـلاب غسلت فمي ليجري بـالخطاب
باسماء الأُولىٰ شـرفوا وطـابوا فـلم أقـدر عـلى ردّ الجـواب

---

(١) ذكر الأبيات مولانا الأميني في الغدير ولم ينسبها لأحد ج٧ ص١٢، ونسبها المـازندراني فـي شجرة طوبى ج٢ ص٣٠٦ إلى أبي نؤاس. ونسبها القندوزي في ينابيع المودّة ج١ ص٤٢٥ وأجدر بها أن لا تكون للمتنبّي لأنّها ليست في مستوى شعره.

ونقل الشيخ الأجل عبدالجليل الرازي في كتاب «نقض الفضائح» هذين البيتين المشتملين على صفاء ضميره في مدح مولاه وأميره:

أبا حسن إن كان حُبّك مدخلي جهنّم كان الفوز عندي جحيمها

وكيف يخاف النار من كان موقناً بأنّ أميرالمؤمنين قسيمها[١]

وفي كتاب «كشف الغمّة» بزيادة بيت واحد في أوّلها وتغيير يسير في باقي الأبيات المذكورة:

رضيت بأن ألقى القيامة خانضاً دماء نفوس حاربتك جسومها

ابا حسن إن كان حبّك مدخلي جحيماً فإنّ الفوز عندي جحيمها

وكيف يخاف النار من بات موقناً بأنّك مولاه وأنت قسيمها[٢]

ولا يخفى أنّ المتنبّي لم يقدّر له جمع ديوانه في حياته إلى أن استشهد، ولكنّ جماعة بعد وفاته انبروا لجمع ديوانه فنظموه ونسقوه طبقاً لأهوائهم واتّجاه مذاهبهم فما لم يوافقها ولم يتّسق معها طرحوه مِن ثَمّ تجد في ديوانه وفي نسخه المتفاوتة النقصان والزيادة شأنه شأن ديوان «حافظ» ففيه اختلاف كبير في الزيادة والنقص.

وجاء في تاريخ اليافعي أنّ المتنبّي (مدح عضد الدولة فأجزل جائزته) ولمّا رجع من عنده أتى بغداد ثمّ إلى الكوفة في شعبان لثمان خلون منه (عرض له

---

(١) لم ينسبها في المناقب ج٢ ص١٠ لأحد ونسبها في الغدير ج٧ ص٤١ إلى الحافظ رجب البرسي، ونسبت للصاحب أيضاً في أعيان الشيعة ج٢ ص٣٥٨.

(٢) كشف الغمّة ج١ ص٢٦٧ وفي شطر البيت الأخير الأوّل ورد عند المؤلّف «من مات مؤمناً» ولا يلتئم مع العجز أصلاً في المعنى، وفي كشف الغمّة: وأنشدني بعض الأصحاب هذه الأبيات وقال: إنّها وجدت مكتوبة على باب مشهد بصفّين الخ، فكيف تنسب للمتنبّي حينئذٍ؟!

فاتك بن أبي جهل الديلمي)[١] في عدّة من أصحابه وكان مع المتنبّي أيضاً جماعة من أصحابه فقاتلوهم، فقُتِل المتنبّي وابنه محسّد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانيّة في موضع يقال له: الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول مسافة ميلين.

وذكر ابن رشيق في كتاب العمدة في باب منافع الشعر ومضارّه أنّ أبا الطيّب لمّا فرّ حين رأى الغلبة، قال له غلامه: لا يتحدّث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فكرّ راجعاً حتّى قُتِل[٢]. ولمّا سمع المتنبّي البيت لم يرتض تكذيب نفسه في الشجاعة فحمل على الأعداء وسدّد لمقدّمهم طعنة نجلاء برمحه قضت عليه وطرحته أرضاً وتكاثر عليه القوم فقتلوه وجدّلوه على البوغاء.

وذكر ابن كثير: ثمّ سار إلى فارس فامتدح عضدالدولة بن بويه فأطلق له أموالاً جزيلة تقارب مأتي ألف درهم، وقيل: بل حصل منه نحو من ثلاثين ألف دينار، ثمّ دسّ إليه من يساله: أيّما أحسن: عطايا عضدالدولة بن بويه أو عطايا سيف الدولة ابن حمدان؟ فقال: هذا أجزل وفيها تكلّف، وتلك أقلّ ولكن عن طيب نفس من معطيها لأنّها عن طبع وهذه عن تكلّف، فذكر ذلك لعضدالدولة فتغيّظ عليه ودسّ عليه طائفة من الأعراب فوقفوا له في أثناء الطريق وهو راجع إلى بغداد. ويقال: إنّه كان قد هجىٰ مقدّمهم ابن فاتك الأسدي.. الخ[٣].

---

(١) وفيما نقله المؤلّف عن اليافعي: عرض له جماعة من قطّاع الطرق من الأعراب.

(٢) مرآة الجنان ج١ ص٣٥٧ ونقلت النصّ بتمامه وكان قد تخلّله جمل أنشاها المؤلّف لا تمسّ المعنى لا يمكن إدخالها في النصّ العربي.

(٣) البداية والنهاية ج١١ ص٢٨٩.

قال المؤلّف: إنّ كلّ من له اطّلاع على علوّ شأن عضدالدولة وكثرة فضله وإحسانه يعلم علماً يقيناً أنّ هذا الحديث حديث خرافة وأنّه من صُنع ذوي التعصّب المقيت والضالّين عن لاحب الطريق، وكيف يصحّ ذلك ممّن يعدّ من كبار رجال المذهب وإنّ عضدالدولة وأُستاذه أبا عليّ الفارسي يتباهيان به يُجرّ بالكلام إلى أن يتكلّم بحديث موهون مرفوض يؤدّي إلى قتله.

دوست راكس باينقدر نفروخت بهر كيكى گليم نتوان سوخت

لا يباع الصديق بالمال مهما عظم المال فالصديق أعزّ

أترى يحرق البساط لبرغوث بدىً داخل البساط يأزّ

تنبيه: لا يخفى أنّ الكلام الذي نقله ابن كثير عن المتنبّي في بيان النسبة بين عطايا سيف الدولة وعضد الدولة يشتمل على المبالغة في ذمّ التكلّف الذي لا يخفى على متكلّمي تلك الحقبة وذلك الزمان فإنّ أيّ شاعر اتّخذ الشحاذة مذهباً وعملاً يجري ورائه إذا كان يؤذيه التكلّف في العطاء مع ما يصحبه من الزيادة في المال فإنّ ذلك يدعونا إلى ملاحظة المعطي الغني فهل إنّ قول شاعر كهذا في ذمّ التكلّف يؤذيه أو يحسب له أيّ حساب؟ كلّا.

أبو الحسين مهيار بن مردويه الكاتب الشاعر الديلمي الفارسي

ذكر الشيخ عبدالجليل الرازي وابن كثير الشامي واليافعي أنّه كان في الأصل مجوسيّاً ومن ذريّة «أنو شيروان العادل» وأسلم على يد السيّد الرضي (المير رضي‌الدين) الشريف، ونقيب الكوفة وبغداد، ونظم شعراً رائقاً موافقاً لمذهب الشيعة مشتملاً على الطعن في الخلفاء الثلاثة والقدح فيهم وفي أتباعهم حتّى قال له أبوالقاسم ابن برهان ـ وهو من أهل السنّة ـ ذات يوم: يامهيار، إنّك

انتقلت من زاوية إلى زاوية في جهنّم فقد كنت مجوسيّاً فلمّا أسلمت شرعت في سبّ الصحابة! فأجابه المهيار: أجل، يحتمل أن يفعل بي ذلك لمشاهدة الخاسرين من أعداء الآل والعترة الذين يقتدون بك وأطّلع على النار لأرى مكانك فيها وما تعانيه من شعلها وحرارتها، أمّا أنا فستكون النار عليَّ برداً وسلاماً ببركة محبّتي لأهل البيت، وإنّي خرجت منها وسوف أتّجه إلى الخلد والنعيم المقيم، وهذان البيتان يتضمّنان معنى جواب المهيار وهما منقولان عن الأُستاذ «كوزه گر»[1]:

سالوني عن الجحيم فإنّي ... كنت من أهلها ومن ساكنيها

ما وجدت العذاب إلّا على من ... منع الطهر إرثها من أبيها

قال اليافعي: وله ديوان كبير يدخل في أربع مجلّدات[2].

وقال صاحب دمية القصر: شاعر له مناسك الفضل مشاعر، وكاتب تجلّى تحت كلّ كلمة من كلماته كاعب[3].

وقال ابن الجوزي بعد أن ذكر شيئاً من أشعاره في تاريخه وقال: لمّا كانت أشعاره كلّها حسان فإنّنا نكتفي بهذا المقدار. وبما أنّ شعر المختار في مناقب أهل البيت الأطهار ومثالب أعداءهم الأشرار وأهل الغدر لم يكن تحت يد المؤلّف ساعة تأليف هذا الكتاب مِن ثمّ نكتفي بهذه القطعة التي استللناها من كتاب كشف الغمّة من قصيدته اللّاميّة:

ما لقريش ماذقتك عهدها ... ودامجتك ودّها على دخل

---

(١) إن كان هذا هو اسمه فينبغي أن يبقى على حاله أو صفته فمعناها «صانع جرار».

(٢) مرآة الجنان ج ١٢ ص ٥٢ آلي.

(٣) ج ١ ص ٤٥ آلي.

وطـــالبتك بـــقديم غـــلّها[١] بعد أخـيك بـالتراث والذحـل
وكيف ضمّوا أمرهم واجتمعوا فاشتوروا الرأي وأنت مـنعزل
وليس فـــيهم قـــادح بـــريبة فيك ولا قاضٍ عليك بـوهل[٢]

أي: ما بال قريش لوّثت العهد وبدّلوا الودّ بالحقد وطالبوك بعد أخيك المصطفى صلوات الله عليه بالذحول القديمة؟ وكيف يكون اجتماعهم على الخلافة ومشورتهم صحيحة وأنت بمعزل عنهم وكنت مشغولاً بتجهيز رسول الله صلوات الله عليه وما من احد منهم يشكّ في شأنك ويرتاب فيك بعد وفاة النبيّ ﷺ ويعلم أنّ الخطأ والسهو والنسيان محال عليك، والظاهر أنّ هذه القصيدة اللّاميّة التي قال عنها الشيخ الحسن بن داود أنّ السيّد جمال الدين أحمد بن موسى بن طاوس العلوي الحسني صاحب كتاب «البشرىٰ» كتب عليها شرحاً وسمّاه «كتاب الأزهار في شرح لامية مهيار».

انتقل المهيار إلى جوار ربّه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

أبوالحسن عليّ بن أحمد منصور بن نصر بن بسّام النسائي رحمه الله تعالى

مآثر فصاحته وبلاغته مشهورة، وفي صحائف السير مسطورة.

ذكر ابن كثير: المطبق للهجاء فلم يترك أحداً حتّى هجاه حتّى أباه وأُمّه أمامة بنت حمدان النديم.

وقد أورد ابن خلّكان أشياءاً كثيرة من شعره فمن ذلك قوله في تخريب المتوكّل عليه اللعنة قبر الحسين بن عليّ وأمره بأن يزرع وتمحىٰ رسمه وكان

---

(١) حقدها.

(٢) راجع الغدير ج ٤ ص ٢٥٤.

شديد التحامل على عليّ وولده، فلمّا وقع ما ذكرناه في سنة ستّ وثلاثين ومأتين قال ابن بسّام في ذلك:

تاللّه إن كانت أُميّة قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها هذا لعمري[1] قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبّعوه رميما[2]

عبدالله بن أبي طالب القمّي رحمه الله تعالى

من فضلاء شعراء الفرقة الناجية في اشتعال طبع النار الحامية. مصابيح كلامه في مشكاة الأشعار من نضج كلامه المختار مصداق قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[3]، وعروس مقاله تخطر على شكل دلال مشاكل السحر الحلال.

ذكر صاحب كتاب دمية القصر أنّ نقش خاتمه هذا البيت من الشعر قرين التقرّب والإخلاص:

أعدّ للبعث أبوطالب حبّ عليّ بن أبي طالب

وهذه القطعة من أشعاره البليغة:

ما شكّ في فضل آل فاطمة إلّا امرء ما لأُمّه بعل
فقل إذا الحرّ طاب مولده فكيف يهوى ذوي العدىٰ بعل
خدّي لأقدام آل فاطمة إذا تخطّوا على الثرى نعل

---

(١) لعمرك.

(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ١٤٢.

(٣) النور/٣٥.

ولمّا حالت الأيّام وعقبات الدهر بين الأمير حسام الدولة فارس ابن عنان ـ وهو من أُمراء الشيعة الإماميّة ـ وبين التشرّف بزيارة النجف الأشرف وحرم من ذلك الفيض وتزايد فيه الشوق الجارف إلى لثم ذلك التراب العاطر، وتعطّل من زيارة حرم الإمام المحروس بملائكة الرحمن، وأراد أن ينظم الشعراء أبياتاً بلسان حاله ليرسلها مع واحد من أصحابه وتُقرء أمام الضريح المقدّس، وكان أبوطالب صاحباً للأمير ومنادماً له، فانتدب نفسه لنظم هذه الأبيات حسب الطلب، فقال:

بمحمّد وبحبّ آل محمّد ... علقت وسائل فارس بن محمّد
يا آل أحمد يا مصابيح الدجىٰ ... ومنار منهاج السبيل الأقصد
لكم الحطيم وزمزم ولكم منىً ... وبكم إلى سبل الهداية نهتدي
إنّي بكم متوسّل وبحبّكم ... متمسّك لا تنثني منه يدي
إنّ ابن عنّان بكم كبت العدىٰ ... وعلى بحبّكم رقاب الحسّد
ولئن تأخّر جسمه لضرورةٍ ... فالقلب منه مخيّم بالمشهد
يا زائراً أرض الغري مسدّداً ... سلّم سلمت على الإمام السيّد
بلّغ أميرالمؤمنين تحيّتي ... واذكر له حبّي وصدق تودّدي
وزر الحسين بكربلاء وقل له ... يابن الوصي ويا سلالة أحمد
قتلوك وانتهكوا حريمك عنوة ... ورموك بالأمر الفظيع الأنكد
ولو أنّني شاهدت نصرك أوّلاً ... روّيت منهم ذابلي ومهنّدي
منّي السلام عليك يابن المصطفى ... أبداً تروح مع الزمان وتغتدي
وعلى أبيك وجدّك المختار و ... الثاوين منهم في بقيع الغرقد
وبأرض بغداد على موسى وفي ... طوس على ذاك الرضا المتفرّد

وبسرّ من را فالسلام على الهدى / وعلى التُقىٰ وعلى الندىٰ والسؤدد
بالعسكريّين اعتصامي من لظى / وبقائم بالحقّ يصدع في غد
يجلو الظلام بنوره ويعيدها / علوية فينا بأمر يرصد
إنّي سعدت بحبّكم أبداً ومن / يحببكم يا آل أحمد يسعد
مستبصراً والله عين بصيرتي / ما ذاك إلّا من طهارة مولدي[1]

المطرق العبدي ﷫

مطراق رؤوس ذوي الأذناب ومسمار أبصار المخالفين مختومي الألباب، شاعر معروف في مذهب الإماميّة، وذكر له الراغب في باب استحباب التختّم باليمين في كتاب محاضراته هذه القطعة المشتملة على ردّ أهل السنّة في إنكار التختّم باليمين:

قالوا تختّم باليمين وإنّما / مارست ذاك تشبّهاً بالصادق
وتقرّباً منّي لآل محمّد / وتباعداً منّي لكلّ منافق
الماسحين فروجهم بخواتم / اسم النبيّ بهنّ واسم الخالق[2]

ومراده بالصادق في القطعة المذكورة هو الإمام جعفر الصادق القائل: علامات شيعتنا خمس: «تعفير الجبين، والتختّم باليمين، وزيارة الأربعين، وصلاة إحدى وخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم» وإن أكمل القرائة إخفاتاً في موضع الإخفات.

---

(١) لم أعثر على القصيدة في أيّ كتاب عندي وأصلحتها على هدي الذوق وحده، وجعلت شدّة على نون عنان ليستقيم الوزن.

(٢) راجع: مناقب ابن شهرآشوب ج٢ ص٨٩ وسمّاه «مطرف العبدي».

والجدير بالذكر أنّ الراغب في الكتاب المذكور الزمخشري في ربيع الأبرار قد ذكروا أنّ النبيّ ﷺ وأصحابه يتختّمون باليمين، وأوّل شخص تختّم باليسار هو معاوية بن أبي سفيان لعنه الله، وقد أعرض أهل السنّة والجماعة وهم في الحقيقة أهل سنّة معاوية وجماعة يزيد عن السنّة النبويّة وتشبّثوا بسنّة معاوية.

واعترف صاحب كتاب الهداية في الفقه الحنفي باستحباب التختّم باليمين وقال على وجه التعصّب الجاهلي: إنّ التختّم باليمين وإن كان هو الأصل ولكن لمّا اتّخذها الروافض عادة وصار شعاراً لهم اتّخذنا نحن التختّم باليسار شعاراً لنا.

والعجيب في الأمر اعتبار أنفسهم أهل السنّة مع رفضهم سنّة النبيّ واتّباعهم بدعة أهل الضلالة ويسمّون الشيعة أهل البدعة، فقد وسّعوا ميدان الضلالة ورفعوا بنيان الغواية. ومع هذا فإنّ جماعة من أهل السنّة يعدّون ذلك في بعض مؤلّفاتهم من البدعة، وشبّهوا الشيعة بالهرّة إذاما غسلت وجهها بإحدى يديها.

وقال الشيخ الجليل عبدالجليل الرازي في نقض ذلك أنّ الخواجه السنّي إذا كان يرى من الصحيح رفع عين النجاسة في حالة الاستنجاء بيد واحدة فإنّ الشيعة إذا ما اقتدوا برسول الله والأئمّة الطاهرين وغسلوا وجوههم بيد واحدة في الوضوء عسى أن لا يلحق بوضوئهم عيب أو نقصان، ولمّا قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ** ﴾ إلى آخر الآية[1]، فإنّ ظاهر الآية لا يدلّ على غسل الوجه بيد واحدة أو باثنتين، وإذا جاز لبعض الفقهاء بالقياس أو بخبر الواحد حمل الآية على غسل الوجه باليدين كليهما فإنّ للباقر والصادق عليهما السلام أن يحملوها على الغسل باليد الواحدة بالأخبار المتواترة. ثمّ إنّ الشيعة يرون الكراهة جارية في غسل الوجه للوضوء باليد التي

(١) المائدة/٦.

يغسل بها الأسفل في الاستنجاء ولكن بعد ذلك تدير اصبعها على رأسها وتبلغ بها أذنيها فالهرّة نصفها رافضي ونصفها سنّي. وبناءاً على هذا يكون مذهب الهرّة خليط من هذا وذاك فهي تغسل وجهها بيد واحدة كالروافض وتمشي بإصبعها من رأسها إلى مواضعها الأُخرى كالنواصب. وإذا ما عفوت أنا عن نصفها الناصبي وأعفيتها منه فعلى الخواجه أن يعفيها من نصفها الرافضي حتّى يحصل بيننا الوفاق في هذه الشبهة فمرحباً بك يا وفاق.

لأنّ الخلاف لا يستساغ في كلّ مكان، وإذا ما اقتدى الرافضي بالهرّة فليس الاقتداء بها بل هي سنّة المصطفى واختياره، والهرّة مع ذلك طاهرة، وأمّا الناصبي فقد اقتدى بالكلب السنّي الذي يغسل وجهه بكلتا يديه وهو نجس، ليعلم بذلك فلا يكون أجنبيّاً عنه.

قال المؤلّف: ومن جملة فضائح أهل السنّة التي هي أدهىٰ من التختّم باليسار ذلك أنّهم في بلادهم كالشام وماوراء النهر إذاما رأوا شخصاً يحمل مطهرة للاستنجاء والاستبراء أخذوا في التشنيع عليه ونهروه ونسبوه إلى البدعة والرفض، والعجب من ذلك أنّهم لا يغسلون البول والغائط[1].

---

(١) زرت بمعيّة سيّدي الوالد مصر للعلاج وكان فيها طبيب أخصّائي في العيون اسمه «أحمد بهي الدين شلش» ولم نقصده بالذات وإنّما كانت في الأعم الأغلب لمشاهد أهل البيت المشرّفة هناك، وللاطّلاع على أوضاع مصر يومئذٍ، فواجهنا مشاكل جمّة ومن أهمّها أنّنا افتقدنا الوضع السائد عندنا في التطهير وكنّا قد اعتدنا على الماء الغزير والآلة التي نطهّر أنفسنا بها بيسر وسهولة وهي المسمّاة عندنا «بالإبريق» ولم نجد الوسيلة إلّا في حوض الاستحمام نملأه ماءاً ونخلص من المشكلة، وسألناهم: كيف تطهّرون أنفسكم ولم ندر أنّ ذلك عندهم بدعة، ولاحظنا في المرافق الموجودة في بيوت عبادتهم أنّ في كلّ مرفق علبة من علب الفواكه المعلّبة موضوعة على ضحضاح من الماء المجتمع في دائرة صغيرة منخفضة قليلاً عن مستوى الأرض وعليك أن تغرف الماء إذاا جتمع وترشّ به نفسك وهكذا.

ويشبّهون الحمار حين يلتصق بالجدار ويحكّ جنبه ويتطهّر السنّي بهذه الطريقة، والذي يتطهّر بالماء بمقتضى قوله تعالى: ﴿ **وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّماءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ** ﴾[١] ويتّبع القرآن والسنّة يعتبر بذلك رافضيّاً مبتدعاً.

وروي أنّه في عهد السلطان حسن ميرزا گوركان[٢] كان قصّار[٣] من أهل هراة تحوّل إلى مذهب الشيعة بعد أن قضى من عمره سبعين سنة يتعبّد على مذهب أبي حنيفة، ولمّا علم به الناس هاجوا وطالبوا بمؤاخذته فكان طبقاً لفتوى الأحناف مباح الدم، وقالوا للسلطان: هذا القصّار ترفّض ووجب قتله على مذهب الحنفي.

فرحمه السلطان وأراد تأخير قتله، فسأله: بأيّ حجّة عدلت عن مذهب الحنفي إلى مذهب الرفضة؟ فأجابه القصّار: إنّ حجّتي هي أنّي قضيت عمري الطويل أعمل بالقصارة فأُأتىٰ بسراويل الأحناف لغسلها فأجدها ملطّخة بالعذرة، وأجد أُزر الشيعة نظيفة من ذلك، فعلمت من ذلك أنّ للأحناف مذهباً مستقذراً.

الحسين الرواء[٤] أحمد بن منير الطرابلسي رحمه الله

ذكر اليافعي: إنّه شاعر مشهور وكان رافضيّاً هجّاءاً فائق النظم، وله ديوان، وكان بينه وبين ابن القيسراني المنسوب إلى خالد بن الوليد المخزومي وهو من

---

(١) الأنفال/١١.

(٢) گوركان: لقب مختصّ بالسلطان تيمور وكلّ سلطان جليل القدر شريفاً رحيماً يسمّى عندهم: گوركان.

(٣) الذي يدقّ الثياب في الماء ليذهب وسخها.

(٤) كذا هي عند مولانا رحمه الله وأحسبها الرفاء.

الشعراء المشهورين معارضة ومهاجاة ومكاتبات، كجرير والفرزدق في زمانهما، وكانا مقيمين في حلب[١].

وجاء في تاريخ ابن خلّكان المذكور: أحمد بن منير الطرابلسي الملقّب مهذّب الدين، عين الزمان، الشاعر المشهور، له ديوان شعر (متداول بين الجمهور) حفظ القرآن (في مبادئ حاله) وتعلّم اللغة والأدب، وقال الشاعر، وقدم دمشق فسكنها وكان رافضياً كثير الهجاء خبيث اللسان (وكان بينه وبين ابن القيسراني) مكاتبات وأجوبة ومهاجاة..[٢]

يا ابن منير هجوت منّي حبراً أفاد الورى صوابه

ولم تضيّق بذاك صدري فإنّ لي أُسوة الصحابه[٣]

وجاء في تذكرة ابن الفراق أنّ أبا الرضا وهو نقيب الأشراف ومرجع الشيعة في تلك الأطراف والأكناف احتفظ بغلام لابن منير اسمه «تتر» وعاصاه فيه، فنظم ابن منير قصيدة يخوّف بها السيّد المذكور، ويحذّره إن لم يردّ مملوكه تتر فإنّه صائر إلى مذهب أهل السنّة لا محالة، ولمّا بلغت القصيدة السيّد، أمر وكلائه بردّ الغلام على صاحبه لئلا يجنح من الإسلام إلى الكفر، والقصيدة هي:

روحي الفداء لشادن أنا من هواه على خطر

هو كالهلال ملثّماً والبدر حسناً إن سفر[٤]

ويلاه ما أحلاه في قلبي الشجى وما أمر

نومي المحرّم بعده وربيع للّاتي صفر

---

(١) مرآة الجنان ج ٢ ص ٢٥٤ بتصرّف من المؤلّف.

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص١٥٦.

(٣) نفسه ج ٤ ص٤٥٨.

(٤) قبل هذا البيت أربعة أبيات تركها المؤلّف وقد ذكرها صاحب أعيان الشيعة ج ٢ ص ١٨١.

بالمشعرين وبالصفا والبيت أُقسم والحجر
وبحرمة البيت الحرام ومن بناه واعتمر[(١)]
لئن الشريف الموسوي أبو الرضا ابن أبي المضر[(٢)]
أبدى الجحود ولم يردّ إليّ مملوكي تتر
واليت آل أُميّة الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر وعدلت عنه إلى عمر
وأُكذّب الراوي وأطعن في ظهور المنتظر
وإذا رووا خبر الغدير أقول ما صحّ الخبر
وإذا جرى ذكر الصحابة بين قوم واشتهر
قلت المقدّم شيخ تيم ثمّ صاحبه عمر[(٣)]

---

(١) جاء البيت في أعيان الشيعة على النحو التالي:

وبمن سعى فيه ومن لبّى وطاف أو اعتمر

(٢) في الأعيان:

لئن الشريف الموسوي ابن الشريف أبو مضر

(٣)

ما سلّ قط ظبّاً على آل النبيّ ولا شهر
كلّا ولا صدّ البتول عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما شقّ الكتاب ولا نقر
وبكيت عثمان الشهيد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصحفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير بكلّ شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأزجر من لحاني أو زجر

راجع أعيان الشيعة ج٣ ص ١٨١.

وأقول لم يغدر معاوية ولا عمرو غدر
بطل بسوءته يقاتل لا بصارمه الذكر
وأقول ما رفع المصاحف فوق أرؤس من نشر[١]
والأشعريّ بما يؤول إليه أمرهما شعر
قال انصبوا لي منبراً وأنا البريء من الخطر
فعلا وقال خلعت صاحبكم وأوجز واختصر
وأقول إن أخطا معاوية فما أخطا القدر
وأقول ذنب الخارجين على عليّ مغتفر
وأقول أمّ المؤمنين عقوقها إحدى الكبر
ركبت على جمل و زفّت من بنيها في زمر
وأتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسلّ حسامه وسطا وكر
وأذاق إخوته الردى وبعير أمّهم عقر
ما ضرّه لو كان كفّ وعفّ عنهم إذ قدر
وأقول إنّ يزيد ما شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكفّ عن أبناء فاطمة أمر
وقلوب سكّان المدينة ما أخاف ولا ذعر
وعفى وما هتك الحريم كما زعمتم بل ستر
وأباحه ماء الفرات وما حواه وما حظر

---

(١) ورد البيت عند المؤلّف مصحّفاً هكذا: «فوق أرؤس اده» ولم أعثر عليه في مصادري فصلّحته من ذوقي.

وحلقت في عشر المحرّم ... ما استطال من الشعر
وسهرت في طبخ الحبوب ... من العشاء إلى السحر
ونويت صوم نهاره ... وصيام أيّام أُخر
ولبست فيه أجلّ ثوب ... للملابس يدّخر
وغدوت مكتحلاً أصا ... فح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريق ... أقصّ شارب من عبر
وبكيت عثمان الشهيد ... بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته ... جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصحـ ... ـفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير ... بكلّ شعر مبتكر
وجنيت من تمر[1] النوا ... صب ما تتمّر واختمر
وأعنت ضلّال الشئام ... على الضلال المشتهر
وسكنت جلق واقتديت ... بهم وإن كانوا بقر[2]

ونظير هذه الحكاية في التخويف من الانتقال من مذهب إلى مذهب ما ورد في التذكرة نفسها أنّ الشريف الحسن بن زيد ﷺ صادر وزيره على أثر خلاف ارتكبه وحبسه فكتب إليه من الحبس هذه الأبيات وأرسلها إليه:

أشكو إلى الله ما بقيت ... أحببت قوماً بهم بليت
لا أشتم الصالحين جهراً ... ولا تشيّعت ما بقيت
أمسح خفّي ببطن كفّي ... ولو على ميتة وطيت

---

(١) رطب.

(٢) القصيدة برواية المؤلّف تختلف عنها في أعيان الشيعة ففيها التقديم والتأخير والزيادة والنقصان فارجع إليها إن شئت في الكتاب المذكور ج ٣ ص ١٨١.

لم يحصل عندي من أشعار ابن منير في المناقب والمثالب سوى هذه الأبيات المذكورة وبعض أشعاره في الغزل أوردها اليافعي في مرآة الجنان وابن خلّكان في وفياته.

ولد ابن منير نوّر الله قبره في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة في طرابلس، وتوفّي في رواية بدمشق سنة ثمانٍ واربعين وثمانمائة، والله تعالى أعلم.

كثيّر الخزاعي

ويسمّى كثيّر عزّة أيضاً نسبة إلى المرأة التي تدعىٰ عزّة.

ذكر اليافعي في تاريخه: اسمه كثيّر عزّة عبدالرحمن الخزاعي، وكان شيعيًاً غالياً (ولقبه كثيّر بالتصغير) يؤمن بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت، وهو أحد عشّاق العرب المشهورين به، صاحب عزّة بنت جميل بن حفص من بني حاجب بن غفار، وله معها حكايات نوادر وأُمور مشهورة، وأكثر شعره فيها[1].

وكان كثير التعصّب لآل أبي طالب وعبدالملك عالم بذلك، فإذا طلبوا منه شيئاً يفعله او قولاً يقوله أقسموا عليه بحقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقالوا له: أخبرنا عن كذا أو اقرأ لنا شعراً من كذا.

وقال صاحب كتاب «حبيب السير»: إنّ كثيّر عزّة شيعيّ المذهب باتفاق المؤرّخين العرب ومع كونه كذلك فقد كان معاشراً لبني أُميّة مصاحباً لهم، وكان القوم يغضّون الطرف عنه لحسن طبعه وجودة ذهنه، ولا يتعرّضون له بأذى.

قال المؤلّف: يتبادر للذهن من كلام اليافعي وكلام صاحب «حبيب السير» أنّ كثيّر عزّة شيعيّ اثنا عشريّ، والأمر ليس على هذه الشاكلة بل الوجه الذي ذكره

(١) مرآة الجنان ج ١ ص ١٠٢ آلي.

السيّد المرتضى علم الهدى المذكور في كتابه «المشفى» «الشافي» وقد ذكرناه في ترجمة محمّد بن الحنفيّة من كتاب تاريخ ابن خلّكان، أنّه كيسانيّ، وبقي على الكيسانيّة معتقداً بإمامة محمّد بن الحنفيّة ومهدويّته إلى أن مات، ويعتقد بأنّ ابن الحنفيّة سوف يبقىٰ حيّاً حتّى يطبق هذا الدين جميع أقطار المعمورة وهذه الأبيات من نظمه في نعت مذهب الكيسانيّة:

ألا إنّ الأئـمّة مـن قـريش ... ولاة الحـقّ أربـعة سـواء

عـليٌّ والثـلاثة مـن بـنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسـبط سـبط إيـمان وبـرّ ... وسـبط غـيّبته كـربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتّى ... يـقود الخـيل يـقدمه اللـواء

تـغيّب لا يـرى مـنهم زمـاناً ... بـرضوى عـنده عسـل ومـاء

وقال الشيخ عبدالجليل الرازي القزويني في كتاب «النقض» أنّه من جملة محبّي أهل البيت ومادحيه.

وروي أنّه لمّا مدح عبدالملك بن مروان بمقتضى إرادة الظروف، قال له الإمام الباقر عليه السلام مستبعداً ذلك: يا كثيّر، كيف طاوعتك نفسك أن تمدح عدوّنا؟ فقال: يا مولاي، لم أُسمّه في مدحي إيّاه بإمام الهدى وإنّما سمّيته شجاع، والشجاع اسم للحيّة أيضاً، وسمّيته أسداً وهو كلب؛ فتبسّم الإمام ضاحكاً من قوله.

وروي أيضاً أنّ كثير عزّة رُئي راكباً والإمام الباقر عليه السلام يمشي راجلاً، وكان كثيّر لم ير الإمام أو أنّه يتّقي عدوّه، فلم يراع الأدب، فقال له أحد المارّة: ويحك! أنت راكب والإمام يسير على رجليه؟ فأجابه كثيّر: إنّه هو الذي أمرني بالركوب وركبت امتثالاً لأمره وطاعة له، وركوبي وأنا على حال الطاعة له خير من ترجّلي بين يديه وأنا عاصٍ له.

وهذا الجواب جعله السيّد المرتضى علم الهدى في سلك المنظومة للأجوبة الحاضرة.

توفّي كثير في سنة خمس ومائة، رحمه الله تعالى.

أبو تمّام الطائي

اسمه حبيب بن أوس. وذكر في كتاب النجاشي وكتاب الخلاصة أنّه كان إمامياً وله شعر في أهل البيت كثير، وله قصيدة يذكر فيها الأئمّة عليهم السلام حتّى انتهى إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام لأنّه توفّي في أيّامه[1].

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان: وحدّثني أبو تمّام الطائي وكان من رؤساء الرافضة، له كتاب الحماسة وكتاب «مختار شعر القبائل».

وذكر ابن المعتزّ في «تذكرته» طبقات الشعراء صدور بعض مطالعه وقال: ولو استقصينا ذكر أوائل قصائده الجياد التي هي عيون شعره لشغلنا قطعه من كتابنا هذا بذلك، وإن لم نذكر منها إلّا مصراعاً.

وقال أيضاً: إنّ له ستّمائة قصيدة وثمانمائة مقطوعة، وأكثر ما له جيّد، والرديء الذي له إنّما هو شيء يستغلق لفظه، فأمّا أن يكون شعره شيء يخلو من المعاني اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا.

وقال أيضاً: وقد أنصف البحتري لمّا سُئل عنه وعن نفسه، فقال: جيّده خير من جيّدي، ورديّي خير من رديّه[2].

وجاء في التذكرة (الطبقات) أيضاً: وحدّثني أبو الغصن محمّد بن قدامة:

---

(١) رجال النجاشي: ج١ ص١٠٢، خلاصة الأقوال الباب الثالث عشر، حبيب أربعة رجال.

(٢) ابن المعتز: طبقات الشعراء ص٢٨٥ وص٢٨٦.

(أحد معارف أبي تمّام) قال: دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فما كاد يرى فوقفت ساعة لا يعلم بمكاني لما هو فيه، ثمّ رفع رأسه فنظر إليّ وسلّم عليّ فقلت له: يا أبا تمّام، إنّك لتنظر في الكتب كثيراً وتدمن الدرس، فما أصبرك عليها؟ فقال: والله مالي إلف غيرها ولا لذّة سواها، وإنّي لخليق أن أتفقّدها أن أحسن (ولو جلست ساعة بدون مطالعة لأوشكت أن أجنّ)، وإذا بحزمتين واحدة عن يمينه وواحدة عن شماله، وهو منهمك ينظر فيهما ويميّزهما من دون سائر الكتب، فقلت: فما هذا الذي أرى من عنايتك به أوكد من غيره؟ قال: أمّا التي عن يميني فاللّات (هاروت ـ المؤلّف) وأمّا التي عن يساري فالعزّىٰ أعبدهما منذ عشرين سنة (آخذ منهما السحر ـ المؤلّف)، فإذا عن يمينه شعر مسلم ابن الوليد صريع الغواني، وعن يساره شعر أبي نؤاس[1].

وقال ابن خلّكان في تاريخه (وفيات الأعيان): كان أبو تمّام أوحد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أُسلوبه، وله كتاب الحماسة التي دلّت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره، وله مجموع آخر سمّاه «فحول الشعراء» جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهليّة والمخضرمين والإسلاميّين، وله كتاب «اختيارات من شعر الشعراء» وكان له من المحفوظ ما لا يلحقه فيه غيره، قيل: إنّه كان يحفظ أربع عشرة ألف أُرجوزة من العرب غير القصائد والمقاطيع، ومدح الخلفاء، وأخذ جوائزهم[2].

ومنها القصيدة البائيّة التي أنشدها أبو تمّام في مدح أبي دلف العجلي

---

(١) نفسه ص ٢٨٣ وص ٢٨٤.

(٢) ابن خلّكان: وفيات الأعيان ج ٢ ص ١١.

الإمامي[1] فاستحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال له: والله إنّها لدون شعرك، ثمّ قال له: والله ما مثل هذا القول في الحسن إلّا ما رثيت به محمّد بن حميد الطوسي. فقال أبو تمّام: وأيّ ذلك أراد الأمير؟ قال: قصيدتك الرائيّة التي أوّلها:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وددت ـ والله ـ أنّها لك فيّ. فقال: بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدّم قبله. فقال: إنّه لم يمت من رثي بهذا الشعر.

وقال العلماء: خرج من قبيلة طيّ ثلاثة كلّ واحد مجدي في بابه، حاتم الطائي في جوده، وداود بن نصير الطائي في زهده، وأبو تمّام حبيب بن أوس في شعره... ولم يزل شعره غير مرتّب حتّى جمعه أبوبكر الصولي ورتّبه على الحروف.

وكانت ولادة أبي تمّام سنة تسعين ومائة، وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وسبعين ومائه بجاسم وهي قرية من بلد الجيدور من أعمال دمشق وطبريّة، ونشأ بمصر وتوفّي بالموصل ـ على ما تقدّم ـ في سنة إحدى وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى.

قال البحتري: وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسي قبّة[2].

وذكر الرواه أنّ سبب جمعه لكتاب الحماسة أنّه لمّا عاد من نيسابور قاصداً عراق العرب بلغ همدان ووافاه الشتاء هناك فنزل ثلج كثير حتّى سدّ المطالع والمنافذ، وتوقّفت القوافل عن السفر، وكان في البلد أبو الوفاء محمّد بن

---

(١) أوّلها:

علی مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

(٢) نفسه ج٢ ص١١ وما بعدها.

عبدالعزيز وهو أديب من أولاد الرؤساء وكان يحسن نظم الشعر، فأخذ أبا تمّام إلى بيته وشغل نفسه برعايته وخدمته، ولمّا طال بقاء أبي تمّام هناك وحجبه السفر عن الرحيل جاءه مضيفه بكتبه فاختار منها شعر الحماسة وأبقى نسخة منها عند أبي الوفاء فوقعت كتبه كلّها بيد رجل من أهل الدينور يُدعى أبا العواذل الدينوري وقالوا: كان ذلك قد حدث سنة سبعين ومائتين من الهجرة النبويّة فاستنسخ الدينوري منها نسخة سقيمة مصحّفة ونقلها إلى اصفهان، فرغبت في تداولها قوم من أهل اصفهان مما فيها من الخلل والتصحيف، وأرسل أبابكر الخيّاط إلى الأطراف والأكناف بحثاً عن الشعر الذي يماثل أشعار الحماسة وما برح يتعهّد بإصلاح ما فسد منه حتّى استوى كتاب الحماسة بشكله المعهود وأفاد الناس منه.

ولا يخفى أنّ حال المؤلّف لهذا الكتاب يشبه حال الشيخ الاصفهاني في روايته لأكثر أشعار الشعراء العرب حيث روى كتاب الحماسة من تلك النسخة السقيمة غير المستقيمة، وأسأل الله أن يهب لنا اليوم الذي نوفّق فيه لتصحيحها، والله الموفّق.

أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري الطائي ﷺ

قال السمعاني: بحتر: بطن من طيّء (والمشهور بهذه النسبة الشاعر المعروف أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري مدّاح المتوكّل (ومعاصره) وكان من منبج الشام.

وجاء في تاريخ اليافعي: أمير شعراء العصر وحامل لواء القريض الوليد بن عبيد الطائي، ويقال لشعر البحتري: سلاسل الذهب وهو في الطبقة العليا..[1]

---

(١) مرآة الزمان ج ١ ص٢٩٥.

ولد في منبج من الشام ونشأ فيها وارتحل إلى العراق ومدح المتوكّل العبّاسي وغيره من الخلفاء والأكابر والرؤساء من أهل بغداد، وأقام هناك مدّة مديدة ثمّ عاد إلى الشام.

ونقل عنه أنه قال: أوّل أمري في الشعر ونباهتي فيه أنّي ذاهب إلى أبي تمّام وهوبحمص فعرضت عليه شعري فكان يجلس فلا يبقىٰ شاعر إلّا قصده وعرض عليه شعره، فلمّا سمع شعري أقبل وترك سائر الناس، فلمّا تفرّقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت، فكتب إلى أهل معرّة النعمان وشهد لي بالحذق، وشفّع لي إليهم وقال: امتدحهم، فصرت إليهم فأكرموني بكتابه وقطعوا لي أربعة آلاف درهم، وكانت أوّل مال أصبته.

ونقل عنه أيضاً أنّه قال: أنشدت أبا تمّام شيئاً من شعري فأنشد بيت أوس بن حجر بفتح الحاء والجيم:

إذا مقرم منّا ذرا حدّ نابه تخمّط فينا ناب آخر مقرم[1]

وقال: نعيت إليّ نفسي فقلت: أُعيذك باللّه من هذا، فقال: إنّ عمري ليس يطول وقد نشأ لطيّ مثلك، أما علمت أنّ خالداً بن صفوان المنقري رأى شبيب بن شيبة وهو من رهطه يتكلّم، فقال: يا بني، نعيت إليّ نفسي بإحسانك في كلامك، لأنّا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلّا مات من قبله. قال: فمات أبو تمّام بعد سنة من هذا.

ويقال: إنّه قيل لأبي العلاء المعرّي: أيّ الثلاثة أشعر؟ أبو تمّام أم البحتري أم المتنبّي؟ قال: أبو تمّام والمتنبّي حكيمان، والشاعر البحتري.

---

(١) ذرا: سقط. تخمّط ـ بالخاء المعجمة والطاء المهملة ـ يقال: في الفحل إذا هدر وفي الإنسان إذا غضب.

ولم يزل شعره غير مرتّب حتّى جمعه أبوبكر الصولي ورتّبه على الحروف.
وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس ومائتين.
وقال ابن الجوزي: وتوفّي وهو ابن ثمانين سنة (وقيل: لم يبلغ الثمانين).
وقال الذهبي: ابن بضع وسبعين سنة، ووفاته في سنة ستّ وثمانين، وقيل: في التي بعدها، وقيل: في سنة ستّ وثمانين، والله تعالى أعلم.
وجعله الشيخ عبدالجليل الرازي في سلك شعراء الشيعة.
ولمّا خلت أيدينا من شعره الذي يدلّ على صحّة عقيدته عند تأليف هذا الكتاب لذلك اكتفينا بهذا القدر من ترجمة أحواله.

أبوالقاسم عليّ بن إسحاق بن خلف البغدادي

ذكر ابن خلّكان أنّه يعرف بالزاهي الشاعر المشهور وكان وصّافاً كثير الملح.
(وذكره الخطيب في تاريخ بغداد) فقال: إنّه حسن الشعر في التشبيهات وغيرها.

وذكره عميد الدولة أبو سعد بن عبدالرحيم في «طبقات الشعراء» فقال: ولد يوم الاثنين لعشر ليال بقين من صفر سنة ثماني عشرة وثلثمائة وتوفّي يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادىٰ الآخرة سنة اثنين وخمسين وثلثمائة ببغداد، ودفن في مقابر قريش (وشعره في أربعة أجزاء) وأكثر شعره في أهل البيت، ومدح سيف الدولة والوزير المهلّبي وغيرهما من رؤساء وقته (من الشيعة الإماميّة) وقال في جميع الفنون[1] (وأشعاره في الغزل مذكورة في تاريخ ابن خلّكان وفيات الأعيان).

---

(١) راجع وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٧١.

الأديب الظريف الخليع اللطيف أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمّد ابن جعفر ابن الحجّاج البغدادي رحمه الله تعالى

الكاتب الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره. كان فرد زمانه في فنّه، فإنّه لم يسبق إلى تلك الطريقة مع عذوبة الألفاظ وسلامة شعره من التكلّف (ومدح الملوك والأُمراء والوزراء والرؤساء) وديوانه كبير أكثر ما يوجد في عشر مجلّدات، والغالب عليه الهزل، وله في الجدّ أشياء حسنة، وتولّى حسبة بغداد، وأقام بها مدّة.

ويقال: إنّه في الشعر في درجة امرئ القيس ولم يكن بينهما مثلهما لأنّ كلّ واحد منهما مخترع طريقة.

وكانت وفاة الحجّاج يوم الثلاثاء السابع والعشرون من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بالنيل (يوم تسع وعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسعين وثلثمائة في النيل وهو موضع بين الكوفة وبغداد ـ المؤلّف) وحمل إلى بغداد رحمه الله تعالى ودفن عند مشهد موسى بن جعفر عليه السلام، وأوصى أن يُدفَن عند رجليه وأن يكتب على قبره: ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾[1].

وقال ابن خلّكان أيضاً: وكان من كبراء الشعراء الشيعة، ورثاه الشريف الرضي بقصيدة (السيّد الأجلّ المجتبى الشريف الأمير رضي الدين موسى عليه الرحمة ـ المؤلّف)[2].

---

(١) الكهف/١٨.

(٢) وفيات الأعيان ج٢ ص١٦٨ ولم يذكر شيئاً من رثائه، وذكره ابن خلّكان:

نعوه على حسن ظنّي به فلله ماذا نعى الناعيات

←

ورأيت في بعض الكتب أنّ سبب اختيار ابن الحجّاج هذا الفنّ من الشعر أنّه قال: كان لأبي دكاكين وعقارات موصولة ببيتنا وكان يحضرها الغرباء والعيّارون والشطّار وأهل القرى والأرياف، وكنت أسمع ما يدور بينهم من السخف والكلام الساقط المسترذل في أيّام نشاطهم، وأكتب ما أسمع، وكنت أسأل عن قائل الفحش إذا لم أعرفه، وسلخت زمناً من عهد الصبا على هذا المنوال حتّى تمرّست في لغة تخاطبهم وفهمتها وصرت أصمعيّ تلك البادية، وكان الشعر الذي تسمعونه نابعاً من هذا المصدر.

وأكثر أشعاره في مناقب أهل البيت عليهم السلام ومثالب أعدائهم ومدح أشراف بغداد وسلاطين آل بويه ووزرائهم، ولمّا فقدت الصلة بأشعاره عند تأليف هذا الكتاب اقتصرت على ذكر شيء من شعره في مثلبة واحد من أعدائهم الجفاة وبيان حال نطفته وهل هي من سفاح أو نكاح:

من جدّه خاله ووالده … وأُمّه أُخته وعمّته

أجدر أن يبغض الوصيّ وأن … يجحد يوم الغدير بيعته

وبيان ذلك على الوجه الذي ذكره محمّد بن شهرآشوب المازندراني وغيره من علماء الأنساب والسير أنّ «صهاكاً» جارية حبشيّة لعبدالمطّلب عليه السلام وكانت ترعى له إبله، فقصد نفيل ذات يوم المكان الذي ترعىٰ به الإبل فهويها ووقع عليها فاشتملت منه على الخطّاب وحملت به وولدته، فلمّا بلغ أشدّه ووقعت عينه على عجزيتها تحرّكت فيه الشهوة فوقع عليها وأحبلها واشتملت منه على

⬅ رضيع لبان له شعبة … من القلب مثل رضيع اللبان
وما كنت أحسب أنّ الزمان … يفلّ مضارب ذاك اللسان
بكيتك للشرد السائرات … تعنق ألفاظها بالمعاني

أنثى سمّوها (خثيمة) حنتمة[1]!! فخافت من مولاها فطوتها في الصوف ورمتها في أجمة قصب هناك ومرّ هشام بن المغيرة عليها فانتشلها منها وحملها إلى بيته وربّاها وسمّاها (خيثمة) حنتمة ولمّا بلغت الصبية مبالغ النساء تاقت نفسها إلى طروقة الفحل فطلبت من هشام أن يضاجعها وبقيت عنده حتّى حملت بـ«عمر» وولد الرجل في نحو من هذه الظروف المعقّدة، وبناءاً على هذا فمعادلة نسبه تكون على هذا المنوال حيث يكون الخطاب أباه وجدّه وخاله، وخيثمة أُخت ابن الحلال ذاك وعمّته.

وفي روايةٍ: إنّ عبدالمطّلب قبض على الخطّاب وكواه من خلفه برأسه إلى أُذنيه ووضع بين عينيه علامة النار الحبشيّة وأخرج صهاكاً من مكّة وسيّرها إلى الطائف فهلكت هناك.

والحقّ يقال: إنّ عمر أخذ بثأر النار التي كوي بها أبوه فسلّط على أولاد عبدالمطّلب نار الفقر والحرمان والنكال واختلال الحال.

ومن الأخبار التي تناسب هذا المقام قصّة نسب معاوية اللعين وعمرو بن العاص الذي ليس له دين. فقد ذكر صاحب الكشّاف في كتابه «ربيع الأبرار» فقال: كانت النابغة أُمّ عمرو بن العاص أمة رجل من عنزة فسُبيت فاشتراها عبدالله بن جدعان فكانت بغيّاً ثمّ عتقت ووقع عليها أبولهب وأُميّة بن خلف وهشام بن المغيرة وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل في طهر واحد، فولدت

---

(١) أنا على يقين مِن أنّ مولاي الشهيد يغلي صدره غضباً وحقداً على «الرجل» لما لقيت جدّته سيّدة النساء منه ولما لقي هو من أصحابه وأتباعه وإلّا فلا أظنّ أنّه يخفى على مولاي الشهيد أنّ أُمّ هذا الرجل هي حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وهي وإن كانت من فصيلة تلكم النساء ومن قطع جدّته الحبشيّة وهو مصداق لقول المصطفى «لا يبغضك إلّا ابن زنا» إلّا أنّ نسب أُمّه معروف بين الخاصّة والعامّة.

عمراً فادّعاه كلّهم، فحكّمت فيه أُمّه، فقالت: هو للعاص لأنّ العاص كان ينفق عليها وقالوا كان أشبه بأبي سفيان، وفي ذلك يقول أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطّلب:

أبوك أبو سفيان لا شكّ قد بدت لنا فيك منه بيّنات الشمائل

وكان معاوية يُعزى إلى أربعة: إلى أبي عمر بن مسافر، وإلى أبي عمارة بن الوليد (عمارة ـ الزمخشري)، وإلى العبّاس بن عبدالمطّلب، وإلى الصباح مغنّي أسود كان لعمارة.

قالوا: كان أبوسفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان شابّاً وسيماً فدعته هند إلى نفسها.

وقالوا: إنّ عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً وإنّها كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك، وفي ذلك يقول حسّان:

لمن الصبي بجانب البطحاء (في الأرض) ملقى غير ذي مهد

نجلت به بيضاء آنسة من عبد شمس صلتة الحسد

انتهى كلامه[1].

ولا يخفى أنّ أُميّة الذي ينسبون إليه لم يكن من عبد شمس من صلبه بل كان مملوكاً من الروم، ولمّا حالف عبد شمس نسب إليه، وكذلك العوام والد الزبير لم يكن ابن خويلد بل كان عبده، ولمّا تبنّاه نسب إليه. والدليل على أنّ بني أُميّة ليسوا من قريش صليبة بل أُلحقوا بهم إلحاقاً أنّ معاوية كتب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام بعض كتبه وفيها هذه العبارة: «إنّما نحن وأنتم بنو عبد مناف»، فكتب الإمام عليه السلام

(١) ربيع الأبرار ج١ ص٣٦٤ آلي.

في جوابه: ليس المهاجر كالطليق، وليس الصريح كاللصيق[١]، ولم يستطع معاوية إنكار ذلك.

ونسب الزبير الشريف سبق ذكره في المجلس الذي ترجمنا فيه لعدي بن حاتم.

وأمّا نسب طلحة وهو من الرجال المقتدىٰ بهم عند أهل السنّة والجماعة فهو على الوجه الذي ذكره هشام بن محمّد بن السائب الكلبي في كتاب المثالب أنّ الصعبة بنت الحضرمي ـ وهي أُمّ طلحة ـ كانت من جماعة «البغايا» والفواحش وقد اشتهرت بذلك شهرة حملتها على وضع راية حمراء على بابها تعلن بذلك أمرها للفسّاق والراغبين، فوقع عليها أبوسفيان وبعد ذلك تزوّجها عبيدالله بن عثمان التيمي فولدت طلحة بعد مضي ستّة أشهر على هذا الزواج، فوقع نزاع بين أبي سفيان وبين عبيدالله هذا على الوليد الغريز، فحكّموا أُمّه الصعبة في نهاية الأمر فألحقته بعبيدالله، ولمّا عاتبها الناس وقالوا لها: مع وضوح الشبه بين أبي سفيان وطلحة كيف ألحقتيه بعبيدالله؟ فقالت: كان عبيدالله جواداً سخيّاً، وكان أبو سفيان شحيحاً، فما أحببت العيش معه.

«ونسب يزيد بن معاوية»

عليهما اللعنة فإنّه على الوجه التالي: فإنّ أُمّه كانت ابنة بجدل الكلبيّة فعشقت غلام أبيها وعلقت بيزيد من نطفته ونظم النسّابة البكري وهو من علماء أهل السنّة هذين البيتين في مقام نسبه وقال:

فإن يكن الزمان أتى علينا ... بقتل الترك والموت الوحي
فقد قتل الدعيّ وعبد كلب ... بأرض الطف أولاد النبي

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٣٢ ص١٠٧.

أراد بالدعي عبيدالله بن زياد لعنه الله، فإنّ أباه زياد بن سميّة مشهور بالزنا، وولد على فراش أبي عبيد عبد بني علاج من ثقيف، فادّعى معاوية أنّ أبا سفيان زنىٰ بأُمّ زياد فأولدها زياداً وإنّه أخوه، فصار اسمه الدعي، وكانت عائشه تسمّيه زياد بن أبيه لأنّه ليس له أب معروف، ومراده بعبد كلب يزيد بن معاوية لأنّه من عبد بجدل الكلبي[1].

ونسب عمر بن سعد بن وقّاص

الذي شارك ذلك النغل في حرب الحسين عليه السلام وهو على الوجه التالي: إنّ نسب سعد أبيه إلى الوقّاص لا يصحّ بل هو من نطفة شخص من بني عذرة، وكان إلفاً لأُميّة وصديقاً له، والدليل على ذلك أنّ سعداً حين قال لمعاوية: أنا والله أولى منك بسريرك هذا! فقال له معاوية: يأبى ذلك ذلك بنو عذرة، فكنّى عن الدعوة ـ بكسر الدال ـ التي يرمىٰ بها بهذا القول، وللسيّد إسماعيل الحميري شعر يتضمّن هذا المعنى:

قوم تداعو زنيماً ثمّ ساد بهم … لولا خمول بني سعد لما سادا[2]

ولنعم ما قيل في شأن هؤلاء وأمثالهم من أعداء أميرالمؤمنين عليه السلام:

محبّت شه مردان مجو زبی‌پدری … كه دست غيرگرفتست پای مادر را

بغض الوصي يدلّ أنّ عدوّه … علقت بكفّ الغير رجلا أُمّه

ومن جملة أشعاره اللطيفة التي أوردها صاحب كتاب الطرائف في باب ردّ المجبّرة:

---

(١) راجع بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٠٩.

(٢) ديوان السيّد ص ٧٢ وفيه: ثمّ سادهم. وبني زهر مكان بني سعد، وقال جامع ديوانه: بنو زهرة قبيلة بني سعد.

المجبرون يجادلون بباطل وخلاف ما يجدون في القرآن
كلّ مقالته الإله اضلّني وأراد بي ما كان عنه نهاني
أيقول ربّك للخلائق آمنوا جهراً ويجبرهم على العصيان
إن صحّ ذا فتعوّذوا من ربّكم وذروا تعوّذكم من الشيطان(١)

ولا يخفى على أحد أنّ مشركي قريش كانوا بجملتهم جبريّين، والله تعالى حذف ذلك والمذهب واشتهر بين الناس «أنّ العدل والتوحيد علويّان، والجبر والتشبيه أمويّان» وأحيا معاوية وابنه يزيد عليهما ما استحقّاه ذلك في عهديهما فتبعهما أهل زمانهما، والغرض الأصلي من هذه النظريّة هي توجيه شقاوة الأشقياء بردّها إلى إرادة الله وأنّ صاحبها قد قدّر عليه ذلك من ربّه، ولا إرادة للعبد في ذلك فهو إذن مضطرّ ومجبور، وبذلك يعتذرون عن الصحابة والتابعين الذين ظلموا أهل بيت النبيّ ﷺ وغصبوا حقّهم بالظلم والعدوان والتجبّر والطغيان، وأفتى من أفتى منهم بإباحة دم أهل البيت فاعتبرهم العامّة بجرأة متناهية أنّهم مستحقّون لذلك ،ولكن ذوي العقول من الأُمّة شنّوا غارة من اللوم والتقريع على فاعلي تلكم الجرائم لذلك عمد هؤلاء القوم إلى اختراع هذا المذهب الباطل ونشره بين الناس وفحواه أنّ العبد لا إرادة له في الفعل ولا سلطان، والفاعل هو الله، والعبد مسيّر لأنّ إرادة الله تعلّقت بهذا الفعل وهو الذي أراده، فما شأن العبد وما قيمته ؟! إنّما الأمر كلّه متعلّق بالتقدير ليجري هذا المقدّر كي تتقاصر لعنات الناس عنهم وتخف وطأتها عليهم.

وأقوى شبهة تذرّعوا بها هو ما رأوه أو سمعوه في عبارات الشارع من أنّ الله تعالى خالق الخير والشرّ، ولم يعلموا أنّ المراد من الشرّ لم يكن الفعل القبيح قط

---

(١) السيّد ابن طاووس: الطرائف ص ٣٢٠.

بل الأمر الذي في ظاهره يشتمل على مضرّة مثل خلق السباع والحشرات ومثل القحط والوباء وإن كانت هذه لا تخلو من وجود حكمة تلبّست بأصل وجودها.

إبراهيم بن عليم بن سلمة بن هرمة القرشي رحمه الله تعالى

جاء في تذكرة ابن المعتز (طبقات الشعراء) أنّه: حجازيّ سكن المدينة وكانت له مدائح (في خلفاء العبّاسيّين) ومناقب عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وزيد بن الحسن عليهما السلام[1] وفي أيّام المنصور وكانت أيّام تقيّة (إبراهيم)[2] (فلمّا خرج محمّد بن عبدالله على المنصور قعد عنه) وقيل له يوماً (وقد اتُّهم بالتشيّع): أنت القائل:

ومهما أُلام على حبّه ... فإنّي أُحبّ بني فاطمه

بني بنت من جاء بالمحكمات ... والدين والسنّة القائمه

فقال: قائلها من عضّ بظر أُمّه.

فقال له ابنه: يا أبت، ألست تقولها في وقت كذا وكذا؟

فقال: يا بُنيّ، أيّهما خير: أعضّ بظر أُمّي أم يأخذني ابن قحطبة؟!

وجاء في التذكرة (طبقات الشعراء) أيضاً: إنّه مدح الحكم بن عبدالمطّلب وكان الحكم من أسخياء زمانه، فقال له شخص بعد وفاة الحكم ذات يوم: لقد شاخ شعرك؟ فقال: ما شاخ شعري ولكنّ مكارم الأخلاق شاخت بعد الحكم[3].

---

(١) جاء في الطبقات «وفي حسن بن زيد عليه السلام» ولعلّ هذا هو الصحيح لأنّه المأمّر على المدينة وليس أباه لاحظ صفحة ٢٠ وصفحة ٢١ منه.

(٢) إبراهيم مضاف إليه وليست عبارة الطبقات هكذا بل ما جاء بعد عبارة إبراهيم.

(٣) الذي جاء في الطبقات ما يلي: وله في الحكم بن المطّلب يمدحه:

لا عيب يوجد فيك إلّا أنّني ... أمسي عليك من المنون شفيقا

وانتهى الأمر ص ٢١. والظاهر أنّ في الفصل سقط بل في الكتاب كلّه سقط كثير.

سديف بن ميمون الكوفي القرشي

قال عبدالله بن المعتز: كان سديف شاعراً مفلقاً وأديباً بارعاً وخطيباً مصقعاً، وكان مطبوع الشعر حسنه، وادّعىٰ سديف ـ بذلك[١] ـ ولاء بني هاشم. وكان سديف في أيّام بني أُميّة يقول: هو بريء من جورهم وظلمهم وعدوانهم (اللهمّ صار فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبه بعد الشورى.. الخ) ولمّا انتهت دولة بني أُميّة واستخلف أبوالعبّاس السفّاح العبّاسي وكان به عارفاً من قبل فاستوى على راحلته وتوجّه إليه ونظم القصيدة التالية في مدحه وتهنئته بمصير الخلافة إليه ويحرّضه في ضمنها على استئصال بقيّة الأمويّين، فقرأها عليه وهذه بعض أبياتها:

أصبح الملك ثابت الأساس ... بالبهاليل من بني العبّاس

فاذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيلاً بجانب المهراس[٢]

والقتيل الذي بحرّان أمسىٰ ... ثاوياً رهن غربة وتناسي[٣]

ذلّها أظهر التودّد منها ... ولها منكم كحزّ المواسي

أنزلوها بحيث أنزلها الله ... بدار الهوان والأتعاس

وفي مجلس آخر وهو مشحون بخلافات بني أُميّة ذكر أنّ هذه الأبيات قُرئت على أبي العبّاس (يشير إلى البيتين أدناه):

لا يغرّنّك ما ترى من رجال ... إنّ تحت الضلوع داءاً دويّا

---

(١) وكان سبب ادّعائه ولاء بني هاشم أنّه تزوّج مولاة لأبي لهب فادّعىٰ ولائهم ودخل في جملة مواليهم على الأيّام، وقيل: بل أبوه كان المتزوّج مولاة اللهبيّين وفي الشعر والشعراء مولى بني العبّاس وشاعرهم، ويقال: إنّه كان مولى لامرأة من خزاعة وكان زوجها من اللهبيّين فنسب إلى ولاء اللهبيّين / عن هامش طبقات الشعراء لفرّاج ص٣٧.

(٢) هو حمزة بن عبدالمطّلب، والمهراس ماء بأُحد / هامش الطبقات ص٣٩.

(٣) هو إبراهيم بن محمّد بن عليّ الإمام رأس الدعوة العبّاسيّة.

فخذ السيف واطرح السوط حتّى لا ترى فوق ظهرها أمويّا

إلى أن قال له أحد أعلام بني أُميّة وهو يقرأ الشعر قولاً يشتمه به والخليفة حاضر يسمع، فغضب الخليفة غضباً شديداً إلى أن أمر بقتل القوم على الكيفيّة التي ذكرت في ترجمة السفّاح مفصّلة. ووضعوا البسط عليهم وعلى أتباعهم ثمّ أمروا بالطعام فأكلوا وهم يضطربون تحتهم.

وروى الرواة أنّ السفّاح رأى سديداً المذكور وهو يأكل بيد ويمسح الأرض باليد الأُخرى من ورائه، فناداه السفّاح: ما الذي تصنعه يا سديد؟ فقال: بقي واحد من هؤلاء الملاعين لم يمت فأنا مطبق بيدي على حلقومه لقتله، فضحك السفّاح وأحسن إليه.

ولمّا خرج إبراهيم بن عبدالله بن الحسن على المنصور في خلافته في البصرة، هرب سديف منه والتحق بإبراهيم وأظهر العداوة لبني العبّاس وصعد إبراهيم يوم الجمعة المنبر ليخطب فقام سديد مقبلاً عليه بوجهه فقرأ هذين البيتين بصوتٍ عال:

أيها أبا إسحاق مليّتها[1] في صحّة منك وعمر طويل

اذكر هداك الله رجل الأُولى سرىٰ بهم في مصمتات الكبول[2]

ولمّا قُتِل إبراهيم، هرب سديد وتوارى حتّى سكنت تلك الفورة ثمّ كتب إلى المنصور يسأله أن يمنّ عليه بالعفو، فكتب المنصور إلى عمّه يأمره بقتله، وقيل أيضاً: إنّه حمل إلى المنصور فدفنه حيّاً.

---

(١) ذكر المؤلّف: مستلثماً، والتصحيح من الطبقات. وقال المحقّق: في الأصل مستلثماً وصوّبها (ق) من الشعر والشعراء، راجع ص ٤١.

(٢) في الطبقات «ذحل» بدل «رجل»، وصوّبها «ق» عن الشعر والشعراء، هذا والذحل الثأر، والكبول القيود. هامش فرّاج على الطبقات ص ٤١.

منصور بن سلمة بن الزبرقان النمري

جاء في تذكرة ابن المعتز «طبقات الشعراء» أنّه من أهل رأس العين، ويكنىٰ أبا الفضل، وكان بحسب الظاهر مبتلىً بعذاب صحبة هارون الرشيد ولكنّه في باطنه من محبّي أهل البيت الطاهر.

وذكر ابن المعتز في تذكرته (طبقات الشعراء) أنّ بين النمر وبين العتابي منافسة شديدة جرت إلى نزاع وجرّ النزاع إلى عداء شديد إلى أن كان ذات يوم وكان النمري قد غاب عن مجلس الرشيد إلى الرقّة فرأى العتّابي الفرصة قد سنحت حين انجرّ الكلام إلى ذكر الشيعة فذكر للرشيد قصيدة النمري في مدح أهل البيت وذمّ أعداءهم وهذه الأبيات منها:

شاء من الناس راتع هامل ... يعلّلون النفوس بالباطل
تقتل ذريّة النبي ويرجون ... خلود الجنان للقاتل
ويلك يا قاتل الحسين لقد ... جئت بغي ينوء بالحامل[1]
أيّ حباء حبوت أحمد في ... حفرته من حرارة الثاكل
بأيّ وجه تلقى النبيّ وقد ... دخلت في قتله مع الداخل
هلمّ فاطلب غداً شفاعته ... أو لا فرد حوضه مع الناهل
ما الشكّ عندي في حال قاتله ... لكنّني قد أشكُّ في الخاذل
نفسي فداء الحسين يوم غدا ... إلى المنايا غدوّ لا قافل
ذلك يوم أخنى بكلكله[2] ... على سنام الإسلام والكاهل
حتّى متى أنت تعجلين ألا ... تنزل بالقوم نقمة العاجل

---

(١) في الطبقات: جئت بحمل الخ.

(٢) في الطبقات: بشفرته الخ.

لا يعجل القوم إن عجلت وما ربّك عمّا ترين بالغافل

أعاذلي إنّني أحبّ بني أحمد والترب في فم العاذل

قد دنت ما دينكم عليه فما وصلت من دينكم إلى طائل

دينكم جفوة النبي وما الجافي لآل النبي كالواصل

فلمّا بلغ قوله في ذكر فاطمة عليها السلام وأمر فدك وذكر أبي بكر و«زعمه[1]» أنّهما ظلماها في أمر فدك وهو قوله:

مظلومة والإله ناصرها تدير أرجاء مقلة حافل

قال له الرشيد: يا عتّابي، من قال هذا؟

قال: عدوّك يا أميرالمؤمنين الذي تظنّ أنّه وليّك، ثمّ مضى العتّابي في القصيدة حتّى بلغ الأبيات التي يثلب بها بني العبّاس ويحرّض الناس على الخروج عليهم، عند ذلك اعتدل الرشيد في مجلسه وقال: ويلي على ابن الفاعلة (الزانية) يحضّ الناس على الخروج عليّ يضمر عداوتي ويظهر من موالاتي ما يظهر، وقد اقتنى منّي هذه الأموال ومنزلته هذه المنزلة.

قال ابن المعتز: وكان النمري يدين بالإمامة سرّاً ويمدح آل الرسول ويعرض في شعره بالسلف، والرشيد لا يعلم ذلك حتّى كثر وكان ذلك اليوم، ثمّ أقبل العتابي يحضّه ويذكر مذهبه ويذكر شعره في الطالبيّين شيئاً بعد شيء، فدعا الرشيد بأبي عصمة الشيعي وهو من الزيديّة في شيعة بني العبّاس وقال له: أُخرج من ساعتك إلى الرقّة فخذ منصوراً النمري فسلّ لسانه من قفاه واقطع يده ورجله ثمّ اضرب عنقه واحمل إليّ رأسه، واصلب هناك بدنه.

فخرج أبو عصمة لذلك فلمّا صار بباب الرقّة وهو يدخل المدينة إذا هو

---

(١) القول لابن المعتز.

بجنازة النمري قد استقبلته فانكفأ راجعاً إلى الرشيد فأعله (فقال له: فألّا إذ صادفته ميّتاً أحرقته بالنار؟)[١]

ونجى هذا المحبّ الفدائي ببركات أهل البيت من عذاب ونكال هارون، ورحل مسرعاً إلى دار الوصال.

وروى سيّدنا الأجل المرتضى علم الهدى قدّس الله روحه الشريفة في كتاب الغرر والدرر بإسناده عن الجاحظ أنّه قال: كان منصور النمري ينافق الرشيد ويذكر هارون في شعره ويريه أنّه من وجوه شيعته وباطنه ومراده بذلك أنّه عليّ ابن أبي طالب عليه السلام لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إذ وشى به عنده بعض أعدائه وهو العتّابي، فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ النمري منافق وهو يمدح آل عليّ ويذكر مثالب آل العبّاس، وقرأ عليه شيئاً من ذلك، فوجّه هارون برجل (من فزارة) وأمره أن يضرب عنق «منصور» حيث تقع عينه عليه، فقدم الرجل ورأى عين من بعد موت «منصور» بأيّام قلائل، ونجى ببركة محبّة أهل البيت من هارون الرشيد ولم يصل ضرر إليه، ومن الأبيات التي ذكر فيها هارون وهو يريد صاحب الإرادة الهارونيّة قوله:

آل الرسول خيار الناس كلّهم … وخير آل رسول الله هارون

رضيت حكمك لا أبغي به بدلاً … لأنّ حكمك بالتوفيق مقرون[٢]

ومن شعره في مدح آل رسول الله هذان البيتان وهما:

آل النبيّ ومن يحبّهم … يتطامنون مخافة القتل

---

(١) طبقات ابن المعتز ص ٢٤١ إلى ص ٢٤٤.

(٢) اضطررت إلى تلفيق نصّ الأمالي فداخله كثير من تعابير سيّدنا المؤلّف لذلك يعتبر هذا تصرّفاً بالنصّ منّي ج ٤ ص ١٨٧.

أمن النصارى واليهود وهم — من أُمّة التوحيد في أزل[١]

قال ابن المعتز: وأشعار النمري في آل الرسول ﷺ كثيرة جيّدة[٢] من أجود ما مدحوا به البيتان السالفان، ومن الأبيات التي قالها تقيّة وخوفاً على نفسه في شأن بني العبّاس هذه الأبيات الأربع:

يا ابن الأئمّة من بعد النبي ويا ابن — الأوصياء أقرّ الناس أو دفعوا

إنّ الخلافة كانت إرث والدكم — من دون تيم وعفو الله متّسع

لولا عديّ وتيم لم يكن وصلت — إلى أُميّة تمريها وترتضع

وما لآل عليّ في ولايتكم — حقّ ولا لهم في إرثكم طمع

وهذا حقّ لأنّ ولاية بني العبّاس باطلة وأهل البيت ليس لهم حقّ في الباطل وإنّما ولايتهم هي الحقّ ولسيت الباطل.

وأمّا قوله: «ولا لهم في إرثكم طمع» فهي قضيّة سالبة بانتفاء موضوعها وليست صادقة لأنّ آل العبّاس لا يرثون من رسول الله شيئاً وسوف نبيّن ذلك لاحقاً.

وأمّا ما قاله من أنّ العمّ أولى من ابن العمّ فإنّ فقهاء الدولة العبّاسيّة اخترعوا ذلك ولا يقبل ذلك علماء الإماميّة على الإطلاق وإنّما اخترعوه تزلّفاً لبني العبّاس وهو يعتبر من البدع والخرافات، والظاهر أنّ النمري قال ذلك من قبيل الهزء بالعبّاسيّة.

وتحقيق هذه المسألة أنّ ابن العم الشقيق مثل أميرالمؤمنين عليه السلام أولى بالميراث من أبناء العلّات[٣] كالعبّاس ـ مثلاً ـ وارجعوا إلى ترجمة الشيخ

(١) طبقات ابن المعتز ص٢٤٦، والأزل: الوقوع في الشدّة والضيق.

(٢) نفسه ص٢٤٧.

(٣) الإخوة لأب واحد من أُمّهات شتّى / معجم أحاديث المهدي ص٥٤٨.

السنائي عليه الرحمة فإنّ المسألة جرى بحثها هناك بالتفصيل.

ثمّ إنّ الحديث في الخلافة ومذهب الشيعة قائم على استحقاقها بالعلم والعصمة والنصّ دون النسب والميراث، ذلك لو أنّ الشيعة كانوا يقولون باستحقاق الإمامة بالنسب لأثبتوها في أولاد الإمام الحسن لأنّه الولد الأكبر لأميرالمؤمنين عليّ ولفاطمة عليهما السلام، والظاهر أنّ أحداً من الشيعة الإماميّة الاثني عشريّة لم يدّعها لهم ولا يعتبرون غير الباقر إماماً من أولاد زين العابدين، ولم يعتبروا زيداً إماماً لفقده النصّ عليه والعصمة، وظهر بهذا التقرير أنّ مدح النمري ما هو إلّا حديث جرىٰ على الظاهر من أجل التقيّة والتمويه على بني العبّاس لينجو من شرّهم وأذاهم.

أبوالحسن عليّ بن عبدالله بن وصيف الناشي رحمه الله

جاء في كتاب «أنساب السمعاني»: بفتح النون المشدّدة وفي آخرها الشين المعجمة وإنّما قيل له الناشي: لأنّه نشأ في فنّ الشعر والمشهور بهذه النسبة عليّ بن عبدالله الناشي الشاعر المشهور، كان في زمن المقتدر والقاهر والراضي وغيرهم وهو بغداديّ سكن مصر[1].

وذكره النجاشي في رجاله فقال: الناشي. الشاعر المتكلّم، ذكر شيخنا رحمه الله أنّ له كتاباً في الإمامة[2].

وقال ابن كثير الشامي: متكلّم بارع من كبار رجال الشيعة وله تصانيف عديدة وأشعار حميدة.

وقال ابن خلّكان: أبوالحسن عليّ بن عبدالله بن وصيف المعروف بالناشي

(١) السمعاني: الأنساب ج ٥ ص ٤٤٥.

(٢) رجال النجاشي الترجمة ٧٠٩.

الأصغر الحلاء، الشاعر المشهور وهو من الشعراء المحسنين، وله في أهل البيت قصائد كثيرة، وكان متكلّماً بارعاً أخذ علم الكلام عن أبي سهل إسماعيل بن عليّ ابن نوبخت المتكلّم وكان من كبار الشيعة وله تصانيف كثيرة... ومضى إلى الكوفة في سنة خمس وعشرين وثلثمائة، وأملى شعره بجامعها وكان المتنبّي وهو صبيّ يحضر مجلسه بها وكتب من إملائه لنفسه، وكان قد قصد سيف الدولة بن حمدان بحلب (ونال رعاية حسنة منه) وفي أشعاره مقاصد جميلة، وتوفّي سنة ستّ وستّين وثلثمائة ببغداد..[١]

أبو وهب بن وهيب بن زمعة الجمحي القرشي ﷺ

ولمّا كان شعره غاية في النفاسة، ذكره أبو تمّام الطائي في حماسته.

وفي كتاب «الغرر والدرر»: إنّه من شعراء قريش، ومن أشعاره في رثاء الحسين عليه السلام هذه الأبيات:

تبيت النشاوىٰ من أُميّة نوّماً — وبالطفّ قتلى ما ينام حميمها

وما ضيّع الإسلام إلّا عصابة — تأمّر نوكاها ودام نعيمها

وصارت قناة الدين في كفّ ظالم — إذا مال منها جانب لا يقيمها[٢]

وله هذه الأبيات في الغزل رواها أبو عمرو الشيباني له وقال: ويقال إنّها للمجنون:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها — سوى ليلة إنّي إذاً لصبور

هبوني امرءاً منكم أضلّ بعيره — له ذمّة إنّ الذمام كبير

---

(١) وفيات الأعيان ج٣ ص٣٦٩.

(٢) ذكرها سيّدنا المرتضى في أماليه ج١ ص٨١ ونسبها إلى أبي دهبل.

وللصاحب المتروك أعظم حرمة على صاحب من أن يضلّ بعير
عفى الله عن ليلىٰ الغداة فإنّها إذا وليت حكماً عليّ تجور

مروان بن محمّد السروجي

ذكر صاحب الكشّاف في ربيع الأبرار: إنّ مروان بن محمّد السروجي أمويّ شيعي[١]، ومن أشعاره في مدح أهل البيت عليهم السلام الأبيات التالية:

يا بني هاشم ابن عبد مناف إنّني منكم بكلّ مكان
أنتم صفوة الإله ومنكم جعفر ذوالجناح والطيران
وعليّ وحمزة أسد الله وبنت النبيّ والحسنان
ولئن كنت من أُميّة إنّي لبريء منها إلى الرحمن[٢]

عبدالله بن غالب الأسدي رحمه الله

ذكره في كتاب «الخلاصة» فقال: عبدالله بن غالب الأسدي الشاعر من أصحاب الباقر عليه السلام (ويكنّى أبا علي)، روى عن الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام ثقة ثقة (واختصّ بمدح أهل البيت) قال له أبو عبدالله الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنّ ملكاً يلقي الشعر عليك وإنّي لأعرف ذلك الملك»[٣].

والظاهر أنّه يريد بذلك الملك روح القدس، كما ظهر ذلك من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مدائح حسّان والحديث مشهور: «لا زلت مؤيّداً بروح القدس

---

(١) ربيع الأبرار ج ١ ص ٧٧.

(٢) ربيع الأبرار ج ١ ص ٧٧ آلي.

(٣) الخلاصة، الترجمة ١٤ في باب عبدالله، سبعة وخمسون رجلاً.

ما نصرتنا بلسانك»(١)، وأشار مولانا الحسن الكاشي في بعض مدائحه إلى هذا المعنى فقال:

انتظار از بهر معنى كم كشي چون مى‌كند

مدح آن خورشد دين روح الامين املاى من

ولست أظلّ في طلب المعاني　　أُصعّد أو أُصوّب في الخيال

إذ الروح الأمين يظلّ يملي　　عليّ الشعر في مدح الموالي

تنبيه: لا يخفى أنّ صاحب الرسالة صلوات الله عليه جعل دعائه لحسّان مشروطاً لعلمه بسوء عاقبته في مخالفة أميرالمؤمنين عليه السلام كما مرّ ذلك سلفاً ضمن ترجمة قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وإلّا لأطلق له الدعاء ومثل ذلك يقال في نساء النبيّ فقد جعل المدح لهنّ مشروطاً لعلمه سبحانه بما يؤول إليه أمر بعضهنّ بعد إصلاح حالها، فقد قال سبحانه: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾(٢)، وفي مقام مدح أهل البيت عليهم السلام وإيثارهم المسكين واليتيم والأسير بطعامهم فقطع بجزائهم ولم يجعل ذلك مشروطاً بناء على علمه الأزلي باستقامتهم ولا حدّده بزمانٍ مخصوصٍ حيث يقول: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾(٣).

---

(١) الشريف الرضي: خصائص الأئمة ص٤٣، المفيد: أقسام المولى ص ٧٠ و ص٣٦ والإرشاد ج ١ ص١٧٨، المرتضى: الفصول المختارة ص ٢٩١، كنز الفوائد ص١٢٣، الشهيد الثالث: الصوارم المهرقة ص٣٣٦، بحار الأنوار ج ٢١ ص٣٨٩.

(٢) الأحزاب/٣٢.

(٣) الإنسان/٨ ـ ١٢.

سليمان بن قبّة الخزاعي رحمه الله

من قبيلة دعبل مادح الإمام الرضا عليه السلام وله هذه الأبيات في رثاء الحسين عليه السلام:

مـررت عـلى أبـيات آل محمّد ... فـلم أرهـا أمـثالها يـوم حلّت

فـلا يـبعد الله الديـار وأهـلها ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت

ألا إنّ قتلىٰ الطفّ من آل هاشم ... أذلّت رقـاب المسلمين فـذلّت

وكـانوا غياثاً ثـمّ أضحت رزيّـة ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت[1]

جمال الدين الخلعي الموصلي

كان أبوه حاكماً على الموصل وهو ناصبيّ عدوّ لأهل بيت النبوّة، وكانت أُمّه ناصبيّة أيضاً وعاقراً وإنّها لا يولد لها ولد، فنذرت بناءاً على عقيدتها المشومة نذراً إن وهبها الله ولداً ذكراً فإنّها سوف تجعله يأخذ على زوّار الحسين القادمين إلى الموصل من الشام وجبل عامل طريقهم ويصفيهم قتلاً ذريعاً، ولمّا أراد الله بلطفه اللّامتناهي المتعلّق بهداية هذه الفئة من الناس فقد ولد لها بعد مرور فترة من الزمن ولد هو جمال الدين، ولمّا بلغ أشدّه أخبرته أُمّه بواقع نذرها فلا بدع أن يطيع أُمّه حينئذٍ ويذهب متعقّباً زوّار الحسين القادمين إلى كربلاء المارّين بالموصل، ولمّا بلغ المسيّب وهو موضع قريب من كربلاء واستنشق غبار تلكم التربة الزكيّة ورأى الزوّار كيف يعبرون من ماء الفرات، توقّف هناك هنيئة منتظراً عودة الزائرين فأخذته سِنة ورأى في عالم الرؤيا ببركة وصول ذلك الغبار الطاهر أنّ القيامة قد قامت وأنّ الملائكة سارت به إلى جهنّم، ولمّا وضع فيها امتنعت عن إحراقه، فصاح مالك بالنار: مالك لا تحرقينه؟ فنادته عليه غبار زوّار

(١) في مقاتل الطالبيّين: وكانوا رجاءاً ثمّ صاروا رزيّة.. الأبيات وهي عدّة أبيات وقال: سليمان بن قتّة، ص٨٢.

الحسين عليه السلام، فلو غسلتموه لأحرقته. فعمدوا إلى غسل التراب عن جسمه فانزاح الغبار كلّه عنه بإرادة الله فلم تحرقه النار أيضاً، فصاح مالك بالنار مرّة أُخرى، فأجابته ذات الجواب، وانتبه جمال الدين عند ذلك من شدّة خوفه من خطاب مالك للنار وجوابها له، فرجع عن النصب وتولّى أهل البيت وصار مؤمناً وخلع ثياب أهل الظاهر ولم يعد إلى أهله بل جاور ذلك المشهد الحسيني الذي تحرسه الملائكة.

ولمّا كان موهوباً بالشعر وله القدرة الكاملة على نظمه شغل نفسه في مدح أهل البيت عليهم السلام[1] وهذه القصيدة من جملة قصائده في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام:

---

(١) ونحن نذكر هنا ما أورده مولانا الأميني في سفره النفيس «الغدير» عن هذه الرؤيا عساها أن تكون أروع وأجمع: ذكر القاضي التستري في المجالس ص٤٦٣ وسيّدنا الزنوزي في رياض الجنّة في الروضة الأُولى: أنّ أُمّه نذرت أنّها إن رُزقت ولداً تبعثه لقطع طريق السابلة من زوّار السبط الحسين عليه السلام وقتلهم، فلمّا ولدت المترجم وبلغ أشدّه ابتعثته إلى جهة نذرها، فلمّا بلغ إلى نواحي (المسيّب) بمقربة من كربلاء المشرّفة طفق ينتظر قدوم الزائرين فاستولى عليه النوم واجتازت عليه القوافل فأصابه القتام الثائر، فرأى فيما يراه النائم أنّ القيامة قد قامت وقد أُمر به إلى النار ولكنّها لم تمسّه لما عليه من ذلك العثير الطاهر، فانتبه مرتدعاً عن نيّته السيّئة واعتنق ولاء العترة وهبط الحائر الشريف ردحاً اهـ. ويقال: إنّه نظم بيتين خمّسهما الشاعر المبدع الحاج مهدي الفلّوجي الحلّي المتوفّى سنة ١٣٥٧ وهما مع التخميس:

أراك بحيرة ملأتك رينا ... وشتّتك الهوىٰ بيناً فبينا
فطب نفساً وقر بالله عينا ... (إذا شئت النجاة فزُر حسينا
لكي تلقى الإله قرير عين)
إذا علم الملائك منك عزما ... تروم مزاره كتبوك رسما
وحرّمت الجحيم عليك حتما ... (فإنّ النار ليس تمسّ جسما
عليه غبار زوّار الحسين)

الغدير ج٦ ص١٢.

سارت بأنوار علمك السير وحدّثت عن جلالك السُّوَر
والمادحون المخبرون غلوا وبالغوا في ثناك واعتذروا
وعظّمتك التوراة والصحف الأُولىٰ وأثنى الإنجيل والزبر
وأحكم الله في إمامتك الآيا ت واستبشرت بك العصر
والأنبياء المكرمون وفوا فيك بما عاهدوا وما غدروا
وذكّر المصطفى فأسمع من ألقىٰ له السمع وهو مدّكر
وجدّ في نصحهم فما قبلوا ولا استقاموا له كما أُمروا
واستأنسوا وحشة الضلال فلمّا أشرقت بهجة الهدى نفروا
واختلفوا فيك أيّها النبأ الأعظم إلّا من دلّه النظر
فمعشر آمنوا فزادهم الله بياناً ومعشر كفروا
وأمكنوا الغلّ في صدورهم وأطلبوا في العناد واشتوروا
وابتدعوا ظلم فاطم ورووٰ في منعها الإرث ذلك الخبر
أسماءك المشرقات في أوجه القرآن في كلّ سورة غُرَر
سمّاك ربّ العباد قسورة من حيث فرّوا كأنّهم حمر
والعين والجنب والوجه أنت والهادي وليل الضلال معتكر[1]
يا صاحب الأمر في الغدير وقد بخبخ لمّا ولّيته عمر
لو شئت ما مدّ حبتر يده لها ولا نال حكمها زفر
لكن تأنّيت في الأُمور ولم تعجل عليهم وأنت مقتدر

---

(١) في هذا البيت ليس الوزن مستقيماً وتتبّعته في أكثر من مصدر ذكره فلم أجدهم جاوزوا هذه الصيغة.

طويت في ذاك حكمه ولك الحكم[١] تطوى طوراً وتنتشر
راقبت قوماً أولئك في الظهور علماً بهم ولا ظهروا[٢]
لو لم تغث نوح عند شدّته ما حملته الألواح والدسر
وباسمك الأعظم اغتدت نار إبراهيم برداً وروضها خضر
ولو عداك الكليم مبتهلاً لم يتلقّف عصاه ما سحروا
وعنك ورّى المسيح حين دعا ميتاً فلبّاه عظمه النخر
يا صاحب الكرّة المنوّرة الغرّاء جار لحكمك القدر
وصاحب الزوجة المطهّرة الزهراء منها الحسود ينفطر
يا راكباً ظهر سلعة أجد[٣] لا يعتريها أين ولا ضجر
يطير عن شدقها اللغام[٤] بأجواز الفيافي كأنّه الشرر
وتشرب الخمس والعيون لها تفجّر ثمّ الهشيم محتظر
يحثّها قاصداً مزار فتىً به تنال النجاة والظفر
بلّغه عن عبده السلام وقل والدمع من مقلتيك منهمر
يا حاضراً لا تغيب عن نظري وغائباً عنه يخسأ البصر
لو أدركوا كنه ما خصمت به قلت لك المعجزات والقدر
آن بأن ينبش القبور وأن يظهر من كان عنك يستتر[٥]

---

(١) الأحكام ـ المترجم.

(٢) بذلت جهدي في إصلاح هذا البيت فعسر عليّ ذلك وأثبتّه كما ورد في المجالس.

(٣) لا معنى لركوب السلعة هنا، والأجد الناقة القويّة من قولهم: ناقة أجد، وفي الأعيان: ظهر هوجل سرح / ج ٥ ص٦٣.

(٤) اللغام: الزبد. راجع جمهرة اللغة مادّة غلو.

(٥) هذا البيت أثبتّه كما ذكره المؤلّف ولم أجده في مصدر آخر وتعذّر تصليحه.

والأرض قــد آذنت بأن يــخرج الأثــقال واســتكرهتم الحــضر
واقــتربت ســاعة انــتقامك مــن شــانيك وانشــقّ طــوعك القــمر

أبوالحسن عليّ بن عبيدالله بن حمّاد البغداديّ البصري رحمه الله تعالى

كان أديباً فاضلاً. ذكره الشيخ النجاشي في رجاله عند ترجمة أبي أحمد عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي الأزدي البصري من أعيان محدّثي الإماميّة وأكابرهم، وقال: قال لنا أبو عبدالله الحسين بن عبيدالله: أجازنا كتبه جميعها أبوالحسن عليّ بن حمّاد بن عبيدالله بن حمّاد العدوي، وقد رأيت أبا الحسن ابن حمّاد الشاعر رحمه الله[1].

واستشهد الشيخ أبوالفتوح الرازي في تفسيره بشعره في مواضع ومن أشعاره التي شعارها الإخلاص هذه الأبيات:

أغــرّك إمــهال الإمــام لمــن بـغىٰ عليه ومن شأن الإمام الرضى المهل
ولو شــاء إرســال العــذاب عــليهم لما صدّه عن ذاك خيل ولا رجل
ولكــنّه أبــقىٰ عــليهم لعــبرة ولو فــقد الآبــاء لانــقطع النســل[2]

ونتيجة الكلام في هذه الأبيات كما يلي: إنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ترك جهاد الغاصبين لحقّه والمتقمّصين لخلافته لئلّا تضيع النطف الصالحة التي في أصلاب المفسدين وأتباعهم في حربهم إيّاه، وبناءاً على هذا الاستنباط فإنّ النطف الصالحة والذريّة المؤمنة الذين سوف يكونون أنصار الحقّ ذات يوم ترك الجهاد من أجلهم لئلّا تضيع نطفهم بقتل الأصلاب التي تجري فيها وصبر على أذاهم وقعد عن المطالبة بحقّه.

(١) رجال النجاشي ج ١ ص ١٧٠.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب ج ١ ص ٢٣٤.

ونظير هذا ما كان يفعله الحسين عليه السلام في واقعة الطفّ فإنّه شوهد عند ما يهاجمه عسكر ابن زياديحمل عليهم فيقتل قوماً ويترك آخرين مع قدرته على قتلهم كلّهم، ولمّا سأله أحد أصحابه عن سرّ ذلك فقال: رفع الحجاب عن عينيّ فكنت أرى في أصلاب قوم منهم ذريّة تحبّنا فأستبقيه وأعرض عن قتله لأستبقي ذريّته المؤمنة وأقتل من لم يكن في صلبه ذريّة تحبّنا.

وأصل كلام ابن حمّاد عليه الرحمة مأخوذ ممّا ذكره عليّ بن هاشم في تفسيره من أنّ رجلاً سأل الإمام جعفراً الصادق عليه السلام أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام له قدرة ربّانيّة وصاعقة سماويّة فلماذا لم يدفع خصمه عنه في الوهلة الأُولى ولم ينقذ خلافته من براثنهم؟ فقال الإمام في جوابه: منعه من ذلك آية في كتاب الله. فقال السائل: ما هي؟ فقال: قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1].

ولايخفى أنّ هذه الآية هي من سورة الفتح حيث يقول الله سبحانه: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِنْهُم مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

وملخّص المعنى أنّ كفّار مكّة لمّا حالوا بين النبيّ وبين العمرة وصدّوهم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه، فكانوا يستحقّون القتل والاستئصال ولكنّنا منعناكم من قتالهم رعاية لحال المتخلّفين في مكّة ولو لم يكن فيها رجال رهائن ونساء مؤمنات وأنتم لاختلاطكم بأهل مكّة لا تميّزونهم بأعيانهم، ومن المحتمل أن تطئوهم إذا نشب القتال بينكم وبينهم فيحصل عندكم لقتلهم جهلاً وعدم تشخيص غمّ وهمّ ومكروه وكرب لقتلكم المؤمنين،

(١) الفتح/ ٢٥.

أو إنّكم تغرمون بذلك الكفّارة والدية فلم نعزلهم لكم لتتميّزوهم ولكن منعناكم من القتال أصلاً ومن قتل أهل مكّة لكي نحمي المؤمنين من القتل ليدخل الله في رحمته بأن يدخلوا في الدين ويؤمن به كلّ من أراد الاستزادة من الخير، ولو تزيّلوا فامتاز المؤمنون عن الكافرين في مكّة لأنزلنا بهم العذاب المبين، وعذّبنا الكافرين على كلّ حال من أهل مكّة عذاباً مؤلماً موجعاً في القتل والسبي.

وعلى هذا الأساس كان حاصل كلام الإمام عليه السلام وهو أنّ الحقّ تعالى جعل المؤمنين ودائع في أصلاب الكافرين فكان الإمام أميرالمؤمنين لم يقتل في أوّل الأمر لتهيأة المناخ الصالح لبروزهم في ساحة الوجود ومن هذه الجهة لم يخرج القائم عليه السلام حتّى يتمّ خروج الودايع كلّها فإذا تمّ له ذلك وجب عليه حينئذٍ الخروج و تطهير الدنيا من المخالفين بقتلهم «اللهمّ عجلّ فرجه وسهّل مخرجه بحقّ نبيّك محمّد وآله الطاهرين».

وهذه الأبيات التي نسبها الشيخ أبوالفتوح الرازي إلى أبي الحسن عليّ بن حمّاد ابن عبيدالله البصري في ذكر منقبة الأمير عليه السلام واليكها:

وردت لك الشمس في بابل فساميت يوشع لمّا سما

ويعقوب ما كان أسباطه كنجليك سبطي نبيّ الهدى

ويزعم المؤلّف أنّ عليّاً بن حمّاد هو غير عليّ بن حمّاد البصري المشهور الذي هو من المتأخّرين لأنّ الظاهر من بعض الأشعار التي بلغت العبد ذا النظر القاصر[1] أنّه أزديّ بصريّ، وعلى أيّة حال لمّا لم تكن ساعة التأليف القدرة على التحقيق حاصلة ومجال التأكّد مسدود في وجوهنا لذلك قنعنا بما بلغنا إليه، ومهما كان التقدير فكلا الرجلين من المخلصين لآل الرسول ومادحيهم وما بلغني

(١) يعني المؤلّف نفسه أكرمه الله وقدّس سرّه.

من الأشعار المنسوبة إلى عليّ بن حمّاد نظمتها في هذا السلك ومنها هذه القصيدة المنسوبة إلى عليّ بن حمّاد الأزدي البصري:

الدهر فيه طرائف وعجائب ... تترىٰ وفيه فوائد ومصائب[١]

تأتي الحوادث ثمّ تمضي فاصطبر ... حتّى تزول وكلّ آت ذاهب

فسد القياس على العقول فأبطلت ... عاداتها نوب أتت ونوائب

زمن تسود رذاله ساداتِهِ ... فيه وتفترس الأُسود ثعالب

ويقال يا ذا الحقّ حقّك باطل ... ويقال يا ذا الصدق قولك كاذب

هذا ببصرتنا فأمّا غيرها ... فالأمر فيما بينهم متقارب

للناس في كلّ الأُمور مآرب ... ولهم على كلّ الوجوه مذاهب

فاهرب من البلد المشوم فمن نبىٰ ... فيه مكاناً فهو منه ذاهب

في أيّ أرض شئتها لك منزل ... وبأيّ قوم ظلت فيها صاحب

بك (قد) نهينا أن نقيم به ومن ... يعصى الإمام تعمّداً سيعاقب

فكأنّما أهلوه حيّات على ... آل النبيّ ضرية وعقارب

وجميع من تلقاه حين تؤمّهم ... وتحبّهم يلقاك وهو مغاضب

بأبي وأُمّي بلدة لا يجتري ... فيها على أهل التشيّع ناصب

حرم لربّك آمن من حلّه ... ظفرت يداه بكلّ ما هو طالب

وإذا بدت لك قبّة النجف التي ... فيها لكلّ المؤمنين رغائب

فاضرع لربّك وادع دعوة شاكر ... عمّالك الرحمن منه واهب

واعلم بأنّ ولاء آل محمّد ... رزق لنا من ربّنا ومواهب

---

(١) قال سيّد الأعيان: إنّه وجد هذه القصيدة في بعض المجاميع منسوبة لعليّ بن حمّاد الأزدي البصري ج٨ ص٢٢٨.

سبقت لنا من ربّنا الحسنى بهم أفلا نواصل شكرنا ونواظب

وعلى الصراط المستقيم أقامنا والخلق عنه ما سوانا ناكب

فلذاك إن ذكروا تلين قلوبنا وهواهم فينا[1] مقيم لازب

وترى النواصب حين تجري ذكرهم فعلى وجوههم سواد راكب

طابت موالدنا بحبّ أئمّة هم طاهرون من العيوب أطايب

وموالد النصّاب قد خبثت ففي ها شبهة معروفة وشوائب

إبليس يشرك فيهم آبائهم فالخبث فيها لا محالة لازب[2]

وإذا أتيت إلى الغري معاوداً في كلّ عام زائر متواهب

طف حول مشهده وعفّر فوقه خدّيك والثمه ودمعك ساكب

وقل السلام عليك يا من حبّه فرض على كلّ البريّة واجب

يا من يرى زوّاره ويحبّهم باللطف لم يحجبه عنهم حاجب

والله مالك في الفضائل مشبه كلّا ولا في المكرمات مقارب

يا عالماً ما كان أو هو كائن ما عنك شيء في الحقيقة عازب

ما هبت مخلوقاً ولست بهائب لكن لبأسك كلّ شيء ذائب[3]

ما زلت تغلب في الحروب مظفّراً فيها ومالك قطّ فيها غالب

شيّدت دين محمّد فأساسه مثل الأساس أسنّة وقواضب

يا سيف ربّ العرش سيفك قاطع في كلّ معرفة وسهمك صائب

للبيض في كلتا يديك مشارق ومن الغوارب في الحروب مغارب

---

(١) فيها.

(٢) أحسب أنّ الناشر حذف هذين البيتين من أعيان الشيعة كما حذف القصيدة المذهّبة وهذه خيانة علميّة لا يقرّه عليها أحد.

(٣) هائب.

زوّجت فاطمة لأنّك كفؤها والنور للنور المضيء مناسب
والله كان وليّها في عرشه والروح جبريل الأمين الخاطب
فالبدر والشمس المنيرة أنتما وبنوكما للعالمين كواكب
إنّ الذي يرجو مكانك في العلا لسواك في كلّ البريّة خاطب[١]
بهرت دلائلك العقول فمالها محصٍ وهل للرمل يوماً حاسب
ردّت عليك الشمس بعد مغيبها وهوت كما يهوي الشهاب الثاقب
والعين إذ أنبطتها في ضحضح قفر فحار لما رآه الراهب
ودعوت ميتاً في ثراه بصرصر وحديث دعوته عجيب عاجب
وببابل ناجيت جمجمة فما زالت تجيبك طاعة وتحاطب
وضربت بالعود الفرات وقد طمىٰ وإذا بذاك الماء فيه ناضب
أُعطيت يا مولى الأنام فضائلاً ومناقباً ما مثلهنّ مناقب
تركت مناقبك المناقب كلّها إن عورضت خجلاً وهنّ مثالب
ويل النواصب يخطبون على الذي والوه وهو غداً عليهم خاطب
ظنّوا وغرّهم سراب لامع فغدت ظنونهم وهنّ كواذب
ومناصح في زعمه لي مشفق أحنى[٢] عليّ يلومني ويعاتب
تب من تناولك الصحابة قلت بل أنا من سماعي للنصيحة تائب
يا حبس[٣] إنّي حاضر لطريقة فيها النجاة وأنت عنها غائب
هيهات أن يهدىٰ لموضع رشده أعمى عن الخلق المبين موارب

---

(١) هو لا محالة في البريّة خائب /أعيان الشيعة ج٨ ص٢٢٨.

(٢) ولو كانت «أنحى» لكان لها وجه وليس بعيداً أن يكون الناسخ صحّفها.

(٣) أحد معنى لفظ حبس الراهب من النصارى فهل يعنيه؟ المحيط ج١ ص٣٠٢.

والله لا يـلقىٰ شـفاعة أحـمد أحـد لفـاطمة البـتولة غـاصب

يـا أهـل بـيت مـحمّد أنـتم لنا قـبل إلى ربّ السـما ومـحارب[١]

فـليحمد الله ابـن عـبّاد عـلى نـعمائه وهـو الكـريم الواهب

إنّـي لمـن والى الوصـيّ مـواليـاً ولمـن تـولّى غـيره لمـحارب[٢]

والقصيدة التالية من شعر عليّ بن حمّاد واشتهرت على الألسن وهي[٣]:

بـقاع فـي البـقيع مـقدّسات وأكـناف بـطيبة طـيّبات

وفـي كـوفان آيـات عـظام تـضمّنها الغـري مـوثّقات

وفـي غـربيّ بـغداد وطـوس وسـامرّا نـجوم زاهـرات

مشـاهد تشـهد البـركات فـيها وفـيها البـاقيات الصـالحات

ظـواهـرها قـبور دارسـات بـواطـنها بـدور لامـعات

جـبال العـلم فـيها راسـيات بـحار الجـود فـيها زاخـرات

مـعارج تـعرج الأمـلاك فـيها وهـنّ بكـلّ أمـر هـابطات

وليست فـي القـبور لهـم ولكـن مـواقـع فـي النـجوم معظّمات

بـها الرحـمن أقسـم لو عـلمتم فـفي القـرآن هـنّ مسـمّيات

بـيوت يـذكر اسـم الله فـيها رجـال بـالسجود لهـم سـمات

وهـم حـجج عـلينا بـالغات وهـم نـعم عـلينا سـابغات

وحـبل الله يـنجو مـاسكوه وحـبل الله ليس له انـبتات

---

(١) قبل جمع قبلة ومحارب جمع محراب، هذا ما وصل إليه فكري والله العالم ولم أجزم بذلك.

(٢) ذكر القصيدة في أعيان الشيعة وحذف منها أبياتاً ج٨ ص٢٢٨، وذكرها مولانا الأميني في الغدير وأورد مستهلّها... الغدير ج٤ ص١٧٠.

(٣) وأخذها سيّد الأعيان من المجالس وقال عنها: أقول ونفسها يناسب التي قبلها ج٨ ص٢٢٨ من أعيان الشيعة.

وهم معنى الصراط ففاز عبد — على ذاك الصراط له ثبات
محاريب الورى اللّاتي إليها — وجوه ذوي العلى متوجّهات
رآهم آدم أنوار قدس — بجانب عرشه متلألآت[١]
خلائف ربّنا بالأرض تحلىٰ — بها عنّا الدياجي المظلمات
رسول الله والهادي عليّ — وفاطمة وسبطاها الهداة
لهم نادىٰ منادي الحقّ منّا — ألا أين الأرامل والعفاة
أناملهم إذا وكفت نداها — عليهم بالغوادي مرزبات
يرون عداتهم بالجود ديناً[٢] — وليس لهم إذا سألوا عداة
أُناس تثقل الحسنات منّا — بحبّهم وتمحى السيّئات
ولا تتقبّل الصلوات إلّا — بحبّهم ولا تزكوا الزكاة
فأين عدولنا في حبّ قوم — بهم أعمالنا متقبّلات
فإنّ المرتضى الهادي عليّاً — لتقصر عن مناقبه الصفات
وزير محمّد حيّاً وميتاً — شواهده بذلك واضحات
أخوه كاشف الكربات عنه — وقد أمّت إليه الباهيات
عليه نصّ ربّ العرش نصّاً — جليّاً بعد ما نزلت برات
فولّاها رسول الله قوماً — وقد علم الوليّ من الولاة[٣]
وما ولّاهم إلّا لكيلا — عليّ تستريب به الطغاة
فأوحى الله أن أرسل عليّاً — وليس لما حكمت معقّبات

---

(١) لم يذكره السيّد الأمين في الأعيان لعلّه للإقواء.

(٢) ظنّاً.

(٣) هذا البيت يدلّ على أنّه مسبوق بأبيات يظهر بها معناه وسيّدنا الأمين قدّمها في الأعيان وسيّدنا الشهيد قدّم عليها أبياتاً ولك أن تقارن بينهما أعيان الشيعة ج٨ ص٢٢٩.

حكمت بأن تؤدّي أنت عنّي ومنه أنكما الكفات
وليس ينال عهد الله قوم إلٰهم سواع أو منات
فلمّا أنزلت فيهم تولّت وجوههم فها هي منكرات
هناك تعاهدوا ألّا تطيعوا عليّاً ما انتهت بهم الحيات
فجاء محمّداً جبريل حقّاً وأعلمه بما عقد الطغات
فإنّهم قد اعتدّوا جميعاً بكتب صحيفة فيها هنات
فإن أيّام أهل الحرب عدّت وأيّام الوصي مشهّرات
فأُحد لم يحد فيها عليّ ولا غمزت له فيها قناة
وخيبر حين فرّ القوم عنه فرار العير ضاق بها الفلاة[١]
فمرّ إليهم الهادي عليّ فغادرهم وشملهم شتات
وفي الأحزاب حين دعوا لعمر وقد خمدوا كأنّهم الموات
ولم يبرز له إلّا عليّ وهل يحمي الحمىٰ إلّا الحمات
وعنه عسكر الحمراء فاسأل لتخبرك الدماء السائلات
وسل صفّين هل[٢] حشدوا عليه وهاتيك الصفوف مخبّرات
فلو راموا النزال فليس شيء يرى إلّا المنايا نازلات[٣]
ويشكو الهام والأحداق منه وتكرهه السيوف اليعملات
ترى أسيافه يضحكن ضحكاً بها هام الفوارس باكيات
صوارمه يزوّجها نفوساً وللأبدان هنّ مطلّقات

---

(١) به وهو الأصحّ.

(٢) إذ.

(٣) في هذا البيت إقواء لأنّ موقع الإعراب لـ«نازلات» يقتضي الكسر وهي مرفوعة.

إذا اعــوجّت ذوابــله بـطعن فــفي الأبــدان هــنّ مـثقّفات

له كـــفّان واحـــدة حــياة إذا جــادت وواحــدة مـمات

هــو البـحر الذي خـبرّت عنه ولكــن مــائه عـذب فـرات

يــجود وكــلّ نـائله بشـيء وما أكدى إذا أكل العلات[1]

وبـات عـلى الفراش يقي أخـاه وقـد هـمّت بكبسته الطغات

وقد شكـرته بـالجود (الـ)عـطايا وتشكـره السـيوف المصقلات

حوى علم الشريعة فهو يقضي بــعلم ليس يــعلمه القــضاة

وعــلّمه بــذاك العــلم عـلم يــفوت العــالمين ولا يـفات

وصــور بــالسماء له مــثالٌ بـه الأمـلاك شـوقاً محدقات

وأيّــده بــروح القـدس ربّـي فــلا يــفني عـليه المـعجزات

صــلاة الله والأمــلاك تـترىٰ عـليه مـا حـدى العيس الحداة

تــعنفني عــلى حــبّي عـليّاً وشـعري فـيه نـاحية القـوات

فــقالوا أنت غـال فـي عـليّ فـقلت لهـم ألا لعـن الغـلات

فأُقسم بالذي في البحر تجري بــقدرته الجــوار المـنشآت

لو أنّ الخـلق رامـوا أن يـعدّوا فـضائله الذي هـي موريات[2]

لمـا قـدروا (لهـا) عـدّاً ولكن قضوا من قبل أن تحصى ومـاتوا

فــلولا أن تـقول النـاس فـيه كما قد قيل في عيسى الدعـات

لقـلت لهـم مـقال فـيه صدق بــحفص العـلم مـعناه الوعـاة

---

(١) لم يذكره الأمين ولم يظهر لي معناه.

(٢) لا موضع للذي هنا والبيت مجهول مبنىً ومعنىً.

وكـانوا بـه لكـم حـبلان[١]	إذا أعـيا عـلى القسم الأسات
فـقد لاحت دلائـل مـا وعدنا	وأعـلام لنـا مـتقدّمات
قـيام قـائم المـهديّ فـينا	لأنّ قـيامه الحـقّ البـتات
ونـحن نـريد تـعجيل الأماني	ولكـن للأمـور مـقدّمات
يـثور وحـوله عـصب كـرام	كأنّـهم الأسـود المـخدرات
فـعدّتهم كـعدّة أهـل بـدر	بأيـديهم سـيوف مـرهفات
قـواضب كـالثواقب مـحدقات	إلى سـفك الدمـاء مـعطشات
صفور (كذا) في المعالي زاخرات	مـعاقلها جـياد ضـامرات
وليس لنـاصب فـيه رجـال	بأسـتار النـبيّ مـجلّلات
لعـلّ الله يشـفي القـلب مـنه	ويأمـن مـؤمنون ومـؤمنات
وينصب عـدله فـي الأرض حتّى	ليأتـي المـاء سـرحـان وشـاة
يـثور كـثأر أهـل البـيت ممّن	لهـم تـدعو قـباح مـقنعات
أتـدفع فـاطم عـن أخـذ حـق	لهـم حـجج عـليهم بـينات
سـتأتي فـاطم مـن ذاك يـبكي	وتأتـي وهـي شـاكية الطغات
وفـي يـدها لأثـر السـوط كـلم	بـها أعـضاءها مـتفصّلات
فـيأمر بـالعذاب لظـالميها	إذا ولّـوا عـليها مـهلكات
فـتنبشهم وتـحرقهم جـهاراً	وآنـاف النـواصب مـرغمات
فـلا والله مـا قـصّرت نـوحي	إذا مـا ظـنّ بـالنوح الحـدات
ولا أنـفكّ أهـجرهم إلى أن	يـقوم عـليّ بـالنوح الهـجات
بـدينكم اهـتديت وفـي ذراكـم	دفـنت وفـي مـحبّتكم نـجاة

---

(١) كذا.

وتلك هبات ربّ العرش عندي — وأرجو أن يتمّ لي الهبات
وأرجو منكم أن تشفعوا لي — غداً أحسنت فعلي أم أسات
وأن تستوهبوني من إلهي — لأنّي في محبتكم نجات
وقد نظم ابن عبّاد قريضاً — فما شي غير ائمّته النجات
ولي فيكم قصائد من زمان — إذا أبدا الزمان مسيّرات
وقد أمر الرواة عيوب شعري — وكم شعر تدنّسه الرواة(١)

وهذا البيت وقع في بعض قصائد ابن حمّاد:

ظلّ الأمين وصنّها عن حيدر — تالله ما كان الأمين أمينا(٢)

وغرض الشاعر التعريض بأبي عبيدة بن الجرّاح لأنّه فيما يدّعى أمين هذه الأُمّة واتفق مع عدوّ أميرالمؤمنين لغصب الخلافة وصرفها إليه، ولمّا عارضهم الإمام واعترض عليهم أدلى أبو عبيدة بأعذار ركيكة مهلهلة وغير موجّهة، وسعى سعيه الحثيث لترقيع خلافة أبي بكر.

جاء في كتاب «روضة الصفا» أنّه في اليوم الثاني من خلافة أبي بكر استدعى الإمام أميرالمؤمنين لتجنيد طائفة من أهل الرأي إلى مجلس خاصّ، ولمّا حضر الإمام المجلس رأى المجلس غاصّاً بوجوه المهاجرين والأنصار، فجلس في

---

(١) يعترف المترجم أنّه خرج إصلاح القصيدة من طوقه وتعذّر عليه إثبات الخطأ من الصواب لفقدان مرجع يذكر هذه الزيادة التي لم يذكرها الأمين وأحسبها لغيره وقد أُقحمت في الشعر إقحاماً فأرجو العفو لانّي أثبتّها كما وردت عند المؤلّف.

(٢) ما اعتدت أن أردّ على سيّدي المؤلّف ولكن هنا لا صبر على هذا البيت وأكاد اجزم أنّه مدسوس في الكتاب لأنّ هذه العقيدة التي ينبز بها الشيعة لا يراها منهم أحد على صفة القطع وأحسبها تسرّبت إلى الكتاب من جهة النسّاخ فلعن الله من يعتقدها أو يذهب إليها، ولكن المؤلّف صرف المعنى إلى وجه آخر.

المكان اللّائق بجنابه وسأل عن العلّة التي استقدموه من أجلها، فأجابه عمر: إنّ العلّة في استدعاءك هي أن تساير أصحاب رسول الله وتفعل فعلهم فتبايع أبابكر كما بايعه هم ورضوه لخلافتهم فكن واحداً منهم ولا تخالفهم.

فقال عليّ عليه السلام: إنّكم احتججتم عليهم بقرابتكم من رسول الله وكانت هذه حجّتكم على الأنصار حتّى طأمنتم من جماحهم وسلّموا لكم القياد، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار فأنصفونا أيّها الناس من الأقرب إلى رسول الله من العالم كلّه، فاتّقوا الله ولا تتذرّعوا بالمعاذير الواهية والأحاديث الكاذبة، وأنصفونا كما أنصفكم القوم.

فقال عمر: إنّا غير تاركيك حتّى تبايع وتتبع خلافة أبي بكر كما فعل أصحابك.

فقال الإمام عليه السلام: إنّي أرتاب بكم وبأحداثكم التي أحدثتموها ولست مبايعاً وفيّ رمق من الحياة ولا أرفع يدي عن المطالبة بحقّي.

فقال عبيدة بن الجرّاح: يا أبا الحسن، إنّ فضلك في الإسلام وسابقتك معلومة لجميع الأُمّة وبناءاً على هذا فأنت أهل لهذا المنصب وأكثر من ذلك ولكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله اتفقوا على أن يسلّموا أمر الخلافة إلى أبي بكر فارض بما اتفقوا عليه ولا تخدش غرّة الصالح العام بأظفر الخلاف.

فقال عليّ عليه السلام يا أبا عبيدة، لا تقل قولاً منافياً للصدق ومخالفاً للحقّ، ولا تنقل حقّ أهل البيت الذي أعطاه الله لهم ولا تحاول نقله إلى أهل بيت غيرهم فقد نزل القرآن في بيوتنا ونحن معدن العلم والدين وسنن سيّد المرسلين، ونحن نعلم بأُمور الشريعة ومصالح الأُمّة أكثر من غيرنا، ولا تنسق وراء الهوى فإنّ ذلك محق لكم.

فقال بشر بن سعد: يا أبا الحسن، لو سمعنا هذا الكلام منك قبل البيعة لما اختلف عليك اثنان من أصحاب النبيّ ﷺ ولكنّك حين جلست في كسر دارك ظنّ الجميع أنّك عازف عنها غير مبال بها ولا راغب فيها، والآن أنت تقول قولاً هو خلاف ما اعتقده الناس وما صوّروه لأنفسهم وهم قد بايعوا أبابكر خوفاً على تصدّع شمل الدين وحلول الخطر فيه فلذلك سارعوا إلى البيعة وأسندوا الأمر إليه ووضعوا اختيار الأُمّة في يديه.

فقال عليّ عليه السلام: يا بشر، أترضى أن أترك جسد سيّد الكائنات عارياً على المغتسل لم أُغسّله ولم أُكفّنه ولم أتمّ تجهيزه أو أتركه محتضراً يعالج سكرات الموت ثمّ أذهب ألاطم على سلطانه؟!

فقال أبوبكر: يا أبا الحسن، لو كنت أعلم أنّك تنازعني الأمر ما قبلته ولا تولّيته قطّ والآن وقد بايعني الناس كلّهم فلو أنّك بايعتني لما عدوت ظنّي فيك، ولو رفضت بيعتي فإنّك لن تجبر عليها، ارجع راشداً مهديّاً.

ولمّا سمع الإمام علي عليه السلام قول أبي بكر هذا رجع عوده على بدئه.

وفي بعض النسخ أنّ صدر البيت مارّ الذكر هو كالتالي: «غلط الأمين فجازها عن حيدر» وهنا كثير من أهل السنّة حملوا اللفظ «الأمين» على جبرئيل وتجاهلوا أن يكون قصد الشاعر أمين الأُمّة أبو عبيدة وموضوع الخلافة وتقديم أبي بكر، فحملوا لفظ الأمين على جبرئيل الأمين وغلب عليهم الوهم بأنّ هذا الشعر لغلاة الشيعة فهم يقولون: إنّ رسالة الله موجّهة لعليّ بن أبي طالب ولكن جبرئيل خان الرسالة فأعطاها محمّداً بن عبدالله ﷺ والعجيب في الأمر أنّ سيّد المحقّقين قدّس سرّه الشريف في شرحه على تذييل المواقف المعقود لبيان حقيقة الفرق الإسلاميّة تابع هذا الخطأ الشنيع ووافق القوم ونسب البيت المومئ إليه إلى غلاة الشيعة ... ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

ابن هاني المغربي

من موالي أهل البيت الأطهار عليهم السلام ونقود إخلاصه مغربيّة تامّة العيار، وهذه أبيات تصوّر عمق المأساة وشدّة المحنة التي تعرّض لها أهل البيت... وهي له:

وقد غصّت البيداء بالعيس فوقها كرائم أبناء النبيّ المكرّم
فما من حريم بعدها في تحرّج ولا هتك ستر بعدها بمحرّم
بأسياف ذاك البغي أوّل سلّها أُصيب عليّ لا بسيف ابن ملجم
وبالحقد حقد الجاهليّة إنّه إلى الآن لم يصفن ولم يتصرّم[١]

الزهري العامري

كان زهراً في روض التوفيق، وتندّىٰ بندىٰ محبّة أهل البيت، وهذان البيتان من أشعاره الجميلة الأسرة:

عليّ لعمري كان بالناس أرأفا وفي العلم بالأحكام أمضى وأعرفا
فما عذر قوم أخّروه وقدّموا عديّاً وتيماً فهو أعلى وأشرفا[٢]

عليّ بن محمّد العلوي الحماني

من فصحاء العلويّين وفضلاء العلوم الأدبيّة، روى له المير مرتضى علم الهدى في كتاب «المشفي» «الشافي» هذه القصيدة الغرّاء:

بين الوصيّ وبين المصطفى نسب تحتال فيه المعالي والمحاميد
كانا كشمسي نهار في البروج كما أدارها ثمّ أحكام وتجويد

---

(١) والقصيدة طويلة ذكرها سيّدنا الأمين في الأعيان وهذه أبيات منها راجع أعيان الشيعة ج ١٠ ص ٨٧.

(٢) الكنى والألقاب ج٢ ص ٣٣٠.

كسيرها انتقلا من طاهر علم   إلى مطهّرة آبائها صيد
تفرّقا عند عبدالله واقترنا   بعد النبوّة توفيق وتسديد
وذرّ ذوالعرش ذرّاً طاب بينهما   فانبثّ نور له في الأرض تخليد
نور تفرّع عند البعث فانشعبت   منه شعوب لها في الدين تمهيد
هم فتية كسيوف الهند طال بهم   على المطاوف آباء مناحيد
قوم لحدّ المعالي[1] في وجوههم   عند التكرّم تصويب وتصعيد
يدعون أحمد إن عدّ الفخار أباً   والعود ينبت في أفنانه العود
والمنعمون إذا ما لم تكن نعم   والذائدون إذا قلّ المذاويد[2]
أوفوا من المجد والعلياء في قلل   شمّ قواعدهنّ البأس[3] والجود
ما سود الناس إلّا من تمكّن في   أحشائه لهم ودّ وتسويد
سبط الأكفّ إذا شيمت مخايلهم   أُسد اللقاء إذا صدّ الصناديد
يزهي المطاف إذا طافوا بكعبته   ويستدير لهم منها القواعيد
في كلّ يوم لهم بأس يعاش به   وللمكارم من أفعالهم عيد
محسّدون ومن يعقد بحبهم   حبل المودّة يضحي وهو محمود
لا ينكر الدهر إن ألوى بحقّهم   فالدهر مذ كان مذموم ومحمود[4]

ديك الجنّ

شاعر مشهور وإنسان له أنفاس عابقة بمدائح أهل بيت سيّد البشر، وهذه أبيات قالها في رثاء الإمام الحسين عليه السلام من جملة قصيدة:

---

(١) لماء المعالي.

(٢) والزائدون إذا قلّ المزاويد ـ المؤلّف.

(٣) الفضل.

(٤) المختار من العيون والمحاسن ص ٤٠.

جاؤوا برأسك يابن بنت محمّد مــتزمّلاً بــدمائه تــزميلا
وكأنّـما بك يـابن بـنت محمّد قـتلوا جـهاراً عـامدين رسـولا
قــتلوك عـطشاناً ولم يـترقّبوا فـي قـتلك التـنزيل والتأويـلا
ويكـبّرون بأن قُـتلت وإنّـما قـتلوا بك التكبير والتـهليلا[1]

محمّد بن حبيب الضبّي

من فصحاء الزمان ومحبّي أهل البيت المخلصين، وله في مدحهم ورثائهم قصائد جمّة، وهذه أبيات من قصيدة قالها في مدح الإمام الرضا عليه السلام نذكرها هنا:

قــبر بــطوس بـه أقـام إمـام حــتم إليــه زيــارة ولمــام
قــبر أقـام بـه السـلام وإذ غـدا تــهدىٰ إليــه تـحيّة وسـلام
قــبر سـنا أنـواره يـجلو العمىٰ وبــتربه تســتدفع الأسـقام
قــبر يــمثّل للـعيون محمّداً ووصــيّه والمــؤمنون قـيام
خشــع العـيون لذا وذاك مـهابة فــي كــنهها تـتحيّر الأفـهام
قــبر إذا حـطّ الوفـود بـربعه رحــلوا وحـطّت عـنهم الآثـام
وتـزوّدوا أمـن العـقاب وآمـنوا مــن أن يـحلّ عـليهم الإعـدام
اللّـه عــنه بــه لهـم متقبّل وبــذاك عــنهم جـفّت الأقـلام
إن يـغن عـن سـقي الغمام فإنّه لولاه لم تســق البـلاد غـمام
قـبر عـليّ أبـن مـوسى حـلّه[2] بـثراه يـزهو الحـلّ والإحـرام

---

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص ١٨١، تهذيب الكمال ج٦ ص٤٤٨، البداية والنهاية ج٦ ص ٢٦١ و ج٨ ص٢١٦، المجالس الفاخرة ص٢١٦ و ص ٣٣٣.

(٢) لا يستقيم الوزن إلّا بقطع همزة «ابن» فلذلك أثبتناها وتوجناها بالهمزة.

فرض إليه السعي كالبيت الذي ... من دونه حقّ له الإعظام
ومقامه لا شكّ نحمد في غد ... وله بجنّات الخلود مقام
وله بذاك الله أوفى ضامن ... قسماً إليه ينتهي الأقسام
من زاره في الله عارف حقّه ... فالمسّ عنه على الجحيم حرام
لولا الأئمّة واحداً عن واحد ... درس الهدى واستسلم الإسلام
كلّ يقوم مقام صاحبه إلى ... أن ينتهي[1] بالقائم الأيّام
يابن النبيّ وحجّة الله التي ... هي للصلاة وللصيام قيام
ما من إمام غاب عنكم لم يقم ... خلف له تشفى به الأوغام[2]
إنّ الإمامة يستوي في فضلها ... والعلم كهل منكم وغلام
أنتم إلى الله الوسيلة والأُلىٰ ... علموا الهدى لهم لهم أعلام
ما الناس إلّا من أقرّ بفضلكم ... والجاحدون لهائم وسوام
بل هم أضلّ عن السبيل بكفرهم ... والمقتدى منهم بهم أزلام
يدعون في دنياكم وكأنّهم ... في جحدهم أنعاكم أنعام
يا نعمة الله التي يحبو بها ... من يصطفي من خلقه المنعام
إن غاب منك الجسم غبّاً إنّه ... للروح منك إقامة ونظام
أرواحكم موجودة أعيانها ... إن عن عيون غيّبت أجسام
الفرق بينك والنبيّ نبوّة ... إذ بعد ذلك تستوي الأقدام
قبران في طوس هدىً في واحد ... والغيّ في لحد يراه ضرام

---

(١) وفي أعيان الشيعة «ينبري» وفيها أبيات لم يذكرها المؤلّف.

(٢) الأوغام هي الأحقاد بعينها جمع وغم راجع الجمهرة وغيرها.

قبران مقترنان هذا ترعة «حياته فيها برود إمام»[(١)]
وكذاك ذلك من جهنّم حفرة فيها يجدّد للغوي هيام
قرب الغوي من الزكي[(٢)] مضاعف لعذابه ولأنفه الإرغام
إن يدن منه فإنّه لمباعد وعليه من خلع العذاب ركام
وكذاك ليس يضرّك الرجس الذي يدنيه منك جنادل ورخام
لا بل يريك عليه أعظم حسرة إذ أنت تكرم والمعين يشام
سوء العذاب مضاعف تجزى به الساعات والأيّام والأعوام
يا ليت شعري هل بقائكم غداً يغدو بكفّي للقراع حسام
يطفي يداي به غليلاً فيكم بين الحشا لم ترق منه أوام
ولقد تهيّجني قبوركم إذا هاجت سواي معالم وخيام
من كان يعزم بامتداح ذوي الغنى فبمدحكم لي صبوة وغرام
وإلى أبي الحسن الرضا أهديتها مرضيّة تلتذّها الأفهام
خذها عن الضبّي عبدكم الذي هانت عليه فيكم اللوّام
إن أقض حقّ الله فيك فإنّ لي حقّ القِرىٰ للضيف إذ يعتام
من كان بالتعليم أدرك حبّكم فمحبّتي إيّاكم إلهام

أبو سعيد النيلي رحمه الله تعالى

والمقصود بالنيل التي هي محلّ ولادة أبي سعيد بليدة واقعة على ساحل نهر الفرات بين بغداد والكوفة.

---

(١) هذا الشطر يا سادتي محرّف ولم أعثر على مصدره والسيّد الأمين لم يذكره في أعيانه ولا غيره ذكره ولم يسعفني الخاطر لتصليحه من القريحة والمزاج.

(٢) جاء عند سيّدي المؤلّف القوي والذكي ولا معنى له بل ما أثبتناه هو الصحيح وهو ناظر إلى قول دعبل: قبران هذا لخير الناس كلّهم.. الخ.

وقال ابن خلّكان في ترجمة ابن أبي الحجّاج (كذا) أنّ أصل النيل اسم مدينة بناها الحجّاج بن يوسف عليه اللعنة وحفر نهرها وسمّاه النيل باسم نيل مصر، ومجمل القول أنّ أبا سعيد ﷺ من فضلاء شعراء الإماميّة وهذه عدّة أبيات اقتطفناها من قصائده المشهورة:

قمر أقام قيامتي بقوامه

دع يا سعيد هواك واستمسك بمن ... تسعد بهم وتزاح عن آثامه

بمحمّد وبحيدر وبفاطم ... وبولدهم عقد الولا بتمامه

ذاك الذي لولاه ما اتّضحت لنا ... سبل الهدى في غوره وشئآمه

عبد الإله وغيره من جهله ... ما زال منعكفاً على أصنامه[1]

وروي أنّه لمّا قال يوسف الواسطي المعاند القاسط بيتين في ردّ أميرالمؤمنين حين تخلّف عن بيعة أبي بكر وهما:

إذا اجتمع الناس في واحد ... وخالفهم في الرضا واحد

فقد دلّ إجماعهم كلّهم ... على أنّه عقله فاسد

فأجابه أبو سعيد بهذه القطعة:

ألا قل لمن قال في كفره ... وربّي على قوله شاهد

إذا اجتمع الناس في واحد ... وخالفهم في الرضا واحد

فقد دلّ إجماعهم كلّهم ... على أنّه عقله فاسد

كذبت وقولك غير الصحيح ... وزعمك ينقده الناقد

فقد أجمعت قوم موسى جميعاً ... على العجل يا رجس يا مارد

وداموا عكوفاً على عجلهم ... وهارون منفرد فارد

---

(١) أعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٥٧، الغدير ج ٤ ص ٣٩٦.

فكـان الكثير هـم الخاطئون وكـان المصيب هـو الواحد[1]

عليّ بن الحسين الشهيفيّة الحلّي رحمة الله عليه

كان من فضلاء الشعراء المتأخّرين وله في مدح أهل البيت قصائد كثيرة وقد شرح الشيخ الأجل السعيد الشهيد أبو عبدالله محمّد بن مكّي قدّس الله روحه واحدة منها في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام فلمّا اطّلع الناظم على هذا الشرح ورأى اعتناء الشهيد بقصيدته مدح الشهيد بعشرة أبيات أظهر فيها الافتخار والشكر على ذلك ومن شعره هذه القصيدة:

نمّ العذار بعارضيه وسلسلا وتضمّنت تلك المراشف سلسلا

قمر أباح دمي الحرام محلّلا إذ مرّ يخطر في قباه محلّلا

رشأ تردّى بالجمال فلم يدع لأخي الصبابة في هواه تجمّلا

كتب الجمال على صحيفة خدّه بيراع معناه البهيّ ومثّلا

فبدا بنوني حاجبيه معرّفاً من فوق صادي مقلتيه فأقفلا

ثمّ استمدّ فمدّ أسفل صدغه ألفاً ألفت به العذاب الأطولا

واعجب له إذ همّ ينقط نقطة من فوق حاجبه فجائت أسفلا

فتحقّقت في ماء حمرة خدّه خالاً فعم هواه قلب المبتلى

ولقد أرى قمر السماء إذا بدى في عقرب المرّيخ حلّ مؤيّلا

وإذا بدى قمري وقارب عقربي صدغيه حلّ به السعود فأكملا

أنا بين طرّته وسحر جفونه رهن المنيّة إذ علا وتوكّلا

دبّت لتحرس نور وجنة خدّه عيني فقابلت العيون الغزّلا

---

(١) أعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٩٦.

جاءت لتلقف سحرها فتلقّفت ... منّا القلوب وسحرها لن يبطلا

هاتيك حين سعت لقلبي أو سعت ... لسعاد تلك تصيب قلبي منصلا[١]

فاعجب لمشتركين في دم عاشق ... حرم المنى ومحرّم ما حلّلا

(جاءت وحين سعت لقلبي أوسعت ... لعاً وتلك نضت لقتلي منصلا)

قابلته شاكي السلاح قد امتطى ... في غرّة الأضحى أغرّ محجّلا

مترديّاً خضر الملابس إذ لها ... باللؤلؤ الرطب المنضّد مجتلى

فنظرت بدراً فوق غصن مائس ... خضر تعاهده الحيا فتكلّلا

ظبيٌ[٢] مع الجوزاء لاح لناظرٍ ... متبلّج فأزاح ليلاً أليلا

حتّى إذا قصد الرميّة راشقاً ... بسهامه ناديته متمهّلا

لك ما ينوب عن السلاح بمثله ... يا من أصاب من الحبيب المقتلا

يكفيك طرفك صارماً والقد ... خطّاراً وحاجبك المعرّق عيطلا[٣]

عاتبته فشكوت مجمل صدّه ... لفظاً أتى لقطاً فكان مفضّلا

فأبان تبيان الوسيلة مدمعي ... فاعجب له لفظاً تحقّق مهملا

فتضرّجت وجناته مستعذباً ... عتبى يعذّب للمعاتب ما حلا

فافترّ عن درّ وأسفر عن ضحىً ... من لي بلثم المجتبىٰ والمجتلىٰ

من لي بغصن نقىً[٤] تبدّا فوقه ... قمر تغشّى جنح ليل فانجلى

حلو الشمائل لا يزيد على الرضا ... إلّا عليّ قساوة وتدلّلا

---

(١) لم يرد هذا البيت في الكتب التي أوردت الشعر فاضطررت لكتابته كما أثبته مولاي المؤلف.

(٢) بدر.

(٣) العيطل من النساء: الطويلة العنق / راجع صحاح اللغة، والمعرق القليل اللحم. راجع المحيط في اللغة أي الذي ظهرت عروقه.

(٤) النقا مقصور من كثبان الرمل.

نجلت به صيد الملوك فأصبحت ... شرفاً له هام المجرّة منزلا

فالحكم منسوباً إلى آبائه ... عدل ولكن حكمه لن يعدلا

ادنوا فيصدر[1] معرضاً متبذّلاً ... عنّي وأخضع طائعاً متذلّلا

أبكي فيبسم ضاحكاً فيقول لي ... عجباً[2] إذا شاهدت وجهي مقبلا

أنا روضة والروض يبسم نوره ... بشراً إذا دمع السحاب تهلّلا

وكذاك لا عجباً خضوعك طالما ... أسد العرين تقاد في أسر الطلا

قسماً بفاء فتور جيم جفونه ... لأُخالفنّ على هواه العذّلا

ولأرخصنّ على الهوى نفساً غلت ... فعلت ويرخص في المحبّه ما غلا

ولأحسننّ وإن أسا وألين طو ... عاً إن قسى وأزيد حبّاً إن قلا

لا نلت ممّا أرتجيه مآربي ... إن كان قلبي عن محبّته سلا

إن كنت أهواه لفاحشة فلا ... بوئت في دار المقامة موئلا

يا حبّذا متحاببين تواصلا ... دهراً وما اعتلقا بفحش أذيلا

لا شيء أحسن[3] من عفاف زانه ... ورع ومن لبس العفاف تجمّلا

طبعت سرائرنا على التقوى ومن ... طبعت على التقوى سريرته علا

أهواه لا لخيانة حاشا لمن ... أنهى الكتاب تلاوة أن يجهلا

لي فيه مزدجر بما أخلصته ... بالمصطفى وأخيه من صدق الولا

فهما لعمرك علّة الأشياء في ... العلل الخفيّة إن عرفت الأمثلا

الأوّلان الآخران الباطنان ... الظاهران الشاكران لذي العلا

---

(١) فيصدف.

(٢) لا غرو.

(٣) عند المؤلّف: أذيل.

العابدان الزاهدان الحاكمان   العادلان الشاهدان على الملا
خلقا وما خلق الوجود كلاهما   نوران من نور العليّ تفضّلا
في علمه المخزون مجتمعان لن   يتفرّقا أبداً ولن يتحوّلا
فاسال عن النور الذي يجدونه   في النور مسطوراً وسائل من تلا
واسأل عن الكلمات لمّا أن لها   حقّاً تلقّىٰ آدم متقبّلا
ثمّ اجتباه فأودعا في صلبه   شرفاً له وتكرّماً وتحلّلا
وتقلّبا في الساجدين فأودعا   في أطهر الأرحام ثمّ تنقّلا
حتّى استقرّ النور نوراً واحداً   في شيبة الحمد بن هاشم يجتلى
قسماً لحكم ارتضاه فكان ذا   نعم الوصي وذاك أمسى مرسلا
فعليّ نفس محمّد ووصيّه   وأمينه وسواه مأمون فلا
وشقيق نبعته وخير من اقتفى   منهاجه وبه اقتدى وله تلا[1]
وبه استقرّ الفلك في طوفانه   لمّا دعى نوح به وتوسّلا
وبه خبت نار الخليل فأصبحت   برداً وقد أذكت حريقاً مشعلا
وبه دعىٰ يعقوب حين أصابه   من فقد يوسف ما شجاه وأذهلا
وبه دعى الصدّيق يوسف إذ هوى   في هوّة[2] وأقام أسفل أسفلا
وبه أماط الله ضرّ نبيّه   أيّوب وهو المستكين المبتلا
وبه دعا موسى فأوضحت العصا   طرقاً ولجّة بحرها طام ملا
وبه دعا عيسى فأحيا ميّتاً   من قبره وأهال عنه الجندلا

---

(١) وبعد هذا البيت:

مولىً به قبل المهيمن آدماً   لمّا دعىٰ وبه توسّل أوّلا

راجع مولانا الأميني: الغدير ج٦ ص٣٨٢.

(٢) جبّه.

وبه دعا داود حين غشاهم جالوت مقتحماً يقود الجحفلا
ألقاه دامغة فغادر شلوه ملقىً وولّى جمعه مستعجلا
وبه دعىٰ لمّا عليه تسوّر الخـ ـصمان محراب الصلاة وأدخلا
فقضى لخصم منهما بالظلم في حكم النعاج فكان حكماً معضلا
وتجاوز الرحمن عنه تكرّماً وبه ألان له الحديد وسهّلا
وبه سليمان دعىٰ فتسخّرت ريح الرخاء لأمره ولها علا
وبه استقرّ الملك حين دعا به عمر الحياة فعاش فيه مخوّلا
وبه توسّل آصف لمّا دعا بسرير بلقيس فجاء معجّلا
العالم العلم الرضيّ المرتضىٰ نور الهدى سيف العلاء أخ العُلا
من عنده علم الكتاب وحكمه وله تأوّل مستقناً ومحصّلا
وإذا علت شرفاً ومجداً هاشم كان الوصيّ به المعمّ المخولا
لا جدّه تيم بن مرّة لا ولا أبواه من نسل النفيل تنفّلا
ومكسّر الأصنام لم يسجد لها[1] متعفراً فوق الثرى متنفّلا
لكن له سجدت مخافة بأسه لمّا على كتف النبيّ علا علا
تلك الفضيلة لم يفز شرفاً بها إلّا الخليل أبوه في عصرٍ خلا
إذ كسّر الأصنام حين خلا بها سرّاً وولّى خائفاً مستعجلا

وقال هذه الأبيات الآتية في مرض موته وفيها أظهر التوسّل بأهل البيت عليهم السلام :

آن الرحيل وحقّ فينا ما ترىٰ وسرت لقطع مفازة البين البرىٰ[2]

---

(١) مولانا الأميني في الغدير ج٦ ص٣٨٣ وأعيان الشيعة ج٨ ص١٩٢.

(٢) عند المؤلّف «السرىٰ» وهو سير الليل، وفي الغدير «البرىٰ» وهو التراب ويكون أقرب إلى المعنى.

وطعنت عمّن ودّ يوم ترحّلي ... لو أنّها بالروح لي عوض شرا[١]

ونقلت من سعة القصور وروضها[٢] ... فرداً إلى ظلمات أطباق الثرى

وتصرّمت أيّامنا فكأنّها ... كانت وكنّا طيف أحلام الكرىٰ

ومروعة بالبيت كاد فؤادها ... من هول يوم البين أن يتفطّرا

وتقول إذ آن الرحيل ودمعها ... قد خطّ في الخدّ المخدّد أسطرا

يا نازلاً بحشاشتي ومخلّفي ... عرض المخافة والمجاعة والعرا

فإلى من الملجا سواك لنا إذا ... شطّت صروف الدهر أو خطب عرا

فأجبتها والعين كوب فراقها ... يهمي على خدّي نجيعاً أحمرا[٣]

أنا واثق بك لا أرى شخصيهما ... إلّا بشيراً سائلي ومبشّرا

فبحقّ أقوام ائتمنتهم على ... مكنون سرّك عارفاً ومخبّرا

إلّا غفرت ذنوب عبد نازل ... بفناء من ألزمت طاعته الورىٰ

لا زاهد ورع ولا متجنّب ... إثماً ولا يوماً لعسر يسّرا

لكن يدي علقت بحبل ولائكم ... ثقة بكم ولنا بذلك مفخرا

يا ناصر الإسلام حين تأوّدت ... منه الدعائم فاستقام بلا مرا

ومذلّ عزّ الكفر بعد حميّةٍ ... خشناء عالية الجوانب والذرىٰ

الله في عبد أتاك مجاوراً ... متحصّناً بولاكم متستّرا

---

(١) ترىٰ.

(٢) روحها.

(٣)

أنتم وديعة ذي الجلال كما غدا ... شخص وديعة حيدر خير الورى

يا مؤنسي في وحدتي إذ عاينت ... عيني نكيراً في اللحود ومنكرا

الغدير ج٦ ص٤٠١.

إنّــي أتــيتك وافــداً ومـجاوراً ولكـلّ جـار وافـد حقّ القرى[1]

صفي الدين عبدالعزيز بن سرايا الحلّي رحمه الله تعالى

شاعر ساحر، وفاضل في فنون الأدب ماهر من الشعراء المتأخّرين الذين ليس له قرين، أُستاذ الكلام جدير بالتحسين، والقصيدة البديعيّة المشهورة تشهد له على فضله شهادة تامّة كان معاصراً لملوك ديار بكر وله قصاد لطيفة في مدحهم ويستفاد من ديوانه بأنّ آبائه في الحلّة وماردين كانوا من الأعيان ورؤساء الزمان وافتخر في مواضع عدّة من ديوانه بأبيه وخاليه ووصف نفسه بفنائه واستغنائه عن مسلك شعراء زمانه.

صحبه الشيخ مجدالدين الفيروزآبادي الشافعي[2] وهو من أعلام المتأخّرين في فنّ الحديث فكتب في مجموعه هذه الأقوال النادرة فقال: «... اجتمعت سنة سبع وأربعين وسبعمائة بالأديب الشاعر صفي الدين عبدالعزيز بن سرايا الحلّي بمدينة بغداد فرأيته شيخاً كبيراً له قدرة تامّة على النظم والنثر وخبرة بعلوم العربيّة والشعر، فغزله أرقّ من سحر النسيم وأرقّ من المحيّا الوسيم، وكان شيعيّاً قحّاً إلّا أنّ حاله رثّة وهيئته قبيحة وعمامته وسخة ووجهه أقبح من الكلّ، ومن رأى صورته لا يظنّ أنّه ينظم ذلك الشعر الذي هو كالدرّ في الأصداف، انتهى.

ومن أشعاره التي مدح بها أميرالمؤمنين عليه السلام هذه الأبيات:

جـمعت فـي صفاتك الأضداد فـلهذا عـزّت لك الأنـداد

زاهـد حـاكـم حـليم شجاع فـاتك نـاسك فـقير جـواد

شـيم مـا جـمعن في بشـر قطّ ولا حـاز مـثلهنّ العـباد

---

(١) الغدير ج٦ ص ٤٠١.

(٢) والفيروزآبادي هذا هو صاحب القاموس.

خلق يخجل النسيم من اللطف ... وبأس يذوب منه الجماد
فلهذا تعمقت فيك أقوام ... بأقوالهم فزانوا وزادوا
فعلت في صفات فضلك ياسين ... وصاد وآل سين وصاد
ظهرت منك للورى معجزات[١] ... فأقرّت بفضلك الحسّاد
إن يكذّب بها عداك فقد ... كذّب من قبل قوم لوط وعاد
أنت سرّ النبيّ والصنو وابن ... العمّ والصهر والأخ المستجاد
لو رأى مثلك النبيّ لآخاه ... وإلّا فأخطأ الانتقاد
بكم باهل النبيّ ولم يلف ... لكم خامساً سواه يزاد
كنت نفساً له وعرسك وابناك ... لديه النساء والأولاد
جلّ معناك أن يحيط به الشعر ... ويحصي صفاته النقاد
إنّما الله عنكم أذهب الرجس ... فردّت بغيظها الأضداد
ذاك مدح الإله فيكم فإن ... فهت بمدح فذاك قول معاد[٢]

ولا يخفى أنّ الشاعر حين كشف استجماع الإمام عليه السلام لكلّ صفة مضادّة لأُختها إنّما يهدف إلى تشبيهه بحضرة الربوبيّة سبحان الله وتعالى في سعة إحاطة كماله المنحصر في طرفين من الأضداد والمقيّد بجانبين من ذلك ليس هذا فحسب هو الغرض الأصيل بل مقتضى ذلك الشعر هو تعانق الأطراف واستجماع الأضداد لأنّه ثبت عند أهل التحقيق أنّ كمال كلّ صفة يظهر في تعلّقها بضدّها والتقائها بذلك الضدّ كما شوهد ذلك في عقد فرائد أسماء الله الحسنى ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ

---

(١) مكرمات.

(٢) أعيان الشيعة ج٨ ص٢٢.

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾[1] إذن إن أمكن وصف الخالق المتعال والمتشبّهين به فإنّما يتمّ ذلك في صفات الكمال بالصفات المقابلة لها ولا يمكن حصر وصفه في إحدى الصفتين وهذه القطعة من الشعر في مدح ذلك الإمام الهمام عليه السلام:

أميرالمؤمنين أراك أمّا ذكرتك عند ذي حسب صفىٰ لي
وإن كرّرت ذكرك عند نغل تكدّر عيشه وبغىٰ قتالي
فصرت إذا شككت باصل مرءٍ ذكرتك بالجميل من المقال
فليس يطيق سمع ثناك إلّا كريم الأصل محمود الفعال
فها أنا قد خبرت بك البرايا فأنت محكّ أولاد الحلال[2]

وله في مدحه أيضاً:

فوالله ما اختار الإله محمّداً حبيباً وبين العالمين له مثل
كذلك ما اختار النبيّ لنفسه عليّاً وصيّاً وهو لابنته بعل
وصيّره دون الأنام أخاً له وصنواً وفيهم من له دونه الفضل
وشاهد عقل المرء حسن اختياره فما حال من يختاره الله والرسل

وله أيضاً:

توال عليّاً وأبنائه تفز في المعاد وأهواله
إمام له عقد يوم الغدير بنصّ النبيّ وأقواله
له في التشهّد بعد الصلاة مقام يخبّر عن حاله
فهل بعد ذكر إله السماء وذكر النبيّ سوى آله

وفي قصيدة أُخرى مدح بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقال هذه الأبيات في مدح باب مدينة علم النبيّ وآله الأطهار:

---

(١) الحديد/٣.

(٢) ذكر سيّدنا الأمين في الأعين ثلاثة أبيات وحذف اثنتين.

مــدينة عــلم وابــن عـمّك بـابها فمن غير ذاك الباب لم يؤت سورها
شموس لكم في الغرب ردّت شموسها بدور لكم في الشـرق شقّت بـدورها
جـبال إذا مـا الهضب دكّت جـبالها بحور إذا ما الأرض غاضت بـحورها
فآلك خـــير الآل والعـــترة التـــي مـــحبّتها نـــعمىٰ قـليل شكـورها

وفي قصيدة أُخرى نظمها في نعت صاحب الرسالة صلوات الله عليه وآله وفيها هذه الأبيات أيضاً في مدح الآل عليهم السلام:

ولو أنّـني وفيت وصفك حقّه فـني الكـلام وضـاقت الأوزان
فعليك من ربّ السلام سـلامه والفـضل والبـركات والرضوان
وعـلى صراط الحقّ آلك كـلّما هبّ النسـيم ومـالت الأغصان
وعلى ابن عمّك وارث علم الذي ذلّت لسـطوة بأسـه الشـجعان
وأخيك في يوم الغدير وقد بدىٰ نـور الهـدى وتآخت الإخـوان
وعـلى صحابتك الذين تـتبّعوا طـرق الهـدى فـهداهـم الرحـمن

وتقييد صحابة الرسول بالصلة والموصول (الذين تتبّعوا) من أجل الاحتراز عن دخول الأغيار وإخراج ناقضي عهد سيّد الأبرار ومخالفي آله الأطهار ونظير هذا التقييد ما جاء في الحكاية المشهورة وهي أنّ نزاعاً وقع بين علوي وشخص آخر فقال له العلوي: أتعارضني ويحك وأنا من آل النبيّ صلى الله عليه وآله وأنت تصلّي عليَّ في كلّ صلاة تصلّيها. فقال له ذلك الشخص: أجل، أنا أُصلّي على الآل ولكن أخصّهم بالطيّبين الطاهرين.

وفي قصيدته البديعيّة التي قالها في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه هذه الأبيات:

صـلّى عـليه إله العـرش مـا طـلعت شمس وما لاح نـجم في دُجـى الظـلم

وآله أُمـــناء الله مـــا شـــهدت لقـــدرهم ســـورة الأحـــزاب بـــالعظم
آل الرسـول مـحلّ العـلم مـا حكـموا للّـــه إلّا وعـــدّوا ســـادة الأُمـــم
بـــيض المـفارق لا عـاب يـدنّسهم شـــمّ الأُنـوف طـوال البـاع والأُمـم
هم النـجوم بـهم يـهدى الأنـام وينجا ب الظـــلام ويـــهمي صـــيّب الديـــم
لهـــم أســـام ســـوام غـير خـافية من أجـلها صار يـدعى الاسـم بـالقلم
وصـحبه مـن له فـضل إذا افـتخروا مـــا أن يـقصر عـن آيـات فـضلهم
هـم هـم في جـميع الفـضل مـا عـدما فـضل الإخـاء ونـصّ الذكـر والرحـم
البـاذلوا النـفس بـذل الزاد يـوم قـرىً والصائنوا العرض صون الجار والحرم
خضر المرابع حمر السمر يـوم وغـىً ســـود الوقـــائع بـــيض الفـعل والشيم
ذلّ النـــضار كـــما عـــزّ النـظير لهـم بـــالفضل والبـــذل فـي عـلم وفـي كـرم
مـن كـلّ أبـلج وارى الزنـد يـوم نـدىً مشـــمّر عـــنه يـــوم الحـــرب مـصطلم
لهـــم تـــهلّل وجـــه بـــالحياء كـــما مـــقصوره مســـتهلّ مـــن أكـــفهم
مـــا روضـــة وشـــح الوســـميّ بـردتها يـــوماً بأحـــسن مـــن آثـــار سـعيهم
لا عـيب فـيهم سـوى أنّ النـزيل بـهم يسلو عن الأهل والأوطان والحشـم[١]

ولا يخفى أنّ قوله «هم هم» في البيت الثامن تنتظم في طرائق الشعر ولكنّه يشير هنا إلى أنّ المقصود من الأصحاب هم أهل البيت أيضاً وآل الرسول الذين تجب الصلوات عليهم في شرع المحبّة وليس غيرهم، ويدلّ صدر البيت وما بعده على ما ذكرناه لأنّ الأوصاف التي ذكرها في المصراع الثاني من ذلك البيت من الفضل والإخاء ونصّ الذكر والرحم تختصّ بآل البيت الأطهار فإذا كان ذكر الصحابة في البيت يصرف اللفظ إلى غير آل النبي الأطهار فإنّ ذكر الأوصاف

---

(١) ديوان صفي الدين: ص ٤٨١ وص ٤٨٢ ط المطبعة العلميّة النجف ١٣٧٥ هجرية.

المشار إليها تردّ المعنى إليهم خاصّة.

ومن شعره هذان البيتان في مدح العترة الطاهرين من أشعاره التي شعارها المحبّة:

يا عترة المختار يا من بهم ... يفوز عبد يتولّاهم

أعرف في الحشر بحبّي لكم ... إذ يعرف الناس بسيماهم

وله أيضاً:

يا عترة المختار يا من بهم ... أرجو نجاتي من عذاب أليم

حديث حبّي لكم سائر ... وسرّ ودّي في هواكم مقيم

قد فزت كلّ الفوز إذ لم يزل ... صراط ديني بكم مستقيم

فمن أتى الله بعرفانكم ... فقد أتى الله بقلب سليم

وقال هذه القطعة في معرض التقيّة:

قيل لي تعشق الصحابة طُرّاً ... أم تفرّدت منهم بطريق

فوصفت الجميع وصفاً إذا ... ضاع أزرىٰ بكلّ مسك سحيق

قيل هذي الصفات والكلّ كالد ... رياق يشفي من كلّ داء دثيق[1]

فإلى من تميل قلت إلى الأربع ... لاسيّما إلى الصدّيق

ولا يخفى أنّ غرض صفي الدين من الأربع هم أميرالمؤمنين والسبطان وأُمّهما فاطمة عليهم السلام كما ذهب هذا المذهب الشيخ الأوحدي في «جام جم» وقال:

هشتم هفت كوكب معلوم ... پنجم چار گوهر معصوم

والمراد من الصدّيق أميرالمؤمنين عليه السلام لأنّه أوّل من صدّق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) لا وجود لهذه الكلمة في كتب اللغة وأحسبها «دقيق» والتصحيف من الناسخ.

وجاء في بعض مجالس هذا الكتاب من طرق المخالفين والمؤالفين أنّ الإمام عليه السلام قال على منبر الكوفة: أنا الصدّيق الأكبر.

وجاء تعليقاً على بعض أشعار صفي الدين الحلّي أنّ السيّد الأجل النقيب الأمير تاج الدين الآي وهو نقيب نقباء الأشراف في العراق طلب منه ردّاً على أبيات عبدالله بن المعتز العبّاسي التي تضمّنتها قصيدته الألفيّة لأنّه ارتكب فيها سوء الأدب مع أهل البيت عليهم السلام وتكلّم بحديث غير معقول حيث قال:

ألا من لعين وتسكابها　　تشكّى القذى وبكاها بها
ونحن ورثنا ثياب النبي　　وكم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بني بنته　　ولكن بني العم أولى بها
قتلنا أُميّة في دارها　　ونحن أحقّ بأسلابها
إذا ما دنوتم تلقّيتم　　زبوناً أقرّت بجلّابها[1]

عند ذلك اندفع صفي الدين على الوجه الذي سنذكره لاحقاً يقول على وجه الارتجال:

ألا قل لشرّ عبيد الإله　　وطاغي قريش وكذّابها
وباغي العباد وباغي العناد　　وهاجي الكرام ومغتابها
أأنت تفاخر آل النبي　　وتجحدها فضل أحسابها
بكم باهل المصطفى أم بهم　　فردّ العداة بأوصابها
أعنكم نفى الرجس أم عنهم　　لطهر النفوس وألبابها
أما الرجس والخمر من دأبكم　　وفرط العبادة من دأبها

(١) هكذا وردت أيضاً في غدير مولانا الأميني ج٦ ص٥٢، وفي فوات الوفيات ج١ ص٥٩٤: وقرّت بحلابها.

وقلت ورثنا ثياب النبي   فكم تجذبون بأهدابها
وعندك لا تورث الأنبياء   فكيف حظيتم بأثوابها
فكذّبت نفسك في الحالتين   ولم تطعم الشهد من صابها
أجدك يرضى بما قلته   وما كان يوماً بمغتابها[١]
وكان بصفّين من حزبهم   لحرب الطغاة وأحزابها
وقد شمّر الموت عن ساقه   وكشّرت الحرب عن نابها
فأقبل يدعو إلى حيدر   بإرغابها وبإرهابها
وآثر أن ترتضيه الأنام   من الحكمين لأسبابها
ليعطي الخلافة أهلاً لها   فلم يرتضوه لإيجابها
وصلّى مع الناس طول الحياة   وحيدر في صدر محرابها
فهلّا تقمّصها جدكم   إذا كان إذ ذاك أحرى بها
وإذ جعل الأمر شورى لهم   فهل كان من بعض أربابها
أخامسهم كان أم سادساً   وقد جليت بين خطّابها
وقولك أنتم بنو بنته   «ولكن بنو العمّ أولى بها»
بنو البنت أيضاً بنو عمّه   وذلك أدنى لأنسابها
فدع في الخلافة فصل الخلاف   فليست ذلولاً لركّابها
وما أنت والفحص عن شأنها   وما قمّصوك بأثوابها
وما ساورتك سوى ساعة   فما كنت أهلاً لأسبابها
فكيف يخصّوك يوماً بها   ولم تتأدّب بآدابها
وقلت بأنكم القاتلون   أسود أميّة في غابها

---

(١) في الديوان: بمرتابها ص٥٨.

كذبت وأسرفت فيما ادّعيت ولم تنه نفسك عن عابها
فكم حاولتها سراة لكم فردّت على نكس أعقابها
ولولا سيوف أبي مسلم لعزّت على جهد طلّابها
وذلك عبد لهم لا لكم رعىٰ فيكم قرب أنسابها
وكنتم أُسارى ببطن الحبوس وقد شفكم لثم أعتابها
فأخرجكم وحباكم بها وقمّصكم فضل جلبابها
فجازيتموه بشرّ الجزاء لطغوى النفوس وإعجاها
فدع ذكر قوم رضوا بالكفاف وجاؤوا الخلافة من بابها
هم العابدون هم الزاهدون[1] هم الساجدون بمحرابها
هم الصائمون هم القائمون هم العالمون بآدابها
هم قطب ملّة دين الإله ودور الرحى حول أقطابها
عليك بلهوك بالغانيات وخل المعالي لأصحابها
ووصف العقار وذات الحمار ونعت العقار بألقابها
وشعرك في مدح ترك الصلاة وسعي السقاة بأكوابها
وذلك شأنك لا شأنهم وجري الجياد بأحسابها[2]

ومات صفي الدين على الوجه الذي ذكره ابن شحنة في كتابه «الروض المناظر» سنه خمسين وسبعمائة.

القاضي فخرالدين ابن مكانس ﷺ

سمع من بعض الثقات أنّه إماميّ المذهب وكان معاصراً لصفي الدين الحلّي

(١) في الديوان بتقديم الزاهدون ص٥٩.

(٢) راجع: ديوان الحلّي ط العلميّة في النجف عام ١٣٧٥ ص٥٧.

وهذان البيتان من بعض قصائده في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام:

يا ابن عمّ النبيّ إنّ أُناساً قد تولّوك بالسعادة فازوا

أنت للعلم في الحقيقة باب يا إمامي وما سواك مجاز[1]

استدراك:

إن لم يتيسّر لنا استقصاء ذكر الشعراء المؤمنين ومادحي أهل البيت الطاهرين في هذا المجلس المقرون برياض الجنان، فقد يعرض لبعض الخواطر اسم أبي نؤاس الحسن بن هاني وقد يقول قائل: إنّ هذا الشاعر الذي أطنب في مدح المأمون العبّاسي وهو من كبار الشعراء ومشاهيرهم وشعره في مدح الإمام الرضا مشهور وفي كتب الجمهور مسطور، فلماذا أعرض السيّد عن ذكره هنا في هذا المجلس؟

والجواب على النحو التالي أنّنا نقول: «ما كلّ سوداء تمرة ولا كلّ بيضاء شحمة» لأنّ كلّ ما اشتهر من شعره في مدح الإمام الرضا عليه السلام هذه القطعة التي قالها لتفادي لوم الناس له:

قيل لي أنت أحسن الناس طرّاً في فنون من المقال النبيه

فعلى ما تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمّعن فيه

قلت لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه..[2]

والشعر الذي يقال من أجل ذلك لا يدلّ على خلوص النيّة، ومن مدائحه فيهم هذه المقطوعة:

---

(١) أعيان الشيعة ج٨ ص٣٩٦ وج٩ ص٣٨٤، نفحات الأزهار ج١٠ ص١٩٥.

(٢) ورد هذا الشعر في عدّة كتب منها: عيون أخبار الرضا ومسند الإمام الرضا وكنز الفوائد والمناقب وغيرها باختلاف كثير في الألفاظ وعدد الأبيات.

مطهّرون نقيّات ثيابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه فماله في قديم الدهر مفتخر
اللّه لمّا برى خلقاً فأتقنه صفاكم واصطفاكم أيّها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور[١]

وسبب قوله لها بناءاً على الوجه الذي ذكره صاحب كتاب «إعلام الورى» عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن محمّد بن يحيى الفارسي قال: نظر أبو نؤاس إلى الرضا عليه السلام وقد خرج من عند المأمون على بغلةٍ له، فدنا منه وسلّم عليه وقال: يابن رسول الله، قد قلت فيك أبياتاً وأنا أُحبّ أن تسمعها منّي.

قال: هات، فأنشأ يقول... الخ، قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد يا غلام هل معك من نفقتنا شيء؟ فقال: ثلاثمائة دينار. فقال: أعطها إيّاه، ثمّ قال: لعلّه استقلّها، يا غلام سق إليه البغلة[٢].

ولا يخفى بأنّ سياق الرواية المذكورة يدلّ على ضعف اتصاله بالإمام عليه السلام ومن كلام الإمام: «لعلّه استقلّها» يظهر عدم ثقة الإمام بحسن اعتقاده: ومع هذا فقد جاء في أمالي الشيخ الطوسي: إنّ بسامراء ـ سرّ من رأى ـ رجلاً يلقّب بأبي نؤاس المؤذّن يتخالع ـ أي يظهر الخلاعة ـ ويطيب مع الناس ويظهر التشيّع على الطيبة فيأمن على نفسه، فلمّا سمع الإمام لقبي بأبي نؤاس قال: يا أباالسري، ابن أبو نؤاس الحقّ ومن تقدّمك أبو نؤاس الباطل[٣].

وهذا القول يدلّ دلالة صريحة على بطلان عقيدة أبي نؤاس الشاعر المشهور.

---

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٧١.
(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى ج ٢ ص ٦٥.
(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٢٧٧.

ومن أدلّة فساد موادّه وخلط اعتقاده الأبيات التالية المنسوبة إليه:

إنّي أُحبّ أبا حفص وشيعته كما أُحبّ عتيقاً صاحب الدار

وقد رضيت عليّاً قدوة علماً وما رضيت بقتل الشيخ في الدار

كلّ الصحابة فينا أنجم زهر فهل عليّ بهذا القول من عار

ومجمل القول أنّ مجرّد مدح أهل البيت لا يدلّ على حسن الاعتقاد ولا على خلوص الفؤاد لأنّ الأسلاف والأخلاف من المخالفين التزموا ظاهراً بأحكام دين سيّد الأنام وذكر آله خير الكرام وقد جعلوا ذلك وقاية تدفع عنهم لوم أهل المذاهب والملل الأُخرى، ورأوا مصلحتهم الدينيّة منحصرة في ذلك وإلّا فهم في الباطن يعادون النبيّ وآله إلى الحدّ الذي يعتبر عليّ وفاطمة في بلاد السنّة أقلّ شأناً من أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة، فلو أنّ شخصاً مدح عليّاً أو مدح فاطمة ولم يذكر عائشة ينبز بالرفض ويُدعىٰ رافضيّاً، وسرعان ما تمتدّ إليه أيديهم بالإيذاء، وقد وضع بنو أُميّة ثمانين عاماً نير الكفر والعداء على أعناق أهل الشرق والغرب، وبذلوا جهدهم في إخفاء مناقب عليّ وأولاده، وقلّبوا اسم عليّ ودعوه بأبي تراب، لعلّ ذلك يمحو ذكره وذكر أهل بيته من الوجود كلّه، ولم يتيسّر لهم ذلك ـ والحمد للّه ـ وتحقّق مفهوم الآية ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[1] فلم يمكنهم نيل ما أرادوه وبلوغ ما قدّروه:

* به گِل خورشيد را اندود نتوان *

ولا يستر وجه الشمس بطين نتن لازب

ولمّا علم المخالفون أنّ ستر ذلك لا يقع في حدود الممكنات والناس يردّدون مناقبهم طوعاً وكرهاً، ويسجّله علمائهم في طروسهم وأسفارهم لا حبّاً

---

(١) التوبة/٣٣، الصف/٩.

ولكن وقوعاً تحت قهر الله سبحانه وتسخيره لهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1] وأشبهت حالهم حال اليهود وعلمائهم والمشركين والنصارى الذين حرّفوا جانباً من التوراة، وأخفوا جانباً آخر منها حسداً للنبيّ ﷺ فإنّ هؤلاء القوم فعلوا فعلهم فقد أخفوا طائفة من مناقب أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وحرّفوا طائفة أُخرى من مناقبه ونسبوها إلى أبي بكر وعمر وعثمان وألصقوها بهم ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

---

(١) لقمان/٢٥.

(٢) الشعراء/٢٢٧.

المجلس الثاني عشر
في ذكر شعراء العجم

سحبان العجم أبوالقاسم الفردوسي نوّر الله مرقده

يگـــانه فـارس مـيدان فـرس فـردوسى
که در محاربه غـرّيده هـمچو شـير عـرين
بر آن زمين كه قدم مانده شخص فطرت او
ســخنوران ازل تــا ابــد نـهاده جـبين

بــميدانــهم فــارس مــفرد أبــوالقــاسم العــالم الشــاعر
تــفرّد بــالبأس فـي سـرحـه كــما انــفرد الأسـد الخـادر
وأحنى الجبين بعمر السـنين له الكـاتب الشـاعر النـاشر

اسمه الحسن بن إسحاق بن شرفشاه، وقال بعضهم: بل هو المنصور فخرالدين أحمد بن مولانا فرّخ الفردوسي باعتبار كـونه فـلّاحاً لأربـعة بسـاتين تسـمّى بـ«فردوس» لسوري بن مقتر[1] ـ وكان يعتبر عميد خـراسـان ـ فـلذا تـخلّص بـ«فردوسي».

---

(١) كان في زمن مسعود الغزنوي حاكماً لنيشابور وبنا مشهد الإمام الرضا عليه السلام، راجع «تاريخ گزيده» ص٢٠٧ عن لغتنامه.

ويرى جماعة آخرون أنّ الفردوسي لمّا اجتمع بالسلطان مسعود وقرأ عليه شعره وكان شعراً رفيع المستوىٰ يأخذ بمجامع القلوب، سرّ السلطان من شعره سروراً زائداً فقال له: «للّه درّك يا فردوسي لقد أحلت مجلسنا إلى فردوس». ورأى هذه الجماعة أنّه من يومئذ تخلّص بـ«فردوسي».

ولا يخفى أنّ دلالة هذا القول على تخلّصه بفردوسي قبل ذلك واضحة لذلك خاطبه السلطان: للّه درّك يا فردوسي، لأنّه تخلّص باللفظ المذكور بعد ذلك.

واتفق القوم على أنّ كنيته «أبوالقاسم».

ورأى أبوه عند مولده كأنّه ارتقى على السطح وكان عالياً وتوجّه نحو القبلة وصاح صيحة عظيمة وأُجيب من ذلك الجانب ثمّ استدار إلى الجهات الثلاث وصاح مثل تلك الصيحة وأُجيب بنحوها، فلمّا أصبح الصباح عرض رؤياه على نجيب الدين المعتز ـ وهو من معبّري الرؤيا المشهورين في ذلك الزمان ـ وسأله عن معناها، فقال: سوف تطبق سمعته الجهات الأربع، ومعنى الجواب الذي أتاه هو تلقّي العالم كلّه لأقواله بالقبول.

ولمّا بلغ الفردوسي سنّ العشرين اشتغل بالطلب وامتلأ من أنواع العلوم والكمالات، وفاق أقرانه وسبق أمثاله، وكتابه الشاهنامه يدلّ على إمارته في إقليم الفضل والكمال دلالة واضحة، وبراهين لائحة كما عبّر عن ذلك الحكيم أنوري وهو ملك شعراء عالمه يومئذاك وقد أخذ قصب السبق في فنون الفضل والحكمة من أقرانه، وهذا شعره في ذلك:

آفرين بر روان فردوسي آن همايون نهاد و فرخنده

او نه اوستاد بود و ما شاگرد او خداوند بود و ما بنده

سقياً لروح ضمّها في جنبه من جاز أسمى الشعر وهو عميده

مـا كـان أُسـتاذاً لنا في شعره	بـل ربّـنا الأعـلى ونحن عبيده

ويقول الحكيم الخاقاني ـ وهو خاقان بلد الفضل والخطابة والكلام ـ حول ذلك:

شمع جمع هوشمندانست در ديجور غم
نكته‌اى كز خاطر فردوسى طوسى بود
زادگان طبع پاكش جملگى حورا وَشَند
زاده حوراوَش بود چون مردفردوسى بود

تـنوّر كـالشمع المـحافل بـالسنا	خواطر من أفكاره قدحت قدحا
وأفكـاره كـالحور تـختال بـيننا	وكان لها من دوننا الرجل السمحا

ويقال: إنّ شعر الحكمة في هذا الكتاب المعجز يعدل بوستان سعدي أربعة أضعاف بل إنّ أحاديث هذا الحكيم في الحقيقة تختصّ بأحوال المبدء والمعاد، وتشير إلى ذلك وذكر قصص ملوك العجم ما هو إلّا الذرائع الظاهرة في ثياب الأُسطورة وباطنها عزف العاشق ورمز الحكيم الموحّد، وقد غلّفت هذا كلّه بثوب التاريخ الشاهاني للعجم، وجعل معناه فهرسة للمدائح والمذام.

حـديث پـادشاهان عـجم را	حكايت نامهٔ ضحّاك و جم را
نخواهد هوشمند نيک فرجام	نشـايد كرد ضايع خيره ايّام
مگر كز خوى نيكان پند گيرد	وزانـجام بـدان عبرت پـذيرد
إنّ أحـاديث مـلوك العـجم	كـمثل ضـحّاك وجمّ المـلهم
أرادها «المذكور بالخير» لكي	تـبقىٰ حـديث عـبره للأُمـم
ومـا أراد ضـيعة العـمر بـلا	فـائدة تـبقى لذي تـعلّم
حتّى ينال عبرة ممّن مضى	بـالكتب تبقىٰ ليس بـالتكلّم

وجاء في تذكرة «دولتشاهي السمرقندي» أنّ الأفاضل والأعلام متفقون أنّ شاعراً في عهد الإسلام لم يضع قدمه في المعمورة خارجاً من كتم العدم نظيراً للفردوسي، والله تعالى قد وهبه ملكة القول والفصاحة، والشاهد العدل على صدق هذه الدعوىٰ كتابه «الشاهنامه» الذي مرّ عليه منذ أنشأه إلى اليوم[1] خمسمائة عام ولم يتصدّ أحد من الفصحاء والشعراء للردّ عليه ولم يجد شخص في نفسه الأهليّة لذلك، ولم تتأتّ هذه الحالة لأحد من الشعراء وهي عناية من الله اختصّت بالفردوسي. وهذا هو كلام دولتشاه السمرقندي في بيان فضل الفردوسي الطوسي: والفضل ما شهدت به الأعداء.

ذكروا: بأنّ الفردوسي بعد أن أتمّ تحصيله للعلوم وتكميله لنفسه القدسيّة انكبّ على مطالعة الكتب وأنفق أوقاته كلّها على ذلك، وكان بيته يقع على حافّة نهر يرتفد من نهر طوس، وكان قد أنس في انحدار الماء فكان إذا انقطع مجرى الماء عن ذلك النهر بسبب السيل الذي يغشى البلد تراه قد ركبه الغم واستولى عليه الهم، وكان قُصارى همّه وغاية سعادته أن يسدّ ذلك السدّ الذي يقام حول البلد من التراب، ويابس العلف، بالصاروج والآجر والكلس، حتّى يعجز السيل عن اقتحامه وقلعه، وألزم نفسه بنفقة جميع ما يملك حتّى يصنع ذلك السدّ، ولمّا حصل غرسه على الكمال من ذلك النهر وتدلّى ثمره ونالت روضة ضميره باكورة بدايع المنظومات من حديقة خاطره وحاز بواكر البدائع والغرائب ونوادر الروايات فإنّه بحكم القول القائل أنّ السماء تصخب بالنجوم وتزخر بالكواكب وليس يكسف إلّا الشمس والقمر، فقد تحمّل الفردوسي من ظلم حاكم طوس وعدوانه ما ملأ إنائه وأفسد رجائه، فتحمّل عن الأهل والوطن وهاجر إلى غزنة

---

(١) عصر المؤلّف.

لكي يقمع بقبضة ساعد العدالة القويّة للسلطان محمود رأس تطاول الجور والطغيان الذين مرّا عليه، وتسطع على حال ذلك المغموم الضائع شمس الإنصاف والانتصاف السلطاني.

فتوجّه إلى غزنة، ولمّا دنى من البلد نزل في أحد بساتينها وأرسل شخصاً إلى المدينة ليعلم أحد إخوانه بمقدمه وكما هو معلوم من الصدف الحسنة في ذلك اليوم أنّ الشعراء الغزنويّين كالعنصري والفرّخي والعسجدي وهم فتيان حسنوا الصورة قد كانوا هربوا من الخدمة واختلوا بأنفسهم في ذلك الروض، ولمّا علم بهم الفردوسي فأراد أن ينضمّ إليهم ولكنّه علم بأنّهم لاحظوا وضعه القروي المزري وحملوه على الزهد وعرفوا فيه الخشونة والجفاف فقالوا في أنفسهم: يجب علينا ردع هذا الزاهد الجافّ الخشن لأنّه سوف يقضي بهيأته على أُنسنا ويميت خواطرنا ويطفئ ألقها، فقال أحدهم: لنتصنّع السكر ونظهر له أنّنا مخمورون، فمنعهم العنصري من سلوك هذه الطريقة وقال: «ليس يجدي الوجد في كلّ أحد»، ولكن عليكم بامتحانه بالشعر فإن خرج من الامتحان قبلنا وإلّا فنحن في سعة من ردّه.

فقال العنصري: بناءاً على ما نقله النظامي العروضي صاحب المقالات الأربع: أيّها الإخوان، نحن شعراء ولا ينبغي أن ينضمّ إلينا غير الشاعر فليقل كلّ واحد منّا شطراً وأنت أيّها الطارئ الغريب عليك الشطر الرابع أو تتركنا لما نحن فيه وتنصرف، ثمّ أنشد العنصري:

*** چون عارض تو ماه نباشد روشن ***

«لم يضئ مثل عارضيك هلال»

وقال العسجدي:

*** مانند رخت گل نبود درگلشن ***

«لا ولا الورد مُشبه خدّيكا»

وقال فرّخي:

*** مژگانت همی گذر کند از جوشن ***

نفذت في الدروع أجفان عينيك كـمـا تـخرق الصـدور النـبال

فقال الفردوسي:

*** مانند خدنگ گیو در جنگ پشن ***

في حروب قد شنّها «گيو» تدعى[1] «پشـنُ» فـي البـلاد وهـي سـجال

فعجب الجميع به وبحسن تخلّصه، وقال له الأُستاذ العنصري: لقد أبعدت وأحسنت غاية الإحسان، فهل إنّ لك علماً بتاريخ ملوك العجم؟

فقال: بلى، وإنّ تاريخهم لمعي.

فأخذ العنصري في اختباره في الأبيات الصعبة والأشعار الغامضة، فرآه فذّاً في فنون القول قادراً على صنع الأساليب المختلفة، فقال له: عذراً أيّها الأخ لأنّنا ما عرفناك ولا اطّلعنا على فضلك قبلاً، واختصّه بنفسه.

ولمّا أمر السلطان العنصري بنظم تاريخ العجم وتاريخ ملوكهم وكان قد صعب عليه ذلك فسأل الفردوسي: وهل إنّك قادر على فعل ذلك؟ فأجابه بنعم معقّباً بقوله: إن شاء الله تعالى. فسرّ العنصري بذلك وأبلغ السلطان حالاً واصطحبه معه إليه، فتعطّف عليه السلطان واختصّه بالعناية، فقال الفردوسي بديهة بمدح السلطان بهذا البيت:

چو کودک لب از شیر مادر بشست بگـهواره مـحمود گـوید نـخست

(١) گيو: أحد الأبطال الأُسطورين الذي خاضوا حروباً عدّة.

وأوّل ما يقول الطفل بعد الـ لفـاطم بـمهده حـرّاً زكـيّا

عـلى محمود مولانا سلام بـه نـال الورى شـبعاً وريّـا

فأعجب به السلطان وتمكّن من قلبه وأمر بنظم تاريخ ملوك العجم.

ونقل بعضهم حكاية الأشطر الأربعة وامتحانهم الفردوسي في مجلس السلطان، فقال: ولمّا مثل الفردوسي في ذلك البستان بين يدي الشعراء فحدّثوه وحدّثهم، فكان الفردوسي يدخل معهم كلّ فنّ من فنون القول لاسيّما الشعر منه حتّى حيّر الشعراء، وبلغ الأمر بالشعراء أن ضاقوا به ذرعاً وشرعوا بالطعن فيه ولكنّهم لم يظهروا عليه ولم يخضعوه، فخرج من مجلسهم مغاضباً لهم.

قيل: وكان نديم للسلطان يدعى «ماهك» التقىٰ بالفردوسي وهو على تلك الحالة وحدّثه طويلاً فعرف فيه العالم الكامل وتمكّن حبّه من قلبه فدعاه إلى بيته واستضافه وسأله مستأنساً به عن مقدمه وعن غرضه، فحكى له الفردوسي جميع ما ألمّ به في طوس وعن ظلم حاكمها ومجيئه إلى غزنة بطلب العون والنصفة، وأخبره النديم بحكاية سير الملوك وطلب السلطان نظم الشعر في ذلك، فطار الفردوسي بذلك فرحاً وقال: أنا شاعر أيضاً وبمقدوري عمل ما يطلبه السلطان، فعساك أن تبلغ السلطان حالي عند سنوح الفرصة. فقال: أفعل ذلك إن شاء الله. ثمّ اقامه في اليوم الثاني فيمكانٍ ما وذهب إلى خدمة السلطان لعلّه يلقي إليه بشأن الفردوسي ولكن لم تتهيّأ الفرصة لذلك حتّى تتابع الأُسبوع على مثل هذا المنوال، وبما أنّ النديم علم بما ينطوي عليه الفردوسي من الفضل والبلاغة، وقد بلغ الذروة فيهما، فكان يحيي معه الليل كلّه في القصف والطرف بعد عودته من منزل السلطان.

وألحّ الفردوسي على ماهك في إبلاغه أمره وألحف في ذلك لكي ينال السموّ

بتقبيل قدم السلطان وتسمو به الهمّة إلى ذروة الرفعة. فقال ماهك: حضر الشعراء اليوم في مجلس السلطان وألقى كلّ واحد منهم شعراً منظوماً في تاريخ ملوك العجم واستمع إليه السلطان، ونظم العنصري حكاية رستم وسهراب فعهد إليه السلطان بالنظم لبيتين قدحا من قريحته الوقّادة واستجادهما السلطان وطلب من الحاضرين نقدهما، وبعد ذلك وقع الاختيار في النظم عليه وأوكل إليه.

فسأله الفردوسي عن البيتين ما هما؟ فقال ماهك: لمّا ظفر رستم بسهراب فكّر سهراب في نفسه قائلاً: لمّا أعطيت رستم الأمان فسوف آخذه منه حتماً، ولمّا استلّ رستم خنجره ولم يعط سهراب الأمان، فقال والخنجر مسلوك على رأسه:

هرآنگه که تشنه شدی تو بخون　　بيالودی آن خنجر آبگون

زمانه بخون تو تشنه بود　　بر اندام تو موی دشنه شود

متى ما ظمئت إلى أحمر　　تفجّر من قلبك الأسود

فاغمد به خنجراً ماضياً　　حكى لونه الماء لم يبعد

لقد ظلّ دهراً له ظامئاً　　فسلّ الشفار له واغمد

فأعجب السلطان هذان البيتان، فنظم الفردوسي حكاية رستم وسهراب بمدّة وجيزة وأضاف إليهما حكاية اسفنديار ولم يكن ماهك قد علم بذلك وأوّله وأوّلها هذا المقطع:

كنون خورد بايد می خوشگوار　　كه می بوی مشک آيد از جويبار

هوا پر خروش و زمين پر زجوش　　خنک آنکه دل شاد دارد بنوش

درم دارد و نقل و نان و نبيد　　سر گوسفندی تواند بريد

مرا نيست اين خرّم آن راکه هست　　ببخشاد بر مردم تنگ دست

بـــــپاليز بـــلبل بـــنالد هـــمى گـــل از نـــالهٔ او بـــبالد هـــمى
شب تـــيره بـــلبل نـــخسبد هـــمى گـــل از بـــاد و بـــاران نـــخندد هـــمى

هكذا تُشرب العقار على النهر هـــنيئاً والريـــح تـــنفح طـــيبا
وشوشات الرياح تعبث في الأذان والأرض أوشكت أن تـــــثوبا
فاسقنيها يا بارد القلب واشرب مــــا ألذّ المـــطعوم والمشـــروبا
كـلّ من يـملك الدراهم والخبز وماء وخمر الطلا ولحماً رطيبا
فـــلينلها لبـــائس مـثل حـظّي أذيـعاني فـي النـاس فقراً كـئيبا
وليغنّي الهزار في الروضة الغنّاء لحـــــناً مـــــحبّباً مـــطلوبا
والريـاحين تسحب الذيـل ألوانـاً يـــظلّ الوجـــود فـيها خـصيبا
لا يـنام الهـزار في حـالك الليل ولاالورد يســــــتفزّ الطـــــيوبا

وقال ذات ليلة لماهك: لقد نظم تاريخ ملك العجم أساتذة الشعر بأعظم من هذا نظماً وأقاموا نظمهم على قواعد أساسيّة.

فقال ماهك: هذا مستحيل!

فقال الفردوسي: عندي حديث من هذا الكتاب وهو في حيازتي وإنّ جواهره المنظومة أعلى من كلام العنصري وأسمى ثمناً وأنفس قيمة وهياكله المحجوبة الأبكار أجمل وأتمّ حسناً من كواعب أتراب خاطره، وأعطاه الحكاية التي نظمها ليبلّغها السلطان، ولمّا وصلت هذه الدرر الثواقب إلى نظر السلطان استقبلها استقبالاً حسناً وأوسع لها في قلبه، وسأل ماهك: من أيّ برج فكر أشرقت هذه الكواكب؟

فقال ماهك: من فكر شخصٍ أمّ سدّة السلطان حامي الإنسان ومجير الولهان، هارباً من ظلم عمّال طوس، وهي مسقط رأسه ومجتمع ناسه، ولقد آويته مؤانساً

له وجالساً بحكم المعرفة السابقة الأزليّة لي معه.

ولمّا أُحيط بمحتوى القضيّة من نظم تاريخ ملوك العجم قال: إنّ هذا الكتاب تمّ تحبيره قبل هذا الطلب وأعطاني حكاية رستم واسفنديار لأُبلّغها إليكم لقصد الاطّلاع عليها وملاحظتها.

فرأى السلطان الوقت مساعداً لإحضاره، فأمر بذلك ليستفهمه عن هذا الكتاب إن كان قد أتمّه، فما من ضرورة تدعو إلى تجشّم نظمه، فاستوى الفردوسي قائماً وقبّل الأرض وأنشد عدداً من الأبيات في مدح السلطان نالت رضاه وإعجابه:

زيزدان ابر شاه باد آفرين	كه نازد بدو تاج و تخت و نگين
بزرگى بتاجش ببالد همى	كه گنجش ببخشش بنالد همى
خداوند نام و خداوند گنج	خداوند خفتان و شمشير و رنج
زدريا بدريا سپاه ويست	جهان زير فرّ كلاه ويست
بگيتى بكان اندرون زر نماند	كه منشور مهر ورا برنخواند
ابو القاسم آن شاه بيداربخت	نهاد از بر تاج خورشيد تخت
جهان آفرين تا جهان آفريد	چو او مرزبانى نيامد پديد
بياراست روى زمين را بداد	بپرداخت زان تاج بر سر نهاد
زخاور بياراست تا باختر	پديد آمد از فرّ او كان زر
زكشمير تا پيش درياى چين	بر او شهرياران كنند آفرين
جهاندار محمود شاه بزرگ	به آبشخور آرد همى ميش و گرگ
زفرش جهان شد چو باغ بهار	هوا پر زابر و زمين پر نگار
چو كودك دم از شير مادر بشست	بگهواره محمود گويد نخست
زابر اندر آرد بهنگام نم	جهان زو بكردار باغ ارم

بــــبزم انــدرون آســمان وفــاست | برزم اندرون تيز چنگ اژدهـاست
بــتن زنــده پيل و بـجان جبرئيل | بكـف ابـر بـهمن بـدل رود نـيل

تقريب المعنى بالعربيّة[1]:

بركات من الإله على السلطان تـهمي | كـــــعارض الأمـــــطار
يفخر التـاج فـيه والعـرش والخـاتم | يُـعلي الجــميع عــزّ الفــخار
إنّ فـخر العـلى بتاج له كـالشمس | تــــبدو مــــضيئة بـــالنهار
أنـفد البـذل كـنزه فـتجلّت فـيه | أيــدي العــفاة بــعد النــضار
ربُّ ذكـــــر وربُّ كـــنز وربُّ | لعــــفاة وربّ ســيف وثـــار
فـمن البـحر جـيشه وإلى البـحر | لصــــنع الحــــياة لا للــدمار
تســتظلّ الدنــيا بــعزّ ومــجد | فــي جـبين مكــلّل بــالغار
هــزم الدهــر كــنهه وتــجلّى | عــلمه عــند عــالم الأسـرار
من أبـي القـاسم الذي حـظّه الأزكى | تـــجلّى بـــالسعد فــي كـلّ دار
عـرشه فـوق هـامة الشـمس أمسىٰ | وتـــحلّىٰ جــبينه بـــالدراري
مــا يـرىٰ مـثله الإله قـديماً | وحـــديثاً فـــي عــالم الأحـرار
فــرش الأرض بـالهناء فـطابت | وهــمى العـدل مـثل صوب القـطار
وتــلاقىٰ بشــرقها الغـرب حـتّى | بــان للـعين كـنزها المـتواري
تــخذت مـدحه المـلوك شـعاراً | تـستغنّى زهــواً بــخير شـعار
فــبكشمير ثــمّ بـالصين أمـلاك | تـــفنّي عـــلاه بـــالأعمار
وغدا الضأن راتـعاً في حـمى الذئب | وأضــحى روضـاً جـديب القـفار

---

(١) أقول: لمّا كانت الترجمة لا تلزم المترجم بترجمة الشعر شعراً وإنّما التزمت بذلك اختياراً من نفسي لذلك أنا أترجم ما يظهر لي معناه من الشعر وقد لا يكون مطابقاً لمعنى المتن.

ذاك مـن عـدله الذي قـد تـدلّى كـتدلّي الأدواح بـالأثمار

طرّزت أرضنا بكفّ الربيع الغضّ تـزهو بأعـطر الأزهـار

والروابـي ارتـوت بـصيّب غـيث وجـرى الغـيث دافقاً في البراري

حـليت بـعده بـتبر ودرّ يـترائـىٰ بـزهره المـعطار

مـا تـهجّىٰ بـعد الفـطام صـغير بسـوى اسـم له عـلى الحبّ جـاري

وإذا مـا تـمطّر الغـيم يـغدو بـيديه بـحراً بـغير قـرار

أرم فـيه تـنجلي مـثلما قـد حـدّثونا فـي سالف الأعصار

جـمع الضـدّ فـي حـماه إلى الضدّ فشـدّ الأفـراح بـالأكـدار

عـنده مـن طـبيعة الفـلك الأعـلى سـماء الوفـاء والأسـحار

وتـلاقي التـنين في الحـرب بـالتنين تـرغو كـعاصف الأعـصار

وتـرى هـيكلاً كـما يـخطر الفـيل بـروح المـلائك الأبـرار

ثـمّ يـجري بـبهمن[1] رافـد النـيل بكـفّ مـن الحـيا المـدار

وبقيت أبيات أُخرى من القصيدة أعرضنا عنها خشية التطويل، وبعد دعائه

---

(١) إنّ الفردوسي عالم بأساطير الفرس وتاريخهم ولا أستبعد أن يكون قد أشار بلفظ بهمن إلى أُسطورة العين المسمّاة بهمن والتي جاءت في قابوس نامه فقد ذكر أنّ في ناحية من ضواحي «جرجان» عين ماء بقرية تدعىٰ «كوهپايه» والعين تبعد عنها، وعندما يستقي منها النساء يقصدنها جماعات جماعات وعلى رأس كلّ واحدة منهنّ إبريق من الفخار ليملأنه ماءاً ويحملنه على رؤوسهنّ ويرجعن من حيث جئن وأمامهنّ إحداهنّ ليس على رأسها إبريق ومهمّتها النظر في الطريق وإبعاد الدود عنه لئلّا تطأها النساء لأنّ ذلك لو حدث وماتت دودة من ذلك الدود فإنّ الماء الذي في الأباريق يكون ملحاً أُجاجاً وعليهنّ حينئذٍ إراقته والعودة إلى العين لملأ الأباريق من جديد / راجع دهخدا لغتنامه عن حاشية البرهان القاطع للدكتور معين، وليس بعيداً أن يكون الفردوسي أشار إلى هذه العين وإنّها تغيّرت عن عادتها وأصبحت تجري بالعذب كجري النيل به، والله تعالى علم ولست جازماً بذلك ولكن هذا ما خطر على البال.

للسلطان تظلّم إليه قائلاً: أنا امرءٌ غريب من أرض طوس وقفزت من الأهل والوطن خشيه ضرب سهام التعدّي وجور الأيّام، وأويت إلى ظلّ السلطان بحكم «إنّ السلطان ظلّ الله يأوي إليه كلّ مظلوم وملهوف» وها أنا لاجئ إلى ظلّ رحمته مستجيراً بعدله لائذاٍ بحمى الخاقان من إيذاء ظلم الظلمة، ولمّا أظهرت حكاية هذا الكتاب نظمت هذا الحديث شعراً.

فسرّ السلطان به وسأله عن أوضاع طوس وأهلها، وسأله عندئذٍ من الذي بنى (طوساً)، فقال فردوسي: بناها طوس بن نوذرمنوشهر* وسبب ذلك أنّ «كيخسرو»* عندما سرّح بأفراسياب* إلى حرب «طوران»* حذّره من سلوك كلات* وقال: إنّ أخي فرود أمامك وهو من نسل ابنة «پيران ويسه»* وهو شابّ حادّ الطبع وأخشى أن يستقبلك بالملاحم فيهلك ويضيع في هذا الزحام الملحمي. ولمّا بلغ طوس إلى حدود طوران لم يلق بالاً لتحذيرات كيخسرو وسلك طريق كلات فثارت الحرب بينه وبين فرود حتّى قُتِل، فغمّ كيخسرو من فعل طوس الذميم هذا فأرسل إليه قائلاً: إنّي بعثتك للأخذ بثار أبي فقتلت أخي.

وتمام الحكاية أنّ «طوس» لمّا عاد من طوران خاف أن يرجع إلى كيخسرو فأقام في خراسان وخطّط لبناء مدينة هناك وتسميتها باسمه لكي يبقى اسمه خالداً ما دامت المدينة باقية.

ولمّا قصّ الفردوسي على السلطان هذه القصّة علم وقوفه على دقائق تاريخ ملوك العجم، فاستدعى سلطان الشعراء وأشار إلى الفردوسي وقال: إنّ هذا الرجل شاعر ويدّعي المثنويّة وقد نظم هذه الحكاية شعراً، فتحيّر الأعلام والأُدباء والشعراء منه، وخلع السلطان عليه وقال لهم مرّة أُخرى: إنّكم الآن أربعة شعراء ليقل كلّ واحد منكم شطراً لتتجلّى فصاحتكم ونلمّ بالأفصح منكم

وبصاحب البلاغة الذي يغلب الآخرين، فوضع الشعراء أصابعهم على أعينهم وقال كلّ واحد منهم شطر في مدح السلطان كما مرّ:

چون عارض تو ماه نباشد روشن ... مانند رخت گل نبود در گلشن

تير مژهات گذر كند از جوشن ... مانند خدنگ ديو در جنگ پشن[1]

---

(١) تفسير ما جاء في الباب من الكلمات الغامضة:

* **نوذر ومنوچهر**: نوذر ابن منوچهر قتل بيدادافراسياب الثامن من ملوك «پيشداديان» من ملوك العجم.

* **كيخسرو**: اسم ملك مشهور من ملوك العجم وهو الملك الثالث من سلسلة كيان أبوه «سياوش» وأُمّه «فرنگيس»، قتل أباه جدّه لأُمّه ونهض للأخذ بثأره من جدّه بعد جلوسه على العرش، ودامت الحرب سجالاً سنين عدداً بين ايران والطورانيّين حتّى تمّت له الغلبة على أفراسياب قاتل أبيه ترهب بأخره وقسّم ايران بين الدهاقنة وجعل «لهراسب» شاهنشاهاً عليهم، واستخفى ولم يقعوا له على عين ولا أثر يُعرَف بين ملوك العجم بالتوحيد وعبادة الله.

* **أفراسياب**: اسم ملك تركستان، له شهرة وقوّة، دامت الحرب بينه وبين ثلاثة من ملوك ايران «كيقباد» و«كيكاوس» و«كيخسرو» أربعين عاماً بين كرّ وفرّ حتّى تمّ القضاء عليه بيد سبطه «كيخسرو بن سياوش» وانتهى الأمر.

* **طوران**: اسم بلاد تركستان وقسم من خراسان من جهة المشرق وتسمّى بماوراء النهر وتشمل جميع البلاد فيه، وتطلق على أرض الطورانيّين وتتصل بخوارزم من جهة المشرق إلى بحيرة «آرال» وسمّاها جغرافيّو القرون الوسطى ببحيرة خوارزم شكّلت جانباً مهمّاً من الملاحم القوميّة مع الإيرانيّين.

* **كلات**: جاء ذكرها في الشاهنامه باسم كلات خراسان وكان أخو كيخسرو «فرود» مقيماً فيها، ولمّا اجتاز بها طوس قائد كيخسرو قاصداً تركستان عرف فرود فقتله وغضب عليه كيخسرو غضباً شديداً وقال له: كما جاء على لسان الشاهنامه:

نگفتم مرو از كلات جرم ... كه آنجا فرود است با مادرم

* **پيران ويسه**: قائد مشهور في عسكر «أفراسياب» وهو ابن «ويسه» وكان في المحلّ الأعلى من قلب أفراسياب ملك الطورانيّين، واستبسلت قوّاته في حربهم مع الإيرانيّين على أثر قتل ⇐

ولمّا نطق فردوسي بالشطر الرابع، قال له الشعراء: وكيف كان فعل سنان «گيو»[١] في حرب «پشن»[٢] فأفاض بذكر ذلك في مجلس السلطان وفي حضرة الأعلام بحيث كان جديداً على سمعهم فأظهر السلطان غاية السرور بذلك وتقبّله بقبول حسن واستجاده كبار الشعراء.

وكان العنصري مقدّماً على الشعراء يومئذٍ ولمّا رأى رهافة حس الفردوسي ولطافة شعره ودقّة طبعه وكان قد تقدّمت معرفته له قبل ذلك، غلب عليه خبث الطينة ورداءة السريرة فقال: إنّي لا أرىٰ من يستطيع في مثل هذه الأيّام بمثل هذا الحديث، فما بالك بما هو أجلّ منه إلّا أنّ درج وجوده لا يخلو من جواهر الإنصاف وشاهد طبعه متحلٍّ بجواهر الأوصاف، مِن ثَمّ اعتذر إليه وطبع قبلات على يديه، وقال له: إنّ حديثنا وإن هبط من الأعالي ولكنّ طبعك العميق زاده علوّاً وارتفاعاً ولئن كان العنصري يعدّ ملك الشعراء هنا فإنّه الآن يتمنطق بزنّار العبوديّة ويقف على باب فطرتك مذعناً معترفاً.

ونطق الشعراء بنحو من ذلك وأطلقوا ألسنتهم بمدحه واستجادة شعره، وتقدّموا إليه باعتذارهم.

وعهد إليه السلطان بنظم كتاب سير الملوك، وفي هذه الأثناء طلب السلطان

⮌ سياوش، ذكر ذلك الفردوسي بكثير من التفصيل في الشاهنامه: و«ويسه» والد «پيران» هذا قائد أفراسياب.

وفرنگيس: اسم ابنة أفراسياب وزوجة سياوش.. الخ.

(١) «گيو» أحد أبطال الأساطير الإيرانيّة وهو ابن گودرز وصهر رستم البطل وهو الذي ردّ كيخسرو ابن سياوش وأُمّه فرنگيس من تركستان بعد بحث دام سبع سنوات.

(٢) «پشن» اسم موضع دارت فيه الحرب بين پيران ويسه وطوس نوذر، وقتل فيها جلّ أولاد گودرز، وتسمّى أيضاً حرب «لادن».

من الشعراء نظم بيتين من الشعر يذكرون به حسن خطّ «أياز» غلامه الذي يأخذ بمجامع القلوب، فأشار الجميع إلى «فردوسي»، فقال على البديهة:

مست است همى چشم تو و تير بدست

بس كس كه زتير چشم مست تو نجست

گر پوشد زعارضت زره عذرش هست

كز تير بترسد همه كس خاصه زمست

عينك يبدو الخمار فيها ... وقوسها عالق بسهم

من يستطيع الدنوّ منها ... وهي بدون السهام تدمي

والدرع في عارضيك يعدو ... خوفاً بأن تقصدا بكلم

من ذا الذي لا يخاف رام ... أثمله السكر وهو يرمي

فظهر السرور والجذل على السلطان وقال: للّه درّك يا فردوسي لقد أبهجت مجلسنا وأضأته، ثمّ اختصّه بأنواع التحف والهدايا وأزاح غبار الأكدار عن مرآة قلبه بصيقل الأدب الملوكي، وأكّد على تقرير نظم التاريخ المذكور أن يكون بعهدته وأمر أن يقام له مكان بالقرب من قصر السلطان وأن يحتلّ مكاناً في قلبه من قصره وحرمه، ونزل عند طلبه في تصوير جميع آلات الحرب والأبطال والمغاوير والحيوانات والخيول والفيلة والأُسود والنمور وغيرها على الجدران من الجهات الأربع بيد المصوّرين الماهرين العارفين بالتلوين والترسيم والتحبير والتقدير، وأن يصوّروا كذلك صور ملوك الإيرانيّين والطورانيّين وغيرهم من الأعلام بالسلاح والعدّة، وفي هذا الجوّ يشغل بنظم الشاهنامه وأمر أن لا يؤذن لأحد عليه ما عدا «أياز» غلام السلطان وخصيّ آخر، وكلّما نظم حكاية عرضها على السلطان ويقول السلطان: لقد سمعت هذا كثيراً ولكن شعر

الفردوسي شيء آخر، ثمّ أمر الخواجه «حسن الميمندي» أنّ يعدّ ما نظم من الأبيات فكانت ألفاً، فأعطاه ألف مثقال من الذهب الأبريز.

وأقبل الفردوسي بجدّ ودأب على نظم الشاهنامه وأعطاه الخواجه حسن بعد نظمه ألفي بيت بعد أن أتمّها الفردوسي ألف مثقال من الذهب الخالص وردّها الفردوسي لأنّه لم يرد أن يأخذ الثمن منجّماً بل أراده وافراً مرّة واحدة لكي ينفقها على بناء سدّ طوس كما سلف بيانه.

وجاء في بعض رسائل «نظامي» العروضي أنّ الأُستاذ أباالقاسم كان من دهاقين طوس من قرية هناك تدعى «بار» من جهة «طيران» وكانت له عدّة حسنة في تلك القرية وليس له إلّا ابنة واحدة، ونظم الشاهنامه وكان يميل أن يجهّز ابنته من الصلة التي يتقاضاها على النظم ثمّ أتمّ هذا الكتاب ونسخه له عليّ الديلمي وقرأها «أبو دلف دورشكر» و«حسين قتيب»[1] وهو عامل طوس وكان يرعى الفردوسي بعناية تامّة ويخفّف عنه في الخراج. وجاءت أسماء هؤلاء الأشخاص الثلاثة في الشاهنامه حيث يقول:

از اين نامه از نامداران شهر ... علي ديلم وبو دلف راس بهر

حسين قتيب است از آزادگان ... كه از من بگيرد سخن رايگان

نيم آگه از اصل و فرع خراج ... همي غلطم اندر ميان دواج

أعان على الحلّي رجال ثلاثة ... عليّ رفيقي ذوالعلىٰ وأبو دلف

ولاتنس من يدعى القتيب فإنّه ... أعان وأغناني بما فيه قد عطف

وماكنت أدري ما الخراج وأهله ... أغطّ بنوم مثل نوم ذوي الكهف

(١) لم أعثر على هؤلاء الأعلام في كتب التراجم والذي أظنّة أنّ خطأ حدث في نسخ أسمائهم فعلى القارئ أن يبذل الجهد في تحرّي ذلك.

ثمّ كنت الشاهنامه علي الديلمي في سبعة مجلّدات واستدعى الفردوسي أبا دلف إلى «غزنين» وعرض الكتاب على رجل كبير يدعىٰ الخواجه حسن الميمندي وتقبّلوه بقبول حسن، وكان الفردوسي لهذا الخواجه منن في عنقه ولكن للخواجه مخالفين ما يبرحون يقدحون في شخصه ويفترون عليه، فاستشار محمود هؤلاء القوم وقال: بماذا أجزي الفردوسي على هذا العمل الجليل؟ فقالوا: أعطه خمسين ألف درهم وهو كثير لأنّه رجل رافضيّ وهذه الأبيات تدلّ على رفضه وقد قالها في التوحيد:

بـبينندگان آفريننده را نه بيبنى مرنجان دو بيننده را

وقال في مقام نعت النبي ﷺ وآله المطهّرين عليهم السلام:

بگفتار پيغمبرى راه جوى دل از تيرگيها بدين آب شوى
چه گفت آن خداوند تنزيل وحى خداوند امر و خداوند نهى
كه من شهر علمم عليّم درست درست اين سخن قول پيغمبر است
گواهى دهم كاينسخن راز اوست تو گوئى دو گوشم بر آواز اوست
منم بندهٔ آل بيت نبى ستابندهٔ خاك پاى وصى
حكيم اين جهان را چو دريا نهاد برانگيخته موج از او تندباد
دو هفتاد كشتى در او ساخته همه بادبانها برانداخته
يكى پهن كشتى بسان عروس بياراسته همچو چشم خروس
محمّد در او اندرون با على همه اهل بيت نبىّ و ولى
خردمند كز دور دريا بديد كرانه نه پيداست وبن ناپديد
بداند اگر موج خواهد زدن كس از غرقه بيرون نخواهد شدن
بدل گفت اگر با نبى و وصى شوم غرقه دارم دو يار وفى

همانا که باشد مرا دستگیر خداوند تاج و لوا و سریر
اگر چشم داری بدیگر سرای بنزد نبی و وصی گیر جای
گرت زین بد آید گناه من است چنین است و این رسم و راه منست
بدین زادم و هم بدین بگذرم چنان دان که خاک پی حیدرم
ابا دیگران مر مرا کار نیست جز این مر مرا هیچ گفتار نیست
دلت گر برای خطا مایل است ترا دشمن اندر جهان همدل است
هرآنکس که در دلش بغض علیست از او خوارتر در جهان زار کیست
نباشد مگر بی‌پدر دشمنش که یزدان به آتش بسوزد تنش
نگر تا نداری ببازی جهان نه برگردی از نیک پی همرهان
از این در سخن چند رانم همی همانا کرانش ندانم همی

تقريب المعنى بالعربيّة:

سر على قول خاتم الأنبياء وتخلّ عن سائر الأهواء
ما الذي قاله منزل وحي خالق الأرض مبدعاً والسماء
ربّ أمر وربّ نهي وربّ الكو ن حاوي الغبراء والخضراء
قائلاً إنّني مدينة علم بابها الضخم سيّد الأوصياء
قال هذا النبيّ حقّاً فلا تغتر فيما يروى عن السفهاء
أنا والله جازم أنّ هذا القول قول النبيّ دون مراء
يملأ السمع قوله دونما ستر مقيم ما بيننا أو غطاء
وأنا العبد عبد آل النبيّ الطهر حقّاً وشاكر النعماء
إنّ من أوجد البحار براها واثباً موجها بعصف الهواء
وبرى فوقها اثنتين وسبعين سفيناً تجري بريح رخاء

ألقم الموجَ فيه كلُّ شراع جارياً فوقه بغير اهتداء

واصطفى واحداً يغطّي سماء البحر يجري كدافق اللاءلاء

يتجلىٰ في البحر مثل عروس أو كديك بل عينه في الصفاء

فيه خير الورى وفيه عليّ وذراريه سادة الأولياء

لو رأى البحر عاقل وشواطيه تناءت به بغير انتهاء

جازماً في هلاكه دون شكٍّ غرقاً في أمواجه الهوجاء

قال في سرّه لو أنّي أغدو غارقاً في خضمّ هذا الماء

لي خلّ محمّد وعلي فاز مستنجد بخلّي وفاء

مستظلّاً بظلّ صاحب تاج وسرير منوّر ولواء

أيّها العاقل الحكيم توطّن عند رضوان في جنان السماء

إن تجد ذا ذنباً يرىٰ في ذنوبي فهو ذنب من الذنوب الوضّاء

لست أرضى العدول عنه لأنّي صنته في دمي وفي أحشائي

يوم جئت الدنيا إلى أن أخليها بموت يأتي على الأحياء

لا كلام أقوله غير هذا: ناكباً عن مقالة الأعداء

ولئن حدت عن كلامي إلى قول مريدٍ ولاية السفهاء

فإلى النار واقتبس من لظاها لا ترى بعد ذاك برد الشتاء

إنّ من يبغض الوصيّ ذليل ليس أردأ ذلاًّ من الطلقاء

لا يعاديه غير شخص زنيم لا أب يدّعيه في الآباء

سر بدرب الهداة تغدو كسارٍ بنجوم في القبّة الزرقاء

واعرف الدين من كلامي فإنّي قد جعلت الثنا نجوم السماء

كان محمود متعصّباً فأثّرت فيه هذه الوشاية وما فيها من تخليط، وكان هذا

الإغراء أخذ من نفسه جانباً، فوصل الفردوسي بسبعين ألف درهم، فتألّم الفردوسي من هذا الغبن وتوجّه إلى الحمام وشرب هناك «فقاعاً» وقسّم الدراهم بين الفقّاعي وبين صاحب الحمّام وهجا محموداً وخرج تحت جنح الليل من «غزنين»[1] ودخل هرات واستخفى في بيت إسماعيل الورّاق «بدازرقي» (كذا) ستّة أشهر حتّى بلغ الطلب إلى طوس فلم يعثروا على عين للفردوسي ولا أثر.

وشأن آخر أزعج السلطان منه هو أنّ الفردوسي كلّما نظم فصلاً من الشاهنامه يرسله إلى الأطراف والأكناف، ويبلّغ الجهات كلّها، ويصله على ذلك الأعلام من ذوي الفهم والأريحيّة، فلم يدّخر شيئاً من هذه الصلاة لنفسه لاعتماده على وعد السلطان، وكان يأمل منه العطاء الضخم.

وحدث على نحو الصدفة أنّ قاصداً ابلغ السلطان فخرالدولة حكاية «رستم واسفنديار» فأرسل إليه خمسمائة دينار ركني[2]، وقال: لو قصدني لبالغت في إكرامه وإعزازه بحيث أُقيم له مشاهد من التكريم لم يشهدها أحد ولا يتصوّر متصوّر حالاً أبلغ منها.

وكان ملوك الديلم شيعة كما سبق القول حول ذلك، وكان العداء من أجل

---

(١) غزنين: تلفظ هكذا وهو الصحيح ولكن العامّة تلفظها غزنه، وتسمّى ومجموع بلادها «زابلستان» وقاعدتها غزنين وهي مدينة كبيرة وبلاد شاسعة تقع في أقصى طرف من خراسان وهي الحدّ الفاصل بينها وبين الهند يسار إليها في طريق مليء بالنعم الوافرة سوى أنّ بردها قارس، ويقال: إنّ بالقرب منها ساحة واسعة في مسيرة يوم إذا قطعها المسافر فإنّه يصل إلى سموم خانق بينما في الجهة الأُخرى منها يهب النسيم البارد قام من أرضها عدد من العلماء وكانت قاعدة ملك بني محمود بن سبكتكين حتّى انقرضت سلسلتهم / عن «لغتنامه دهخدا» مادّة غزنين.

(٢) الدينار الركني هو المنسوب إلى «ركن» وهو الذهب الخالص، وركن هو رجل يشتغل بالكيمياء فنسب الذهب إليه / لغتنامه.

ذلك مستحكماً بينهم وبين السلطان، وبلغ السلطان القول عن إعزاز الفردوسي وتكريمه بناءاً على ما قاله الديلمي، واشتهر هناك شهرة بلغت سمعه، ويمكن أن يقال بأنّ ذلك هو سبب الوحشة التي حدثت بين السلطان والفردوسي وكدّرت عليه خاطره.

ومجمل القول أنّ الفردوسي لمّا أمن من الطلب وأخفق مبعوث السلطان من العثور عليه خرج من هرات ميمّماً شطر طوس ومعه الشاهنامه وأرسلها إلى شهريار بن دارا ملك طبرستان ومن أحفاد كيقباد أبو أنوشيروان كما ذكرناه سالفاً في الجند الرابع عشر من المجلس التاسع المذكور، وقرأ عليه هجائه لمحمود وقال له: سأُحوّل الكتاب من اسمه إلى اسمك لأنّ ما في الكتاب كلّه هي أخبار آباءك وأجدادك وآثارهم، فأثنى عليه شهريار وعمل على تحسين حاله[1] وقال له: إنّ ذوي الأغراض هم الذين حملوا محموداً على هذه الخساسة واللؤم ولم يعرضوا عليه شروط كتابك، ثمّ إنّك من شيعة أهل البيت، ومن تولّاهم فإنّ أُمورهم الدنيويّة متعسّرة، إنّ محموداً ملك عظيم، فاطلق الكتاب باسمه وهب لي هجائه لكي أمحوه وأقدر على خدمتك عنده وأنا واثق على أنّ محموداً سوف يستعيد ثقتك به ويرجع عليك بنفس راضية وفكر صاف ويتطلّب رضاك ولا يضيع مثل هذا الكتاب، وأرسل إليه في اليوم الثاني مأة ألف درهم وقال:

(١) كيقباد: اسم أوّل ملك من ملوك الكيانيّين له شان عظيم في إيران، دامت حكومته مأة عام وهو رأس السلسلة الكيانيّة، انتخب ملكاً على ايران من قبل «الموبدانيّين» وزالت الحكومات المعارضة عن معارضته وصفى الجوّ له.

أنوشيروان: ومعناه «الخالد» أو «الروح المخلّدة» ابن قباد بن فيروز، أُمّه امرأة من الدهاقين تزوّجها قباد من أهل نيشابور ولقّب بلقب كسرىٰ، تملّك بعد أبيه وحارب إخوانه وغلبهم ثمّ تملّك عليهم.

اشتريت كلّ بيتٍ منك بألف درهم فابعث إليّ مأة البيت التي هجوت محموداً بها واعفُ عن محمود وطهّر له قلبك بعد ذلك وصافه، وحمل الفردوسي على العمل بمضمون هذا البيت:

مذهب مولاى خود دارم ندارم جز كرم عفو كردم آنچه اهل ظلم با من كرده‌اند

أدين بمذهب المولى عليّ ونلت بحبّه كرماً وخيرا

عفوت عن الذين تهضّموني بما فعلوا وطهّرت الضميرا

وعفى عن محمود وأرسل إليه بأبيات الهجو فمحاها، وكانت المنّة على محمود لشهريار في هذا الفعل الذي فعله.

يقول المؤلّف: اشتهرت هذه الأبيات في تلك الأيّام بين السلطان وخاصّته وشاعت في ذلك الوسط شيوعاً عامّاً؛ لأنّ الفردوسي كتبها في غزنين على جلد نسخة الشاهنامه المودعة في خزانة السلطان محمود ثمّ ولّى هارباً، فظنّوا أنّ الفردوسي سوف يذيعها بين الناس وحينئذٍ لا فائدة في سترها، فلابدع إن أظهر جماعة السلطان علوّ قدره ومنزلته بزعم أنّ غبار الهجو لا يعلق به فاستغنوا عن ستر الهجاء ورأوه قد صار في مدّة وجيزة أُسطورة دهره وحديث عصره:

خوش است قدر شناسى كه چون خميده سپهر

سهام حادثه راكرد عاقبت قوسى

گذشت نوبت محمود در زمانه نماند

جز اين فسانه كه نشناخت قدر فردوسى

وتعرف أقدار الرجال بفعلهم هنيئاً لذي قدر رعى الناس أمره

ترى الفلك الدوّار أخناه ما جرى سهام من الأحداث تضرب نحره

مضى زمن السلطان محمود مسرعاً وما زال فردوسي يجهل قدره

وقال بعضهم: ولمّا وصلت أخبار الفردوسي إلى السلطان محمود بقهستان[1] كان بين «ناصرلك» المعروف بمحتشم والفردوسي محبّة زائدة، ولمّا وصل إلى قهستان أخبر عنه ناصرلك ثمّ أرسل جماعة من خاصّته ليوصلوه إليه معزّزاً مكرّماً، وخرج لاستقباله بهيئة حسنة، وكان الفردوسي قد عزم على كتابة الأحداث التي جرت بينه وبين السلطان مشتملة على ظلم الوزير له، بسفر يبقى خالداً مدى الأيّام والسنين، وأكثره هجو وانتقاص، وبما أنّ «ناصرلك» كان من رجال السلطان ومؤيّدي دولته وهو رجل ذو نعمة ويسار، فقال للفردوسي: إنّ الذمّ والهجاء ليس من صفات ذوي الكمال لاسيّما إذا كان للملوك والسلاطين، ثمّ بالغ في تهدئة خاطر الفردوسي وإضفاء السكينة عليه قولاً وفعلاً، وأعطاه مأة ألف مثقال فضّة ورجاه أن لا ينبس ببنة شفة في مذمّة السلطان ولا يفعل ذلك ولا يخطّه بالقلم بل لا يبقيه في ضميره، فقبل الفردوسي كلّه ورضي أن يزيح الغلّ من صدره ويطرد الوسوسة من ضميره، وندم على ما قال من تلك الأبيات، قال بعد تلك الأبيات المتضمّنة للشكاية السالفة من السلطان و«حسن الميمندي» هذه الأبيات التالية:

بغزنی مرا گرچه خون شد جگر — ز بیداد آن شاه بیدادگر

کز آن هیچ شد رنج سی ساله‌ام — شنید آسمان از زمین ناله‌ام

همی خواستم تا فغانها کنم — به گیتی از او داستانها کنم

بگویم ز مادرش هم از پدرش — نترسم بغیر از خداوند عرش

کنم آنچنان روسیاه از نخست — که نتواند آن را به هیچ آب شست

---

(١) معرّب كوهستان: وهي قصبة واقعة بين نيشابور وهراة قاعدتها قاين وطبس... الخ لغتنامه عن ناظم الأطبّاء.

چو دشمن نمی‌داند از دوست باز | بتیغ زبانش کنم پوست باز
ولیکن زفر مودهٔ محتشم | ندانم کزین پیش سر چون کشم
اگر باشد این گفته‌ها ناصواب | بسوزان به آتش بشوران به آب
گذشتم ایا سرور نیک رای | از این داوری تا به دیگر سرای
رسد لطف یزدان بفریاد من | ستاند به محشر از او داد من

تقريب المعنى بالعربيّة:

بغزنة ذاب فؤادي أسىً | ممّا جرى من ظلم سلطانها
راح سدىً جهد الثلاثين إذ | ضيّعها مهلك إنسانها
ناديت في الأرض لأوج السما | مناجياً خالق أكوانها
أُريد أن تدركني رحمة | لم تستقم إلّا برحمانها
حاولت نظم الشعر في قصّتي | كي يعلم الناس بأشجانها
وأملأ الدنيا صراخاً علي | من آلمت روحي بطغيانها
ولست أخشى أحداً في الورىٰ | من إنسها في الأرض أو جانها
إلّا إله العرش سبحانه | يهزم عنّي جيش أضغانها
يسودّ وجه الظلم من قولة | لاتنمحي من سيل غدرانها
لا يعرف العدوّ من مدّع | صداقة من نسج شيطانها
بمقولي أنخر في جسمه | حتّىٰ يرى طعماً لعقبانها
لولا الذي «محتشم» قاله | شأنك ذا أكبر من شانها
أُولاء قوم كلّ دنياهم | أن يظلموا الناس بأوطانها
لذاك أعطيت الذي قلته | مقالة عزّت بأثمانها
لم يبق شيء قلته مادحاً | إلّا جرىٰ ملحاً بوديانها

لو لم يكن ما قلته صادقاً لم تعلق الفحشا بأردانها
لو سكبوا البحر عليهم لما أمكنهم غسلاً لأردانها
أو سعّروا النار لهيباً لما أحرقت العار بنيرانها
تركت يا مولاي حقّي إلى مالك يوم الحشر ديّانها
يشملني المولىٰ بألطافه يخرجني من رجس أوثانها
وينزل الذلّ بفرعونها ويجلب العار لهامانها

ومجمل القول: إنّ «ناصرلك» سرّح به إلى السلطان معزّزاً مكرّماً وكتب معه كتاباً إلى السلطان لما بينهما من الحرمة وعدم المحاباة ومحبّة الدولة، قائلاً: العجب كلّ العجب من بطانة السلطان الذين أقصوا الفردوسي عن تلك السدّة الرفيعة والحوزة المنيعة بعد عنت خمس وثلاثين سنة في نظم الشاهنامه وجعلها أفضل ذكرى للسلطان خالدة باسمه مدى الدهر وشرفاً لأعقابه، وأفسدوا ما بينه وبين السلطان بما يحملون في ضمائرهم من أغراض سوداء، وحالوا بينه وبين ذلك المقام الأرفع والجوّ الأمنع، وحملوه على اليأس والقنوط، وصارت هذه الحكاية تُروىٰ على لسان الخاص والعام، وشرح للسلطان كلّ ما بدىٰ لعينيه وسمعه بأُذنيه من لواعج الفردوسي وأشجانه وقصصه وأحزانه، ومرارته ولوعته وعجزه وحاجته وألمه وحرارته شرحاً كافياً، وبالغرض وافياً، وأدرج في الكتاب ببيتي الفردوسي اللذين قالهما على النحو التالي:

گذشتم ايا سرور نيک راى از اين داورى تا بديگر سراى
رسد لطف يزدان بفرياد من ستاند بمحشر از او داد من[1]

---

(١) مضى تقريب معناهما:

يأخذ حقّي منه في موقف تعنو السلاطين لعبدانها

ومن غرائب الصدف أنّ السلطان كان قد ذهب يوم الجمعة إلى المسجد وقرأ البيت الذي كتبه الفردوسي على جدار المسجد يوم خروجه من غزنين وسوف يذكر بعد الآن وقلب حاله إلى الأسوء جدّاً، ولمّا عاد من المسجد سأل عن «كتاب محتشم» فعرض عليه، ولمّا قرأه تأثّر غاية التأثّر وتألّم إلى حدّ مريع، ومازج الخوف قلبه من قراءة البيتين اللذين أدرجهما محتشم في الرسالة، وكان عنده جماعة من مقرّبيه وهم من أعضاء دولته ومحبّيها مع كونهم يوالون الفردوسي ولم يجدوا في الأيّام التي خلت فرصة سانحة للحديث عنه ووجدوها الآن فأعربوا قائلين:

لقد نال الفردوسي ظلم شنيع ومكروه فظيع من حسد قوم لا نظر لهم ولا تدبير، وبقي هذا الاسم الكريم على لسان الخاص والعام ما دامت الأيّام، واليوم اتّخذها العدوّ ذريعة في ذمّ السلطان وهجوه، وحملوا فعله معه على البخل والحسد، وما من داع دعىٰ لهذا الموقف، وما قيمة ستّين ألف مثقال من الذهب في الخزانة وهي تعادل عدداً من أُلوف التوامين. وعلى أيّ حال أيّ ضرر يبلغ السلطان من ذلك.

وكان أياز قد اطّلع على هذه الأبيات قبلاً، فتألّم السلطان عند ذلك غاية الألم وغضب على تلك الجماعة التي أظهرت خبثها للفردوسي وكانت النتيجة أن تلوّث اسم السلطان وعرضه من ذلك، وخاطب «حسن الميمندي» بخطابات غريبة، وبعد تعذيبه أصدر الحكم عليه بأن يكتب طومار حياته في جريدة الأموات، ثمّ أمر بقتله بصورة فيها عبرة للمعتبر، فلابدع أن يعلق الشؤم والخسّة والبخل واللجاج والحسد والنفاق بجيب عرضه وحواشي ناموسه، ووقع السلطان فريسة الجو الركيك، واشتهر بالخسّة والبخل الشنيع وهي من أُمّهات

الرذائل، حاكية عن خبث الجوهر ولؤم العنصر وردائة الأصل وأنواع الخبائث والمعايب، وقد ظلّ يتردّد على لسان الخاص والعام إلى يوم القيامة.

وما قاله جماعة كثيرة ممّن لا علم له ولا تتبّع للأخبار: إنّ ذهاب الفردوسي من غزنين إلى الهند خطأ ولا واقع له.

وقال بعضهم: إنّ ما يقال من حسن الميمندي (أُستاذ الفردوسي ومربّيه) وأنّ «أيار» كان عدوّاً للميمندي وهو الذي ألحق الأذى بالفردوسي محظ الغلط والغلط المحض ولا يستحقّ حتّى الذكر والكتابة.

ومجمل القول أنّ ما قصّه النظامي العروضي عن حسن الميمندي أنّ السلطان لمّا اجتاز بإحدى القلاع في الهند وجد الفرصة على الوجه الذي مرّ تقريبه سانحة فقرأ هذا البيت على السلطان وهو:

اگر جز بكام من آيد جواب من و گرز و ميدان افراسياب

معارض بل هو مردود بما قاله بعض المحقّقين من أصحاب السير أنّه روى هذه الحكاية على نحو مغاير لما تقدّم فقد نسبوا قرائة البيت إلى واحد من كتّاب السلطان وهو أنّه كان للسلطان موقف من الوزير «ايلك خان» وجماعة من قبائل الترك الذين هاجروا من تركستان إلى خراسان وكتب بعضهم إلى أنّ الأمر يرجع إلى حاكم دهلي فقد أراد السلطان الحرب معه وكتب إليه في الصلح وإملاء شروط خاصّة، فقال لأحد كتّابه: بماذا تكتب إليه مهدّداً؟ فقال: ما قاله أبوالقاسم الفردوسي:

اگر جز بكام من آيد جواب من و گرز و ميدان افراسياب[1]

---

(١)

لئن لم يجئني منك الجواب على نحو ما أبتغي مرسلا

فليس سوى الحرب مطلوبة توسّدك الترب والجندلا

فتذكّر السلطان حينئذٍ سنيّ المحنة التي مرّت بالفردوسي والمحروميّة التي تجرّعها وتأثّر تأثّراً شديداً، فقال: إنّ هذا المسكين لم ينل منّا نفعاً ولم تكتحل عينه بخيط من أشعّة أنوار أموالنا، ولم ينعكس في ظلام ليله المعتكر، وكان هذا الأمر بعيداً عن المروّات، ثمّ أصدر أمره بحمل ستّين ألف مثقال من الذهب مع خلعة ملوكيّة إلى طوس للفردوسي وأن يبالغ في الاعتذار إليه عمّا سلف، كان الفردوسي يومها قد عاد من طوس إلى بغداد، فكان ذات يوم يجتاز في السوق فسمع طفلاً ينشد هذا البيت:

اگر شاه را شاه بودی پدر بسر بر نهادی مرا تاج زر

فأُغمي على الفردوسي من شدّة الحرمان ومكاره الزمان بعد أن تنفّس الصعداء لضياع مساعيه الجميلة، ولمّا حمل إلى بيته كان طائر روحه قد فرّ من قالب القفص ووصلت إليه صلة السلطان وهو يحمل إلى قبره بعد خراب البصرة، وشاعت بمدينة طوس وكانت له بنت وقيل أُخت حملت الصلة إليها فردّتها ولم تلق بالاً لها.

وقال بعضهم: إنّ أُخته قالت: كان أخي عازماً على بناء سدّ طوس بالحجارة والكلس والصاروج ويبقى هذا الخير صلة دائمة له، فينبغي أن ينفق هذا المال هناك.

وتمام الحكاية أنّ السلطان بعد أن أبلغ بواقع الحال وبما قالته أُخت الفردوسي، أمر بتنفيذ إرادتها وأُقيم هذا السدّ وهو المعروف بسدّ «عائشة فرّخ» ويقال: إنّ آثاره ما تزال باقية إلى هذا اليوم.

وقال آخرون: إنّهم بنوا رباطاً عظيماً من هذا الوجه.

ويمكن أن يكفي ذهب الوفاء لأداء هذين العملين المهمّين: السد والرباط.

وروى بعض رواة الأخبار ونقلة الآثار أنّ الفردوسي لمّا كان مشغولاً بنظم الشاهنامه كان رجال الدولة من البلد ونواحيه يظهرون له الودّ والمحبّة ويبذلون له للخلق العظيم والأدب الرفيع، وينعمون عليه فيمدحهم الفردوسي ويثني عليهم ثناءاً حسناً لذلك ناصبه «حسن ميمندي» العداء وأظهر عليه لواعج الحقد فتعكّر الصفو بينهما ولم يؤدّي للفردوسي ما أمر به السلطان إلى أن قال الفردوسي: إنّ الله تعالى جعل التقدير منذو الأزل هكذا أن يتمّ هذا الكتاب على يدي ومن لساني، ولا طمع لي في مال السلطان ولا حاجة لي بشفاعة حسن الميمندي ولا بجاهه، وسوف أبلّغ السلطان ما جادت به قريحتي.

ويقال: إنّ الخواجه حسن كان خارجيّاً والفردوسي شيعيّاً صلباً، وكان من الطبيعي أن تسوء العلاقة بينهما، وأن لا يرى الفردوسي له وجوداً وإن كان ماثلاً أمامه وأحياناً يرميه بقوارصه ويشنّع عليه نظير هذا القول:

بدل هركه بغض على كرد جاى	زمادر بود عيب آن تيره راى
كه ناپاک زاده بود خصم شاه	اگرچند باشد بر ايوان و گاه
زميمندى آثار مردى مجوى	زنام و نشانش مكن جستجوى
قلم بر سر او بزن همچو من	كه كم باد نامش به هر انجمن

تقريب المعنى بالعربيّة:

من كان بغض المرتضى في قلبه	فالعيب فيه ناشئ من أُمّه
ما نزّهت رحماً لها في حمله	ليس الملوم فلم يكن في علمه
واختال حين رقىٰ إلى ديوانه	وغدا يسوس المسلمين بحكمه
لا تحسب الميمند فيما جانه	رجلاً لأنّ صفاته في جسمه
كلّا ولا تنشد له اسماً في الورىٰ	لا خير فيه فما تريد من اسمه

واضـــربه بـــالقلم البـــليغ وداوه   تـــخرج بـذلك طـبعه مـن كـتمه

حـــتّى يـــظلّ بـذا حـبيس ثـيابه   بـــين الأنـــام مـعذّباً في جـرمه

وكان السعاة وأهل النميمة يبلّغون حسن الميمندي ما يقوله الفردوسي، وبقي الخواجه يتحيّن الفرصة عليه لينتقم منه، وأخيراً استطاع أن يفعل به ما أراد وتأزّم الوضع بين السلطان والفردوسي واشتدّ اللجاج بينهما وبلغت بالفردوسي الحال أن كان يقسّم عطاء السلطان بين الفقّاعي والحمّامي، وأطلق لسانه في خواجه حسن والسلطان فهجاهما هجواً وضيعاً جدّاً:

ستيزه بجائى رساند سخن   كه ويران كند خانه‌هاى كهن

يبلغ البغض بالحديث مكاناً   تتداعى بـه البـيوت القـديمه

وتفصيل الحكاية مع الوزير على النحو التاليّ: لمّا بلغ الفردوسي بالشاهنامه إلى ستّين ألف بيت، طلب من السلطان الإذن بعرضها عليه، فأذن بذلك وطلبها منه فأرسلها الفردوسي بيد «أياز» لكي يحملها للسلطان، فلمّا عرضت عليه استجادها واستحسنها جدّاً، وأمر الخواجه حسن ميمندي أن يوقر له فيلاً بالذهب الأحمر، لأنّه منذو بداية وضع الشعر إلى اليوم لم يؤثر عن شاعر أنّه نظم الشعر بهذا الطراز والأُسلوب وسلاسة الألفاظ ودقّة المعاني، ولم يعهد لجوهرة في سوق الكلام الموزون أن جليت بهذه الصفات اللؤلؤيّة القيّمة، فاقشعرّ جلد الحسن الميمندي من ذلك وأخذت رحضاء الحسد، فقال: إنّ حمل الفيل ذهباً في ميزان إحسان فطرة السلطان السامية لا تعدل جناح بعوضة وذات همّته العليّة لا يتّسع لها فضاء الكون كلّه ولكن يرى العقلاء أنّ الإفراط بالفرح يعادل الإفراط بالترح فإذا تجاوز إحداهما يكونان هادمين لبناء الحياة، والآن يخشى من صلة السلطان هذه إذا وصلت إليه وبلغت إلى يديه، فإنّ

سريرته الضيّقة لا تتّسع لها، وعلى كلّ حال سوف تكون سبباً في هلاكه.

ثمّ إنّ هذه الصلة الضخمة التي تعادل مقدار ستّين ألف مثقال ذهب إذا أُعطيت لقرويّ شاعر فما الذي أعدّه السلطان من الصلات والإحسان للأُمراء، وهذا الإحسان الباهض الذي وهبه لشاعره سوف يهوّن عليه بذله لكلّ أحد وحينئذٍ تفرغ الخزانة من مالها إذ أنّها لا تفي ببهبهات السلطان، فلو أنّ السلطان رأى من الصالح أن يستبدل ستّين ألف مثقال من الفضّة بها وأرسلها من الفضّة الرائحة بيد «أياز»، وفعل الميمندي ذلك وأرسلها في صرر، وكان الفردوسي يوم وصل الغلام يستحمّ في الحمّام، فلمّا خرج أراه أياز الصرر فظنّها الفردوسي من الذهب الأبريز الخالص فاستولى عليه السرور وخامره الجذل والحبور، ولمّا علم أنّها فضّة تبدّل فرحه غمّاً وسروره همّاً وسأل «أياز»: أهذا الفعل من أمر السلطان؟ فحكى له أياز الحكاية التي جرت بين السلطان وبين حسن ميمندي.

فلمّا سمع الفردوسي ذلك نبض عرق الحميّة في جسمه، فوهب عشرين ألفاً منها إلى الفقّاعي، ومثلها إلى الحمّامي، وكان الفقّاعي على باب الحمّام يبيع الشراب، وتناول كأساً من الفقّاعي فكرعه وقال لأياز: أبلغ السلطان ما رأيت لكي يعلم أنّ ذلك الجهد الذي بذلته لم أقصد به ادّخار الدراهم والدنانير فكيف أرضى بأضعاف ذلك المحفل الذي أضائه في تلك الساعة بنور الضمير المتوهّج بشعلة الفكر أضعاف هذا الشمع المعنبر بل أجهدت الفكر وأعملت العقل والخاطر لتخليد الذكر وتأييد الناموس، و رسمت اسمه على أبواب الثناء الجميل المتلألئ في غرّة أحواله.

ولمّا أبلغ أياز السلطان بواقع الحال غضب على حسن ميمندي غضباً شديداً وعاتبه عتاباً عنيفاً وخاطبه خطاباً شديداً وقال له: إنّ حركتك هذه الخاطئة

عرّضت همّتي إلى مجال التوبيخ، وجعلتني تحت طائلة لسان الشعراء، ورميتني في ساحة هذه الطائفة الطاغية لتنهشني برقش ألسنتها، وتبحث عن عيوبي، وتبالغ في البحث عن ذنوبي.

فأجابه حسن المسيء: إنّ صلة الملوك من الدرهم إلى مائة ألف دينار واحدة بل إن قبضة من التراب من حضرة السلطان وصلت إليه فعليه أن يضعها كالتوتيا على عينه إعزازاً لها وإكراماً، ولا يفرش بساط الحماقة والوقاحة بيد تدّعي الأدب حيث:

عطا گرچه اندک دهد پادشاه ... به بسیارش کرد باید نگاه

که باران بود قطره‌ای زانتها ... ولیکن شود سیل در انتها

إن قلّ ما يعطي المليك فإنّه ... يرجىٰ بآخره يكون كثيرا

والغيث أوّله بقطر نازلاً ... لكنّ آخره يكون غريزا

ولمّا تكلّم الميمندي أمام السلطان بذلك لغرض في نفسه، قلّب خاطر السلطان العاطر على الفردوسي وأغضبه عليه وحمله على الإساءة إليه، وقال: سأُلقي غداً بهذا «القرمطي» تحت أرجل الفيلة وأجعل عقابه نكالاً للشعراء بعده، فأبلغوا الفردوسي بغضب السلطان فخاف من ذلك خوفاً شديداً وحار في أمره، واستولت عليه الدهشة، وكان منضمّاً إلى حرم السلطان لا يستطيع الإفلات من وثاقه، ولمّا ابتلج ضوء الصبح وخرج السلطان إلى متوضّأه في البستان فتبع خطوات السلطان مغتنماً فرصة خروج الملك إلى ذلك المحل واستولى عليه الجزع أنّ الحاسدين أبلغوا السلطان عنه بما سائه، وأبلغ السلطان بذلك وقال: إنّهم حملوا السلطان على الاسترابة في أمري وعصّبوا بجبيني تهمة القرمطيّة والرافضيّة حقّاً إنّهم أساءوا إلى السلطان وإليّ فقد كذّبوا عليه وافتروا عليّ، وما

أبديته من سوء أدبي في ردّ صلة السلطان عليه أن يحملها على الحسنى ويدفع سوءها بعنايته، وعلى تقدير ردائة مذهبي فإنّ في مملكة السلطان عشرة آلاف من المجوس واليهود والنصارى والرهبان يدفعون الجزية فليعدّني السلطان واحداً منهم.

ولمّا أظهر الفردوسي هذا الجزع والاضطراب انمحت صورة الخجل التي ارتسمت في مرآة ضمير السلطان، وأطفأت نيران غضبه بزلال لطفه وعفوه، وعفىٰ عنه وبدّل سلوكه معه، ومنع خطّة سياسته التي أزمع على اتّخاذها، فقبّل الفردوسي الأرض وخرج من القصر السلطاني ونحى بيته، فلمّا بلغه عمد إلى آلاف الأبيات التي قالها وما تزال في المسودّة بعدُ فمزّقها وألقاها في اللهب وقال في ذلك:

زلال روان بخش آن نظم پاک — در آتش فكند و نياورد باک

اگرچه شود كشته آتش زآب — وليكن شد آن آب زاتش خراب

ألقى زلال الشعر في النار — لخوفه من قهر جبّار

والماء يطفي النار يلقى بها — والنار هذي تتلف الجاري

ولمّا أزمع الرحيل من غزنة، أقبل إلى المسجد الجامع وكتب هذين البيتين في الموضع الذي يجلس فيه السلطان يوم الجمعة:

خجسته درگه محمود را دلى درياست

چگونه درياكان راكناره پيدا نيست

چه غوطه‌ها زدم‌واندرون نديدم در

گناه بخت من است اين گناه دريا نيست

سعيد قصر محمود — له قلب هو البحر

وفـي البـحر شـواطـي   من شواطيه يـرى البرّ
به خـوّضت كـي ألقـىٰ   الشواطي وانتهى الأمـر
فـلا عيب بـه لكـنّما   حــظّي هــو السـرّ

وخرج من المسجد واستطاع أن يستلم الشاهنامه بحيلة افتعلها ذلك أنّه زعم لحارس الكتب بقيت حكاية واحدة لم أضفها إلى الكتاب وأُريد إلحاقها به، فلمّا أخذه ألحق به هجاء السلطان وردّه إلى الحارس وخرج.

قيل: إنّه لمّا عزم على الرحيل من غزنة لم يكن يملك الزاد والراحلة وكانت بينه وبين «أياز» علاقة الأب والولد، فأعطى أياز كتاباً مختوماً وقال له: يا بنيّ، إذا ما مضى على هذا التاريخ عشرون يوماً فادفع الكتاب إلى السلطان عندما تراه جذلاً مستبشراً فارغ البال، وودَّعَه وانصرف الفردوسي.

ولمّا انقضت الأيّام العشرون من ذلك التاريخ دفع «أياز» الكتاب إلى السلطان وفيه هجو السلطان مكان موضع الخاتم، وهو:

ايـا شـاه مـحمود كشـور گشـاى   زكس گـر نـترسى بـترس از خـداى
كه بـى‌دين و بـدكيش خـوانـى مـرا   مـنم شـيرِ نـر، مـيش خـوانـى مـرا
مـرا سـهم دادى كـه در پـاى پـيل   تـنت را بسـازم چـو دريـاى نـيل
نـترسم كـه دارم ز روشـن دلى   بـدل مـهر آلِ نـبىّ و ولى
اگـر در كـف پـاى پـيلم كـنى   تـن نـاتوان هـمچو نـيلم كـنى
بـرين زادم و هـم بـريم بگـذرم   ثـناگـوى پـيغمبر و حـيدرم
مـنم بـندهٔ هـر دو تـا رسـتخيز   اگـر شـه كـند پـيكرم ريـز ريـز
چـو سلطان ديـن بُـد نـبىّ و عـلى   بـفرّ الهـى و شأن يـلى
گـر از مـهر ايشـان حكـايت كـنم   چـو محمود را صد حـمايت كـنم

اگر شاه محمود از این بگذرد مر او را به یک جو نسنجد خرد
پشیزی به از شهریاری چنین که نی کیش دارد نه آیین و دین
ندیدی تو این خاطر تیز من نیندیشی از تیغ خونریز من
چو فردوسی اندر زمانه نبود بدان بد که بختش جوانه نبود
نکردی در این نامهٔ من نگاه بگفتار بدگوی گشتی زراه
هر آنکس که شعر مرا کرد پست ببردش گردون گردنده دست
بگفتم چنین نامه پر در هزار سخن‌های شایستهٔ آبدار
بسی سال اندر سرای سپنج بسی رنج بردم به امّید گنج
زابیات غرّا دو ره سی هزار مر آن جمله در شیوهٔ کارزار
جهان کرده‌ام از سخن چون بهشت کزین پیش تخم سخن کس نکشت
زلال روان بخش آن نظم پاک در آتش فکنند و نیاورد باک
اگرچه شود کشته آتش زآب ولیکن شد آن آب زاتش خراب
چو عیسی من این مردگان را تمام سراسر همه زنده کردم بنام
یکی بندگی کردم ای شهریار که ماند زتو در جهان یادگار
بناهای آباد گردد خراب زباران و از تابش آفتاب
بیفکندم از نظم کاخی بلند که از باد و باران نیابد گزند
بدین نامه بر عمرها بگذرد بخواند هر آنکس که دارد خرد
نه زین گونه دادی مرا تو نوید نه این بودم از شاه گیتی امید
بداندیش را روی نیکی مباد سخنهای نیکم ببد کرد یاد
بر پادشه صورتم زشت کرد فروزنده اخگر چو انگشت کرد
نه ممسک بُد این پادشاه و نرفت که از من کم این سخنها شنفت

چو قول شه از جود بنوشت بخ — حدیث فقع را نوشتم به یخ
فقاعی نیرزید از گنج شاه — از آن من فقاعی خریدم به راه
چو دیهیم دارش نبد در نژاد — ز دیهیم داران نیاورد یاد
گرش منصبی بودی از پاسبان — به اندیشه کردی در این داستان
بگفتی که من در نهاد سخن — بدادستم از طبع داد سخن
جهاندار گر نیستی تنگدست — مرا بر سر گاه باید نشست
بدانش نبد شاه را دستگاه — وگرنه مرا بر نشاندی بگاه
اگر شاه را شاه بودی پدر — بسر بر نهادی مرا تاج زر
وگر مادر شاه بانو بدی — مرا سیم و زر تا بزانو بدی
چو اندر تبارش بزرگی نبود — نیارست نام بزرگان شنود
چو سی سال بردم به شهنامه رنج — که شاهم ببخشد بپاداش گنج
مرا زین جهان بی‌نیازی دهد — میان یلان سر فرازی دهد
بپاداش من گنج را برگشاد — به من جز بهای فقاعی نداد
ز بد اصل چشم بهی داشتن — بود خاک در دیده انباشتن
پرستار زاده نیاید بکار — اگر چند دارد پدر شهریار
جهان را چنین است آیین و ساز — که سازد فرومایه را سرفراز
ستاند زخاک و رساند بتخت — کند یارمندش ز نیروی بخت
نداند نکویی شود ناسپاس — نباشد خداوند را حق شناس
سر ناسزایان برافراشتن — واز ایشان امید بهی داشتن
سر رشتهٔ خویش گم کردنست — به جیب اندرون مار پروردنست
درختی که ایزد به تلخی سرشت — گرش در نشانی به باغ بهشت

ور از جوی خلدش به هنگام آب به بیخ انگبین ریزی و شهد ناب
سرانجام گوهر ببار آورد همان میوهٔ تلخ بار آورد
به عنبر فروشان اگر بگذری شود جامهٔ تو همه عنبری
وگر تو شوی نزد انگشتگر از او جز سیاهی نیاید دگر
زبد گوهران بد نباشد عجب نشاید سیاهی ستردن زشب
بناپاک زاده مدارید امید که زنگی بشستن نگردد سفید
بزرگی سراسر بگفتار نیست دو صد گفته چون نیم کردار نیست
منم تا جهان باشد و شهریار پیامی فرستم بر روزگار
که فردوسی طوسی پاک جفت نه این نامه بر نام محمود گفت
بنام نبیّ و علی گفته‌ام گهرهای معنی بسی سفته‌ام
گرم گشت تیره بر شاه گنج به عقبی شد آباد گنجم برنج
بنزد خداوند جان آفرین بسی می‌برم زین جهان آفرین
شفیعم محمّد امام علیست بهر دو جهانم وفیّ و ملیست
مگر دوست داری تو آل رسول که دینت فتد بر محلّ قبول
ثنایش بود گفت من یادگیر بدار القضا قصر آباد گیر
چو آباد داری به عقبی سرای چه خواهم زدنیای مردم ربای
خدایا توئی داور دستگیر ببخشای تقصیر این مرد پیر
روان کن مرا در مقام صفا فرود آر در حضرت مصطفی

تقريب المعنى بالعربيّة:

يا ملكاً يدعونه محمودا ألست تخشى ربّك المعبودا
يا فاتح البلاد والعباد من غيرما دين ولا جهاد

إن لم تكن تخشى من الخلق أحد هلّا خشيت الله ربّك الصمد

أنكرت ديني ثمّ قلت كافر قولاً له قد شقّت المرائر

وخلتني حملاً وإني الأسد تخشى الأسود صولتي والنقد

هددتني بأرجل الأفيال هيّا إلى الموت فلن أبالي

تجعلني كالنيل يجري بالدما قد عذت من شرك بالله فما

فلست أخشاك وفي فؤادي حبّ الهدى وآله الأمجاد

كذاك حبّ المرتضى عليّ إنّ وصيّ المصطفى وليّي

لو أنّ ما قلت من التهديد فعلته وزدت في وعيدي

ودكّني الفيل بوطئ دكّا فلست عمّا قلته منفكّا

وسال كالنيل دمي في الأرض أجعله وقاية لعرضي

جئت إلى الدنيا لآل المصطفى مواليا حتّى أعاني التلفا

أثني على النبيّ والوصي غيض العدى وبهجة الوليّ

وإنّني عبد لأصحاب العبا حتّى ولو قطّعتموني إربا

إن كان سلطان الهدى النبيّ خير الورى وبعده عليّ

ذاك بأمر الله جلّ وعلا من شاء يرضاه ومن شاء فلا

لو أنّني أحكي لكم عن حبّهم حميت نفس ألف محمود بهم

لو أنّ محموداً تعدّاهم إلى غيرهم فلن يساوي خردلا

ملك كهذا لا يساوي فلسا ليس له دين يصون النفسا

أما رأيت فطنتي وعقلي والذهن منّي بالمعاني يغلي

لو لم أكن أعيش بالوجود لم أبتل بحظّي المنكود

لم تلق نظرة على كتابي نعم أصخت السمع للمحابي

من عاب شعري فهو موكول إلى حكم القضا يصنع فيه الأعدلا

إنّي نظمت في كتابي الدرّا تزهو كأنّها النجوم الغرّا

مضت ثلاثون بعمري أُرزا نظمت شعراً كي أنال كنزا

بعد الثلاثين يضاف ألف جمعته حرفاً تلاه حرف

نظمتها لعبرة متّبعه فيها الصحيح من وقوع المعمعه

فحوّل الدنيا إلى جنان يعجز أن يأتيه بعدي ثاني

قذفته بالنار دون حيف ولم تعانِ مهجتي من خوف

والماء يطفئ اللظى إن نشبت يخبو بها الماء هنا كما خبت

أرجعت من ماتوا إلى الحياة كفعل روح الله بالأموات

أبقيت ذكراً لك في الزمان مخلّداً أغلى من السلطان

كلّ بناء ينقضي ويعدم بالغيث والرياح حتماً يهدم

أقمت بالنظم قصوراً تبقىٰ لا يعبث الدهر بها بل ترقىٰ

وكلّما مرّت بها الأيّام صاحبها البقاء والدوام

هيهات أن تنقضه الأحداث كأنّه الأزمنة الثلاث

وظلّ ما لبثته بين الورى يقرء فيه كلّ ذي عين ترىٰ

ومن لديه الفهم والشعور فإنّما يحيي العقول النور

فلم أنل منك ولا بشاره وزدت فوق مأة حجاره

من ملك الدنيا حويت اليأسا وزدت شكّاً في الرجا ولبسا

أتجعل الرديء صنو الصالح ذرّىٰ كلامي في الهواء اللّافح

شوّه صورتي لدى السلطان وأطفأ المضيء من نيراني

لم يمكث الشاه ولم يذهب ولا أكرم منّي مدبراً أو مقبلا

مذ صار جود صاحب الملك هبا ... حديث فقّاع بثلج كُتبا

لمّا حرمت من كنوز الملك ... حتّى من الفقّاع صرت أشتكي

حيث اشتريته من الطريق ... وصار في بليّتي رفيقي

من لم يكن معصّباً بالفار ... في الأصل والآباء والنجار

ولم يكن من يحفظ التاج إذا ... يجيء نحوه من الناس الأذىٰ

لم يذكر التاج ولا ذويه ... يترك مثل ضائع في التيه

لو كنت في رعيل أهل التاج ... وكنت فيهم حارس الرتاج

ألقيت نظرة على الحكايه ... أو بعضها ليس إلى النهايه

قد قلت أنت معجب بالأدب ... تشيبه بالروح لا بالذهب

هيهات من دعوتك العريضه ... كفّك من بذل السخا مقبوضه

لو كنت من أهل السخا والكرم ... رفعتني في المجد فوق القمم

لو كان للملوك كالأساس ... إذاً رفعت التاج فوق رأسي

أباً إذا نت لهم أو أمّا ... أو كنت جذراً لهم وجذما

تركتني أخوض في التبر كما ... يخوض للحزام سابح بما

من كان في أُصوله وضيعا ... يغدو الحديث عنده شنيعا

حديث أهل الملك والسلطان ... كالوعظ في مسامع الشيطان

بذلت من عمري ثلاثين سنه ... كانت بكلّ ما يشقّ معلنه

كي أربح الكنز وأحوي الذهبا ... لكن جهودي ذهبت فيها هبا

يترك كفّي ذا ثراء واسع ... وليس قول قلته بضائع

يرفع هامتي على الأقران ... وأعتلي حتّى على السلطان

مذ فتح الكنز بقلب واجف ... خوّلني سعر فقاع جائف

من مدّ للئيم عيناً ويدا كان لعينيه التراب أثمدا
هيهات يرضى أن يكون عبدا من عاش بالملك أباً وجدّا
وشيمة الدهر كما أنت ترى أن يرفع الوضيع في أعلى الذُرىٰ
من رفشه يرفعه للعرش وخطّه فوق السحاب يمشي
لم ندر أن يكون إكبار النعم مفخرة تعلو بفعلها الهمم
يرفع رأس جاحد إلى العُلىٰ ويستطاب الخير منه في الملا
ضيّع حبله وجاء يسعى من في جيوبه يربّي أفعى
ودوحة يجني القذى جانيها منها ويطعم الذعاف فيها
فلو سقيتها بماء الورد وشبته بعسل وشهد
فما تزال مرّة في الطعم على جبلّة جرت برغمي
ولو غرستها بدار الخلد نابتة على ضفاف الشهد
فإنّها تطلع نفس الثمره خالقها بها أراك عبره
لو أنّك اجتزت بسوق المسك تكون أثواباً وطيباً تذكي
أو أنّك اجتزت بنافخ الضرم فلم تنل منه سوى ريح الفحم
من جبلت على الشرور ذاته لا عجب فبعضها صفاته
هيهات لم يمحُ سواد الليل بل إنّه يجري كجري السيل
لا تأمل الفضل من اللئيم أو تطلب الخير من الذميم
لا يغسل الزنجي في الحياض كي ينجلي السواد بالبياض
لا يثبت العظيم بالكلام ينثره نثراً على الأنام
ألف يقوله فلن يعدل ما يعمل ممّا قلّ عمّال الحمىٰ
إنّي أقول وحماي الله ما زال عالم وفيه شاه

أنشر هذا القول بين الناس ... حتّى أرى في الناس من يواسي

بأنّ هذا الشاعر الفردوسي ... من نبتت دوحته في طوس

ما قلت قولي مادحاً محمودا ... لو أنّ مثله ملا الوجودا

بل قلت ذاك القول في مدح النبي ... وآله المطهّرين والوصي

حزت المعاني بشباك الفكر ... حين ترائت في خضمّ صدري

إن سوّد الدنيا عليّ الشاه ... أثابني عنها الجنان الله

لا خير للمرء بكنز يفنى ... فالله يجزي مؤمناً بالحسنى

إنّ ثواب الله خير عده ... كانت رخاءاً حالتي أم شدّه

محمّد كان شفيعي وعلي ... فإنّ كنزي في الوجود ممتلي

إن كنت من شيعة آل المصطفى ... فزت وإلّا فعلى الدين العفا

أثني عليهم ثناءاً فاعلم ... أنك في الأُخرى بعيش منعم

إن كنت في النعيم بعد الموت ... يكفيك من دنياك بعض القوت

يا ربّ أنت الحكم العدل وقد ... جاوزت حدّي وطمعت في الثمد

فاغفر لشيخ كلّه تقصير ... فأنت من كلّ بلاً مجير

فأَجِرني يا ربّ في مجرى الصفا ... وأسكنّي في جوار المصطفى

وتمام الحكاية أنّ الفردوسي حين سلّم الكتاب إلى أياز وفارق غزنة، لم يكن معه زاد ولا راحلة على الإطلاق، فألقى ردائه على متنه وقبض على عصاه وسار راجلاً في الطريق، وكان جلّ الكبار يومئذٍ من أصحابه ومؤيّديه نظير «علي ديلم» و«أبي دلف» و«حسين قتيب» وهؤلاء من عليّة أُمراء ذلك الزمان، وكانوا يثقون بالفردوسي ويعتقدون به الخير والحقّ وهم من مربّيه، فأرادوا اقتفاء أثره في السفر وتهيأة لوازمه له ولكنّهم خافوا من غضب الشاه وإثارة الوزير إيّاه

عليهم، وكان الفردوسي قد أومأ في آخر الشاهنامه إلى حقوقهم حيث يقول:

چو بگذشت سال از برم شصت و پنج ... فزون كردم انديشه درد و رنج
بزرگان با دانش آزادگان ... نوشتند يكسر همه رايگان
نشسته نظاره من از دورشان ... تو گفتى بدم پيش مزدورشان
جز احسنت از ايشان نبد بهره‌ام ... بگفت اندر احسنتشان زهره‌ام
سر بدره‌هاى كهن بسته شد ... وز آن بندروشن دلم خسته شد
از اين نامه از نامداران شهر ... على ديلم و بو دلف راست بهر
حسين قتيب است از آزادگان ... كه از من نخواهد سخن رايگان
از اويم خور و پوشش و سيم و زر ... از او يافتم جنبش و بال و پر
همى دارد آن مرد روشن روان ... به همواره كارم بخوبى روان
نيم آگه از اصل و فرع و خراج ... همى غلطم اندر ميان دواج

تقريب المعنى بالعربيّة:

وألقيت عن ظهري ثلاثين حجّة ... وخمساً أطلت الفكر فيهنّ والهمّا
وقال كبار القوم يرضون خاطري ... فما نرتضي مالاً لمن يحمل العلما
وراحوا على بُعد يحنّون ناظراً ... إليّ كذئب في الفلاة رأى بهما
فما نلت إلّا قول أحسنت منهم ... وأحسنت لا تجدي فتيلاً ولا غنما
فما بدر[1] إلّا وأحكم سدّها ... وقد نال قلبي من تلاعبهم غمّا
ولكنّني استثنيت منهم ثلاثة ... عليّ وذا شخص إلى ديلم ينمىٰ
أبو دلف يتلوه يرعىٰ كرامتي ... فلم يطعنا من أبصرا كلمه يُدمىٰ
ويأتي قتيب بعد الاثنين إنّه ... بحرّيّة الواعي قضىٰ عمره الجمّا

---

(١) بدر: بكسر الأوّل وفتح الثاني جمع بدرة. هميان يوضع به مقدار معيّن من الدنانير أو الدرهم.

فـما مـنهم فـرد رأىٰ مـا كـتبته ... سدىً ليس يجديني ولا زادني غمّا
فمن بعضهم نلت المسرّة والرضا ... ومن بعضهم جنح يحوم على النعمىٰ
تعهّد منهم محنتي خير صاحب ... وآزرني في حاجتي يقهر الخصما
كفوني إن أُعني بهمّ معيشة ... وعشت حياتي كلّها بينهم سلما

ولكنّ أياز تعقّب الفردوسي بعزم الرجل صاحب المروئة، فأرسل إليه زاداً وراحلة بصورة لم يشعر بها أحد لأنّ ظروف الفردوسي في تلك الآونة من عدم توجّه السلطان إليه وظلم الوزير الحاسد، قد شاعت في تلك الأطراف والأكناف، وقد آلم ذلك أهل الإنصاف والشرف وعارفي أقدار الناس.

يقول المؤلّف: إنّ أكبر اختلاف للرواة حول حياة الفردوسي هو على الوجه الذي ذكر تفصيله سابقاً، فقد ظهر للنظامي العروضي وجماعة من وزنه أنّ الفردوسي بدء كتابة الشاهنامه في طوس، ولكنّ البعض الآخر يرىٰ خلاف ذلك من أنّه افتتح كتابتها في غزنة في خدمة السلطان محمود، وكلا الروايتين محلّ نظر وتأمّل:

أمّا الرواية الأُولى بناءاً على قطعة الشعر التي استشهد بها النظامي العروضي وجماعة من أتباعه تدلّ على أنّ عليّ الديلم وأبا دلف من الأُمراء ذوي الشهرة يومئذٍ لأنّ أحدهما خطّاط يحسن رسم الحروف والآخر مغنٍ رخيم الصوت، فقد صدّر الأُستاذ الأسدي كتابه «گرشاسب نامه» باسم أبي دلف وحرّر فصلاً في مدحه وبيان فضله وعظمته، والظاهر أنّ قصد الفردوسي مِن أبي دلف هو ذلك الأمير المشهور، محبّ الحكمة والبيان والترسّل لا ذاك الذي وقع الشاهنامه على نغمات «المزهر»[1].

---

(١) المزهر: المعزف من الازدهار وهو الجذل، يقال للجذلان مزدهر ومزدحر لأنّه آلة الطرب والفرح الخ، والبم الوتر الغليظ من أوتار المزهر. راجع الفائق ومختار الصحاح.

ثمّ إنّ الأبيات التي رويت في هجاء «حسن ميمندي» عن الفردوسي تنافي هذه الرواية.

وأمّا الرواية الثانية فإنّ وجهة النظر فيها هي أنّ مضمون هذا الشطر الذي قاله الفردوسي في مدح حسين قتيب «نيم آگاه از اصل و فرع و خراج» تصرّح بأنّ افتتاح رسالة الفردوسي كان في طوس لأنّ «الخراج» الذي كان يعطيه الفردوسي إنّما هو في طوس وليس في «غزنين» وحمل الخراج على ما يعطاه الفردوسي لنفقاته اليوميّة فإنّ أصل اللفظ وفرعه يأباه، إذ لا يوجد لفظ «روزمرّه» ملحقاً بلفظ «الخراج» وهم عادةً ما يفعلون ذلك للتعبير عن نفقات المعيشة. ثمّ إنّ أصل اللفظ شايع فيما يطالب به النظام من الضرائب المفروضة على الرعيّة وليس في نفقات الغذاء والعشاء.

ثمّ إنّ الفردوسي قال أيضاً في هجاء السلطان:

كه فردوس طوسى پاک جفت   نه نامه بر نام محمود گفت

بنام نبى و على گفته‌ام   گهرهاى معنى بسى سفته‌ام[1]

وهذا يدلّ على أنّ الفردوسي افتتح الشاه نامه باسم النبي وعلي ثمّ حوّلها إلى محمود السلطان وألحق اسمه باسميهما لأنّه أراد أن يلصقها باسم السلطان محمود ومن هنا يمكن أن ندرك أنّ أسماء الثلاثة لم تكن في الشاهنامه في بدء الأمر ولكنّه ألحقها بعد أن أراد عرضها على السلطان وفي بعضها تشتمل الأبيات على مدحهم على وجه التقيّة وترضية للسلطان وأصحابه وتملّقاً لهم.

ولا منافات بين هذا القول وبين الأبيات التي جائت في مطلع النصف الثاني من الشهنامه وفيها يظهر الفردوسي صلته بالسلطان فلا ينافي ذلك ابتداء وضعها

---

(١) مضت ترجمة البيتين فيما مضى من الشعر.

في طوس، لأنّ ذلك يمكن أن يكون في معنى الأبيات الأُوَل التي تصدّرت مطلع الشاهنامه في مدح السلطان وجماعته.

ثمّ إنّه لو كان الفردوسي ابتدء نظم الشاهنامه في غزنين لكانت الأبيات المخالفة لعقيدة محمود وجمهور أهل السنّة بعد اطلاعه على تعصّبه الشديد وتعصّب حاشيته منافية للحكمة وبعيدة عن مذهب التقيّة ولكنّنا إذا اعتبرنا البداية في طوس فما من حاجة يومئذٍ تدعو إلى التقيّة، ولو اطّلع الناس عليها فما من مانع يمنع من ذلك، أمّا لو افترضناها بُدئت بغزنة يكون الفردوسي قد أثار عليه تعصّب السلطان وبطانته وأثار عليه غضبهم وشحنائهم وتكون حينئذٍ قد شاعت على ألسنة أهل طوس وخراسان فلا يجديه نفعاً حذفها من الكتاب ذلك إلّا أن يقال إنّ الفردوسي لغلوّه في حبّ أهل البيت لم يستطع أن يعمل بمأثور التقيّة وكان يعدّ عزّة دينه في ذلك ولها نظير في بعض الأبيات التي ذكرت في الكتاب ولكنّها تنافي الأبيات الأبيات التي ذكرت في بعض نسخ الشاهنامه في مدح الخلفاء الثلاثة مضافاً إلى الأبيات المثبتة في أوّل كتاب «الشاهنامه» في باب المشورة مع الصديق تدلّ على كون الشاهنامه بدء بها في طوس حيث يقول:

به شهرم یکی مهربان دوست بود	که با من تو گفتی به یک پوست بود
مرا گفت خوب آید این رای تو	به نیکی ببوسم همی پای تو
زنیکو سخن به که اندر جهان	بنزد سخن سنج فرّخ مهان
نوشته یکی دفتر پهلوی	به پیش تو آرم مگر نغنوی
گشاده زبان و جوانیت هست	سخن گفتن و پهلوانیت هست
شو این نامهٔ خسروانی بگوی	بدین نزد شاهان بود آبروی
چو آورد آن نامه نزدیک من	برافروخت این جان تاریک من

تقريب المعنى بالعربيّة:

أرقت!! وقد كان لي صاحب كأنّي أوعبت في جلده
فقال لي أحسنت فيما رأيت ورأيك أعرب عن جدّه
أُقبّل رجليك من أجله فقد كشف الرأي عن بعده
وخير حديث حديث يرىٰ يباركه الناس في سعده
لقد كتبت في قديم الزمان يد الفرس في مبتدا عهده
ويعزىٰ إلى البهلوي القديم فهل نمت كالطفل في مهده
لسانك طلق وفيك السباب وإنّك كالليث في جنده
فخذها رسالة ملك وقل لها الشاه يرقص من وجده
وتصبح ماء حياً في الوجوه وتطلع كالورد في خدّه
فلمّا أتاني بها أشرق الـ ظلام بروحي من مجده

وكذلك دلّت الأبيات التي مدح بها والي طوس أبو منصور سفكين، لأنّه لمّا قرأ بعض أبيات الشاهنامه أبدى الإعجاب بها واستحسنها واهتمّ بعمل هذا النظم وتحمّل بأعباء مؤونة حياة الفردوسي فتفرّغ الفردوسي بطوس لهذا النظم كما يظهر ذلك من الأبيات السابقة التي قالها في مدح صاحبه، ثمّ قال:

بدين نامه چون دست بردم فراز يكى مهترى بود گردن فراز
جوان بود آن گوهر پهلوان خردمند و بيدار و روشن روان
خداوند راى و خداوند شرم سخن گفتن خوب و آواى نرم
مرا گفت از من چه بايد همى كه جانب سخن برگرايد همى
به چيزى كه باشد مرادسترس به گيتى نيازت نيارم به كس
همى داشتم چون يكى تازه سيب كه از باد ماند به من بر نهيب

به کیوان رسیدم زخاک نژند — از این نیک دل نامور ارجمند
به چشمش همان خاک و هم سیم و زر — بزرگی بر او یافته زیب فر
سراسر جهان پیش او خوار بود — جوان مرد و راد و وفادار بود
چه آن نامور گم شد از انجمن — چو در باغ سرو سهی از چمن
دریغ آن کمربند و آن کردگاه — دریغ آن کی و فرّ و بالای شاه
گرفتار دل زو شده ناامید — روان لرز لرزان به کردان بید
نه زو زنده بینم نه مرد نشان — بدست نهنگان گردن کشان
بدینگونه یک چند بگذاشتم — سخن را نهفته همی داشتم

تقريب المعنى بالعربيّة:

وكان كبير سما جيده — أخذت الرسالة من عنده
فتىً في بطولته مفرد — وذهن له الجمر في وقده
تطابق رأي له والحيا — خطيب تجاوز عن حدّه
له نغمة تستفزّ النفو — س بصوت رخيم ولم يبده
وقال أجبني عمّا تريد — منّي لأبدأ في نقده
فما كان في طاقتي فعله — سأكفيك غيري عن سرده
وكان كتفّاحة لم أجد — سواها وأحذر من فقده
علوت لكيوان من خافض — سموّاً وما خاس في وعده
تعالى على ذهب يزدرىٰ — ولم يجنه المرء من جهده
هو الترب في عينه قيمة — وإن تاق قوم إلى خلده
تمام العوالم في ذلّة — فلا عاش من عاش من بعده
فتىً لم يكن غير نفس الوفاء — يبادله الصفو من ودّه

وقد غاب عنّا الفتى الألمعي ولم يك ذلك من صدّه

وسرّ سمىّ هامه في السما كما طال مولىً على عبده

ولم يعلو نبت على جذره كما التف عود على رنده

فيا أسفاً أن يرى هابطاً كبرق تماوج في رعده

قضاء به السدف الحالكات كسيف تجرّد عن غمده

وفي البحر ظلّ حبيس القنوط وقد كرع الصاب من شهده

ترجفه الموج إذ يلتقي بما يشبه السيف في حدّه

وصفصافه عند عصف الرياح عريان يرجف من برده

فلم ير حيّاً ولا ميّتاً ولم يطلع الورد من خدّه

كأنّ الكواسر دارت عليه وقد غاب في البحر لم يبده

لذلك أعرضت عن ذكره كما يعرض المرء عن رشده

وكذلك ما ذكره قبل هذه الأبيات من أحوال دقيقي الشاعر حيث يقول:

دل روشن من چو بگذشت ازوی سوی تخت شاه جهان کرد روی

که این نامه را دست پیش آورم زدفتر بگفتار خویش آوردم

بپرسیدم از هر کسی بی‌شمار بترسیدم از گردش روزگار

مگر خود درنگم نباشد بسی بباید سپردن به دیگر کسی

و دیگر که گفتم وفادار نیست هر این رنج راکس خریدار نیست

تقريب المعنى بالعربيّة:

ولمّا تخطّاه قلبي المضيء تقدّم نحو مليك الزمان

أقدم سفري له معلناً قراناً لساحته والأمان[1]

---

(١) أي إنّ ساحته مقرونة بالأمان فلا يخاف من التجأ إليه.

تــعالى بــذكر له شـامخاً كما في السماء سما النيّران
سألت العـديد ولم أحـصهم أُحاذر من لسعة الأفـعوان[1]
وهل أنا أبطأت سيري فـما بـعثت كـتابي وفـات الأوان
فـلم يـبق راعٍ لعـهد الإخـاء وشارٍ لهذي اللـئالي الحسـان

فإنّها لا تدلّ على ابتدائه بنظم الشاهنامه في حضرة السلطان غاية ما تدلّ عليه أنّ ختامها كان في طوس، ولا يخفى أنّه بهذا التوجيه يتمّ التوفيق بين هـاتين الروايتين المتخالفتين.

تنبيه: لا يخفى أنّ الفردوسي في أصل كتاب الشاهنامه ذكر أسماء الخلفاء الثلاثة وبعد ذلك أراد عرضها على السلطان محمود بعد أن ضمّنها مدائـحه، وكان ذلك على نحو التقيّة وتملّق السلطان، ثمّ حذفها بعد ذلك مـن النسخة ولهذا السبب تراها مذكورة في بعض النسخ دون بعضها الآخر على هذا الوجه:

چه گفت آن خداوند تـنزيل وحـى خـداونـد امـر و خـداونـد نـهى
كه خـورشيد بـعد از رسـولان مـه نـتابيد بـر كس زبـوبكر بـه
عـمر كـرد اسـلام را آشكـار بـياراست گـيتى بسـان بـهار
پس از هر دو آن بود عثمان گـزين خـداونـد شـرم و خـداونـد ديـن
چـهارم عـلى بـود زوج بـتول كـه او را بـحق مـى‌ستايد رسـول
كـه مـن شـهر عـلمم عـليّم درست درست اين سخن قول پيغمبر است

تقريب المعنى بالعربيّة:

ما الذي قاله المهيمن في التنزيل نـهياً مـقارناً للأمـر
ما تجلّت ذكاء يوماً على شخص شـبيه ذاتـاً بـوالد بكـر

---

(١) كنّى عن الدهر بالأفعوان، لوجود الشبه بينهما في القضاء على الإنسان.

وأبي حفص الذي أظهر الإسلام مــثل الســماء زيــنت بـبدر

وبـــه جــددت قــواه فأضــحىٰ مثل حدّ لهامة الشرك يفري

بــعد هــذين جاء عثمان حتّى في الليالي قد صار ليلة قدر

فــعليّ زوج البــتول فــذاك الطـهر ما اختير غيره للطهر

إنّــما المــصطفى مــدينة عــلم وهو باب لها بـه الفضل يجري

ولا يخفى على اللبيب أنّ ما قاله في مدح أبي بكر إشارة بحسب الظاهر إلى حديث عزاه أولياء أبي بكر إلى النبيّ ﷺ وقد وضعوه لمصلحة أبي بكر «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيّين أفضل من أبي بكر» ولكن الحكيم الفردوسي ذكره على وجه يؤدّي معنىً آخر غير ما وضع له ليس فيه مدح ولا دلالة له على فضل، لأنّ ظاهر المعنى أنّ الشمس لم تطلع على من هو أفضل من أبي بكر وجاء في شعر الحكيم التفصيل من اللفظ إلى المفهوم وهو المحتمل أي إنّ الشمس طلعت على أبي بكر لا على من هو أفضل منه وحينئذٍ لا يكون في الشعر دلالة على فضل أبي بكر وكذلك الحال فيما قاله عن عمر:

« عمر كرد اسلام را آشكار »

فإنّه يحتمل وجهين: الوجه الأوّل: أنّ إسلام الناس ظهر بحمايته ودفاعه عنهم ووقوفه سدّاً مانعاً في وجوه خصوم الإسلام لذلك استطاع المسلمون أن يعبدوا الله علناً ببركة مواقفه، ولهم على ذلك أحاديث موضوعة في هذا الباب وروايات لا أصل لها.

والوجه الثاني: أنّه أظهر إسلامه وكشف عنه لثامه وليس في هذا المعنى أيّ فضل يذكر لأنّ جميع الناس حتّى الفسّاق شركاء في ذلك.

وقوله بعد ذلك في مدح الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام فإنّه يقول:

*** كه او را بحق مى‌ستايد رسول ***

*** إنّ الرسول مدحه بحقّ ***

مشعر بأنّ مدح غيره ليس بحقّ وإن رويت في ذلك الروايات وإنّما هو قول باطل.

وهذه القصيدة البليغة من نتاج طبع المبدع الملهم الفردوسي في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام:

اگر برى به خم زلف تابدار انگشت

زتاب زلف برآرى به زينهار انگشت

مگر شمارهٔ زلف تو مى‌كند شانه

كه كرده در خم زلف تو بيشمار انگشت

گره گره شد رگهاى جان خسته دلان

چو كرده زلف سياه تو تارتار انگشت

بحرف قتل من انگشت كش نهادى دوش

سرم فداى تو زين حرف برمدار انگشت

سزاى شهد شهادت شهيد عشق بود

چو يار تيغ برآرد دلا برآر انگشت

پى نظاره مشگين هلال او هر ماه

كشد مه تو از اين نيلگو حصار انگشت

بمستى آرزوى پاى بوس او كردم

نهاد بر لب چون نوش خود نگار انگشت

دلا چو پیر شدی بگذر از هوای و هوس
زبهر آرزوی نفس خود برآر انگشت
علی عالی اعلی که هست همّت او
هزار پی زده بر چشم ذوالخمار انگشت
زدست تیغ تو جان برد و از جهان ایمان
هر آنکه کرد بدین تو استوار انگشت
کسی که حبّ تواَش نیست تا بروز شمار
به هرزه‌گویی تسبیح می‌شمار انگشت
کسی که دست به دامان حیدر و آلش
نزد بسا که به دندان کند فکار انگشت
شها تراست مسلم کرم که گاه رکوع
کند برای تو انگشتری نثار انگشت
شهی که تابد و انگشت در زخیبر کند
برآمد از پی اسلام صد هزار انگشت
شهی که دلدل او راگه خرامیدن
بخاره در شدیش دست و پا چهار انگشت
زدست تیغ تو جان بردی ار برآوردی
نهاده از مژه بر چشم اشکبار انگشت
بزرگوار خدایا بحقّ حیدر و آل
در آن نفس که رود خلق را زکار انگشت

مـــواليـــان عـــلى را زروى لطـــف و كـــرم

زهـــــول روز جـــزا بـــرقرار دار انگشت

شـــها غـــلام غـــلام تـــوأم مـــرا مگـذار

بـــــراى فـــاقه بـــرآرم بـــزينهار انگشت

تقريب المعنى بالعربيّة:

لو انّ كــفّي مسّت شــعر فــاتنتي — دوائـر الشّـعر قـامت دونـه شـركا

فــــلا أمـــان للاه فـــي دوائــــره — وهــل أمـان لسـار يـقطع الحـلكا

كأنّـــما المشــط يسـتقصي دوائـره — فــي كـلّ دارة بـدر اصبع سـلكا

لم يـبق عـرق جـرت فـيه الحياه ولم — يــعقد له كـنثير الشـعر مشـتبكا

دوائـــر شـــقيت روح المـحبّ لهـا — حين الجدائـل مـنه أبـدت الحـبكا[1]

أفـــتىٰ بـــقتلي وإن أثـــقلن كـاهله — يـفديك يـا قـاتلي مـنّي دم سـفكا

شــهد الشــهادة أرواني عـلى ظـمأ — هـيهات لم يـلق قـلبي القتل مـرتبكا

إن جـرّد الألف سـيفاً كـي يـقاتلني — فـما شكـىٰ ألمـاً من ضـربه وبكـىٰ

لا لن أُقـــاتل مـــن يـهوي بـصارمه — إلّا بــــقلب يـــناجيه وإن هـــلكا

فـي كـلّ شـهر أرىٰ في النـاظرين إلى — هـلاله إذ بـه ثـغر الدجـىٰ ضـحكا

رجـاء غـيبوبه فـي السكـر أتـبعه — مـقبّلاً مـنه رجـلاً تـعبر الضـنكا

أهـدىٰ إلى شفتي من طيب أكـؤسه — رحـــيقها فـهفى قـلبي لهـا وبكـىٰ

يا قلب شاخت قواك اليوم دع هـوساً — مـــا عـافه عـاقل إلّا سـما وزكـىٰ

هـــذا عـــليٌّ هـــو الأعـلى وهـمّته — مــنازل المـلأ الأعـلى بـها مـلكا

فــمن تــمسّك فــيه نـال بـغيته — في الديـن إذ نـزّه البـاري عن الشـركا

---

(١) الحبك: تكسّر الشعرة الجعدة / صحاح اللغة مادة حبك.

مــن عــافه حــرم الإيــمان مــعتقداً حــتّى وإن كــان أفــنى عــمره نسكــا
مــن فــارقت يــده حــبلاً لحــيدرة كأنّــه نــيزك قــد فــارق الفــلكا
وسوف يندم يوم الحشر حين يرىٰ عــدوّه عــندما يُســتودع الدركــا
وكــان قــد تــرك الإســلام تــاركه ولا نــجاة لمــن عــقد الولا تــركا
يــا سيّدي أنت فــي عــلم وفي كرم فــقت الخــلائق إن إنســاً وإن مــلكا
جــاء الفــقير لبــيت الله مــبتئساً أعــطيته خــاتماً بــاليُمن مــنسبكا
مــددت اصــبعك المــيمون تــنجده خــيراً لفــعلك إذ لا قــيت مــعتركا
رفــعت فــيه رتــاجاً للــيهود وقــد «أوطأت جنبهم السعدان والحسكا»
هــيهات مــا ظــلمت كــفّاك مــن أحــد حــتّى البــهائم تــجري تــقطع السككــا
جنبّتها السوط فــي الجنبين تــضربها لا فــرق فــيما جــرى مــنها ومــا بــركا
يــا ربّ أدعــوك بــالهادي وعــترته دعــاء مــولىٰ بــحبل الله «مــمتسكا»[1]
أرجو النجاة غداً في الحشر حين يرىٰ كلّ امرءٍ مــن سؤال العــرض مــرتبكا
وللــمواليــن للآل الكــرام وللكــرّار حــيدرة إن شــاهدوا الضــنكا
يــوم تشــيب النــواصي مــن فــداحــته تنجي المحبّ وتــردي فــيه مــن أفكــا
يــا سيّدي أنــا عــبد مــن عــبيدك لا تــترك مــوال بــيوم الحشــر مــنتهكا

كانت وفاة الفردوسي في أحد شهور سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وقبره اليوم من خراب «طوس» عموماً ظاهرمعلوم، أمر «عبيدالله خان الأُزبك» بإظهاره وإن خربت العمارة المقامة عليه، ويزوره العامّة لاسيّما الشيعة الإماميّة، ونال مؤلّف الكتاب شرف زيارته وفاز بذلك.

---

(١) ممتسك بمعنى متمسّك وقد وردت في الشعر، قال الزهاوي:

إنّ الحكيم إذا مــا فــتنة نــجمت هو الذي بحبال الصبر يمتسك

رفائيل بطي: الأدب العصري في العراق العربي ج ١ ص ٤١ ط المكتبة العربيّة بغداد.

وجاء في تذكرة «دولتشاه السمرقندي» أنّ الشيخ أبا القاسم الكرگاني ما صلّى على الفردوسي لأنّه مدح المجوس، فرأى في تلك الليلة كأنّ الفردوسي في جنّة عدن في الدرجات العالية، فسأله: بماذا استحققت هذه الدرجة؟ فأجابه: ببيت واحد قلته في التوحيد:

جهان را بلندى و پستى تونى ندانم چهاى هرچه هستى تونى

أنت هو العالم في علوّه وفي انخفاضه ولا شيء يُرىٰ

لا أعرف السرّ ولكني أرى أنّك في الكل تَرىٰ ولا تُرىٰ

الأُستاذ أبو نصر ابن عليّ بن أحمد الأسدي الطوسي طيّب الله مشهده

ذكر اسمه في رسالة «فرهنگ» من تأليفاته على الوجه التالي، فقال: إنّ نسبي ينتهي إلى ملوك العجم.

وذكر دولتشاه السمرقندي: إنّه من الرعيل الأوّل في الشعر، وكان الفردوسي تلميذه، وكان في عهد السلطان محمود أُستاذاً لفرقة شعراء خراسان وقد كلّفه السلطان محمود مرّات وكرّات بتأليف الشاهنامه فاستغفر الله من ذلك واعتذر بالشيخوخة، وديوانه اليوم لا يعرف، ولكن حديثه مسطور في المجاميع، وله مناظرات غاية في الجمال والكمال، ومنها يستدلّ على أنّه رجل فاضل، ويشير الفردوسي بنظم الشاهنامه ويقول: إنّ ذلك يتمّ على يديك.

نُقِل بأنّ الفردوسي لمّا فرّ من غزنين جاء إلى طوس فوقع بـ«رستمدار[1] والطالقان[2]» وعاد إلى وطنه المألوف بعد مدّة، ولمّا علم بقرب وفاته استدعى

(١) اسم بلاد من بلاد مازندران تقع ما بين گيلان ورشت.

(٢) طالقان: مدينة واقعة بين قزوين وأبهر، منها الصاحب بن عبّاد.

الأسدي وقال له: أيّها الأُستاذ، دنت ساعة الرحيل وبقي شيء يسير من الشاهنامه وأخشى إذا أنا هلكت لا يستطيع أحد أن يتمّ الباقي.

فقال الأُستاذ: لا تجزع يا ولدي، فإنّي أعدك سوف أتمّ الباقي إن حدث أمر إذا أنسأ الله في أجلي.

فقال له الفردوسي: أنت أيّها الأُستاذ شيخ عاجز وأخشى أن لا يتأتّى ذلك على يديك.

فقال الأسدي: إن شاء الله، وخرج من عنده وفي نفس الليلة نظم أبياتاً والفردوسي في السياق فعرضها عليه فأثنى الفردوسي على ذهنه القويم، وهذا النظم يبدأ من حين استيلاء العرب على العجم في آخر الشاهنامه ومجيء المغيرة بن شعبة إلى يزدجرد شهريار ونشوب الحرب بين سعد بن أبي وقّاص وملوك العجم، وختم الكتاب بذلك، ويرى الفضلاء أنّه بالإمكان تعيين شعر الفردوسي في آخره وبدء نظم الأسدي بالفراسة والتميز بينهما من آثار «الأسدي» كتاب «گرشاسب‌نامه» وهذا الكتاب وإن كان مستقلاً إلّا أنّه يرونه من الشاهنامه، والحقّ أنّ هذا الكتاب دليل قاطع وبرهان ساطع قويّ على وفور فضله وقوّة طبعه ونحن رعاية للاختصار نذكر ما جاء في خطبة الكتاب من الحمد والنعمة والمنقبة حيث ذكر ذلك نظماً مطبوعاً جميلاً، وهذا هو:

سپاسِ خدا ایزدِ رهنمای — که از کاف و نون کرد گیتی بپای

یکی کش نه آز و نه انباز بود — نه انجام بود و نه آغاز بود

تن زنده را در جهان جای ازوست — سر چرخ گردنده برپای از اوست

از آن پیش کاورد گیتی پدید — همه هرچه بدخواست دانست و دید

زگردون شتاب و زهامون درنگ — زدریا بخار و زخورشید رنگ

وی آورد نیک و بد و خوب و زشت روان کرد و تن کرد و روزی نوشت
چنان ساخت هرچیز زآید زخویش کزان ساختن کم نیاید زپیش
چه تاری چه روشن چه بالا چه پست گواهند بر هستیش هرچه هست
نه جای تهی گفتن از وی رواست نه دیدار کردن توان کز کجاست
بدان ارستانی بی او هیچ چیز نه از چرخ و از چار گوهر نه نیز
که هستند چرخ و زمام رام او نجوید ستاره مگر کام او
نگاری کجا گوهر آرد همی نباشد جز آن کو نگارد همی
بکارش درون نسیت چون و چرا نپرسند از او و بپرسند زما
بزرگیش ناد بوهم اندرون نه اندیشه بشناسد او را که چون
نبد چیز از آغاز او بود و بس نماند همی دان جز او نیز کس
چنان چون مر او راکسی یار نیست
همه بندگانیم در بند او خنک آنکه دارد ره پند او

في نعت النبي ﷺ

ثنا باد بر جان پیغمبرش محمّد فرستادهٔ رهبرش
که بُد بر در دین ایزد کلید جهان یکسر از بهر او شد پدید
بدو داد دادار پیغام خویش بپیوست با نام او نام خویش
زپیغمبران او پسین بُد درست ولیکن شود زنده زایشان نخست
یکی تن بدو خلق چندین هزار برون آمد و کرد دین آشکار
ببرد از همه گوی پیغمبری که او با کسی را نبد همسری
خبر زان چه بگذشت ازو در جهان کجا راست آید بصد داستان
به یک چشم زد از دل سنگ سخت به معجز برآورد نو بر درخت

دل دنیی از دیو بی‌بیم کرد مه آسمان را بدو نیم کرد
زهامون به چرخ برین شد سوار سخن گفت بر عرش باکردگار
گه رستخیز آب کوثر وراست لوا و شفاعت سراسر وراست
بر اندامش ایزد یکایک فزود هنرهاش را بر هنر برفزود
ورا بود رفتن به یک دم زجای بدرگاه سلطان هر دو سرای
به برد از فرشته جدا پایگاه بَرِ قاب قوسن یزدانش راه
سرافیل هم رازش و هم نشست براق اسب و جبریل فرمان برست
همیدونش بر عرش آمد قیام شده معجز او را زایزد پیام
به چندین بزرگی جهاندار راست بدو داد پاک آنچنان کو بخواست
نمود آنچه بایست هر خوب و زشت ره دوزخ و راه خرّم بهشت
چنان کرد دین را به شمشیر تیز که باشد همگی تا گه رستخیز
زیزدان و از ما هزاران درود مر او را و یارانش را بر فزود
کدامست یارش شناسی بنام گزیده به هرکس زدانش تمام
به تیغش شده داد و دین آشکار که خوانند ورا شیر پروردگار
علیّ و بتول و حسین و حسن همی نگذرانیم از ایشان سخن
ندارم با دیگران هیچ کار به مهر علی بگذران روزگار

ولد الأُستاذ الأسدي في ... (فراغ في الأصل).

تقريب المعنى بالعربيّة:

الحمد للّه الذي هدانا بكافه والنون قد برانا
وخلق الكون بحرفين هما كاف ونون مثلما تقدّما
ليس له كفو ولا شريك يرجىٰ كما تفعله الملوك

ما كائن فيه الحياة تجري إلّا بأمره وأيّ أمر
والفلك الدوّار منه صنعته كذا اقتضت ما في الوجود حكمته
وبعد أن أوجد هذي الدنيا منه فنائها ومنه البقيا
وما بدىٰ فيها قبيح أو حسن إن لم يكن يعرفه الله فمن
وجاعل في الفلك النجوما تهوي على مسترق رجوما
وفي الصحاري يظهر التغيير يفصح عنه الورد والعبير
الخير والكمال والجمال أوجده في الخلق لا محال
وخلق الروح لها برى الجسد وقسّم الرزق فلم يحرم أحد
وكلّما يصدر من جنابه براه لا يفر في طلابه
وكلّ شيء في الوجود باد يحكي لنا عن حكمة الإيجاد
الأسود الغامق والبياض وكلّما تطلعه الرياض
وكلّ عال في الثرىٰ ومنخفض يدعوه يا ربّ من الخير أَفِض
تشهد كلّ هذه الأشياء على وجوده بلا مراء
ولا يقال حلّ في مكان منزّه عن صفة الإنسان
ولا يرىٰ بالعين والخيال تجسيم ربّنا من المحال
واعلم إذا طلبت شيئاً دونه لم يُجر فيه كافه ونونه
فلن ترىٰ شيئاً كهذا أبدا من طلب المحال يوماً ما اهتدىٰ
الفلك الدائر والزمان براه والكواكب الحسان
فهذه النجوم قد قامت به زيّن صفحة السما بشهبه
وأمعن النظرة في الوجود فهل ترى شيئاً سوى المعبود
وليس في صفته سؤال ما بان أو قامت به الأحوال

لا تسألوه واسئلونا عنه يجيبكم كلّ الوجود منه
لا يطرق الوهم له وجود بالعقل ليس يعرف المعبود
ولم يكن سواه قبل الخلق قبل حدوث الرتق ثمّ الفتق
بل وحده كان ولا زمان يقيس ذاته ولا مكان
ما مثله في الحبّ للعباد رحمته تنجد من ينادي
نحن عبيده وفي إساره يسعد من يحيا ولم يماره
ثمّ الصلاة والسلام يجري على النبيّ والوصيّ الطهر
أرسله الله ليهدي الخلقا كالسحب تروي وتضيء برقا
مفتاح دين الله في الوجود يفتح بالهناء والسعود
فما تجلّى الكون من بعد الخفا لو لم يكن في الخلق نور المصطفى
أرسله الله بدين رسمه وقرن اسمه الكريم باسمه
كان حبيب الله دون الرسل خاتمهم سيّدهم بعدل
يقوم قبلهم بنفخ الصور والناس يجمعون للنشور
يرى له المئين والألوفا حتّى يكون دينه معروفا
قد فاق كلّ الأنبياء بالشرف فلم يكن منهم على الكنه وقف
ولم يدانه ولا ساواه ميّزه بذي الخصال اللّه
قد ملأ الأكوان بالفضائل فهل يفي بذاك قول قائل
قد نظر الصخرة وهي جلمد لا أثر من الحياة يوجد
فأخرجت فاكهة جنيّه بفضل صدق سيّد البريّه
طهّر من إبليس كلّ قلب فصار مشرقاً بنور الربّ
قد قسّم البدر إلى نصفين رأته في السماء كلّ عين

وركب البـراق صـاعداً إلى عـرش إله الخـلق جـلّ وعـلا
وكـلّم الإله فـوق العـرش وفـي بسـاط الله قـام يـمشي
أعـطاه فـي الجـنّة نـهر الكـوثر بـالعذب يـجري يـا له مـن نـهر
له اللـوا والفـضل والشـفاعه تـنقذنا عـند قـيام السـاعه
فـوق بسـاط الله قـام يـمشي حـتّى دنـا بـنفسه للـعرش

* * *

وقـاب قـوسين دنـى مـن ربّـه وفـاق كـلّ قـومه وصـحبه
وكـان إسـرافـيل يـتلو حـامدا وجـبرئيل للـبراق قـائدا
دنـى مـن العـرش وقـام قـائما مـعجزه قـد أوضـح المـعالما
أعـطاه مـا شـاء مـن الخـيرات مـلأ الوجـود مـا مـضى والآت
وأوضـح النـجدين للأنـام مـا كـان للـحلال والحـرام
ومـا يـؤدّي لبـلوغ الجـنّه أو لجـهنّم بـفضل السـنّه
ونـصر الديـن بـحدّ السـيف وطـهّر البـيت وأرض الخـيف
مـن شـرك مشـرك وكـفر كـافر ومـلأ الأرض بـفضل وافـر
عـليه مـنّا ومـن الله الصـلا وآله وصـحبه ومـن تـلا
وأيّ شـخص نـال فـضل الصـحبه وحـاز أصـله وحـاز قـلبه
وصـار بـاب عـلمه وفـضله وكـان أدنـى نسـباً فـي أهـله
وكـان نـفسه وكـان صـهره وكـان والديـن سـماء بـدره
مـن أظـهر الديـن بـذي الفـقار وأوقـع العـذاب بـالكفّار
وصـار يـدعىٰ أسـد الله ومـا يـعرف فـيه الفـضل إلّا العـلما
المـرتضى وزوجـه البـتول والحسـنان فـيهما أقـول

دع من سواهم لقرض الفار وللعذاب في غد بالنار
وأخلص الوداد للعليّ وفاطم والحسن الزكيّ
ثمّ الحسين سيّد الأحرار وآله الأئمة الأطهار

الأستاذ أبو زيد الغضائري ﷺ

مع كونه رازيّ وحجر أُمّه حجر تقوى وصلاة[1] إلّا أنّه ربّي تحت ظلّ آل بويه ونشأ فيهم ونما وترعرع في دولتهم، وانعكست على ذاته أنوارهم، وكانت جلّ قصائده في مدح بهاء الدولة، ولكن محمود الغزنوي لمّا تمكّن بالحيلة والغدر من حيازة «مجد الدولة» وخلعه من ولاية الري واستولى عليها فاضطرّ الغضائري لمصاحبته.

وجرى عليه ما جرى على الفردوسي من عذاب صحبته أيّاماً معدودة، من أشعاره التي أخلص بها هذه الأبيات:

مرا شفاعت اين پنج تن پسند بود كه روز حشر بدين پنج تن رهايم تن
بهين خلق و برادرش دختر و دو پسر محمّد و على فاطمه حسين و حسن
اياكسى كه شدى معتصم به آل رسول زهى سعادت تو لا تخف ولا تحزن

تقريب المعنى بالعربيّة:

تكفي شفاعة خمسة أشباح فيهم نجاتي في غدٍ ونجاحي
خير الورى وأخوه من في سيفه قد ذلّ كلّ معاند جحجاح[2]

---

(١) لم أعثر على معنىً لقوله: ودامن مادرش نمازسيت، ولعلّه مثل يضرب وهذا هو أقرب للفهم ولكن اللغة الفارسيّه لم يعتن بأمثالها ولم تنظم تنظيماً معجمياً وإذا ماكان شيء من هذا حاصلاً فلا يغني.

(٢) الجحجاح السيّد المطاع الكريم.

والبضعة الزهراء والحسن ابنها ثـمّ الحسـين ذبـالة المصباح[١]
يـا مـن بعروتهم تـمسّك إنّهم نـور لظـلمة كـلّ شـرّ مـاحي

ولمّا كان شعر الغضائري عند أهل الفنّ نادراً وعزيز الوجود فإنّنا نقتصر على عدد من أبيات له من قصيدة مدح بها السلطان محمود غزنوي لكي تعرف رتبته في الأدب والفنّ عند الجميع:

اگر مـراد بـجاه انـدر است و جـاه بـمال مـرا بـبين كـه بـبينى جـمال را بـه كـمال
من آن كنم كه به من تا به حشر فخر كند هرآنكه بر سر يک بيت مى‌نويسد قـال

تقريب المعنى بالعربيّة:

إن كان فضل المرء في جـاهه ومـاله يـجري كـعذب زلال
انظر إلى شخص يرىٰ بينكم[٢] كـماله يـعرب عـنه الجـمال
سوف أكون الفخر بـين الورى تفخر في فضلي جميع الرجـال
إن أنشـد الشـعر امرئ مـنهم يقول عـنّي هكـذا الشـيخ قـال

قال دولتشاه السمرقندي: إنّ في هـذه القـصيدة غلوّاً زائـداً، وقـد أعـطى السلطان محمود الغزنوي الغضائري على هذا الغلوّ صلاتٍ عظيمة فقد أعطاه سبع بدر وكلّ بدره فيها أربعة عشر ألف درهم، وهذا هو الغلوّ؟

صواب كرد كه پيدا نكرد او بـه جـهان يـگـانه ايـزد دادار بـى‌نظير جـمال
وگرنه هر دو ببخشيد نى به روزشمار امـيد بـنده نـماندى بـه ايـزد مـتعال[٣]

وكانت للغضائري موهبة تـامّة فـي فـنّ الشـعر لاسيّما فـي صـنعة الغـلوّ

---

(١) الذبالة: الفتيلة.

(٢) يعني نفسه.

(٣) لوجود الغلوّ فيه لم أستبح ترجمته.

والاشتقاق، ويرى الفضلاء والشعراء أنّ هاتين الصفتين مسلّمتين له ورووا هكذا: إنّ السلطان محمود الغزنوي كان يثيبه على كلّ قصيدة ألف درهم أخبر عن ذلك «مسعود سعد سلمان، كذا» في قصيدته اللّاميّة التي مدح بها السلطان «مسعود» يقول في هذه الأبيات:

بيمن دولت سلطان ماضي از غزنين — بمدح گويان بر وقف داشتى اموال
غضايرى اگر زنده باشدى امروز — بشعر من كندى فخر در همه احوال
به هر قصيده كه از شهر رى فرستادى — هززار دينار او بستدى ززر حلال[1]

تقريب المعنى بالعربيّة:

كان سلطاننا بغزنين قد أو — قف مالاً لكلّ شعر عجاب
ولو أنّ الغضائري يبعث اليو — م تباهىٰ بشعرنا المستطاب
كان يعطي بكلّ عصماء ألفاً — من دنانيره الصحاح العذاب

ملك الكلام بندار الرازي

شاعر مجدالدولة بن عضدالدولة الديلمي، وذكر في تذكرة دولتشاه السمرقندي أنّه كان متين الحديث، ذو طبع مكين، يتكلّم ثلاث لغات: العربيّة والفارسيّة والديلميّة، وهو من قهستان الري، وكان الصاحب ابن عبّاد وهو كريم الدنيا ودنيا الكرم معلّماً له وتخرّج به، وقد قال «ظهير الفارابي» هذين البيتين في مدح بندار:

شعر بندار كه گوئى بحقيقت وحى است — آن حقيقت بر اين بنده مجاز است آرى
در نهانخانهٔ طبعم بتماشا بنگر — تا زهر زاويه‌اى عرضه كنم بندارى

---

(١) يقول السيّد ﷺ: ألف درهم، ويقول الشاعر ألف دينار ذهباً حلالاً.

شعر بندار هو الوحي أتـى فـيه المـلك
فسل القائل هل يصلح هـذا القـول لك
إنّ هـذا القـول حـقّ اي وربّ عـدلك
أرسل العين إلى طبعي أزل عـنه الحـلك
سـترى فـي كـلّ ركـن مـنه بـنداراً سـلك

وهذه القطعة من شعر بندار المشهور:

از مـرگ حـذر كـردن دو روز روا نـيست
روزى كه قـضا بـاشد و روزى كـه قـضا نـيست
روزى كـه قـضا بـاشد كـوشش نكـند سـود
روزى كه قـضا نـيست در او مـرگ روا نـيست

لا تحذر الموت في يومين إنّهما يـوم القـضاء ويـوم لا قـضاء بـه
يوم القضاء فلا يجدي بـه حـذر ما لا قضا فيه لا جـدوى لمـنتبه

وسمع من بعض الثقات أنّ وجه تسميته ببندار أنّه كان في بدء أمره غاية في العدم والإفلاس واضطراب الحال ولمّا كان فؤاده خزانـة مـمتلئة بـحبّ أهـل البيت عليهم السلام وفي ذلك الظرف الصعب جدّاً أُهدي إليه كـنز فـريد فـتوقّف فـي التصرّف به وقال لزوجته: إنّ من فضل صاحب الولاية هذا الكنز الذي أُلقي إليّ ولكنّي فكّرت فيه طويلاً فرأيت أنّ صفة الفقر التي كانت ملازمة لنا واختلال حالنا سوف تحمل الناس على التساؤل عندما يشاهدون ظهور الغنى فجئة علينا، فقد يسرقونا وقد يحضرونا للاستجواب حسداً من عند أنفسهم وعند ذلك تشتدّ علينا الحال وتكون أقسىٰ من ذي قبل، لذلك خطر لي الآن أن أملأ الأكياس ذهباً وألقيها في بيوت أهل الري وأنثر في دروبهم مثلها لينتفع ناس كثيرون منه عند

ذلك نستطيع أن نتصرّف بالباقي بحرّيّة تامّة وبراحة بال، فإنّ الناس سوف يتصوّرون عندئذٍ أنّنا نلنا نصيباً كبيراً من هذا النثار الذي يقع عليهم ليلاً فلا تحدّثهم أنفسهم بسرقتنا وننجو من شرّهم، واستطاع بندار بهذا التدبير أن يتصرّف بالكنز وصار بهذا المال صندوق أهل بلده وتخلّص بهذا اللقب «بندار».

وهذا الرباعي يدلّ على صحّة اعتقاده وطهر ذيل أُمّه وطهارة نطفته:

تا تاج ولايت على بر سرمى	هر روز مرا خوشتر نيكوترمى
شكرانهٔ آنكه مير دين حيدرمى	از لطف خدا و منّت مادرمى
ما دمت أحمل فوق رأ	سي بينكم تاج الولايه
قد صرت أغنى الناس	لا ما لا أُريد ولا حمايه
حمداً لمن وهب الولاية لي	فإنّ بها الكفايه
والفضل للأُمّ التي	صانتني من تلك الحكايه

قال الشيخ عبدالجليل الرازي ﵀ في كتابه «نقض الفضايح» أنّ لبندار هذا في مدح السادة في الري نظير السيّد أبي القاسم «دوكيس» الحسني وابنه السيّد حسين والسيّد إبراهيم والسيّد حمزه الشعراني وكذلك مدح أبا منصور الآوي وأخاه أباسعيد وهما من وزراء الشيعة سبع وعشرون قصيدة غرّاء...

فخر الشعراء أبو المفاخر الرازي رحمة الله عليه

جاء في تذكرة دولتشاه المذكور أنّ الرجل يعرف بينهم بالأُستاذيّة، وله وراء الشعر والشعراء أنواع الفضائل، وأكثر أشعاره على منهج الألغاز، له اليد الطولى في ذلك، وهذه صنعة مسلّمة له، وله في مناقب سلطان الإنس والجنّ عليّ بن موسى الرضا عليه التحيّة والثنا عدّة قصائد وكلّها ذات صنعة ومتانة، وأمّا

القصيدة التي اشتهرت أكثر وقلّدها أكثر الشعراء وباروها هي التي مطلعها هذا البيت:

بال مرضّع بسوخت مرغ ملمّع بدن
اشک زليخا بريخت يوسف گل پيرهن

ولقد باراه فحول الشعراء في هذا الباب وغالباً ما تكون في وصف طلوع النيّر الأعظم[1] فلم يبلغوا ما بلغ، ونحن نقتصر على ذكر نخبة من تتمّة القصيدة اختصاراً لما ذكر:

صفحهٔ صندوق چرخ، گشت نگونسار باز
کرد برون مار صبح مهرهٔ مهر از دهن

دوش دگرگونه داد طارم نيلوفری
در بن طاسی دو مرد بر سر نعشی دو زن

صبح برآمد زکوه دامن اطلس كشان
چون نفس جبرئيل از گلوی اهرمن

نور چراغ سهيل گوهر تاج قباد
ششتری مشتری مطرح تخت پشن

بر فلک و بر هوا ريخته و بيخته
لؤلؤ لالا بكيل عنبر سارا بمن

زهره زخاتون خلد خنده زنان در نقاب
ماه چو طاوس نر جلوه كنان در چمن

---

(١) لعلّه يريد ولادة أحد أعلام الدين والمذهب.

مهر بخوناب گرم غرق شده چون حسین
صبح به الماس قهر خسته شده چون حسن
روی ره کهکشان جادهٔ او کوفته
از لب دریای چین تا در شهر یمن
قبهٔ خضرا بوصف هم صدف و هم گهر
قامت جواز بشکل هم صنم و هم شمن
چون زشب اندک گذشت قرعه دوساعت زروز
پیک خوراسان نمود راه روی خراسان بمن
خوشهٔ پروین نهاد توشه در انبان دل
تحفهٔ آن گوشه را بیگره و بیشکن
برد مرا بالگی بر سر هنجار طوس
راهبری چون صراط راه روی چون چمن
ناقه‌ای چون ریسمان گردن دنبال او
او بحریر خطا در زی سوزن شکن
آب تک و باد پای پنبه خور و جاله خواه
گل طرب و خار دوست گرگ تک و پیل تن
نار توان بر فراز آب توان در نشیب
باد وزان در کنام خاک گران در عطن
نیک رفیقی چو عمر خوب حریفی چو جان
نادره‌ای چون مراد بوالعجبی چون سخن

کـرده زخـارا خـمیر هـمچو امیر غـدیر
از کـف پـیر فـطیر پشت تـنور دمـن
مـقرعهٔ اقـتضا داد سـر انـدر قـضا
عشـق طـریق رضـا بسـتده از خـویشتن
سـایهٔ ذات خـدا مـایهٔ فـرّ هـما
پـارهٔ نـفس رسـول چـارهٔ کـرب و حـزن
هـم خـطواتش کـریم ، هـم درجـاتش عـظیم
هـم حـرکاتش رفـیع ، هـم سکـناتش حسـن
حـاسد شـوم اخـترش مـرده ولی در عـذاب
دشـمن بـدگوهرش زنـده ولی در کـفن
شـاهد لولاک را روضـهٔ پـاکش سکـون
زاهـد افـلاک را حـضرت پـاکش سکـن
مـادر بـحران او کـودک انگـور را
داده زبسـتان غـیب از سـر پسـتان لبـن
راست نشـین کـج مگـو دادِ حـدیثی بـده
درد مـن از داغ کـیست چـون تـو نـداری درن
عـصمت پـالوده را روشـن و صـافی است جـام
تـهمت آلوده را دردی فـانی است دن
بـیم تـباهی است ظـلم نـزد خـرد بـر امـام
نـام الهـیست حشـو سـوی خـرد بـر وثـن

حوصلهٔ دشمنش حاصل حجّت نداشت
خارش نرمادگی تازه شدش چون زغن

ای زده چون عقل روح لقمهٔ انوار علم
وی شده چون جدّ و باب طعمهٔ ارباب طعن

نیست ابد را بعدل بی تو روان هیچ حکم
نیست ازل را بفضل از تو نهان هیچ فن

تا بتو قربت نجست وز تو عنایت نخواست
افعی چوبی نکرد صاحب سلوی و من

کرده بر ابنای جنس فاتحهٔ نام تو
آهن و فولاد موم آتش سوزان سمن

کاسه‌گر سدره را نغمهٔ نعت از شماست
لحن خوش و راه راست هر سحری پرفتن

هرکه دمی با شما رطل گران درکشید
دیدهٔ بختش ندید دل به عنا ممتحن

خصمك فيما مضى إن قضا نحبه
ينتقم الله منه دونك لا تعجبن

گفت مفاخر بخوان معنی بیتش بدان
تا که چه گفتست او زاوّل و آخر سخن

قال دولتشاه السمرقندي: إنّ للشيخ مفاخر عند السلاطين والحكّام جاهاً وقبولاً تامّاً، ونقل عن تاريخ آل سلجوق أنّ السلطان مسعود بن محمّد بن ملكشاه نزل الريّ في طريقه إلى مازندران فأطلق عسكره دوابّهم وماشيتهم في

مزارع وبساتين أهالي الري وكانوا يعاملون الناس بالقسوة وبدون هوادة ولا رحمة ولم يكونوا يتحلّون بالانضباط والأدب، فأرسل أبوالمفاخر هذه القطعة إلى السلطان فأمر بردعهم وكفّهم عن الإيذاء والتعدّي، وهذه هي المقطوعة:

اى خسروى كه سايس حكم تو بر فلك
برتر زطارق طارم كيوان نشسته است
لطفت به آستين كرم پاك مى‌كند
گردى كه بر صحيفهٔ دوران نشسته است
بر تخت رى تو حاكم و بر تخت نافذت
در ملك رى بمرتبه خاقان نشسته است
شاها سپاه تو كه چو مورند و چون ملخ
بر گرد دخل دانهٔ دهقان نشسته است
باران عدل بار كه اين خاك سالهاست
تا بر اميد وعدهٔ باران نشسته است

أيّها المالك الذي حكم الأفلاك — واجتازها إلى كيوان
إنّ لطفاً أُوتيته يمسح الأكدار — بالخير من جبين الزمان
ملك الري أنت لكن حكماً — لك في الري صار كالخاقان
إنّ جيشاً يا أيّها الملك العا — دل ربّيته على الإحسان
صار كالنمل والجراد بأرض — هي للعين في عداد الجنان
مطر العدل منك ترجو — فأمطرها بعدل يرجى من السلطان
تركتها السنون قفراً جديباً — فابتعثها بالروح والريحان

الأمير قوامي الرازي رحمة الله عليه

من شعراء الري ذوي الفصاحة والبلاغة، ومن المؤمنين السعداء، ولمّا كان أكثر شعره في مدح السادات من أولاد النبي وآله فقد أُتلف بسعي المخالفين غير المشكور، من ذلك قصيدته التي قالها في التوحيد والمدح وذكر المناقب وختمها بمدح ملك السادات والعلماء السيّد شرف الدين مرتضى القمّي رحمه الله تعالى:

تا صاحب الزمان برسيدن بكار دين
اولاترين كسى شرف الدين مرتضى است

إلى أن يظهر الحجّة مولا العالم القائم
فهذا شرف الدين هو السيّد والعالم
هو الأولى بدين المصطفى فليخسأ اللّائم

خاقان الشعراء وسلطان الحكماء أفضل الدين إبراهيم الخاقاني رحمه الله

همان شهنشه اقليم نظم خاقانى
كه صيت فضل زشروانش رفته تا در چين
زهى شهنشه صاحبقران كه چرخ او را
بروزگار قرانات كس نديده قرين

ملك الشعر ذلك الخاقاني لم نجد مثله على الأرض ثاني
لو فليت البلاد فلياً إلى الصين وأرض الخطا وكلّ مكان
ما بدا من كواكب الشعر مثلاً لمعاليه في سماء المعاني

معاصر للمستضيء العبّاسي ومدحه في القصيدة العربيّة التي وصف فيها

بغداد، ولقّب لكماله في صناعة الشعر بحسّان العجم، ويمتاز من بين شعراء عصره بحسن الحديث الممتاز واتّخذ في الأُسلوب المفرد طريقة سنائي في المواعظ والحكم، ونال قصب السبق في ذلك من أقرانه، ويقول من مقطوعة له قالها على سبيل المفاخرة:

شاعر مبدع منهم خوان معاني مراست
ريزه خور خوان من عنصرى و رودكى
زنده چون نفس حكيم نام من از تازگى
گشته چون مال كريم حرص من از اندكى

هلمّ أنا الشاعر المبدع ... بنظم المعاني أنا الأروع
وما العنصريّ وما الرودكي ... سوى شاعر خائب يصفع
وإنّ فتات خواني لهم ... تعالوا إليه كلوا واشبعوا
واسمي جديد كنفس الحكيم ... ولا حرص عندي لكي يجشعوا
قليلاً يرىٰ مثل مال الكر ... يم أقلّ القليل به أقنع

ويقول في موضع آخر:

خاقانيا كسان كه طريق تو مى‌روند ... زاغند وزاغ را روش كبك آرزوست
گيرم كه مارچوبه كند تن بشكل مار ... كو زهر بهر دشمن و كو مهره بهر دوست

إنّ من يسلك درباً ... فيه تمشي وتسير
كغراب رام أن يمشي ... كدرّاج يطير
كنبات يشبه الحيّة ... في العود الطرير
أين منه سمّها الناقع ... ما منه مجير

ويقول رشيد الوطواط وهو من مشاهير الدهر وحكماء العصر في مدحه:

ای سپهر قدر را خورشید و ماه وی سرير فضل را دستور شاه

افضل الدين بو الفضائل بحر فضل فيلسوف دين فزای كفر كاه

يا سماء شمسها والقمر وسرير الفضل أنت المصدر

أفضل الدين وبحر الفضل من سورة الكفر به تندحر

وقال آخر من أعلام عصره في مدحه:

به خدائی كه باعث جان است كه امير امام خاقانی مفخر صد هزار خاقان است

من نگويم كه طبع روشن او همدم طبع آب حيوان است

كاب حيوان زبهر خدمت او بندهٔ خاک پاک شروان است

قسماً بالإله من خلق النفس أمير الأئمّة الخاقاني

هو فخر للناس واعطف عليهم مأة بعد ألف خاقاني

ما أنا قائل بطبع أبي الفضل كماء الحياة للظمئآن

إنّ ماء الحياة عبد لأقدام أبي الفضل في مدى الأزمان

فهو وإن اشتهر بالشعر وممارسة العلوم الظاهريّة ولكن له وراء هذه الأطوار طوراً آخر، يبدو ذلك الجانب إلى جنبه شيء تافه ويظهر من بعض أشعاره التوحيد الحقّ والفناء في الواحد حيث يقول:

صورت من همه او شد صفت من همه او

لاجرم كس من و ما نشنود اندر سخنم

نزنم هيچ درى تا كه نگويند آن كسيت

چون بگويند مرا بايد گفتن كه منم

صرت بالشكل مثله وصفاتي كلّها من صفاته المحموده

لم أقل لا أنا ولا نحن يوماً وصلت فيه ذاتي الموجوده

ما طرقت الأبواب كي لا يقولوا　　من فأُعطي أنا لشخصي حدوده

ولا يخفى أنّه كما كان يتحلّى بمشرب التوحيد العذب فإنّ خطّ مذهب أهل البيت عليهم السلام مرسوم على لوح اعتقاده ولكن لمّا كان زمان الخاقاني فيه يحكم باسم الباطن في جميع المواطن وكانت بليّة التقيّة في الطائفة العليّة الشيعيّة المرتضويّة سارية المفعول لذلك مال إلى الإعراب عن معتقده في القطعة الشعريّة التي سوف نذكرها لاحقاً بطريق الكناية والتعمية والألغاز، وحجب حقيقتها عن أنظار أبناء ذلك الزمان، وسترها عنهم، والمقطوعة المشار إليها هي كالتالي:

خط مجهول ديدم در مدينه　　بدانستم كه آن خط آشنائيست

در آن خط اوّلين سطرى نوشته　　كه جوزا نزد خورشيد شما نيست

بجان پادشه سوگند خوردم　　كه نزد پادشه جز پادشا نيست

چو خاقى نداند آن چه سرّ است　　جواب اين سخن گفتن روا نيست

وشاهدت خطاً في المدينة خافياً　　فأيقنت أنّ الخطّ في القلب معروف

وفي أوّل الخطّ استبان لناظري　　ألاكوكب الجوزا من الشمس محذوف

وأقسمت بالسلطان حلفة صادق　　هنا الشاه عند الشاه لا شكّ مألوف

ولمّا جهلت السرّ لا أهتدي له　　فإنّ جوابي عنه للغيب مصروف

ولمّا وصل إلينا هذا العصر «يوم تبلى السرائر» وعند بدوّ آثار «الاسم الظاهر» في المجالي والمظاهر، قام القلم خليع العذار[1] وهو فاضح الأشرار بكشف الأستار فيقول: إنّ حاصل البيت الأوّل: إنّي رأيت في المدينة خطّاً لم يكن معروفاً وإنّما هو خطّ رجال الغيب الملائكة الخالين من العيب، وفي البيت

---

(١) العذار من اللجام ما سال على خدّ الفرس، وفلان خليع العذار كالفرس الذي لا لجام عليه أي مطلق العنان يتوجّه أينما يحلو له.

الثاني أنّ الجوزاء وهي برج يمثّل جسمي طفلين عاريين أحدهما وراء الآخر فهما كناية عن أبي بكر وعمر، وذكر الشمس وأراد بها النبيّ ﷺ، ومعنى ذلك أنّ أبابكر وعمر ليسا عند النبيّ ﷺ كما يزعم أهل السنّة، وقصده من السلطان الأوّل «پادشاه» والثاني في البيت الثالث صاحب الرسالة المحمّديّة، ومعنى هذا الكلام: إنّي أُقسم بروح سلطان رواق الرسالة أو سماء الرسالة أنّه لا يوجد عند ذلك المليك غير ملك للولاية أو نظير له من أهل بيت النبوّة والرسالة والولاية أحد، وهذا القول إمّا مبنى على ما رواه الشيخ جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء عن شريك بأنّ الإمام الحسن عليه السلام نقل جسد الإمام المطهّر من الكوفة إلى المدينة، وروى عن المبرّد هذه الرواية أنّ أوّل من حوّل من قبر إلى قبر عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) رضي الله عنه[1].

أو إنّ ذلك مبنى على عقيدة الفرقة الناجية الإماميّة بشأن الأنبياء وأوصيائهم ويقولون إنّ القرآن والحديث أخبر عنهم أنّهم أحياء بعد الموت «يُرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله» ولا تبقى أرواحهم الشريفة وأجسادهم اللطيفة على الأرض، بل يعرجون إلى الملأ الأعلى والرفيق الأوفىٰ والكأس المهنّا.

أو إنّ ذلك جاء على نهج الحديث النبوي: «لو مات نبيّ في المشرق ومات وصيّه بالمغرب لجمع بينهما»[2] فإنّ الأجساد النوريّة والأجسام القدسيّه تلحق بأمثالها وتتّصل بأشكالها من الأنوار العرشيّة والنفوس الملائكيّة، وتكون فائدة زيارة القبور من مفيض النور أنّ نفس الزائر بحسب حضوره في ذلك المقام

---

(١) تاريخ الخلفاء ج ١ ص ٧١ آلي.

(٢) الشيخ الطوسي: تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٠٧، السيّد البروجردي: جامع أحاديث الشيعة ج ١٢ ص ٢٦٠، الدرّ النظيم ص ٤٢٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ص ١٩٤.

الشريف تكون على استعداد لمقابلة تلكم النفوس القدسيّة، وبواسطة تلك المقابلة بقدر الاستعداد الذاتي وصفاء النفس من الكدورات الطبيعيّة والملكات الرديئة تكون قابلة لانعكاس الأشعّة النوريّة واللمعات القدسيّة وتبلغ بواسطة ذلك إلى الكمالات الموجبة للقرب الإلهي ونيل اللطف اللّامتناهي وتفوز به.

وذكر الفخر الرازي في بعض تصانيفه أنّ الزائر عندما يتوجّه إلى قبر أحد العظماء الكبار تتعلّق نفسه بذلك القبر تعلّقاً خاصّاً كتعلّق نفس صاحب القبر بذلك القبر، فإذا كانت نفس المزور أقوى من نفس الزائر حصلت الاستفاضة عندئذٍ والعكس بالعكس.

ومجمل القول: لمّا كان للروح تعلّق بقبرها وهذا التعلّق ما فتئ حاضراً باقياً فإذا زار أحد الناس قبر واحد من الأعلام العظام ينسجم ذلك الزائر بالروح المتّصلة بالقبر ويحصل قرب الزائر من تلك الروح بسبب القبر ويكون الروحان حينئذٍ بسبب ذلك شبيهين بمرآتين متقابلتين وتحصل الاستفاضة بسبب هذه المقابلة بقدر الاستعداد الممكن، «نسأل الله الكريم أن يفيض على أنفسنا الناقصة ما نكملها حتّى نصير من أهل الحضور معهم ببركة اعتقادنا بفضلهم وقيامنا بحبّهم وصبرنا على الأذى فيهم، ورزقنا البقاء على ذلك بمنّه وكرمه»[1].

ويؤيّد التوجيه المذكور ما جاء في كتاب تحفة العراقين[2] في مقام مدح المرقد المعظّم والتربة المكرّمة لصاحب الرسالة المحمّديّة ﷺ فقد عبّر عنه بالشمس وعن الخليفتين بالجوزاء:

بينى حرم محمّدى را ديوانگه سرّ سرمدى را

---

(١) ما بين الأقواس الحاصرة الكلام للمؤلّف.

(٢) للحكيم الخاقاني المعروف بحسان العجم / الذريعة ج٣ ص٤٥٣.

او شمس و حظيره مغرب پاک نه حجره خاص او نه افلاک
پيش دو خليفه رخ نهفته جوزا به كنار شمس خفته
هر سه شده يک نهاد و يک راه چون يک الف و دو لام اللّه
انظر إلى حرم النبيّ محمّد ترهُ المحلّ وسرّه الأبدي
فالشمس قد غابت بمغرب قبره فلك بدىٰ في داره علوي
واثنان قد رقدا بجانب قبره قد أشبها الجوزاء وهي قصيّ
فهم الثلاثة مثل ألف داخلت لاماً فكان الله وهو سني

ولا يخفى أنّ في قوله «رخ نهفته»[1] إشارة إلى مضمون حديث الحوض المذكور في صحيح مسلم وهو كما يلي: ليردنّ علَيّ الحوض رجال ممّن صاحبني حتّى إذا رأيتهم رفعوا إليّ اختلجوا دوني فلأقولنّ: أي ربّي، أصحابي، فليقالن: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.. الحديث[2]. وحاصل الحديث كالتالي: إنّ أصحابي يوم القيامة يردون علَيّ الحوض فإذا قربوا منّي ودنوا من حوض الكوثر يبعدهم عنّي الملائكة الموكّلون بذلك ويخفونهم عنّي.

وحاصل شطر الخاقاني: إنّ الرجلين في تلك الساعة مبعدان من النبيّ ﷺ وقد اختلفت وجوههم عنه، ولمّا أشار إلى الجوزاء مختفية أزاء الشمس فهذا إشعار منه بمنتهى بعدهما من قرب النبي.

وبتشبيهه إيّاهما بلامين في لفظة «اللّه» رمز إلى بُعدهما عنه بحسب الحقيقة لأنّ الألف التي يرمز بها إلى النبي ﷺ تكتب مفصولة عن اللّامين ولمّا كان اللّامان هكذا «لا» نفي الواقع فهي إشارة منه بنفيهما وبطلانهما.

---

(١) أي على جنبه مختفٍ. فإنّ «رخ» الجنب و«نهفته» مختفٍ غائب الخ.

(٢) صحيح مسلم رقم الحديث ٤٢٥٩.

وهذا نظير تلك الحكاية المشهورة وهي أنّ الإمام أميرالمؤمنين كان ذات يوم يمشي بين أبي بكر وعمر أو هو واقف بينهما وهما طويلا القامة فقال أحدهما للإمام: أنت بيننا كحرف النون بين كلمة «لنا»، فقال لهما عليه السلام: لولا أنا لكنتما لا أي لبطل عملكما وهلكتما نظير هذه الكلمة «لولا عليّ لهلك عمر» فهذا اعتراف بمضمون قول أميرالمؤمنين عليه السلام.

والغرض من قوله «يک نهاد»[1] أنّهما وضعا مع النبيّ في مكان واحد ولا يريد اتحاد الطبع والوجود أي إنّ صورة قبورهم واحدة وإنّها موجودة في محلّ واحد وجهة واحدة نظير الألف واللّامين في لفظ الجلالة، وكما ذكرنا في ترجمة الحكيم الفردوسي وغيره إنّ الذي يحملنا على هذا التأويل هو قيام القرينة بإعمال التقيّة يومئذ وهي بمنزلة الدليل العقلي في تأويل المتشابهات من كلام الملك العلّام والسلام، ومن ضمن المؤيّدات لما ذهبنا إليه هذان البيتان وهما:

علوي دوست باش خاقاني   كز عشيره عليست فاضل‌تر

بدشان به زمردم نيكو   نيكشان از فرشته كامل‌تر

أحبب عليّاً أيّها الخاقاني   تسعد بفضل الله في الأكوان

إنّ الإمام هو الأتمّ فضيلة   من كلّ حيّ في الوجود الفاني

وقبيلة الأشراف أفضل منهم   مولاك لم يشبهه منهم ثاني

أدناهم أعلى الأنام مناقباً   وسواه فاق ملائك الرحمن

وكذلك يؤيّد صحّة عقيدته ما جاء في كتابه «تحفة العراقين» في مدح المشهد المنوّر والمرقد المطهّر لأميرالمؤمنين وإمام المتّقين عليه السلام فإنّه يقول:

---

(١) كلمة وردة في الشعر المتقدّم البيت الرابع منه ولها معان كثيرة فهي من المشترك اللفظي ومعناها بكسر النون طبيعة، وبفتحها عادة.

سرها بینی کلاه در پای در مشهد مرتضی زمین سای

جانها چو سپاه نخل پر جوش بر خاک امیر نحل مدهوش

هر دیده که ظلمت آب او ریخت زان خاک شیاف شافی انگیخت

جنّت رقمی زتربت اوست تبّت اثری زرتبت اوست

چندان که تراب بوتراب است آبستن نابهای نابست

زان روی برای مشک زادن گشت آهوی تبتی ستردن

دیریست به پیش چشم احرار تبت غزل است و کوفه پرکار

عطارانی که در جنانند مشک سره مشک کوفه دانند

افلاک فرو در رفعت اوست وایام غلام شیعهٔ اوست

تقريب المعنى بالعربيّة:

هذي الرؤوس وأصبحت أقداما في مشهد فيه الوصيّ أقاما

وتجمّع الأرواح في عرصاته كفيالق جاءت تبلّ أواما

وقعت على لين الثرى مدهوشة تهفو إليه ولا تريد قياما

كحلت به عيناً تبدّد نورها واستبدلت بعد الضياء ظلاما

ما تربه إلّا الجنان لطيفه ومقامه فهو الرفيع مقاما

وأبو التراب فصار مسكاً طيبه للناشقين بداية وختاما

أنست حلاوة طيبه[1] ما يقتني من تبّت وزكت به أعلاما

هو قبلة الأحرار تهوي نحوه هذي القلوب لكي تنال سلاما

ويراه حاوي المسك سرّة مسكه فلذاك حلّ بأرضه وأقاما

---

(١) اسم بلد على حدود «الخطا» ويقع بين الصين وكشمير ويجلب منه المسك الأذفر وهو خير المسك في العالم كلّه.

وقال في قصيدة أُخرى يظهر الشوق إلى زيارة سلطان خراسان عليه ألف تحيّة وسلام وهي:

بخراسان شوم انشاء الله	چو خور آسان شوم انشاء الله
چون طرب در دل و دل در ملكوت	رو بـه پنهان شوم انشاء الله
گر دهد رخصه كنم نيّت طوس	خوش و شادان شوم انشاء الله
بر سر روضة مغموم رضا	شبه رضوان شوم انشاء الله
گرد آن روضه چو پروانة شمع	مست جولان شوم انشاء الله

تقريب المعنى بالعربيّة:

إلى خراسان إنّي مزمع عجلاً	أزور مولاً لكي أنجو غداً فيه
الشوق في القلب ثمّ القلب في	الملأ الأعلى فسرعان ما أدنو لناديه
إن نلت إذناً فطوس قبلتي وأنا	بقبر مولاي أطريه وأفديه
أكون رضوان في تلك الرياض ولم	ينل من الخلد ممّا قد أرانيه
مثل الفراشة حول النور مندفعاً	أدور حول ضياء الله مبديه

وكذلك ما قال في مدح ملك السادة شرف الدين محمّد بن مطهّر العلوي فإنّه يقول:

آن قدر و صفا كه خاطرِ راست	از خدمت سيّد اجل خواست
آن مايه كه طبع را قوام است	هم همّت سيّد انام است
ذوالفضل محمّد مطهّر	آن عرق محمّد پيمبر
آن مردم ديده مصطفى را	آن وارث صدق مرتضى را
قدرش زد و كون برگذشته	يک موى ز مصطفى نگشته
بوده درِ شهر علم حيدر	وين سيّد كليد آن در

شهری که خراجش آورد دهر — او میوهٔ باغ آن چنان شهر
فرزند محمّد عرب اوست — حسّان عجم ورا دعاگوست
من شیعهٔ صلب در هوایش — شیعی که چه غالی ثنایش
چون دل سر خاندان او داشت — طبعم بثنای او فرو داشت
فرش است مدیح او در این راه — ورنه من و مدح حاش للّه

تقريب المعنى بالعربيّة:

ما أراد الطبع منّي — حين أسمو للأعالي
أذكر السيّد ذي الإ — فضال في خير مقال
وهو ذوالطبع وفي — الطبع يرىٰ زين الرجال
جاءه من جدّه — المبعوث من ربّ الجلال
غصن من دوحة — شيدت على خير مثال
هو إنسان لعين المصطفى — من خير آل
وارث علم أبيه المرتضى — مول الموالي
سبق العالم بالفضل قديما — والكمال
وعليّ باب علم المصطفى — في كلّ حال
وهو مفتاح لذاك الباب — من بين الرجال
بلد أعطى الخراج الدهر — في كلّ مجال
ذاك إن صنّفت — مولاك عليّ ذوالمعالي
وابنه ذا ثمر يعزى — إلى أشرف آل
عربيّ جدّه الطاهر — محمود الخصال
وأنا حسّانه المادح — بالسحر الحلال

قـــــد تشـــــيّعت له　　مـــن بـــين أهـــلي وعـــيالي
وتـــــصلّبت كأنّـــــي　　صـرت مـن صـخر الجـبال
وغــــدى القـــلب عـــلى　　بـــابهم راجـــي الوصـــال
فــرض الله عــلى الشــاعر　　إن كـــــان مـــــوالي
مــدحهم لا بـزكيّ القـول　　لكـــــن بـــــاللئالي

وقال في مدح علّامة الزمان صدرالدين الأصفهاني وأخويه وأحدهما يُدعىٰ محمود والثاني جمال، وقد أشار إلى حديث المنزلة «أنت يا عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى» إشارة لطيفة وقال:

صـــدرالديـــن صـــدر دارِ مـــلّت　　بـــرتر زســـه بـــعد و چـــار مـــلّت
موسى قدمست و مصطفىٰ جـود　　هارون على و جمال و مـحمود
وألقت لصـدرالديـن فـضل زمـامها　　وأصبح يحدِوها إلى الخير والرشـد
كـموسى بـن عـمران وجـود مـحمّد　　وهارون موسى في العلوّ وفي الزهـد
عـليّ أبـوه كـان مـن جـدّه الهـدى　　كهارون من موسى إلى شرعه يهدي
جـناحاه فـي الجـلّى جـمال يـعينه　　ومـحمود الغـالي فـما مـنه مـن بـدّ

وقال معرِّفاً نفسه:

گفتندكجاست آن‌سخن‌دان　　گفتم كه بعرصه‌گاه شروان
خاقانى مدح خـانش گـويند　　مدحت‌گر خـاندانش گـويند
وقالوا أين من عرف الكلاما　　فقلت بشرون اختار المقاما
لخـاقاني مـديح فـيه لطـف　　كـضمنان وقـد بـلّ الأوامـا

وقال مادحاً أباه:

از بـــر خـــلايقم ســـبكبار　　بـــر مـــائدهٔ عـــلى نـــجّار

او هست على بنام و احسان من قنبر او بطوق و فرمان

ولمّا طاب خُلقي بين قومي لقد ربّيت في بيتٍ عليّ

بمنزلة الإمام أبي وإنّي كقنبره بمنهاج سويّ

وقال في مدح أُمّه:

آن پيرزني كه پير معنيست وآن رابعه‌اى كه ثانيش نيست

كدبانوى خاندان عصمت مستورة دودمان عصمت

تلك العجوز هي الأميرة في النسا لم تلق رابعة شبيهاً ثاني

أمة لآل المصطفى في حبّها محجوبة عن أعين الشيطان

ولا يخفى أنّ في بعض هذه الأبيات أشعار من صاحبها على تصويب مذهب الشيعة وتعظيمهم حيث اعتبر الدهر غلاماً لهم، وفي بعضها ذكر تصلّبه في التشيّع واستحسن ذلك، وفي بعضها ذكر أنّ الإمام الرضا معصوم، وفي بعضها آمن بحديث المنزلة، وفي بعضها اعترف أنّ خير معرّف له يكون مدّاحاً لأهل البيت، وفي بعضها وصف أُمّه بأنّها مؤمنة، وهذه الكلمات تخالف تُرّهات المخالفين الذين لا بصيرة لهم والمعاندين المقتدين بإبليس، السائرين في مسلكه.

الحكيم المتكلّم أوحد الدين الأنوري نوّر الله مرقده

كليم طور سخن انورى كه آورده است چو آفتاب جهان سخن بزير نگين

الأنوري كصاحب الطور كحديثه بالفضل مسطور

فكأنّه والقول في فمه متختّم بالشمس بالنور

إنّ الحكيم الأنوري في الترسّل والحديث كالشمس في نصف النهار، وفي فنون الحكمة المنتثرة يعتبر فيلسوف العصر، وفي هذه المقطوعة التي هي

نموذج من أشعاره إيماء إلى ذلك:

گرچه در بستم در مدح وغزل یکبارگی
ظن مبر کنز نظم الفاظ و معانی قاصرم

بلکه بر هر علم کز اقران من داند کسی
خواه خردی باشد آن را خواه کلّی بگذرم

منطق و موسیقی و هیأت شناسم اندکی
راستی باید بگویم مثنوی‌گو وافرم

واز الهی آنچه تصدیقش کند عقل صریح
گر توتصدیقش‌کنی بر شرح و بسطش ماهرم

وز طبیعی رمز چند ار چند بی‌تشویر نیست
کشف دانم کرد اگر حاسد نباشد ناظرم

نیستم هم جاهل از اعمال احکام نجوم
ور همی باور نداری رنجه شو من حاضرم

این همه بگذار با شعر مجرّد آمدم
چون سنائی هستم آخر گرنه همچو صابرم

تقريب المعنى بالعربيّة:

إن كنت أغلقت باب المدح والغزل — لا تعتقد أنّ هذا ما تيسّر لي
إنّي لأعلم علم الصحب كلّهم — بالجزء والكلّ من جهدي ومن عملي
شدوت من منطق شيئاً ومن نغم — وهيأة الفلك الأعلى على عجل
لكن أقول بصدق إنّني رجل — غدا على الشعر تعويلي ومتكلي
أخلصت للمثنوي إخلاص ذي مقة — فلست أرجو سواه أنّه أملي

أمّا الإلهي فلن أبغي به بدلاً   أوقفت عقلي له في الشرح والجدل
كذا الطبيعي إذا ما لاح منفلقاً   كالليل أو كظلام فيه منسدل
فإنّ عيني تغزوه وتفتحه   حتّى يرىٰ بيننا للناظرين جلي
وفي النجوم على علم بهيأتها   ولست عن فهمه يوماً بمنعزل
إن لم تصدّق فهيّا نحو معترك   بيني وبينك لا تغضب ولا تمل
تركت هذا جميعاً نحو قافية   كما تركت صغار الرمل للجبل
أخلصت للشعر حتّى صرت منطلقاً   أنحو سناني وإلّا صابرٌ مثلي

كان منبته من ولاية أبيورد من قرية تسمّى «بديه»[1] ويقال إنّها بجانب «مهنه»[2] وتسمّى تلك المفازة صحراء «المشرقيّين» وكان يتخلّص في أوّل أمره بـ«أنوري خاوري» فرجاه أُستاذه عماره أن يتخلّص بـ«أنوري».

انتمى إلى المدرسة المنصوريّة واشتغل بتحصيل العلوم ثمّ توصّل إلى خدمة السلطان «سنجر»[3] وصار موضع عطفه ورعايته وعنايته، ولا موجب لذكر نبذة من ذلك ولا ذكر الترتيب الذي كان عليه في دولة هذا السلطان فإنّه لا يناسب رويّة الكتاب.

من أشعاره الدالّة على حسن اعتقاده هذان البيتان:

ملک بخشاینده در حرمان میمون خدمتت
چون خلافت بی علی بوده است و بی زهرا فدک

---

(١) قرية من قرى دابو المركزيّة مدينة آمل، تبعد عن شمال «خاوري آمل» بثلاثة عشر كيلومتراً.
(٢) مهنه: من أعظم بلاد خراسان من جهة «خابران» وهي قصبة من توابع خاوران / لغتنامه.
(٣) ابن ملكشاه معزّ الدين أبوالحارث ملكشاه السلجوقي آخر ملوك السلاجقة، تسلّط ٥١١هـ وتوفّي ٥٥٢هـ.

بـيعت بـوبكر وآن قـول«أقـيلونى» چـه بـود

مـصلحت ديـد عـلى آن فـتنهها خـوابـيد چـون

أولا ترون إلى الخلافة كـلّ مـن يـدنو هـلك

أسـباب ذلك إنّـما بطلان حجّة من سلك

خلت الخلافة من عليّ والبـتولة مـن فـدك

* * *

بـيعة الأوّل صـارت فـلتة مـن فـلتات

واقـبلوني إذا مـا قـالها غـير مـؤاتي

فـلماذا جـزتها إن كنت من قوم أباة

وعـليّ خـاف شـمل الدين يـغدو لشـتات

ولا يخفى أنّ بيعة الأوّل وتناولتها الإشارة في البيت الثاني لو كانت حقّاً مع حضور عليّ بن أبي طالب عليه السلام وصحيحة كما يزعمون فلماذا طلب الإقالة بعد إنجازها له وأراد فسخها بقوله: أقيلوني فإنّي لست بخيركم وعليّ فيكم..[1]

وكذلك في البيت إشارة إلى أنّ سكوت أميرالمؤمنين عنهم واتّخاذه طريقة الصلح معهم إنّما كان من أجل المصلحة العامّة وإطفاء نائرة الفتنة حيث لم تزل قلوب الصحابة محشوّة من ثارات الجاهليّة، وما يزال سيف أميرالمؤمنين يقطر من دماء أحبّاءهم في تلك الحقبة، ومن الممكن أن يكون قيام أميرالمؤمنين سبباً لإعادة الأحقاد عندهم وبروز الضغائن بينهم، ولا بدع أن يرتدّ حينئذٍ ضعاف الإيمان من الصحابة ويرجعوا إلى الجاهليّة الأُولى، ومن يبقىٰ من أهل

(١) تجد ذلك في كثير من الكتب ومنها الصوارم المهرقة للمؤلّف ص٤٥، ومن كتب السنّة الإمامة والسياسة وتفسير القرطبي والآلوسي الخ.

الحقّ سالماً يستأصل لقلّتهم ويفنى الإسلام من رأس.

وقد ذكر ابن حجر ـ وهو من متأخّريهم ـ في كتابه «الصواعق المحرقة» شطراً من هذه الروايات الدالّة دلالة واضحة على أنّ للإمام أعداءاً كثيرين في ذلك الوسط وإنّ الصحابة يحسدونه، ولقد شكاهم إلى النبيّ ﷺ وآلمه ذلك وشرع في تأنيبهم وتقريعهم كثيراً، وإنّ بني تيم وبني عدي كانوا في الجاهليّة أعداءاً لبني هاشم ومن الواضح أنّه إذا كان النبيّ مع ما هو عليه من الخلق الرفيع والفضل العظيم ما كان ليستطيع أن يرى «الوحشي» ـ قاتل عمّه الحمزة ـ بعد أن أسلم وقال له: قد قبلنا توبتك وإسلامك صحيح ولكن اخرج من المدينة فإنّي لا أقدر أن أراك، فكيف نريد من أصحاب النفوس الأمّارة وهم جماعة كثيرة عاشت في الكفر عمراً وفي الجاهليّة دهراً أن ترضى بخلافة قاتل أعزّائها وأن تخلص له وتوافقه وتؤيّده.

وقد روى السيّد الأجل المقتدى المرتضى علم الهدى قدّس الله روحه في كتاب «الغرر والدرر» بإسناده إلى أبي يزيد المدني أنّه قال: إنّ رسول الله ﷺ لقي أباجهل فصافحه أبوجهل، فقيل له: يا أبا الحكم، أتصافح هذا الصابئ؟! فقال: والله إنّي لأعلم أنّه نبيّ ولكن متى كنّا تبعاً لبني عبد مناف؟! فأنزل الله تعالى الآية: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[1].

وفي خبرٍ آخر: إنّ الأخنس ابن شريق خلىٰ بأبي جهل فقال له: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمّد أصادق هو أم كاذب فإنّه ليس هاهنا من قريش أحدٌ غيري وغيرك يسمع كلامنا؟

(١) الأنعام/٣٣.

فقال له أبو جهل: ويحك! والله إنّ محمّداً لصادق وما كذب محمّد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللوى والحماية والسقاية والندوة والنبوّة ماذا يكون بسائر قريش[1].

استدراك: يقول أهل السنة في مجال تقرير أحقيّة خلافة أبي بكر: إنّ عليّاً بن أبي طالب في الشجاعة غالب كلّ غالب، فلو لم يكن راضياً بخلافتهم لانتزعها منهم بحدّ السيف ولم يمهلهم، ولا تنازل لهم، وعندما يحتجّ عليهم الشيعة الإماميّة بقتل عثمان ويقدحون فيه ويقولون إنّ توقّف أميرالمؤمنين عن نصرته وإحجامه عن مؤاخذة القاتلين والقود منهم دليلاً على بطلان خلافة عثمان واستحقاقه القتل وخذلان الإمام له وينسى المقدّمة التالية الأغلبيّة منهم، مِن أنّ أميرالمؤمنين لم يفعل ما يراد من أمثاله في الدفاع عن عثمان أو تسليم قتلته على أقلّ تقدير، ويقولون إنّ ذلك خارج عن قدرته لأنّه لا يقدر على تسليمهم مع أنّهم أقلّ من أُولئك الذين بايعوا أبابكر وكذلك حالهم عندما يستدلّون على إثبات أفضليّة أبي بكر يفعلون عن ذلك المقدّمة فيقولون: إنّ أبابكر أشجع الصحابة جميعاً.

وأطرف من ذلك أنّ ابن الحجر الجامد يقول نفس القول عن إرسال أبي بكر خالداً بن الوليد إلى القوم الذين اتّهمهم بالارتداد ومع ذلك فإنّه لم يستطع التغلّب عليهم إلّا بالغدر والحيلة.

وجاء في تاريخ گزيده، أنّه في عهد «آباقا خان» «آقاباخان» وقع نزاع بين فضلاء كاشان في باب الترجيح بين أنوري وظهير، فمن من الشاعرين يرجّح

---

(١) أمالي المرتضى: ج ٤ ص ١٧٤.

على صاحبه، وحكم «مجد همكر»[1] حكمه بترجيح شعر أنوري بعد أن وجّهت إليه قطعة شعر حول ذلك، فأجابهم بقطعة من نظيرها، ولمّا كانت قطعة مجدالدين عن شعر أنوري وعظم مقامه وحكمته فيها إشارة إلى تمذهبه بمذهب الإمام الصادق عليه السلام وأنّه جعفريّ فإنّي أذكرها تأييداً لقولي وكذلك نذكر القطعة التي أرسلها أهل كاشان من باب مقدّمة الواجب، والقطعة الكاشانيّة هي كما يلي:

اى آن زمين وقار كه بر آسمان فضل
ما خجسته فضلى و خورشيد انرى
جمعى زناقدان سخن گفتهٔ ظهير
ترجيح مى‌دهند بر اشعار انورى
جمعى دگر بر اين سخن انكار مى‌كنند
فى الجمله در محلّ نزاعند و داورى
رجحان يک طرف تو دريشان نما كه هست
زير نگين طبع تو ملک سخنورى

تقريب المعنى بالعربيّة:

يا من على أرض الوراق به اكتست نور الفضيلة شمسها وبدورها
من زمرة النقّاد قالت أمّة إنّ الظهير من الأفاضل نورها
لا الأنوري وشعره يجلو الدجىٰ بل بالظهير قد انجلى ديجورها
بل قال بعضهم إذا ما قارنوا بالأنوري فمن يكون ظهيرها
فاحكم بحكم الحقّ مَن في شعره هو سابق فلذاك فهو أميرها

---

(١) مجدالدين همگر: من شعراء القرن السابع الهجري، عرف في الأدب الفارسي من خلال حكمه بين إمامي هروي وسعدي. توفّي سنة ستّ وثمانين وأربعمائة.

ومقطوعة «مجد همگر» هي هذه:

جمعی زاَهل خطهٔ کاشان که برده‌اند زارباب فضل و دانش گوی سخنوری
کردند بحث در سخن منشیان نظم تا خود که سفته به در درّ سخنوری
در انوری مناظره‌شان رفت و در ظهیر تا مر کراست پایهٔ بهتر زشاعری
از آب فاریاب یکی عرضه داد در از خاک خاوران دگری زرّ جعفری
ترجیح می‌نهاد یکی مهر بر قمر تفضیل می‌نهاد یکی حور بر پری
انصاف چون نیافت گروه از دگر گروه مر بنده را گزید نظرشان بداوری
در کان طبع آن چو بگشتم کران کران در قعر بحر این چو نمودم شناوری
شعر یکی برآمد چون دُرّ شاهوار نظم دگر برآمد چون مهر خاوری
شعر ظهیر اگرچه برآمد زجنس شعر برتر زانوری نزند لاف همسری
بر اوج مشتری نرسد تیر نظم او خاصه گه ثناگری و مدح گستری
طعم رطب اگرچه لطیف است وخوش مذاق کی به بود به خاصیت از قند عسکری
بیدار چه سبز و نغز و لطیفست و آبدار چون در چمن به جلوه کند بید عرعری
هرچند لالهٔ صحن چمن را دهد فروغ پهلو کجا زند به بهی یا گل طری
اینست اعتقاد رهی خوش قبول کن گر تو مقیّد سخن مجد همگری
زاد این نتیجه نیم شب از آخر رجب در خا و عین و دال زهجر پیمبری

تقريب المعنى بالعربيّة:

لقد زادني حبّاً لكاشان إنّها بلاد أُولي الفضل الذي شعّ بيننا
تجمّع منهم لمّة قد تأطّرت بفضل لأهل الفضل والمجد والسنا
وخاضوا بفضل الشعر ثمّ بأهله وراموا من الأشعار أن يقطفوا الجنىٰ
وقالوا من الأعلى مقاماً وقد سمى لأوج العلا شعراً ومن منهم دنىٰ

فــفي أنــوري ثــمّ الظـهير تـنافسوا وكــلّ إلى شـــخص تـطامن وانـحنىٰ
فـــقلت لهـم لا تـعجلوا كـلّ واحـد له المـــدح فـيما قــاله وله الثـــنا
فـــمن مـــاء فـــرياب أتـــانا بـدرّه ظـهير وهـل يـزري بـه الدرّ مـقتنى
ومــن «خــاوران» جــاء بـالتبر أنـور ومـــن مــلك التبر اغـتنى وتـمكّنا
وبــعضهم قـــد فـضّل الشـمس إنّـه يـرى الشـمس من بـدر أجـلّ وأحسـنا
وأيـن جـمال الحـور من وجـه غـادة تـــباعد مــنها الحسـن حـتّى تـزيّنا
ولمّـا بـدا الإعـياء فـي الحكـم منهم تـــداعـوا إليـنا كـي نـقول فـنحسنا
عـلى مـنجم ألفيت نـفسي وقـد بـدىٰ بـــه ذهب جــمّ يكــون بـه الغـنى
وعـمّت بـبحر لست أبـصر سـاحلاً ولم أك ســـبّاحاً بـــه مــتمرّنا
فـــهذا بـــدىٰ درّاً بكـــفّيه ســـاطعاً وهذا بدى كـالشمس يـزهو عـلى الدنىٰ
وشـعر «ظـهير» كـان شـعراً ولم يكـن بأحســـن مـــن شـعر لأنـور مـعلنا
أيـــبلغ أوج المشـــتري بـعد سـهمه وإن كـان جـلّىٰ فـي المـدائـح والثـنا
أجـــل إنّ طـعم التـمر حـلو لذائـق ولكـــنّه لن يـــبلغ الشـــهد بـــالهنا
وفـــي النـبت زاه أخـضر غـير أنّـه بـعيد عـن الصـفصاف جنساً ومـعدنا
وقد يحسن القحوان[1] في الحقل مـنظراً وإن قـد بـدىٰ رخـو العـروق مـهجّنا
فأيـــن يـــدانـي زنـبقاً لاح مشـرقاً تـــريح رواه المـــرء قــلباً وأعـــينا
وهـــذا اعـــتقادي قـلته فـي كـليهما وإن حشـــدوا ضـدّي عـقولاً وألسـنا
فــإن شـئت فـاقبله لك الخـير واثـقاً فـقد كـان لي المـعروف دأبـاً وديـدنا
وقـد قـلت هـذا القـول في نصف ليـلة وفـــي رجب فـــرد تـــقشّع مـوهنا

(١) الأقحوان: ويقال له: القحوان / المحيط في اللغة، قالوا: القحوان في الأقحوان / المخصّص.

وفــي خــا وعـين ثــمّ دال كـتبته[1] لهــجرة طــه سـيّد الخـلق مـعدنا

وأيضاً فإنّ الإمامي الهروي الذي كان يسكن كرمان وينظم في مدح السلاطين الشعر نظم هذه المقطوعة جواباً للسؤال الآنف فقال:

اى ســالک مسـالک فکـرت در ایـن سـؤال

مــعذور نــیستی بــحقیقت چــو بـنگری

تــمییز را زبــهر تـناسب در ایـن دو طـور

هـیچ احـتیاج نـیست بـدین شـرح گسـتری

کین معجز است وان سحر آن شمع و این چراغ

ایـن مـاه و آن سـتاره آن حـور و ایـن پـری

تقريب المعنى بالعربيّة:

يا سـالكاً في مسـالك الفكـر لا تـعتذر أنت لست ذا عـذر

الفـرق بـين الاثـنين مـتّضح لا حـاجة فـي مـقالة كـثر

الفـرق مـا بـين شـعر ذاك وذا كالفرق بين الإعجاز والسـحر

السـمع نـور لكـن سـابقه الـ مصباح يبدو فـي طـلعة البـدر

كـذلك الحـور لا تـعادل فـي جـنّية مـا لهـا مـن القـدر

وجاء في «تاريخ گزيده» أيضاً أنّ الحكيم الأنوري تاب في أواخر أيّامه من ملازمة السلطان «سنجر» احترازاً منه، ولمّا طلبه السلطان أرسل إليه هذه المقطوعة:

كلبه‌ای کـاندر او بـروز و بـه شب جای آرام و خورد و خواب منست

---

(١) لم يشر مولانا إلى غرضه من الخاء والعين والدال هل يريد كلمة مؤلّفة من هذه الحروف أو يريد أن يشير إلى الحساب الأبجدي منها فحسب.

جـا يكـى دارم انـدر آنكـه از او چرخ در عين رشك و تاب منست
آن سـپهرم در او كـه كوى سـپهر ذرّه‌اى نـور آفـتاب مـنست
وان جهانم در او كـه بحر محيط واله لمـعة سـراب مـنست
هـرچـه در مـجلس مـلوك بـود هـمه در كـلبهٔ خـراب مـنست
رحـل اجـزا و نـان خشك در او گـرد خـوان من وكباب مـنست
شـيشهٔ صبر مـن كـه بـادا پـر پـيش مـن شيشهٔ شراب منست
قـلم كـوته و صـرير خـوشش زخـمهٔ نـغمه و ربـاب مـنست
خـرقهٔ صـوفيانهٔ ازرق از هـزار اطـلس انـتخاب مـنست
هرچه بيرون بود از اين كم و بيش حـاش للسـامعين عـذاب مـنست
گـنده پـير جـهان جـنب نـند هـمّتى را كـه در جـناب مـنست
خـدمت پـادشه كـه بـاقى بـود نـه بـبازوى خـاك و آب مـنست
زيـن قـدر راه رجعتم بسته است آنكـه او مـرجـع و مآب مـنست
ويـن طـريق از نـمايش است خـطا چه كنم اين خطا صواب مـن است
نـيست اين بـنده را زبـان جـواب خامه و خاى من جـواب مـن است

تقريب المعنى بالعربيّة:

إنّ كوخاً قضيت فيه حياتي هـو أُنسـي ومسكـني ومآبـي
هـو كـنّي أنـام مـلأ جـفوني وبـه أتّـقي مـن الأوصـاب
يـحسدوني عـليه مـن يـبغضوني وهـو صـبري ومـلتقى أتـعابي
وسـمائي وفـيه شـمسي تـزهو ما السـما في ضيائها المنساب
إنّه عالمي وما ذلك البـحر مـحيـ ـطاً إلّا كـلمح سـراب
كلّما في مـجالس المـلك عـندي حـاصل كـلّه بـبيتي الخـراب

وجـرابـي وفـيه كسـرة خـبزي مــن له آلة كـمثل جـرابـي

وخــوانـي ألمّ فـيه فـتاتي وعـليه نـقلي وكأس شـرابـي

وكـبابي وليس غـير خـيالي فـيه يشـوى متى أُريـد كبابي

وتـجلّت بـه زجـاجة صـبري واستوت فامتلات بـها أكـوابي

وصـرير اليـراع عـندي لحـن أيـن مـن وقـعه أنـين الربـاب

مـلبسي خـرقة تـرائت عـلى جـ ـسمي تـزري بأثـمن الأثـواب

كلّ ما كان خـلف حـائط بـيتي إنّـه كـائن لأجـل عـذابـي

غـير أنّـي كستني الخـير بـرداً هـمّة لا تـرام عـند جـنابي

يـقتضيني أن أخـدم المـلك الأفضل بالعقل لا بجسم تـرابي

قـطعت عـودتي عـليّ فـمنه رجـعتي إذ إليـه كـان مآبـي

وطـريقي أخـطأت فـيه ولكـن خطأي قد يكـون عـين الصـواب

ليس عـند الحـقير أيّ جـواب غـير أنّ المـداد كـان جـوابي

أحسن المتكلّمين مولانا حسن الكاشي الآملي قدّس الله روحه العزيزة

كان من جملة مدّاحي أميرالمؤمنين ومواليه المخلصين، كان في الإخلاص قريب أبي ذر وسلمان، وبطريقة المدح ماحي مدائح دعبل وحسان.

قال دولتشاه في تذكرته: لم يقل أحد من الناس مثل قوله متانة وحسناً أو لطافة وليناً، كان عالماً فاضلاً، أصله من كاشان ولكنّه ولد في خطّة آمل ونشأ فيها ونما على أديمها كما يقول هو:

مسكـن كـاشى اگـر در خـطّهٔ آمـل بـود

ليكن از جدّ و پـدر نسـبت بـه كـاشان مى‌رود

إن يسكن الكاشي في آمل فــإنّ كـاشان له مـصدر

وفي هذه التذكرة أيضاً: إنّ مولانا حسن عزم على زيارة قبر أميرالمؤمنين بعد حجّه بيت الله الحرام وزيارة مكّة والمدينة شرّفهما الله تعالى، فذهب إلى عراق العرب ونال شرف تقبيل أعتاب تلك الروضة المشرّفة وقرأ فيها قصيدته التي مطلعها:

اى زبــدو آفــرينش پــيشواى اهــل ديـن

وى زعــزّت مـادح بـازويِ تـو روح الامـين

من مـبدء الخـلق والبـرايـا كـنت إمـاماً لكـلّ دين

أغناك عن مدح كلّ شخص مدح مـلاك الوحـي الأمـين

فرأى في تلك الليلة صاحب الولاية الكبرى في الرؤيا يعتذر منه وهو يقول: أيّها الكاشي، لقد قطعت لنا شقّة بعيدة ولك علينا حقّان: الأوّل حقّ الضيافة، والثاني: صلة الشعر، فعليك الذهاب إلى البصرة فستجد هناك تاجراً يدعىٰ مسعود بن أفلح فبلّغه سلامي وقل له: إنّ مركبك هذا العام كاد يغرق في سفرك إلى عمّان فنذرت لنا ألف دينار ونحىٰ عمان حتّى بلغ مركبك وأموالك الساحل والآن اخرج من تبعة هذا النذر وخذ أنت من هذا التاجر الذهب المنشود.

فذهب الكاشي إلى البصرة والتقى بالتاجر وأبلغه رسالة أميرالمؤمنين، فتعجّب التاجر من شدّة الفرح وقال: إنّي لم أُخبر أحداً بذلك وأقسم يميناً غموساً ثمّ أسرع في قضاء النذر بإعطاء مولانا الكاشي الذهب، وخلع عليه خلعة تليق به، وعمل وليمة عظيمة شكراً لوقوعه مورداً لعناية صاحب الولاية، ودعىٰ إليها الصالحين وفقراء البلد.

كان مولانا حسن منذ عهد الشباب صاحب سيرة حسنة وسريرة مستحسنة تقيّاً

خائفاً من ربّه، ولم ينظم الشعر بغير مناقب الآل، ولم يمتدح ملكاً ولا صاحب جاه كما يقول في القصيدة التي قدّمنا مطلعها توّاً:

من غلام حيدر و آنگاه مداحي غير
خواجگان حشر کی معذور دارندم در این

آن حسن نامم که اندر مدح داماد نبی
می‌کند بر طبع پاکم روح حسّان آفرین

إنّي غلام أبي حسين ثمّ أمدح غيره
شعري عظيم هل أُصيب بمدح آخر خيره
هل يعذرنّي مؤمن الله أسعد طيره
اسمي أنا حسن وو فّى بالمديح نُذيره
قد قال حسّان لقد أحسنت فاحسن سيره
قد فقتني في الشعر يا حسن وفُقْتَ زهيره

ويقول في موضعٍ آخر:

منم که یرلغ طبعم بدار ملك بقا نوشته‌اند به مدّاحی محمّد و آل
درون مدّت سی سال کس نداد نشان کەبوده‌ام‌به‌سخن‌پیش‌کس‌مدیح سگال
مخدّرات سراپردهٔ ضمیر مرا به مدح آل علی بسته‌اند عقد وصال
بروضة دل کاشی ثنایشان خواند هر آن‌شکوفه‌که‌سر بر زند زشاخ خیال
گناه من همه این است در عراق ولی زهی گناه که بر عصمت من آمد وال
نمی‌کنم به جهان در سخنوری دعوی وگر کنم نبود چرخ را محلّ سؤال
من آن نیَم که زدیوانهای کهنه بزور فراهم آرم شعری بصد هزار اشکال
ولی گهی که چو عرض سخن پدید آید کنم به معجز معنی اداء سحر حلال

صفاگوهر پاک از عقیدهٔ پاکم هزار طعنه زند بر صفای آب زلال
به شهد مدح کسی گر زبان گشایم باد زبان ناطقه‌ام درگه شهادت لال
اگرچه مال ندارم یقین آن دارم که دین خودنفروشم به دنیی از پی مال
زفیض همّت صاحبقران فیض و کرم رسیده‌ام به کمال وگذشته‌ام زکمال
حکایت من اگرچه دراز نا دارد در حدیث فرو بسته‌ام زبیم ملال
زخاک خطهٔ آمل سزد اگر کاشی کند زغربت‌ودوری‌خویش‌از تو ملال

تقريب المعنى بالعربيّة:

حكم الطبع علينا بمديح المصطفى
ثمّ مدح الآل ساداتي وهم أهل الوفا
وثلاثين قطعناها بيسر وصفا
لم يكن مدحاً لإنـ ـسان تجلّى واختفى
في ضميري لذوات الخـ ـدر جمع لطفا
كلّ ممدوح لها بال ـعقل والقلب هفا
ولقد آليت لا أمدح إلّا الشرفا
آل طه وعليّ هم رجائي وكفىٰ
روض قلبي لهم حقل عليهم وقفا
إنّ شعري فيهم أصبح روضاً أُنُفا
وهو زهر فيهم حين تبدّى قطفا
كلّ ذنبي أنّ فكري بمعاليهم صفا
فليدم ذا الذنب إذ يبعد عنّا التلفا
لست ممّن يدّعي علماً كقوم ضعفا

إنّ فـي دعـوىً كـهذي لبـصير سـخفا
لست مـمّن يـطلب العـثرة فـيمن سلفا
يـقطع الشـعر لكـي يـجعل مـنه نـتفا
يـطلب العـيب عـلى النـاس بـه قـد كـلفا
غـير أنّـي إن بـدى شـعر بـحسن عـرفا
أجـعل المـعنى كـوصل جـاء مـن بـعد جـفا
بـاعتقادي قـد زكـا جـوهر ذاتـي وصـفا
فـليلم مـن لام إنّـي مـن أُنـاس حـنفا
يـعشقون الآل مـذ قـد قـرنوا والمـصحفا
أنـا إن قـلت مـديحاً لسـواهـم صـرفا
أنشـد النـفع لكـي أبـلغ فـيه التـرفا
ليـته يـعيا لسـاني حـين يـغشى المـوقفا
أنـا إن كـنت فـقيراً بـائساً مـعترفا
لم أبـع ديـني بـالبخس عـلى مـن عكـفا
إنّـه ليس جُـفاءاً وعـلى المـاء طـفى
إنّـما شـعري عـقلي مـن فـؤادي رشـفا
قـد فـطمناه عن الدنيا عـلى الدنـيا العـفىٰ
إنّـما الكـاشيّ إذ أدمـاه شـوكُ مـن جـفا
إنّـه الدرّ فـهل يـتر ك درّ صـدفا

شـهى كـه درگـه صـبرش بـوهم درمـاند خـيال صـدر نشـينان سـدره را بـخيال
مـحيط چـرخ سـراپـردهٔ مـعالى او چـو مـركز كـل گـردون دايـره تـمثال

تونی که بر محک کبریای تو نبود درست مغربی چرخ را محلّ سفال
فکنده قاعدهٔ تیغ تو سران را سر شکسته صاعقهٔ گرز تو یلان را بال
دریده عدل تو شاهین ظلم را دیده شکسته باز تو سیمرغ چرخ را چنگال
گر اژدهای فلک رمح مار پیکر او ببیند افکند از بیم مهره در دنبال
اگرچه از پی تعظیم کبریای تو کرد خدای عزّ وجل در مجاری احوال
کمر زمنطقهٔ چرخ وز آفتاب اکلیل زپشت شیر فلک کرده روز مهر زوال
ولی به نسبت قدر تو بر ترازوی عقل سپهر وهرچه در او هست نیست یک مثقال
شمار جود تو برناید ار شود به مَثَل سپهر کیل و قضا عامل و قدر کیّال
که کرد از تو سؤال به عمر خود که نکرد کف تو کیسهٔ آزش زمال مالامال
بتیغ حادثه فصّاد مرگ خصم تو را همه زجاذبهٔ حلق می‌زند قیفال
ستارگان فلک سربسر فرو ریزند اگر برند زدیوان هیبت تو مثال
خرد زرفعت قدر تو قاصر است که نیست بقدر قدر تو اندازهٔ قبای مقال

من جمله قصائده منقطعة النظير قصيدة البنود السبعة وقد بارها أكثر الأساتذة المتأخّرين وإلى الآن لم يبلغوا الغاية التي بلغتها القصيدة وهي هذه:

السلام ای سایه‌ات خورشید ربّ العالمین
آسمان عزّ تمکین، آفتاب داد و دین
معنی هر چار دفتر، خواجهٔ هر هشت خلد
داور هر شش جهت، اعظم امیرالمؤمنین
عالِمِ علم «سلونی»، راز دار «لو کشف»
ناطقِ حقّ، نَفْسِ پیغمبر، امام المتقین

مقصد تنزيل بلّغ، مركزِ اسرار غيب
مقطع «يتلوهُ شاهد»، مطلع حبل المتين

صورت معنىّ فطرت، معنى ايجاد خلق
سرّ اصل نسل آدم، نَفسِ خير المرسلين

صاحب «يوفون بالنذر»، آفتاب «إنّما»
قرّة العين لعمرك، نازش روح الامين

در جهان از روى حكمت، چون جهانى در جهان
در زمين از روى رفعت، آسمانى بر زمين

مثل تو چون شبه ايزد، در همه حالى محال
ور بود ممكن نه الّا رحمة للعالمين

هركه مدّاحش خدا همدم رسول الله بود
گر كسى همتاش جوئى هم رسول الله بود

اى بغير از مصطفى ناديده همتاى تو كس
بسته بر مهر تو ايزد مهر حورالعين و بس

مهرهٔ مهر از گلوى صبح برنارد فلك
گرنه از مهر تو آيد صبح صادق را نفس

چسيت با قدرت سپهر و چيست با راى تو مهر
آن زقدرت مستعار و اين زرايت مقتبس

كاروان سالار جاهت چون كند آهنگ راه
چرخ را بر دست پيش آهنگ بندد چون جرس

گر دل دریا مثالت موج بر گردون زدی
لجّهٔ گردون برو گردان نماید همچو خس
ور شکوهت را به میزان معالی برکشند
از ره خفّت کم آید بوقبیس از یک عدس
آن زمان روح القدس گوید به مدحت آشکار
لا فتی إلّا علي لا سیف إلّا ذوالفقار
ای سپهر عصمت از فرّ تو زیور یافته
آفتاب از سایهٔ خیر تو رفعت یافته
بر امید مثل رویت دست نقّاش ازل
نقش‌ها بربسته لیکن چون تو کمتر یافته
بازِ قدرت هرکجا بال جلالت کرد باز
طایرانِ سدره را در زیر شهپر یافته
آنکه مهر مهر تو بر صفحهٔ جان کرد نقش
مخزن دارا چو کان از زر توانگر یافته
آنکه دست حاجتی بر جود تو برداشته
دست خود را تا قیامت حاجت‌آور یافته
ساقی کوثر نه چندان مدح باشد مر تو را
ای زتو دریای فطرت عین کوثر یافته
گر نبودی ذات پاکت آفرینش را سبب
تا ابد حوّا سترون بودی و آدم عزب
گرچه در عالم به اقبال تو شاها کرده‌ام
آنچه حسّان گفت وقتی در زمان مصطفی

لاف مـــتّحی نـــمی‌یارم زدن در حـــضرتت

ای ثـــناخوان تـــو ایـــزد بـــر زبـان مـصطفی

رفـع‌حاجت‌برتـو‌حاجت‌نیست‌می‌دانی‌که چیست

حـــال اخـــلاص مـــن انـدر خـاندان مـصطفی

روی رحـمت بـرمتاب ای‌کـام جـان از روی مـن

حـــرمت جـان پـیمبر را نـظر کـن سـوی مـن

ای‌گـــزیده مـــر خـــدایت یـــا امـیرالمـؤمنین

خـــوانـده نـفس مـصطفایت یـا امـیرالمـؤمنین

خـــازنان‌کـــان و دریـــاکـیسه‌ها پـرداخـتند

روز بـــازار ســـخایت یـــا امـــیرالمـــؤمنین

خـاطر هـمچون منی شـوریده خـاطر چـون‌کـند

وصـــف قـــدر‌کـــبریایت یـــا امـیرالمـؤمنین

بـــا هـــمه بـــالا نشـینی عـقل‌کـل نـابرده را

زیـــر شـــادروان رایت یـــا امـــیرالمـــؤمنین

گـر بـردی بـالاتر از عـرش بـرین جـای دگـر

گـــفتمی‌کـانجاست جـایت یـا امـیرالمـؤمنین

مـدح اگـر شـایستۀ ذات تـو بـایدگـفت و بس

کـــیست تـــا‌گـوید ثـنایت یـا امـیرالمـؤمنین

فـــهم انســـانی چـــه دانـــد عـزّت‌کـار تـو را

کـــافرینش بـــرنتابد بـــار مـــقدار تـــو را

ای‌کـــه فـرمان قـضا مـوقوف فـرمان شـماست

دور دوران فـــــلک دوری زدوران شـــــماست

آفتابی کاسمان در دامن اقبال اوست
پرتوی از لمعهٔ گوی گریبان شماست
هر کجا در مجمع قرآن خدا را آیتی است
از کمال لطف و رحمت خاص در شان شماست
آنچه گردون را بدان چشم جهان‌بین روشنست
جز دو قرصی نیست و آنهم فضلهٔ خوان شماست
درد پنهان پیش درمان چند بتوان داشتن
عاقلی نبود ز درمان درد پنهان داشتن
مثل تو جز مصطفی صورت نبندد عقل را
معنی ایمان ما اینست روشن والسلام
زایران حضرتت را بر در خلد برین
می‌دهند آواز طبتم فادخلوها خالدین

تقريب المعنى بالعربيّة:

سلامٌ على السيّد المرتضى — على ظلّ شمس اله الورىٰ
ومعنى الوجود ومولى الورىٰ — وأعطاه باريه حكم الملا
وعلم «سلوني» له وحده — ولو كشف السرّ لي والغطا
ونفس النبيّ عليه السلام — ويعطيه في جهره والخفا
ومن قال في حقّه المصطفى — بأنّ عليّاً إمام الهدى
ولبّ الكتاب وسرّ الغيوب — ومن شاهد منه فيه أتىٰ
به فطرة الخلق معقودة — ومنه اليقين ومنه الصفا
وسرّ بني آدم كلّهم — وكان هو النفس للمصطفى

ويوفون بالنذر في حقّه وقد جاء في حقّه إنّما

وقرّة عين النبي الذي به جبرئيل علا فاعتلا

بحكمته قد غدا عالماً وصار على الأرض مثل السما

كما ليس مثلٌ لربّ الورىٰ كمثل له ربّه ما برىٰ

وإن كان لابدّ فالمصطفى شبيه له في السدىٰ والندىٰ

ومادحه الله لابدّ أن يكون قريناً له المجتبى[1]

إذا رمت تلقى له ثانياً عليك بطه وإلّا فلا

فيا أيّها الوتر بين الورىٰ عليك ابنة المصطفىٰ تجتلىٰ

فأنت لها الكفؤ بين الأنام وليس سواك لها يرتجىٰ

فأين السما منك في قدرها ورأيك يسبق شمس الضحىٰ

لقد أخذت قدرها من علاك وللرأي منك استعارت ذكا

إذا لم يجأ فلك في الصباح فمن نور وجهك صبح بدا

إذا موكب منك رام المسير وقدر علاك أراد السرىٰ

وما الفلك الفذّ إلّا التبيع وأنت له الأثر المقتفىٰ

ولو أنّ قلبك وهو المحيط عليه بأمواجه قد علا

لكانت أطالسه[2] مثل فش على سطح أمواجه قد طغى[3]

ولو وزنوا مجدك المشمخرّ بميزان عدلك لا بالهوىٰ

لكان «قبيس» على ثقله بكفّته عدسة تزدرىٰ

---

(١) يريد به من اجتباه الله من بين خلقه وهو النبيّ ﷺ.

(٢) الضمير في الجملة يعود على الفلك.

(٣) الضمير هنا يعود على «قلبك».

وقد قال جبريل يوم المغار على الناس كلّهم «لا فتى»

ولا سيف يرجىٰ سوى سيفه فهل بلغ الصمّ رجع الصدىٰ

وإن كنت في عصمة الأنبياء فأنت سماء لها قد سما

ظهرت بها صورة زيّنت لها صفحة مثل بدر الدجىٰ

أراد ليبدع مثلاً لها ولكنّما مثلها لن يرىٰ

يدا مبدع من قديم الزمان إلى يومنا وهي تأبى الثنا[1]

وإن فتحت قدرة جنحها لتحضن أطيار وادي الحمىٰ

فإنّ جناحك قد ضمّها كما جمع النبت فوق الربىٰ

ومن حلّ حبّك في قلبه وضمّ سويدائه والحشىٰ

يكون ككنز ملاه النضار إذا أخذ المرء منه زكىٰ

ومن مدّ كفّاً إلى حاجة لديك أُجيبت ليوم الجزا

لك الكوثر العذب من مائه تبرّد شعلة حرّ الظما

أرى ذاك يقصر عن مدحة ويذهب مدح المحبّ سُدىٰ

لأنّك أورثته فطرة فمن نالها منك نال الرضا

إذا فطرة أصبحت كوثراً فليست تنيلك غير النهىٰ

ولو لم تكن علّة في الوجود وأظهره الله لمّا برىٰ

لما ولدت أُمّنا واحداً وكان أبونا عقيماً يرىٰ

بمدحك صرت نظير الملوك كحسّان في مدحه المصطفى

وما يبلغ المدح من مادح لمن مدحه من إله السما

ومالي من حاجة ترتجىٰ سوى أن أكون من أهل الولا

---

(١) الأمر يعاد مرّتين.

وتشــملني رحـمة ظــلّلت　　جـميع الوجـود بـهذي الدنـىٰ
بــحرمة طــه وأبـنائه　　لتـطفئ مـنّي جـمر الغضى
قـد اخـتارك الله مـن خـلقه　　وقـد صـرت أنت له المـرتضى
وأنت امـرئ نـفس طـه النبي　　تـباركت إذ صـرت نـفس الهدىٰ
مـددنا اليـدين بأكـياسنا　　أتـينا لنـطلب مـنك الجـدىٰ
وذا يـوم جـودك يـا سـيّدي　　فـجئنا ومـنك نـريد الغنى
وهـل وصـف قـدرك لي مـمكن　　ولي خـاطر مـثل جـمر خبى
وعـندك تـمرح عشـر العـقول　　ومـدّ عـليها رواق الجـنا
ولو فـلك فـوق أفـلاكـه　　وقـدر عـلاك عـليه استوىٰ
وكـان له مـوضع يـعتليه　　لكـنت تـجرّ عـليه الخُـطىٰ
لك المـدح وحـدك لا يـنبغي　　شـريك سـواك له يـبتغىٰ
فـمن يسـتطيع ثـناءاً عـليك　　تـعالى عـلى الفكـر هـذا المدىٰ
تـقاصر عـنك فـهوم الأنـام　　وقـامت عـلى مـثل حـزّ المدىٰ
ولم يـدر قـدرك غـير الإله　　فسـبحان بـاريك مـاذا بـرىٰ
بـحكمك أصبحك فـصل القضاء　　وأمـرك لا قـدر أو قـضا
ولا فـلك فـي الوجـود يـدور　　إلّا وحكـمك فـيه مـضىٰ
وذي الشمس تزهو بحضن السماء　　سـناً مـن نـهاك بـدىٰ والحـجا
وآي الكـتاب وشأن النـزول　　مـنك ابـتدا وإليك انـتهىٰ
وألق إلى الأطـلس المـعتلي　　بـعين الخـبير إليـه رنـىٰ
وآيـة جـوهره تـقتضي　　إرادة ربّ بـراهـا كـذا
فـما هـي ظـاهرة للـوجود　　إلّا بأمـرك يـا ذا العـلىٰ

وذي ألم ضمّ آلامه وأغمض عينيه فوق القضىٰ
أيكتم آلامه جهرة إلى كم يعيش بها هكذا
ولم يخلق الله مثل النبي عباداً ومثل الوصي الرضا
وهذي عقيدتنا لم تزل عليها نعيش ليوم الجزا
إنّ من زارك في جنّة ربّ العالمين سوف يأتيه الندا يسمع بين الزائرين
أيّها الزائر طبتم فادخلوا ها آمنين

وهذه القصيدة من مشهور شعره ونكتفي ببعض أبياتها:

هر دل كه دوستىّ على اختيار كرد او را خداى در دو جهان بختيار كرد
فرخنده طالع آمد و فيروز درگذشت آن كس كه خدمت در آن شهسوار كرد
سرمايهٔ سعادت دار القرار يافت هر دل كه در محبّت آن شه قرار كرد
من مقتداى مارگزيده كجا برم مير من آنكه مار بفتويش كار كرد
سلطان دين خويش شناسم شهنشهى كو كام مار در گه طفلى فكار كرد
طفلى چهار ماهه شنيدى بجز على كو در ميان مهد چنين كارزار كرد
گاهى ميان باز و كبوتر قضا گذار گاهى به علم حلّ سؤالات مار كرد
رايت بسوى خيبر و آيت به مكّه برد وين هر دو از اشارهٔ پروردگار كرد
زان همّت بلند كه دادش خداى داد ثروت به خلق عادم و فقر اختيار كرد
بر بستر رسول بخفت و نداشت باك جان را فداى خواجهٔ روز شمار كرد
آن دم كه كه پاى بر كتف مصطفى نهاد عرش برين به مقدم او افتخار كرد
پيدا نبود از گل آدم نشان هنوز كايزد به عرش نام على آشكار كرد

تقريب المعنى بالعربيّة:

أيّ قلب يضمّ حبّ عليّ عاش في العالمين نضراً سعيدا

جاء دنياً من السعادة واليمن ... وولّى إلى الجنان حميدا
والذي قام يخدم السيّد المولى ... فلا زال عارفاً مجدودا[1]
نال سرّ القرار في النشأة الأُخرى ... امرئ نال من هواه مزيدا
أين أغدو أنا السليم سوى مولىً ... بكوفان كلّم العربيدا
قد عرفنا إمامنا فلك الدين ... وأضحى قلبي به مغمودا
إنّه أنقذ الصبيّ بمهد ... قد حوى جانباه صلاً عنيدا
لم يتمّ الشهور أربعة حتّى ... أتاه الحمام يمشي وئيدا
يا لَصلٍّ أتاه حيدرة يمشي ... فولّى عن الصغير طريدا
قل لنا من مشابه لعليٍّ ... زان يوم الجزا وزان الوجودا
فهو يقضي بين الحمامة والباز ... قضاءاً مباركاً محمودا
ويجيب السؤال يأتي من الصل ... عظيماً وكان صلاً ودودا
وله راية بخيبر تعلو ... وبصمصامه أباد اليهودا
وله آية تعالت على مكّة ... حتّى تخال تلك بنودا
كلّ ذا كان أمر ربّ تعالى ... فوق مخلوقه حميداً مجيدا
وله همّة من الله جلّت ... ما حبىٰ مثلها الإله عبيدا
أعطت العالم الغنىٰ ثمّ عاشت ... بقليل تعيش عيشاً زهيدا
ذاك من بات في فراش ... حبيب الله برضىٰ بأن يموت شهيدا
ونبيّ الإله ينجو من القتل ... ويمضي لما يريد سديدا
حين أعلى رجلاً على كتف طه ... واقفاً كي يوحّد المعبودا
فخر العرش والسماء وكادت ... أرضنا من فخارها أن تميدا

---

(١) المجدود: المبخوت الذي يعطى ما يحرمه غيره.

لم يـــلح مــن جــبين آدم آيــات ومـــــا كـــانت الجـــنان ولودا

وعـــــلى يـــزهو بـــعرش إله نـــوره قــدكســى الوجــود بــرودا

واخترنا هذه الأبيات أيضاً من بعض قصائده:

اى بــه روى خــوب تــو اقــبال را فــرخــنده بــال

ســـدره را تــعظيم قــدرت داده صــدره گــوشمال

شـــرع را بـــرپاى كــرده دست خــيبر گــير تــو

عــرش را بــر ســر نــهاده دست تــو پــاى كــمال

از نســـيم گــلشن لطــف تــو جــنّت يک نــصيب

وز ســـرا بســتان تــعظيم تــو طــوبى يک نــهال

اخــترى بــر اوج تــو صــد مــاه ليكــن بــى محاق

لمـــعه‌اى از راى تـــو صــد مــهر ليكــن بــى‌زوال

از تـــو انـــدر پـــادشاهى پـــادشاهى را شكــوه

وز تـــو انـــدر آفـــرينش آفـــرينش را كـــمال

نســبت دست تــو مــى‌كردم بــه دريـا عــقل گـفت

رســم دانش نــيست كــردن نسبت دريـا بـه مـال

ســعى نـــنمايد قــضا بــر قــسمت ارزاق خــلق

تـــا زصـــدر مــنصب قــدر تــوآش نــايد مــثال

روى دولت بـــر خـــلايق بـــاز نگشـــايد هــمى

تـــا نگـــيرد آســمان از دفــتر بــخت تــو فــال

گر زنــد شـخص شكــوهت پــاى تـمكين بـر زمـين

ورگشـــايد دست قــهرت تــيغ كــين بـر چـرخ زال

بگسلد گاو زمین را پای تمکین از سرون
بفکند شیر فلک را تاب شمشیر تو یال
پادشاها منصب قدر تو زان اعلی‌تر است
کاندر آن حضرت تواند یافت عقل من مجال
گر هوای قاف قدرت در خیال آرد خرد
در زمان سیمرغ فکرش را بسوزد پرّ و بال
دعوی مدحت نیارد طبع کاشی زانکه نیست
بر قد قدرت قبای مدح ارباب مقال
ره به کنه پایهٔ قدرت چسان آرد خرد
ای کشیده دست قدرت پای عقل اندر عقال
بسکه طبعم می‌کند معجز نمائی در سخن
روزگار از یاد سحر سامری دارد ملال
زانکه گر او پیش از این دعوی ذکری کرده بود
صورت دعویش چون دعوی بی‌معنی محال
شد بدور معجز طبعم چو خاکستر بباد
آتش سحر حرامش زاب این سحر حلال
نیست از من بل زاقبال تو زیر آفتاب
خاک زر سازد به معدن سنگ را اندر جبال
گر به نسبت ذرّه باشد لاف خورشیدی زند
هرکه را با سایهٔ مهر تو باشد اتصال

چون گدايان درت خوان سعادت گسترند
خسروان دارند بر انعامشان دست سؤال
گر زشهد مدحتت در كام جان دارم به كام
شاهد نطق من از شهد شهادت باد لال
تير محنت باد هر يک موى بر اعضاى من
گر دهم موئى زمهرت من به سيصد ماه و سال

تقريب المعنى بالعربيّة:

يا من بوجهك إسعاد وإقبال **والسعد يمرح مزهوّاً به الحال**
وسدرة المنتهى قامت تعظّمه **للّه والملأ العلويّ يختال**
والشرع أنهضها خيراً وأنت لها **والعرش أعجله شدّ وترحال**
وواضع يدك العليا بهامته **لم يغنه عنك لا ناس ولا مال**
ومن نسيمك خفّاق يمرّ على **شمائل الخلد والأطياب تنهال**
وذي رياضك والجنّات تغبطها **كأنّ طوبىٰ لغصن فيه تمثال**
كأنّ نجماً بأُفق منك مزدهراً **عن ألف جذر له في الأُفق إجلال**
لا يعتريها محاق وهي مشرقة **ولا يخفّ بها في الأُفق إعجال**
ولمعة من سديد الرأي تطلقه **تجلىٰ شموساً وما زالت كمن زالوا**
والملك زادت بفضل منك رفعته **ومن علاك أظلّ الكون إكمال**
نسبت كفّك للبحر الخضمّ فقال **البحر أمسك فأين البحر والمال**
ولا تقسّم أرزاق العباد على **المخلوق إلّا وفيها منك تمثال**
ولا يمدّ جناح الملك وارفه **من السما فلها من سعدك الفال**
ولو غرست بهام الأرض رجلك أو **مددت كفّاً وفيها السيف قتّال**

لقطّع الثور رجلاً منك تحملها وطاح من عنق الضرغام أغلال
كانت مطوّقة والكون تحمله بأطلس كلّه ضيق وأثقال
فيا مليكاً له قدر تجاوزه فكيف يبلغه للعقل أعمال
لو قاف قدرك يأتي فكر حامله لأحرقت منه أحلام وآمال
لا يدّعي طبع كاشي المدح حين درئ بقدّ مدحك لا تكسوه أقوال
وكيف يبلغ قدراً أنت صاحبه وقدر مثلك رجل العقل عقّال
والعقل ينزع للإعجاز في كلم ما بان فيهنّ لا ميل وإخلال
والسامريّ وإن طال الحديث به يبدو كثوب جديد وهو أسمال
وإن يكن يدّعي من قبل دعوته دعوئ بلا أيّ معنى فهي أغلال
ذرّئ مع الريح إعجازي وكان له من قوّة الطبع إبلال وإعلال
وصاحب العجل أضحئ سحره حرقاً وقد أصاب هضاب الأرض زلزال
فأنت ذخري وقد صار التراب على أرض لُجيناً به والتبر أجبال
من ادّعئ منك قربئ جدّ دانية قد صار عذباً جرئ إذ غيره الآل
وربّ سائل جدوئ منك نال غنئً تأتي الملوك لما تحبوه سؤّال
إن ذقت شهداً بمدحي فيك أنشره فشاهدي القول تندئ منه آمال
قد صار شعري نبالاً عند محنته وإنّني أنا في واديك نبّال

وهذه الأبيات خلاصة لقصيدة له أُخرى:

زبعد احمد مرسل امام حق شهى را دان
كه هست از غايت عزّت ثنايش ربعى از قرآن
كمالش در خيال عقل چون گنجد كه تعظيمش
فزون از جنبش و هم است و بيش از حيّز امكان

صفات ذات مشهورش زاصل «قل تعالوا» جو
جلال جود موفورش بخوان از سوره انسان
امامت راکسی باید بدین در واجب الطاعه
که باشد جنّ انس او راسلیمان‌وار در فرمان
طریق اختیار خلق جایز نیست ور بودی
بدی از امّت عیسی و قوم موسی عمران
هر آن نایب که پیغمبر گذارد مثل او باید
وگر نبود خلل خیزد هم از مرسل هم از سبحان
اگر کس واجب الطاعه بدین چون مصطفی باید
بعقل و نقل و شرع و عرف غیر از مرتضی نتوان
اساس دین ما اینست وما را رافضی خوانند
بدین گر رافضی شاید منم اوّل در این دوران
اگر لولا عمر یک ره علی گفتی چو او صد ره
نبودی هیچ شیعی را به حید میل در کیهان
زحیدر شیعه این بیند بغیر از او کرا داند
بده انصاف اگر مردی مکن میل و منه بهتان
عروس تخت جنّت را یقین در بر کسی گیرد
که در دیوان ایمانش بود مهر علی عنوان
گدای کوی آن شاهم که در کوی گدایانش
سلیمان با همه حشمت ندارد پایهٔ سلمان

مـرا گـر ثـروت دنـيا نـباشد غـم چـرا بـاشد

كه بهتر بود ايـن دنيا نـخواهـد بـود جـز حـرمان

تقريب المعنى بالعربيّة:

فـإن شـئت تـعرف هـذا الذي	يكـون إمـامك بـعد النـبي
فـذاك الذي نـزل الذكـر فـيه	بـربع الكـتاب فـلا تـعجب
وهـل يـدرك العـقل كـنهاً له	أو الوهـم فـي عـالم أرحب
وضـاق الوجـود عـلى وسـعه	وإمكـانه بـعد لم يـصعب
ولكـنّه ضـاق عـن حـمله	فأمسك عـنه ولم يـقرب
وفـي «قـل تـعالوا» تـميّز له	صـفات مـن الطيب والأطـيب
وتـعرف وجـوداً له طـامياً	مـن الذكـر تسـعد بـالمطلب
وتـعطي الإمـامة فـي الوارثـين	لذي قـدرة حـازم أغـلب
يكـون سـليمان فـي حكـمه	يـطاع مـن الأهـل والأجـنبي
وليس الخـيار هـنا جـائزاً	وإن كـان «للـحوّل القـلّب»
أيـختار مـن أُمّـة واحـداً	وفـيها الحكـيم وفـيها الغـبي
وربـتما نـال مـنها الأخـير	وفـات الحكـيم فـلم يكسب
ومـن نـاب بـعد نـبيّ الهـدىٰ	وقـد كـان أهـلاً لذا المـنصب
فـلابدّ أن يـقتدي مـثله	كـما قـرن البـدر بـالكوكب
فـإن لم يكـن ذا كـذا لن يـعا	ب بهذا سوى الشـرع والمـذهب
ولا يـنبغي أن يـرىٰ مـذنباً	فـتلزمنا طـاعة المـذنب
ومـا ذاك إلّا أخـو المـصطفى	عـليه السـلام أبـو زيـنب
وقـد حكـم العـقل فـي صـدقه	عـلى عـثرة الزمـن القـلب

فـذا ديـننا ويسـموننا ... روافـض للـباطل المـذنب

رضـيت بـهذا ويـا شـقوتي ... إذا مـا دعـيت ولم أنسب

ولولا أبـو حـفص المـدّعي ... مكـانة حـيدرة الأطـيب

لمـا عـرف النـاس فضل الإمـام ... وإنّ عـلياً وصـيّ النـبي

أراد ليسـلبها مـنهم ... ويأبـى الإله فـلم تسـلب

وفـي قـول لولا عـليّ بـدىٰ ... لعـينيّ مـن سـارق المـنصب

ومـن صـاحب الحقّ إذ يـرتجىٰ ... فـيرويك بـالمطر الصـيّب

ومـن صـاحب البـاطل المـزدرىٰ ... يـغاديك بـالعارض الخـلّب

ومـن عـلم العـلم إلّا عـلي ... بكـلّ العـلوم عـليّ حُـبي

كـذا قـال شـيعته مـؤمنين ... سـواه مـن النـاس لم يـوهب

ألا مـنصف نـاظر فـي الأُولىٰ ... تـولّوا بـحظّهم الأجـرب

ألا يـعلمون عـروس الجـنان ... بـغير هـوى الطـهر لم تـخطب

ومـا نـالها غـير مـولىً له ... بـيوم مـن الرعب مـعصوصب

أنـا سـائل مـن جُـدى عـزّهم ... بـغير عـطاياه لم أرغب

سـليمان فـي كـلّ مـا نـاله ... مـن الجـاه والعـزّ والمـنصب

فـما نـال مـا نـال سـلمانهم ... مـن الخير والمـجد في يـثرب

فـإن لم أنـل ثـروة في الحـياة ... «ورنّـق طـوع يـدي مشـربي»[1]

فـما سـبب الحـزن إنّـي امـرئ ... تخلّصت من «حـمة العـقرب»[2]

---

(١) هذا الشطر من قصيدة للجواهري ومطلعها:

عتبت ومالي من معتب ... على زمن حوّل قلّب

(٢) بتخفيف الميم من «حمه» السم والجمع حمات ولا تقل حمة بالتشديد ويقال للتي تلسع بها الإبرة، والعامّة تسمّي حمة العقرب أبرتها.

فليس بدنياك إلّا العذاب بناب تلاقيك أو مخلب

وهذه القصيدة وهي عيبة معاني قالها مبارياً بها الحكيم الخاقاني:

هر سحر از موج این دریای گوهرزای من
گوهر معنی دهد فکر فلک فرسای من
شمع گردون در شبستان حرم باز آورد
روز وضع حمل معنی خاطر عذرای من
بر سریر سدره شادروان زند روح القدس
چون بمعراج معانی رو درآرد رای من
نو عروسان معانی را برون آرد زغیب
سوی صحرای سخن نظم سخن پیرای من
در عروج فکرم ار بودیم تصوّر را مجال
منتهای سدره دیدی مبدأ اسرای من
گر بدی معنی مجسّم صورت آسا در نظر
تافتی صد اختر از یک نطفهٔ غرّای من
خلوت قرب معانی را منم جائی که نیست
در خیال ساکنان سدره او ادنای من
در شب معراج فکرت بی‌براق و جبرئیل
بر سریر سدره آسان باشد استعلای من
افتابم کز ره معنی نگنجم در زمین
کز در حشمت نیاید صورت پیدای من

صفوة الله زاده‌ام در دین زدیوان قضا
صبغة الله آمده توقیع بر امضای من

آهوی طبعم زباغ خلد سنبل می‌خورد
نافهٔ چین در خوی از رشک دم بویای من

آدم نسل معانی خواست بودن خاطرم
خود همین بوده است گویا مقصد آبای من

نی که در صحرای فکرت خاک بود آدم که بود
نافهٔ آهوی قدس از سنبل صحرای من

رستهٔ جان می‌خورم چون شمع و می‌گویم که نیست
جز برای سوختن طبع جهان آرای من

گرچه چون شمعم در آب و آتش از سر تا بپا
مایهٔ نور است همچون شمع سر تا پای من

خاطرم در مکتب روح القدس آموخت علم
پیر مکتب خانه‌ام عقل ادب فرمای من

زان همه یاران مکتب‌خانه در طبعم نهاد
قوّت ابداع معنی مبدع اشیای من

چون خضر پروردهٔ آب حیاتم زان بود
مجمع البحرین معنی در دل بینای من

نامده در عالم صورت به معنی در ازل
بد معید پیر گردون دولت برنای من

من نه این صورت بدم کاکنون تو می‌بینی مرا
جای دیگر بود اوّل مسکن و مأای من
در حریم سدره خلوت داشتم جائی که بود
تشنهٔ آب حیات از جرعهٔ حمرای من
مجلسی دور ازکدورت باده‌ای دور از خمار
در کف ساقی جان افزای غم فرسای من
گر نخوردی آدم آن یک دانه گندم در بهشت
کی بدی در خاک آمل مولد و منشای من
هم بسوی مرکز اصلی توان شد عاقبت
گر نیالاید بدنیا حرص کفر آلای من
گردن شهوت به شمشیر ریاضت خسته شد
تا هویدا گشت بر من مبدء و منهای من
در رهم روز جوانی دام شهوت می‌نهد
این کهن پیری که هست اندر پی اغوای من
گنج و اژدرها عجب سمّیست گویی زین قبل
بوده در گنج وجودهم شهوت اژدرهای من
گر نه نور مهر حیدر دارم اندر دل مقیم
در دل دیو افتد این جای ملک سیمای من
جانم اندر پای اژدرهای شهوت گمشدی
گر نبودی دستگیرم دولت مولای من

آفتاب آسمان دین امیرالمؤمنین
کامده تشریف مدحش چست در بالای من
آسمانی پر مه و خورشید یابی بر زمین
گر به مهرش بازجویی یک به یک اجزای من
آفتاب اندر پناه سایهٔ رایم بود
تا بود در سایهٔ خورشید دین ملجای من
این جهان و آن جان در زیر پایت گم شود
گر زنی دست یقین در عروة الوثقای من
شهسوار شرع مولی المؤمنین حیدر که هست
مهر او امروز اصل نعمت فردای من
بلبل بستان زدستان بازماند چون دهد
شرح مدح میر دین طوطی شکّر خای من
انتظار از بهر معنی کی کشم چون می‌کند
مدح آن خورشید دین روح الامین املای من
جز صفات ذات آن شه نبود و هرگز مباد
طاعت روز من و اندیشهٔ شبهای من
دامن از درّ معانی تا گریبان پر کنم
چون خورد غوّاص فکرت غوطه در دریای من
لوح ابجد در کنار طبع خاقانی نهد
در دبیرستان معنی خاطر دانای من

ور همه ماهی یونس بود کلکش فی المثل

بحر یونس می‌گشاید کلک حوت آسای من

یرلغ طبع مرا مهر از ولای مرتضی است

حجّت تنزیل طبعم معجز طاهای من

موسی عهدم که بر طور ریاضت ساکنم

روشن از انوار او هر دم تجلّیهای من

خصم اگر در روز دعوی سامری گردد دهد

گوشمال لا مساس او را ید بیضای من

مقتدای سینهٔ صاحب دلانم مهروار

بیت معمور معانی طبع مستقصای من

تا زبانم در ثنای رکن ایمان ناطق است

رکن هفت اقلیم معنی شد دل یکتای من

زین صفت کامد چو عیسی این دمم معجز نما

داشت گویی نفحهٔ روح القدس بابای من

بر سر بازار معنی گر أنا الحق می‌زنم

سرّ این معنی نداند جز دل شیدای من

آن توانگر همّتم در دین که با افراط فقر

ظاهر است از خلق عالم فرط استغنای من

محنت دل با که گویم زانکه در مازندران

نیست کس را از بلای خویشتن پروای من

تـا نـريزد آبـرويم پـيش هـركس بـهر نـان

قـفل خـاموشي است دايـم بـر لب گـوياي مـن

غـم زدرويشي نـدارم چونكه مي‌دانـم كـه هست

در كـف سـالار مـحشر مـايهٔ اِثـراي مـن

در ضـيافت خـانهٔ تـحقيق خـوانسـالار خـلد

مـي‌كند اجـرا زدست مـير ديـن اجـراي مـن

كـاشي اصـلم آمـلي مـولد حسـن نـامي كـه هست

همچو حسّان روز احسـان صـدر جنّت جـاي من

كـمترين مـملوك حـيدر كـاشيم كـز فـضل او

در سـخن بـالاتر از عـيسي است استعلاي مـن

تـا بـبازار سـخن نـقد مـعاني مـي‌برم

قـلب روي انـدود بـيرون مـاند از سـوداي مـن

گـر زروي امـتحان صـد بـار در آتش زنـد

جـز طـلا بـيرون نـيايد زرّ مسـتوفاي مـن

بـر سـر بـازار اقـليم مـعاني كـوكبي

تـا دهـد عـرضه مـتاعي هـمبر كـالاي مـن

شـاعران را گـرچـه غـاوي خـوانـده در قـرآن خـدا

هست از ايشـان هـم بـقرآن ظـاهر استثناي من

يـا رب از فـضل و كـرم سـيراب كـن طـبع مـرا

زانكـه از حـدّ تـجاوز زفت استسقاي مـن

تقريب المعنى بالعربيّة:

في كلّ ليل أعوم البحر مبتغياً ... درّ المعاني لجيد الدهر أعطيها
وأوقد الشمع ليلاً في سما حرم ... كي تستجدّ معاني خاطري فيها
وخاطري البكر يستوفي معانيه ... كأنّه خفر العذراء يصفيها
سرادق جاء روح القدس يعمرها ... فتزدهي إن تجلّى في مغانيها
لمّا بدى الفكر منّي في تألّقها ... وراح نحو المعاني الغرّ يجنيها
عرائس من معاني الفكر يبعثها ... نحوي ليرسلها فكري ويحييها
وفي معارج فكري إن تصوّره ... وللخيال مجال في نواحيها
فسدرة المنتهى منها ابتدا صعداً ... ويعلم الله ماذا كان تاليها
إن كنت تستطيع تجسيماً لصورة ما ... تفيض فكري به من لطف جاريها
فسوف تلقى أُلوفاً من كواكبه ... الغرّاء من نطف في البال يحييها
إن لم أجد للمعاني مألفاً حسناً ... فمألفي الملأ الأعلى أُناجيها
ليل العروج وأفكاري تضيء به ... بلا براق ولا جبريل يهديها
ما أسهل الكون عندي حين أبلغه ... في سدرة المنتهى أحيي لياليها
إنّي أنا الشمس إن لم أحو نهج علاً ... في الأرض لا قربت منّي معاليها
أنا ابن صفوته سبحانه وقضىٰ ... قضانه بقضايا كنت أمضيها
وريم طبعي بطيب الخلد مرتعه ... والمسك موطئ أقدامي يحاكيها
وآدم رام نسلاً كاملاً عجباً ... من المعاني كفكري حين يزجيها
فكان ما شاء قد أعطاه خالقه ... نسل المعاني وفكري كان يحويها
مذ كان فكري أرضاً أين آدمه ... والله يبعدها عنه ويدنيها
حتّى برى الخلق ما ضاقت بساكنها ... أرضي ولا ضلّ دانيها وقاصيها
وقد برىٰ لغزال المسك نافحة ... مسكاً وفكري بالأردان يذكيها

أقطر الروح مثل الشمع ذائبة كأنّما للحريق الله باريها
إن كنت كالشمع في ماء وفي لهب فالماء يعدمها والنار تبقيها
درست في دار روح القدس علّمني وكان شيخي عقلي في مبانيها
وأُودع القوم في طبعي بقوّته الإبداع يبدع أبكاري ويبديها
إن كنت كالخضر من ماء الحياة دمي فمهجتي مجمع البحرين يسقيها
فمنهما تبدع المعنى وتنشره ففيهما من معانيها لئاليها
وعالم الصور اللاتي أُحوّلها إلى المعاني من الآزال أحويها
ودولتي الفلك العالي تدور به يدي ضروع المعاني الزهر تمريها
إن كنت تبصرني في صورة حضرت قدكان لي مسكن في البدء يؤويها
وكانت السدرة الأُولى لها سكناً وأختلي باللّيالي الغرّ أحييها
يحتاج ماء حياة يظفرون به لجرعة من دمي حمراء يسقيها
ومجلسي ليس فيه الغم من كدر وخمرتي لا خمار العقل ينفيها
في كفّ ساقٍ عليه الروح والهة فيا لكفّ له بالروح أفديها
لو لم يذق آدم من حبّ حنطتها ماكنت في آمل أرعى مواشيها
لو لم يكن لي حرص الكفر يدفعني دفعاً لمركز مأساتي فأبكيها
لما بلغت أُصولي في مراكزها وكنت في البدء أبديها وأُخفيها
نحرت شهوة نفسي عند شدّتها بمديةٍ من رياضات أُعانيها
حتّى تجلّى لعيني بدء منطلقي مع الختام وإن غمّت لياليها
وكان ينصب في دربي الفخاخ بأيّا م الشباب لباناتي ويحميها[1]
وإنّه الشيخ لا أهلاً بطلعته يأتي بأفعاله للنفس يغويها

---

(١) أي يسخّنها.

أفعى تلمّظ في سمّ لتقتلني | فشهوة النفس سمٌّ من أفاعيها
لو لم يشعّ بقلبي نور حيدرة | لم ينج عقل ملاكي من مساويها
وكنت ضيّعت روحي تحت وطأتها | لكنّ كفّ عليّ لا تخلّيها
وأشرقت شمسه فوقي فنوّرني | كالشمس تظهر من سحب تغطّيها
وهل ترى الشمس تبدو بين أنجمها | للأرض تبعث آمالي وتحييها
إن جلّ ذنبي فما أخشى مسائلة | فإنّ حبّ أبي السبطين يحميها[1]
وكنت أبحث عن ظلّ ألوذ به | فظلّ شمس عليّ ملجئي فيها
في العالمين غداً تنجو إذا قبضت | يداك بالعروة الوثقى تواليها
ما دام حيدرة مولىً ومعتمداً | للمؤمنين فلا أخشىٰ أعاديها
وحبّه اليوم زادي وهو يوم غد | لي نعمة ليس من شيء يساويها
والبلبل الصادح الغرّيد يخرسه | حمامة الدوح في لحني أناغيها
نعيد ذكرى إمام سيّد سند | رواية من نثار الحقّ نرويها
ولست منتظراً معنى يجود به | ذهني فجبريل آي المدح يمليها
لا أبتغي أيّ شيء فيه مطّلبي | إلّا صفات عليّ حين أُنشيها
فإنّها طاعتي في اليوم أفعلها | والفكر في ليلتي الغرّاء أحييها
أغرف بكمّك بالأبكار أملئه | إن غاص فكرك في بحري ليجنيها
وطبع خاقان يتلو لوح مكتبه | كالطفل في أحرف للدرس يمليها
أزاء فكري الذي جلّت مصائده | وهل يصيد بها إلّا معانيها
وحوت يونس في بحر يعوم به | لكنّ بحري يغطّيه ويغطيها
وحكم طبعي من مولاي حيدرة | كذا العبيد قواها من مواليها

---

(١) أي يحفظها.

تنزيل طبعي إعجاز يشرّفه ... خير النبيّين طه في معاليها
لولا اتصالي به لم ينج فكري من ... إبليس ينشر آمالي ويطويها
والعهد منّي موسى الطور حين بدت ... أنواره وأضاءت في تجلّيها
لو أنّ خصمي استحال السامريّ لما ... ونت يدي عن حروف فيه يمليها
بي اقتدىٰ من له قلب على مقة ... يدور قلبي بكأس الحبّ يسقيها
بيت المعاني طبعي للملائك بل ... كبيتها في السما المعمور ناديها
مادام يثني على ركن اليقين فمي ... فإنّ قلبي معاني الخير يحويها
ركن الأقاليم سبعاً دار في كرة ... الخير والشرّ عاتٍ في مغانيها
فصيّرتني المعاني وهي معجزة ... تأتي بقسوة فولاذ فأُثنيها
كالروح لكن روح القدس في نفسي ... يجري به الطيب روحاً من فواغيها[1]
ولو بسوق المعاني قلت معترفاً ... أنا هو الحقّ لاندكّت معانيها
فإنّ ذلك معنى غير متّضح ... في سرّه قد رآه القلب توجيها
لي همّة غنيت في الدين وهي مع ... الفقر الشديد وإنّ الله مغنيها
لمن أبوح بشكوىً ليس يسمعها ... مازندران ومن حلّوا بواديها
وقد حفظت لماء الوجه جدّته ... لذاك أقفلت ثغري لست أحكيها
ولست من غمّة الدرويش مبتسماً ... لأنّ في الحشر خير الخلق يجليها
إن جئت ضيفاً بدار الحقّ فهو لها ... بكفّه من عذاب الحشر ينجيها
أصلي بكاشان لكنّي ولدت هنا ... بآمل حسن لي من أساميها
أنا كحسّان لكنّي أنال رضاً ... بجنّة الخلد من مولاي يعطيها
عبد الوصيّ أنا لكن سموت إلى ... أسنى المراتب حتّى نلت عاليها

(١) جمع فاغيه وهو نور الحناء، وقيل كلّ نور.

وفقّت عيسى بشعري حين صرت به　　أرمي المعاني بقوس الفكر أصميها
ولو مضيت لسوق الشعر أنقدها　　فهي المعاني بماء القلب أطليها
ولو رميت به في النار أصهره　　لكنت بالتبر مصهوراً أُساقيها
ولو يقارنه نجم لقارنه　　وفاز بالحسن أنواراً يوفّيها
إن كان في الذكر سمّى الله شاعره　　غاوٍ فإنّ فتون الشعر يغويها
لكنّه جلّ يستثني من الشعرا　　ناساً فلم تمش ما بين الورى تيها
فإنّني أنا منهم أي طائفة　　قد مازها الله بالنعمى أُثنّيها
يا ربّ واتر علينا الفضل إنّ به　　حياتنا وانشر النعمى وواليها
ضمئت للغيث يهمي إنّ من هلكت　　فإنّ صوب النطاف العذب يحييها

وله في مدح إمام الإنس والجنّ عليّ بن موسى الرضا عليه التحيّة والثنا...:

دوش چون دور شب تيره بپايان آمد
نوبت زمزمهٔ مرغ سحرخوان آمد
چشم جان از دم مشكين صبا روشن شد
گوئى از مصر نسيمى سوى كنعان آمد
چه عجب بوى بهشت از دم بادى كه در او
اثرى از شرف خاك خراسان آمد
شرف خاك خراسان همه دانى كه زچيست
زانكه در خطّهٔ او روضهٔ رضوان آمد
مشهد پاك معلّاى امام معصوم
آنكه خاكش زشرف افسر كيوان آمد

آنکه درگلشن مهرش زسر شرط ادب
دست فرّاش صبا مجمره گردان آمد
آنکه در حضرت جاهش زپی قدر و محل
پر طاووس فلک مروحه جنبان آمد
آنکه اندر حرم جان محبّان مهرش
مالک چارحد خانهٔ ایمان آمد
وقت انکسار عدو سنگ بزیر قدمش
از ره معجزه چون موم گدازان آمد
یک طواف درش از قول رسول قرشی
تا بهفتاد حج نافله یکسان آمد
مالک ملک حقیقت تونی از صدق و یقین
هم زقرآن خبر حجّت و برهان آمد
ناکسی گر بتعصّب حق تو بازگرفت
درکمالیّت ذات تو چه نقصان آمد
در نبوّت چه زیان آمد اگر روزی چند
اهرمن نامزد تخت سلیمان آمد
گر زخر طبعی گوساله پرستید یهود
زان چه نقصان بسوی موسی عمران آمد

تقريب المعنى بالعربيّة:

ولمّا تقضّى الليل إلّا أقلّه — سمعت هزاراً يرسل اللحن في السحر
وقد فتحت روحي بريح الصبا الذي — يهبّ على قلبي المعنّى وما شعر

كأنّ نسيماً من صبا النيل خافقاً ... على أرض كنعان بأذياله خطر
سممت به ريح الجنان كأنّه ... أتى من خراسان به الورد يعتصر
تضمّن في مسراه فضلاً وسؤدداً ... لأرض خراسان هي المجد يعتبر
أتدري لماذا حازت الأرض كلّها ... به شرفاً قد نالها بالرضا الأغر
هو المشهد الأعلى لمولىً منزّه ... وطهّره الرحمن بالآي والسور
وطال على كيوان قدراً بقدره ... فيا لإمام سابق الشمس والقمر
تجلّى من الأنسام في روض حبّه ... كطيب عل الدنيا من المجمر انتشر
هو السيّد الأعلى الذي فضل جاهه ... له الفلك الأعلى بدورانه استمر
وأعطاه من طاووسه بعض ريشه ... يذبّ به عنه ولولاه لم يدر
له حرم تهفو القلوب لقدسه ... وقد ملك الأكوان ما غاب أو ظهر
وقد ملك الأيمان يرعىٰ حدوده ... ومن حاد عن إيمانه خاب أو خسر
ألان له الله الصفا وهو جلمد ... نشاهد من أقدامه فوقه أثر
ومن طاف يوماً حول مشهد قدسه ... يرى الكعبة الزهرا لمن حجّ واعتمر
يساوي طواف فيه سبعين حجّة ... ومن لم يصدّق ما أقول فقد كفر
وإنّك قد نلت الحقيقة كلّها ... بصدق يقين جاء عن ربّنا الخبر
وقد أخبر القرآن عن ذاك شاهداً ... على ما نهىٰ عنه النبيّ وما أمر
وحقّك إمّا ناله متعصّب ... ولم ينهه عن فعله ذاك مزدجر
فما نالك الخسران بل ناله وما ... تقلّب إلّا بالهوان وبالصغر
وما ضرّ فضل الأنبياء إذا أتىٰ ... لسلطانهم إبليس أو عندهم حضر
وعرش سليمان هو العرش قائماً ... فما ضرّه إن خان إبليس أو غدر
وإن عبدت صهيون عجلاً لخبثها ... فهل نال موسى من جحيمهم شرر

وله سقى الله ثراه:

منم كه مى‌زنم از حبّ آل احمد لاف
زجان و دل شده مولاى آل عبد مناف

منم كه مهر ولىّ الله از دل پاكم
همى درخشد مانند گوهر شفّاف

منم كه خون عروقم زتف آتش مهر
چو آهوان ختن مشك مى‌شود در ناف

زشهسوار فلك گوشواره بستانم
به مدح او چه كنم گاه فكرت استكشاف

غلام بازوى آن شهسوار مى‌دانم
كه منقلب بدى از زخم تيغ او دل قاف

رسالهٔ كرمش راز «إنّما» توقيع
طراز آيهٔ قدرش زسورهٔ اعراف

شناسد آنكه شناد كه عقل نپسندد
بر اين چنين شه والا تقدّم اخلاف

كسى كه نفس محمّد بود بقول خداى
فروگذارى و آنكه زنى زايمان لاف

زراه جهل بتقليد ديگرى مگرو
كه روز حشر نباشى بر اين جريمه معاف

يقين بدان كه «سلونى» به از «اقيلونى» است
چرا برون شوى اى خواجه از ره انصاف

زبـــنده مـــنقبت مـــرتضى عـــلى بشـــنو

بـــيا بكـــورى بـــاخرزيان و مـــردم خـــواف

چو كاشى آنكه شناسد حيات خـود زيـن شـهد

نـــظر كـــند ســوى دنـيا بـچشم استخفاف

تقريب المعنى بالعربيّة:

أنـــا الذي ألهـج فـي حـبّهم	وأحـتمي بـالآل مـن أحـمد
صرت لهم مـولاً بـروحي ومـا	أمـلك إلّا مـهجتي فـي يـدي
أنـا الذي تـزهر فـي داخـلي	مـحبّتي كـالجوهر المـفرد
أنا الذي يغلي دمـي من غـضى	حـبّهم يـجري ولم يـعقد
يكون مسكاً في عـروقي زكـيْ	ريـحاً وإن أمسك لم يـعضد
مـاذا تـرانـي قـائلاً لامـرئْ	بـل قـائد للـفلك الأبـعد
إذ زيّـنت مـدحته مـقطعي	كـما تـزان العـين بـالأثمد
وبـيتي الآخـر مـا وقـعه	قـد كـلّ عن مـدح ولم يـزدد
إنّـي أنـا عـبد امرئْ سيفه	يـفلق قـلب الحـجر الجـلمد
له سـخاء سـرّه «إنّـما»	طـهّره مـن كـلّ مـعنىً ردي
تشـهد فـي سـخائه «إنّـما»	وسـورة الأعـراف بـالسؤدد
دعـهم يـقولوا مـا يـريدونه	فـالعقل فـي ذلك لم يشـهد
فهل تـرى الأخـلاف إذ قـدّموا	تـقدّم الأمّـيّ فـي المـعهد
فأيـن مـن حـاز عـلوم الورى	فـي قـلبه مـن جـاهل مـرمد
نـفس نـبيّ الله يـقصونه	وينصبون الجبت في المسجد
ثـمّ يـباهون بـإيمانهم	قـل لي أهـذا عـمل المهتدي

فلا تقلّدهم بأهوائهم يرديك تقليد امرئ مفسد
يسألك الله بيوم الجزا ثمّ يخلّيك إلى موقد
قول سلوني من إمام الهدى إن أنت أنصفت ولم تجحد
أفضل من قول أقيلوا فما بينكم أفضل من سيّدي
هلمّ واسمع من محبّ لهم منقبة المولى ولا تبعد
فإنّما الكاشي يوالي امرءاً حرّاً لغير الله لم يسجد
لا يعرف الدنيا وإن زيّنت أعطافها بالغيب والمشهد

وله طاب ثراه:

پیش از این کین طارم فیروزه منظر کرده‌اند
دولت باقی جزای مهر حیدر کرده‌اند
بسته‌اند از مهر اوّل عهد با ارواح خلق
وانگهی ترکیب خلق از جسم و جوهر کرده‌اند
خاک آدم در عدم پیدا نَبُد کز نور او
چهرهٔ اقلیم نه گردون منوّر کرده‌اند
تخت گاه رتبتش برتر زعرش آن روز شد
کز شرف معراجش از دوش پیمبر کرده‌اند
لایق یک نامه بردن را نبود ازکردگار
آنکه او را مهتر محراب و منبر کرده‌اند
یا امیرالمؤمنین فریادکاش رس بلطف
ای که لطفت داروی دلهای غمخور کرده‌اند

از كـف دريـا نـصابت يک نـصيبم بـخش زانك

تشـــنگان راه را ســيراب از آن دركــردهانـد

كـربلاى مـن شـد آمـل زانكـه نـان من در او

تـنگتر زآبست كـان بـر آل حـيدركـردهانـد

غـم زدرويشـى چـه دارم زانكـه مىدانم يقين

عـزّتى كـز فـقر بـا سـلمان و بـوذركـردهاند

قرب سىسال است افزون كاجر مستوفاى مـن

دركـف سـلطان ديـن سـاقى كـوثركـردهانـد

گـر بـهشت الحق هـوادارى حيدر را جزاست

شـادى كـاشى كـه ايـن او را مـيسّركـردهانـد

تقريب المعنى بالعربيّة:

لقـد صبغوا السـماء ولوّنوها — بـلون يـفرح القـلب الكـئيبا

بـلون اللّازورد ألا تـراهـا — كـماء يـطفئ الجـمر اللـهيبا

ودولة حـيدر فـيها استقلّت — تـموج حـلاوة وتـفوح طـيبا

لقـد عـقد العـقود غداة نـادى — لأرواح وقــدّر أن تـجيبا

فأوجـدها ولم يـخلق سـواهـا — وصـاغ لحـملها جسداً عجيبا

فســوّاه بـجوهره عـجيباً — وصـوّره ومـا عـانىٰ لغـوبا

وتــربة آدم لولاه ظــلّت — بـغيب حـاجب طـيباً رطـيبا

ولم يـظهر بكـون الله نـور — ولم يـخلق شـروقاً أو غـروبا

تخطّى العرش في رتب أُتيحت — له العـلياء حـين أتـى الحـبيبا

وحـطّ بكـتفه قـدماً تـعالت — عـلى فـلك وأخـضعه ركـوبا

رضوا رجلاً وكان الله يأبى ... عليه بسورة يمضي خطيبا
وراح المنبر المحزون يبكي ... ومحراب النبيّ غدا كئيبا
غداة أتاه منعياً إماماً ... وقد خلّاه مطروداً كذوبا
أميرالمؤمنين أصغ لقولي ... فأنت تريح من قلبي الوجيبا
وتنقذ كلّ محروب كئيب ... وتنجي كلّ مبتئس حريبا
ولطفك إذ يداوي كلّ جرح ... وقد أدمىٰ بلاعجه القلوبا
أنلني جرعة من بحر جود ... بكفّك لست مبتغياً غروبا
فكم ظام رويت وكم غريب ... أجرت وجنت عطشاناً غريبا
و«آمل» كربلاي لأنّ فيها ... قضيت العمر مبتزّاً سليبا
وصرت كآل حيدر في حماها ... أردّ مخاتلاً وأصدّ ذيبا
غدت كالعلقميّ عليّ ضاقت ... وقد سدّوا عن الماء الدروبا
وضاقت لقمتي فيها كأنّي ... مع الشهداء شبّاناً وشيبا
وما عمّي إذا صفرت وطابي ... وصرت أدبّ من فقري دبيبا
ولي في فقر سلمان عزاء ... وصاحبه وقد كان الغضوبا
ثلاثون استقلّت كان أجري ... أُطالب فيه سلطاناً وهوبا
هو الساقي بيوم الحشر عذباً ... ويعطي ظامئاً مثلي نصيبا
ويسقيني براحته شراباً ... بكوثره أكون أنا الشروبا
وإن تكن الجنان له أُقيمت ... فسوف أنال من ورد ذنوبا
وما الكاشي سوى مولىً نجيب ... ومن والاهم كان النجيبا

وله أسكنه الله في صدر الجنان:

تا سرم در سايهٔ خورشيد تابان مى‌رود
پاى قدرم بر سر گردون گردان مى‌رود

در ضیافت خانهٔ طبعم زخوانسالار غیب

ساکنان سدره را از ترک صد خوان می‌رود

تا ریاض خاطرم را فتح باب از مرتضاست

فتح اقلیم معانی بر من آسان می‌رود

با دل سحر آفرینم سامری را ترک کن

کین سخن در معجز موسی عمران می‌رود

پایهٔ معنی بجائی می‌برم در مدح شاه

کز پی دیدن فلک را دیده حیران می‌رود

هرچه بر هم می‌نهد اندیشه زاقسام کمال

با کمال کبریایش جمله نقصان می‌رود

در ترازوی خرد بردار و بنگر ساعتی

تا از او بر ما سوی الله چند رجحان می‌رود

مبدء و منهای قدرش کس نداند جز خدای

سرّ این معنی یقین در علم ایشان می‌رود

ما بقدر قوت و امکان خورده‌ایم و می‌رویم

وان همایون منزلت بالای امکان می‌رود

هرکه بعد از مصطفی با مرتضی دارد وفا

در ره دین مسلمانی چو سلمان می‌رود

وانکه باوی در خلاف آمد گر از پشت نبی است

در خطابش «لیس من أهلك» چو کنعان می‌رود

در ره توحيد و عدل استاده‌ام مردانه‌وار
حجّتم قاطع‌تر از شمشر برّان مى‌رود

از براى خاطر او مرغ جان من زشوق
جان شيرين مى‌دهد كاشى و خندان مى‌رود

آن خدانى راكه بتوان ديد بيزارم از او
وان رسولى كاندر او نوعى زعصيان مى‌رود

عدل پاک او منزة دانم از شرک و فساد
آية «ثمّ استقاموا» بهر هارون مى‌رود

گر خدا بر كفر فرعون در ازل راضى بدى
ظلم بودى هرچه بر فرعون و هامان مى‌رود

هركه بر ذات خدا چيزى روا دارد از اين
روز محشر بسته با زنجير شيطان مى‌رود

مولد من آمل و آبشخورم مازندران
از ره جدّ و پدر نسبت به كاشان مى‌رود

تقريب المعنى بالعربيّة:

إن كان بالشمس رأسي قابعاً فعلىٰ ... الأفلاك سيري بعزم صادق فيها
على خوان طباعي الطاعمون أتوا ... من سدرة المنتهى والشوق يذكيها
وذي رياض طباعي باب مدخلها ... للمرتضى فهو يدحوها ويُعليها
إن صحّ ذا فالمعاني سوف يجمعها ... فكري كما يجمع الأثمار جانيها
يا قلب دع سامريّ السحر وارم به ... فذي معاجز موسىٰ وهو راعيها
وسوف أرفع مدحي حيث لا أحد ... إلّا المهيمن محييها ومفنيها

هناك تحتار أفلاك السماء به تجري إلى الفلك الأعلى فيبديها
وكلّ ما قيل من مدح لسيّدها كماله في سهام النقص يصميها
ضع في الموازين معناه لتنظره تجده فيما سوى الباري يغطّيها
وليس يعلم إلّا الله موضعه وقدره فهو سرّ مودع فيها
بعلمه عارف بالسرّ إنّ له علماً أحاط بقاصيها ودانيها
ونحن نلنا بإمكان يصاحبنا وذاته ليس إمكان يدانيها
من كان مولاه بعد المصطفى فله قدر كسلمان مولىً من مواليها
من كان خالفه ضلّت سفينته مثل ابن نوح قضى نحباً بجاريها
أتى الخطاب إلى نوح يقول له ذا ليس منك فلا تحزن لباغيها
لقد وقفت على التوحيد أنشره والعدل لا أبتغي جاهاً وتوجيها
كشفرة تقطع الفولاذ حدّتها فحجّتي عظمت من ذا يدانيها
وإنّ روحي بدنيا الشوق طائرة تأمّ من ذاته العليا مراقيها
كي تفتديه ويغدو ذاك لي شرفاً وإنّني بابتسام الثغر أصبيها
ولو رأى خالقي أنّي أناصبه أو الرسول بأقوال أُحاجيها
لكنت أعصيهما قولاً ومعتقداً أعوذ بالله من عصيان باريها
أُنزّه العدل من شرك يلمّ به ومن فساد تعالى الله محييها
«ثمّ استقاموا» أتت ينبيك منطقها عمّا أكنت لسان الحقّ يرويها
لو أنّ فرعون لمّا صاح صيحته أنا الإله وكفي من يلاويها
يرضى عليه إله الحقّ فهو إذن عذابه كان ظلماً مسّ طاغيها
ومن أجاز على ربّ براه كذا قولاً ففي الحشر نار الله يأتيها
يصلى لظاها مع الشيطان في قرن فيها يعوم ويبقى خالداً فيها

ولدت في آمل أضحت لنا وطناً   لكنّ أعراقنا كاشان تسقيها

وله طيّب الله مشهده:

کیست آن مهتر همایون فر   که به او داد مهتری مهتر
آن وصیّ رسول و زوج بتول   در جهان مقر جهان دگر
معنی عقل کل در او مبهم   صورت نفس کل در او مضمر
جوهری بود جز خدا و رسول   کس ندانست قدر آن جوهر
ذات او داده عرش را زینت   نام او کرده خویش را زیور
سرّ نقش وجود دانسته   نافرده خدای نقش صور
گوهر درج آدم و زشرف   خاک آدم زیمن او گوهر
بوده عالم پر از مأثر او   زآدم و آدمی نبود خبر
در شبستان فطرت آدم را   زاده اندر سرای او مادر
زاوّلین حرف کرده در مکتب   معنی علم آخرین از بر
پیش دریای همّتش چه بود   قلزم آسمان کینه شمر
گر بود کشتی تفکّر را   بادبان آسمان پهناور
کافرم گر کند به سیصد قرن   بر محیط کمال او معبر
کیست با قدر او سپهر بلند   چیست با رای او طلیعهٔ خور
مرد باید که دیده باز کند   دیده‌های یقین نه دیده سر
تا جهان را در این جهان بیند   برتر از وهم و حسّ و عقل و بصر
مرتضی در لطافت احمد   مصطفی در شهادت حیدر
صورت رفعتش هزار فلک   معنی خاطرش هزار اختر
از جنابش اشارتی رضوان   وز دلش استعارتی گوهر

چاکرش جبرئیل و میکائیل — مدح گویش خدا و پیغمبر
میزبان روان و جان و جسد — قهرمان جهان فضل و هنر
چون ردا «قل تعالوش» بر دوش — خلعت «إن أعلمش» در بر
از شعاعات شین شمشیرش — در دل آسمان فتاده شرر
بحر قدرش اگر بجوشیدی — بگسستی سپهر را لنگر
چند آنکه گرفت دست علی — که بعجز اعتراف کرد عمر
گر بقول خدا بدست رسول — رفتن شیخ تیم منبر بر
پس علی را بخانه بنشستن — باشد الحق زراه شرع بدر
ورنه قول خدا بدست رسول — میل بوبکر بود و رای عمر
پس علی بر حق است او... — پس علی مؤمن است و او...
چون علی دیگری بود هیهات — ننگ با نام کی بود رهبر
رهنمایی که جز علی باشد — ره نماید ولی بسوی سقر
کاشی این قوّت سخن زتو نیست — بل بتأیید آن همایون فرّ
قرب سی سال شد که خاطر من — هست دراه دین ثنا گستر
در خراسان و در عراق همی — شعر کاشی همی کنند از بر
برده‌ام در جهان بمدح علی — گوی دانش زجمله دانشور
والی ملک «إنّما» که بدش — «لا فتی» درع و «هل أتی» مغفر
از پی آنکه نیست در دنیا — خاطر آسوده دار و غصّه مخور
چون پر از مهر اوست حقّهٔ دل — چه زیان گر تهیست کیسهٔ زر
آن درختی که کشته شد در دین — تا قیامت دهد سعادت بر
مال قارون و سطوت دوزخ — ملک فردوس و محنت بوذر

نو عروسان فكر بكر مرا ... نتق از حسك و پرنيان بستر
عقد ايشان خداى عزّ وجل ... بسته بر نام حيدر صفدر
يا رب اين بخت بين كه مى‌نازد ... چشم دولت بروى آن شوهر

تقريب المعنى بالعربيّة:

من النبأ العظيم له السعاده ... وقد أعطاه مولاه السياده
وصيّ المصطفى المختار كفؤ ... لفاطمة وإنّ له القياده
أمير الدين والدنيا عليّ ... شفيع الناس من بعد الوفاده[1]
وعقل الكلّ معناه وفيه ... تعالى الله أوجده وشاده
وأضمر فيه نفس الكلّ حتّى ... بدت في ذاته إلّا سواده[2]
وجوهره عصيّ الفهم إلّا ... على من صاغه فيه وشاده
وإلّا المصطفى المختار جانت ... بذلك منه للمولى الشهاده
وزيّن عرش رحمٰن بذات ... لجيد العرش قد صارت قلاده
كذلك باسمه يزداد نوراً ... كما بالذكر تزداد العباده
به سرّ الوجود بدىٰ وفيه ... قضى الجبّار من صور مراده
وجوهر حقّ آدم في علاه ... به الرحمن قد أغلا جماده
ملات آثاره دنياً وأُخرىٰ ... وآدم لم تر الدنيا «رماده»[3]
وفطرة آدم حملته سرّاً ... وذلك قبل أن تأتي الولاده
وحمله علوم الناس طرّاً ... إله بالهدى أورىٰ زناده

---

(١) أي بعد الوفادة على الله يوم القيامة.

(٢) يعني الشاعر بسواده هنا شخصه الظاهر أي إنّ نفس الكلّ منطوية في ذاته ولكنّها لا تشبه سواده.

(٣) اضطرّته القافية أن يعبّر عن التراب بالرماد بقرينة الشكل والهيئة.

وبحر الأفق يغدو مثل حوض لهمّته التي ملأت فؤاده
لو أنّ الفكر صار به سفيناً لكان شراعه وغدا عماده
فمن ذا يستطيع له عبوراً بآلاف السنين المستعاده
وما تعني السماء إلى علاه تكون لرأيه شمسُ ثماده[1]
ليفتح عنده الإنسان عيناً لها فكر وإنّ به اجتهاده
ولا نعني بها عيناً تبدّت بقحف الرأس ماز بها مداده[2]
ليبصر في العوالم كي يجلّي حقيقتها إذا ما الوهم آده[3]
يرى الاثنين متّحدين ذاتاً عليّ كالنبيّ بلا زياده
فإنّ المرتضى باللطف أضحىٰ شبيه المصطفى خلقاً وعاده
بأرفع من ذرى الأفلاك قدراً وأسمى من كواكبها رياده
يطيع إشارة رضوان منه وصفو الدرّ قد حلّىٰ فؤاده
ويخدمه الملائك جبرئيل وميكال له أصفى وداده
مدائحه من الباري بوحي على المختار أحمد مستفاده
وكم روح تغذّت منه علماً وكم جسد إذا الشيطان كاده
أحاط الدين والدنيا بجهد وفضل شامل ساوى جهاده
تردّىٰ في رداء «قل تعالوا» لذا لم يبلغ الخلق اجتهاده

---

(١) الثماد: المكان يكون مطمئناً يمسك الماء فإذا مرّ به السيل ملأه وطمّ عليه فيجيء الناس بعد ما يبس ويذهب الماء فيحفرون ويشربون منه فتيك الثماد والمعنى أنّ الشمس على عظمتها في النور والإشعاع تكون قياساً إلى رأيه بمنزلة الثماد، والهاء في ثماده تعود على رأيه.

(٢) العين التي تبدّت بقفح الرأس هي العين الباصرة التي ماز بها مداده ومعنى ماز المداد هنا عزله وفرزه أي قرأه، والهاء في مداده تعود للإنسان.

(٣) آده: أي بلغ منه المشقّة.

وفي قلب السماء لذي فقار بروق بالسنا أخفت عهاده[(١)]

تعالى بحر قدرته إذا ما تماوج فالبحار له مزاده

وكم نادى أبو حفص بجمع وذلك حين لم يبلغ مراده

فلولا المرتضى لغدوت نفياً ألا ثنيت لمولانا الوساده

ولو أنّ ابن تيم راح يعلو منابره بكذب قد أجاده

بأمر الله جلّ وأمر طه رسول الله قد نال القياده

وظلّ المرتضى في قعر دار حبيس البيت واختار ابتعاده

فإنّ الحقّ مبتعد طريد وشرع الله قصّر بالشهاده

فلا هذا ولا ذا بل برأي من الاثنين قد فرضا فساده

تجلّى الحقّ للمولى عليّ و... صار الكفر عاده

عليّ للهدى و... كفر وديـن الله أيّده وشاده

ولن تجدوا كمثل أبي حسين دم الكفّار قد روّى صعاده

قويّ في الخلافة لا يحابي رفيع قدره صلب الإراده

ومن وضع القيادة في سواه فلم يبلغ بذلك ما أراده

فسوف يقودهم زمراً جميعاً إلى سقر إذا وافىٰ معاده

لقد أُعطيت يا كاشي مقالاً يذبّ عن الهداة بلا هواده

قويت بهم فلم تضعف لخصم فأخرسه ولم يوقد زناده

ثلاثون انقضت والشعر همّ وخاطرك الحديد بهم أجاده

وفي أرض العراق وما يليه إلى طوس وما حاذىٰ بلاده

---

(١) العهد من المطر: أن يكون الوسمي قد مضى قبله وهو الولي ويجمع على عهاد والمعنى أنّ بروق الصارم ذي الفقار أخفت بروق العهاد في السماء واضطرّ لتذكير الضمير.

تـراهـم يـحفظون الشـعر حتّى ... تـقول هـنا الإفـادة والإعـاده[١]

ونـلت السبق فـي عـلم بـمدح ... لحـيدرة وحـزت بـه وداده

وكـانت «إنّـما» مـلكاً عـليها ... أبـو حسـن وصـيّرها مـهاده

ودرع «لا فـتى» يـزهو عـليه ... ومغفر «هل أتىٰ» يروي جهاده[٢]

ولمّـا كـانت الدنـيا ديـاراً ... بـها سـلبت عـن المرء السعاده

وفـيه القـلب مـمتلأ وداداً ... وكـان عـليه أن يـرعى وداده

فـما مـقدار تـبر لا يسـاوي ... لمـن يـهواهـم رجـل الجـراده

ودوحـة حـبّهم بسـقت فـنالت ... بـدرب الديـن أسـباب الشـهاده

ولم تـبرح بـدرب الحـقّ تـعطى ... ثـماراً للـمحبّ تكـون زاده

غـنى قـارون يـجمعه ونـاراً ... أبـوذرّ وآلام الزهـاده[٣]

ومـحنته وقـد سـاوت جـناناً ... وقـد أمـضى عـلى الحقّ انعقاده

عـرائس فكـري الأبكـار جـاءت ... لتسـتوحي مـن المـولى سـداده

أقـام قـرانـها البـاري تـعالى ... على اسم المرتضى ترجو الزياده

فـيا ربّـي أدم خـطّاً سـعيداً ... لهـذا الفـحل كـي يـلقىٰ مـراده

---

(١) يحفظون شعر الكاشي في تلك البلاد حتّى يظنّ السامع أنّ الشعر منهم وهم الذين أفادوه أو أعادوه، لاشتهاره بينهم على نطاق واسع، هذا هو معنى البيت وإن لم يحك اللفظ المعنى حكاية جيّدة.

(٢) المعنى: «إنّما وليّكم الله» الآية مملكة خاصّة بأبي الحسن جعلها مهاداً له ودرعه «لا فتى إلّا علي الخ» ومغفره «هل أتى على الإنسان» إلى تمام السورة، والبيتان يتضمّنان إبداع الأصل وإن لم يكونا مثله في الرشاقة والحلاوة.

(٣) العجز هنا مستقلّ عن الصدر ومعناهما أنّ الناصب لهم جمع غنى قارون ومعه النار، والمحبّ كأبي ذر لا يريد إلّا الزهد وإن لم يخل من آلام.

ولا يخفى أنّ الملّا فصيح الدشتبياضي وهو من غلات أهل السنّة والجماعة قد اختار قطعة من هذه القصيدة المشتملة على الترديد وبيان لزوم أحقّيّة الإمام أميرالمؤمنين وبطلان خلافة غيره مع ذكر نقيض ذلك ولم يتصدّ للجواب ولكنّه قال: نختار أوّلاً الشقّ الأوّل ونقول: إنّ جلوس عليّ في بيته لا يعني ذلك خروجه من ربقة الشرع بل نقول بأنّه تابع لهم بحقّ حتّى جاءته النوبة في الخلافة، وثانياً نختار الشقّ الثاني فنقول: لا يلزم في باب خلافة أبي بكر وعمر أن لا يكون قول عن الله وقول عن رسوله ورد فيهما وإنّهما تحكّما في المسلمين بمحض الرأي والهوىٰ؛ لأنّ إجماع أهل الحلّ والعقد واختيارهم وهو من الحجج الشرعيّة قد انعقد على خلافتهم.

قال المؤلّف: إنّ الجواب المذكور ناشئ من سوء فهم لغرض «الكاشي» من تخلّف أميرالمؤمنين عن البيعة كما جاء ذلك في صحيح البخاري وغيره من كتب أهل السنة ومضمون دور الشعر المذكور هو إلزام أهل السنة من أنّ خلافة أبي بكر إن كانت حقّاً فإنّ تخلّف أميرالمؤمنين عن بيعته أمر باطل. وإن كان تخلّف الإمام عن البيعة حقّاً فإنّ بيعة أبي بكر باطلة حتماً، وهذا إشكال وارد وجوابه مردود مارد وهو خطأ بارد[1].

وأمّا ما قاله في اختيار الشقّ الثاني حيث قال: إنّ خلافة أبي بكر كانت بإجماع أهل الحلّ والعقد واختيارهم فذلك مدفوع ومردود بما ذكرناه في المجلس الخامس من بطلان هذا الإجماع بتفصيل مذكور هناك، ومجمل القول هنا أنّ المحقّقين من أهل السنة والجماعة أمثال صاحب المواقف ونظرائه فقد اعترفوا أنّ الإجماع غير حاصل في هذا الباب لأنّ جماعة من أماثل الصحابة كسعد بن

---

(١) السجع من المؤلّف.

عبادة وأولاده طيلة حياة أميرالمؤمنين عليه السلام ومثلهم سائر بني هاشم ومن كان معهم نظير سلمان وأبي ذرّ والمقداد توقّفوا عن بيعة الرجل ستّة أشهر بكاملها.

ثمّ إنّ اختيار جماعة من أهل الحلّ والعقد ليس حجّة في هذا الباب، واعتبار بعضهم بيعة عمر حجّة في هذا الباب كصاحب المواقف مصادرة بل محض مكابرة، وقد أشار الكاشي رحمه الله في بعض قصائده إلى ذلك وقال:

امـامت راكسـى بـايد بـدين در واجب الطـاعه
كـه بـاشد جـنّ و انس او راسليمان‌وار در فـرمان
طـريق اخـتيار از خـلق جـايز نـيست ور بـودى
بـدى از امّت عـيسى و قـوم مـوسى عـمران

تعطى الإمامة للمطاع من الورى — الإنس تـقبل حكـمه والجـان
ليس اختيار الخلق مطلوباً هـنا — أبـداً فـلا عـمر ولا عـمران
لو صـحّ مـا قـالوه لم يسـلم لنـا — ديـن نـدين بـه ولا ايـمان

والآن نذكر فصلاً حول أصل بطلان الاختيار سبق بيانه في ترجمة محمّد الغزالي نذكره بوجه آخر فنقول:

لمّا كانت آراء الناس متباينة فإنّ اختيارهم غالباً ما يكون مورثاً للنزاع والفتنة كما صرّح بذلك الشيخ أبو عليّ في الإلّهيّات من الشفا، فتبيّن من ذلك أنّ اختيار الأنام في تعيين الإمام أمر باطل. ثمّ إنّ أهل الحلّ والعقد لا يصحّ منهم التصرّف فيما يعود أمره إليهم ما لم يقض بذلك القاضي أو المحتسب فكيف يصحّ منهم أن يكون أولياء على أمور المسلمين كلّها.

أضف إلى ذلك أنّ الإمامة ركن عظيم من أركان الدين لا يقلّ رتبة عن الصوم والصلاة فلابدّ من ورود نصّ فيها من صاحب الرسالة، فإهماله لذلك حتّى آخر

لحظة في حياته مع طول مرضه وقد أخبر عنه أنّه المرض الذي يقبض فيه منافٍ لكمال الدين، وطلبه صلى الله عليه وآله وسلم الكتف والدواة في أثناء مرضه من أجل تعيين صاحب الأمر دليل على أنّه لم يرد تفويض الأمر إلى الأُمّة.

ثمّ إنّ تعيين الإمام باختيار الأُمّة يمكن أن لا يكون الإمام الذي يريده الله تعالى وحينئذٍ لا يفيد تعيينه وجوب متابعته، وعلى هذا يكون ذلك موجباً للتساهل في أمره وعدم طاعته والجرأة على مخالفته.

مضافاً إلى ما تقدّم فإنّ الإمامة تعتبر خلافة عن الله وعن رسوله فإذا ثبت كونها باختيار أهل الحلّ والعقد فتكون عندئذٍ خلافة عنهم لا خلافة عن الله ورسوله.

ويكفي في نفي الاختيار ما استدلّ به صاحب الأمر عليه السلام في صغر سنّه بحضرة أبيه المعظّم حيث قال: إنّ موسى بن عمران مع جلالة شأنه لم يقع اختياره لأعيان بني إسرائيل من أجل الميقات إلّا على المنافقين كما أخبر الله عن ذلك في القرآن الكريم، وبناءاً على هذا فكيف يكون اختيار الأُمّة للإمامة حجّة فيها، ويكون ذلك أصلاً من أُصولها يعتمد عليه.

ومن هنا ذكر اليافعي الشافعي في كتاب تاريخه أنّ أبا العيناء شكى إلى الوزير عبيدالله سوء الحال، فقال له: أليس قد كتبت إلى فلان في أمرك؟

قال: نعم، قد كتبت إلى رجل قد قصر من همّته طول الفقر وذلّ الأسر ومعاناة الدهر، فأخفق سعيي وخاب ظنّي.

فقال عبيدالله: أنت اخترته.

فقال: وما عليّ ـ أيّها الوزير ـ في ذلك، وقد اختار موسى من قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشد، واختار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله بن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتدّاً، واختار عليّ بن أبي طالب عليه السلام أبا موسى الأشعري حاكماً

له فحكم عليه وأفتى بعزله عن الإمامة، والله أعلم بالسداد[1].

وله ﷺ:

هـوای مـرتضی دانـی کـرا نـیست | هـرآنکس راکـه مادر پارسا نـیست
اگـر اصـلش درست و راست بـاشد | دلش را مـیل بـا پـاکـان چرا نیست
خـطای مـادر انـدر وی اثـر کـرد | صواب‌است‌اینکه می‌گویم خـطا نـیست
دلی دارم بـحمد الله کـه او را | بـغیر از آل پـیغمبر وفـا نـیست
عـلوم اوّلیـن و آخـرین را | بغیر از مـرتضی مشکـل‌گشا نسیت
بـجنب رفـعت دیـوان قـدرش | مـجال نسخهٔ ارض و سـما نـیست
بـیُمن مـولد او گشـته کـعبه | مـعظّم ورنـه بـیت الله کـجا نیست
حـریم حـرمت شـاه نـجف را | مشـاعر کـمتر از رکـن و مـنا نیست
بـیا تـا از ره انـصاف یک دم | بگـویم گـر تـو را طبع جـفا نیست
مـقام «لوکشـف» از جـمله خـلقان | کسی را هست با من گوی یـا نـیست
«سـلونی» بـا «اقـیلونی» بـرابـر | هـمیدانـی تـرا شـرم از خـدا نـیست
مـحمّد را شـناس و آل او را | که با حق غیر از ایشـان آشـنا نیست
سـرا بسـتان مـدح مـرتضی را | چـو کـاشی بـلبل مـدحت‌سرا نـیست
ولیکـن سـینهٔ اعـدای دیـن را | سـنانی چـون ثـنای اولیـا نـیست
ثـنای مـرتضی گـویم شب و روز | کـزین بـهتر مـرا ورد و دعـا نـیست

تقريب المعنى بالعربيّة:

هـل أنت عـارف عـدوّ الطـهر | مـن ولدتـه أُمّـه فـي العـهر
لو كـان مـن نـطفة شـخص طـيّب | لم يـبغض الأطـهار مـن آل النـبي

---

(١) مرآة الجنان ج ١ ص ٢٩٢ آلي.

قد أثّرت بالحمل فيه الوالده وقولتي قولة حقّ سانده
وليس فيها خطأ أو كذب يشهد لي بما أقول الربّ
ولي فؤاد أحمد الله على ولائه لأهل بيت نبلا
فإنّهم آل النبيّ وكفىٰ آليت لا أُحبّ غير الشرفا
صدر الوصيّ مجمع العلوم قد ضمّ علم الخلق في الحيزوم[١]
قد طال قدره وبالفضل سما لم تتّسع أرض له ولا سما
لو لم يكن مولده في الكعبه لم تحز الكعبة هذي الرتبه
ولم يكن مسجدها حراما لو لم تكن مهداً حوى الإماما
ولم يكن حريمه في النجف أقلّ شأناً من حريم الموقف
فالمشهد الركن وأرضه منى فضّله الله على البيت هنا
هلمّ حاورني مع الإنصاف إن لم تكن تحيا بطبع جاف
من قال في الخلق سواه (لو كشف) هل فيكم امرئ نجيب يعترف
وهل «سلوني» أو «أقيلوني» ترى ترفع قدر المرء ما بين الورىٰ
فاعرف محمّداً وآله ولا تحد فغيرهم من الحقّ خلا
وروض مدح المرتضى بلبله الكاشي وليس غيره يعدله
وما لصدر مبغض الأمجاد إلّا سنان الذابل الميّاد
يصميه في الصميم بالمدايح بكلّ غاد في الثنا ورائح
إنّ ثنائي كلّه للمرتضى فليس لي سواه ورد أو دعا

وله روّح الله روحه:

دلى كز جان محبّ مرتضى نيست يقين مىدان كه در دين خدا نيست

---

(١) الحيزوم: وسط الصدر.

اميرالمؤمنين شاهى كه در دين — نظيرش جز گزين انبيا نسيت
هر آنكو مرتضى را بازپس داشت — بدين جز مرتد و دزد و دغا نيست
كسى كو بغض آن شه داشت در دل — نصيبش غير نفط و بوريا نيست
بترك لعنت ايشان نگويم — كه در دستم از اين بهتر دعا نيست
زآب و خاک پاک آمد وجودم — بناپاكان از آن ميل و هوا نيست
كنارم پر زدُرهاى ثمين است — از آن ميلم بسوى كهربا نيست
خدا بيزار از آن قومى كه او را — على در دين امام و پيشوا نيست
مرا با اين جماعت دوستى دا — خدائى كش خلل او را روا نيست
امام حق كسى داند على را — كش اندر بستر مادر خطا نيست
خط مهر على در جان كاشى — از آ ن يک دم دل از يادش جدا نيست
به مهر آل حيدر منزل من — به محشر غير جنّات العلى نيست
زملک و مال دنيا وى به آمل — كه نامش بر زبان آمد مرا نيست
اميد من به مهر اوست فردا — يقينم هست كامّيدم هبا نيست

تقريب المعنى بالعربيّة:

وإنّ قلباً لا يحبّ المرتضى — فما له في الدين أصل يرتضىٰ
لا يشبه الوصيّ إلّا الأنبيا — أجل فإنّ الله في هذا قضىٰ
من أخّر الوصيّ عن مقامه — معتقداً وحاد عن إمامه
فإنّه الكافر والمرتدّ — عن دينه وابن زناً ووغد
من يبغض الوصيّ سيّد العرب — نصيبه نفط ونار وقصب
ليس له عندي إلّا اللعنه — وما دعاً يفضل هذي السّنّه
إنّي خلقت من تراب طاهر — وليس لي من إرب في العاهر

حولي من اللئالي الثمينه ... لا كانت الكناسة اللعينه
والله يبغض النواصب الأُلىٰ ... ليس إمامهم علياً أوّلا
وليس فيما بيننا من حبّ ... هيهات لا يحبّهم ذو لبّ
وكان من صدّق أنّ المرتضى ... إمام حقّ وبه الله قضى
فذاك شخص طاهر الولاده ... ليس به نقص ولا زياده
حبّ عليّ في ضمير الكاشي ... أثبته الباري بلا نقاش
لذاك ما زال بقلبي أملا ... بحبّه عُرفت ما بين الملا
بحبّ حيدر وحبّ آله ... أسكن في الجنان من نواله
وليس لي من منزل سواه ... يجمعنا أنا ومن يهواه
لم أعتمد على حطام آمل ... لست بواثق بظلّ زائل
وإن جرا ذاك على لساني ... فإنّه من خُلّب الأماني
لكنّني أطمع في حبّ علي ... غداً لكي تغدوا الجنان منزلي

كان قبر مولانا الحسن واقعاً أزاء قبلة مدينة السلطانيّة، وأمر السلطان صاحبقران المغفور له أن تقام عمارة على قبره تحيط بها حديقة غنّاء والآن قبره مزار لأهل تلكم الديار.

أبو العطا محمود بن علي المشتهر بخواجو الكرماني رحمة الله عليه

قرأت كنيته واسمه ونسبه في بعض مؤلّفاته بهذا النظام، ومرّت بنظر المستهام.

وقال دولتشاه السمرقندي في تذكرته: إنّه من أولاد واحد من أعلام كرمان وكان ذا فضل وقول حسن، وتدلّ أقواله على علم ومعرفة بالفصاحة والبلاغة، وإنّه منقطع النظير فيهما، ويعتبر راسم المناظر الطبيعيّة بين طبقة الشعراء، وكان قد واصل السياحة في كرمان ولم يمكث بها، ونظم كتاب «همايون» في مدينة

بغداد وفيه كتب حكاية الفصاحة والبلاغة والأدب والشاعريّة، واتصل في أثناء سياحته بالشيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني ﷺ وأصبح من مريديه، واشتغل بتصفية باطنه سنين عدداً في صوفي آباد، وشغل نفسه بجمع أشعار الشيخ العظيم، وقال هذه الرباعيّة يمدح بها الشيخ:

هر كو بره علىّ عمرانى شد — چون خضر بسرچشمهٔ حيوانى شد

از وسوسهٔ غارت شيطان وارست — مانند علا دولهٔ سمنانى شد

من سار على درب عليّ — سقاه الخضر من ماء حياته

نجى من غارة الشيطان طبعاً — علاء الدين في بعض صفاته

وله هذه القطعة الغزليّة وقد صاغها على نهج «الفقراء»:

پيش صاحب نظران ملك سليمان بادست

بلكه آنست سليمان كه زملك آزاد است

آنكه گويند كه بر آب نهاده است جهان

مشنو اى خواجه كه تا در نگرى بر باد است

خيمهٔ انس مزن بر در اين كهنه رباط

كه اساسش همه بى‌موقع و بى‌بنياد است

دل در اين پيره زن عشوه‌گر دهر مبند

نو عروسى است كه در عقد بسى داماد است

هر زمان مهر فلك بر دگرى مى‌تابد

چه توان كرد كه اين سفله چنين افتاده است

حاصلى نيست جز از غم به جهان خواجو را

خرّم آن كس كه بكلّى زجهان آزاد است

تقريب المعنى بالعربيّة:

إنّ ملكاً أتى سليمان يوماً عند أهل العقول مثل هباء

بل سليمان من تنائى عن الملك بعيداً وعاش في الفقراء

ويقولون إنّ خالق دنيانا أقام الحياة فوق الماء

لا تعرهم سماعاً فذلك وهم بل بناها على مهبّ الهواء

إن تقم خيمة على عرصة الدنيا تقمها على أساس غثاء

ثمّ إيّاك أن تسلّمها قلباً فتلك العجوز في الأحياء

بدلال تأتيك وهي عجوز كدلال الخريدة الحسناء

كلّ عصر يشعّ من فلك الدنيا ضياء أهون بذاك الضياء

ساطعاً لامرئ جهول و ما يدري بأنّ الدواء عين الداء

تعس الدهر حين صافى أُناساً ثمّ أبدى الجفاء بعد الصفاء

ليس عند الأيّام إلّا المآسي وسعيد من كان عنهنّ نائي

ومن قصائده التي مدح بها الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام هذه القصيدة:

تاكى بر آستانهٔ اين دير ديرپا

باشم زآستانهٔ محبوب خود جدا

وقتست كز منازل تقدير بگذرم

آرم بصحن گلشن تقدير متكا

من ناصبى نيَم كه كنم پشت بر رسول

يا خارجى كه روى بتابم زمرتضا

ليكن اگر بكعبه كنم سجده يا بدير

باشد مرا بعترت پيغمبر اقتدا

دانی که چیست رایحهٔ بوستان قدر
یک شمّه از روایح اوصاف مصطفا
اقصی خرام بادیه پیمان «لو دنی»
گیتی فروز مملکت آرای والضحی
مه طلعتی که بر قد قدرش بریده‌اند
دیبای «قم فأنذر» و«استبرق» دنی
هم تشنه را شفاعت او می‌دهد نجات
هم خسته را بکلّی از او می‌رسد شفا
چون هر دو کون روشن از انوار نور اوست
صلّوا علیه ما طلع البدر في الدجا
از لوح خاطرم مگر او شسته بُد غبار
چون گشته‌ام غبار درِ شاه اولیا
فرمان‌روای ملک «سلونی» امیر نحل
دارای دادگستر اقلیم «هل اتی»
گر نام او کنی بمثل نقش بر جبین
بر خاک ره فتد شه سیّاره از هوا
یا رب بحقّ آنکه قمر را دو نیم کرد
تسبیح گفت بر کف معصوم او حصا
یا رب بحقّ آ ن چمن آرای «لو کشف»
کو بود سرو خوش‌نظر باغ «لا فتی»

كـين خسـته را كـه بستهٔ بند طبيعت است

آزاد كـن زمـحنت ايـن چـار اژدهـا

جـرمى كـه كـردهام اگـر آرى بـه روى مـن

مـانند ابـر آب شـوم در دم از هـوا

گـر مـن گـنه كـنم كـرمت بـىنهايت است

شب را امـيد هست كـه روز آيـد از قـفا

آدم زدور بـاش عـصى خسـته شـد وليک

دانـد خـرد كـه مـركب پـيران بـود عـصا

يـا رب چـه بـاشد ار بـرسانى زروى لطـف

مـا را بـصف صـفّه نشـينان كـبريا

فـرخـنده طـالعى كـه ببيند شبى بـه خـواب

ريـحانتين گُـلبُنهٔ بـاغ «إنّـما»

خـواجـو كـه آشـناى مـحبّان ايـن در است

شـد غـرقه در مـحيط تـو چـون بـحر آشـنا

دلهـاى خسـته را بكـرم مـرهمى فـرست

اى اسـم اعـظمت درِ گـنجينهٔ صـفا

تقريب المعنى بالعربيّة:

إلى مـتى عـتبة هـذا المـعبد يـظلّ فـيها مـنزلي ومـقعدي

نـاءٍ عـن الحـبيب فـي مسـكـنه يـا لحـبيب عـن حـبيب مـبعد

آن الأوان أن أرىٰ مـنازلاً قـد قـدّرت للـحبّ والتـودّد

أجـعل مـنها مـنزلي ومألفـي مـتّخذاً بـصحنها مـتّسدي

فما أنا بالناصبيّ كي أرىٰ ... مولّياً ظهري آل أحمد

أو خارجيّ مبغض للمرتضىٰ ... يا لعن الله عدوّ السيّد

إن كنت في الكعبة أو في بيعة ... فإنّ قدوتي بنو محمّد

فهل علمت طيب روض قدرهم ... فهو نسيم المصطفى المؤيّد

أقصىٰ ضيافة البوادي «لو دنى» ... نور الدني بـ«والضحى» والرأد

وصورة لقدّه قد قدّرت ... ديباجها من «قم فانذر» وزد

كذاك استبرق قوله «دنىٰ» ... ألقىٰ عليه من جلال المشهد

لكلّ ظام عنده «شفاعة» ... ينجو بها بشرب عذب المورد

ويستجير العجز في شفائه ... فينجلي صاحبه عن أسد

«العالمان» اتّقدا من نوره ... صلّوا على جماله المحمّدي

صلّوا عليه كلّما البدر بدى ... وسار فيه حائر ومهتدي

وقد أضاء خاطري بنوره ... وشعّ في غباره الملبّد

وانجاب عنه ظلمة خانقة ... داكنة اللون كليل أسود

صرت غباراً عند باب المرتضى ... فليتني عن بابه لم أبعد

إنّ «سلوني قبل أن» مملكة ... وهو أميرها بلا تردّد

«وهل أتى» الإقليم وهو عدله ... قد شاده بصرحه الممرّد

يا ربّ أدعوك بمن شقّ له ... بدر السما ونوره لم يخمد

وسبّح الحصى بكفّه وقد ... كان كعابد بدىٰ في معبد

بحقّ روض كان ظلّه على ... «لو كشف الغطا» له لم يزدد

من سروه يزين روض «لا فتى» ... قد ملأ الآفاق لم يحدّد

أدعوك يا ربّي تريح مجهداً ... تنجيه من أفعىٰ فلم يزدرد

وليتها واحدة بل أربع تطمع من أمثالها بالمدد

لو أذكر الذنب الذي أتيته أجرى كماء السحب المبدّد

إن كنت أذنبت فأنت سيّدي أكرم من كلّ كريم مسعد

إن يكن الليل أتىٰ بظلمة فإنّما الصباح يأتي في غد

إن كلّ آدم عن العصى فذي قد أثرت لعاجز وقعدد[1]

يا ربّ ما يضير لو أوصلتني لأهل صفّة بكبت حسّدي

أسعد بخطم نائم وقد رأى ريحانتين طهّرا بالمولد

يا أيّها «الخواجو» كذا أهل الهوى تغرق في البحر ولمّا ترد

يا ربّ تدعوك جراحي كي أرىٰ بلسمك الشافي على جرحي الندي

واسمك الأعظم مولاي به يشفى من الآلام كلّ مجهد

ومن قصائده في المنقبة:

مرحبا اى نكهت عنبر نسيم نوبهار

جان فداى نفخهات باد اى شميم مشكبار

سنبل اندر جيب دارى ياسمن در آستين

عود و صند بر ميان يا مشک و عنبر در كنار

دوش هنگام سحر بر كوفه افكندى گذر

يا زراه شامت افتاده است بر يثرب گذار

يا نسيم روضة دار القرار آوردهاى

كز تو مىيابد روانِ بىقرار ما قرار

---

(١) القعدد: الجبان والدنيء من القوم.

يا مگر بر مرقد شاه نجف بگذشته‌ای

كز تو مى‌آيد نسيم نافهٔ مشک تتار

شاه مردان چون خليل الله بصورت بت‌شكن

شير يزدان از رسول الله بمعنى يادگار

مهر او از آسمان «لا فتى إلّا علي»

تيغ او از گوهر «لا سيف إلّاذوالفقار»

عالم او را گر اميرالمؤمنين خواند رواست

آدم او را گر امام المتقّين گويد سزاست

تقريب المعنى بالعربيّة:

أهلاً بعنبرك الزكيّ النافح	أفديه من غاد علَيّ ورائح
قد فاح طيب المسك من أردانه	ماذا وضعت بجيبك المتفاوح
أوَ ياسمين بجيبه أم صندل	أم عنبر نشطت عليه جوارحي
أمررت في كوفان تبغي حاجة	أم زرت طيبة بالغمام السابح
أم زرت رضواناً وزرت جنانه	لو زرته ماكنت عنه ببارح
أم رحت للنجف المشرّف طائفاً	متطيّباً بضريح أبلج واضح
أسد الإله هو الخليل بعينه	قد كسّر الأصنام ليس بصافح
أسد الإله مذكّر بالمصطفى	خير الورى غيض العدوّ الكاشح
من حبّه يعطيك معنى «لا فتى»	وحسامه من ذي الفقار الذابح
ولئن دعاه المؤمنون أميرهم	فهو الأمير لكلّ عبد صالح
أو قال عنه أبو البريّة أنّه	مولى الورى لم يعد قول المادح
وإمام كلّ منزّه أو متّق	من حبّه قد كان صفقة رابح

وله أيضاً في المنقبة:

غـرّهٔ مـاه مـنوّر بـين كـه غـرّا كـرده‌انـد
شـاميان را طـرّهٔ پـرچـين مـطرّا كـرده‌انـد

بـر امـيد آنكـه سـازندش قـبا آل عـبا
اطـلس زربـفت را پـيروزه سـيما كـرده‌انـد

بـا وجـود شـمسهٔ گـردون عـصمت فـاطمه
زهـره را ايـن تـيره روزان نـام زهـرا كـرده‌انـد

چون برآيـد جوش جيش شاه مـردان در مـصاف
از غـبار تـازيان چـرخ مـعلّا كـرده‌انـد

نـعل دلدل را كُـله داران چـرخ چـنبرى
تـاج فـرقِ فـرقدش بـر طـور جوزا كـرده‌انـد

روشـنىّ قـصر كـحلى كـرد خـاك پـاى او
سـرمهٔ چشـم جـهان‌بينِ ثـريّا كـرده‌انـد

خـون او را تـحفه سـوى بـاغ رضـوان بـرده‌انـد
تـا از او گـلگونهٔ رخسـار حـوران كـرده‌انـد

آنكـه طـاوس مـلايک پـاى بـند دام اوست
حرز هفت اندامِ نُه گردون سه حرف نام اوست

بـار ديگـر بـر عـروس چـرخ زيـور بسته‌انـد
پـردهٔ زربـفت بـر ايـوان اخـضر بسـته‌انـد

چـرخ كـحلى‌پوش را بـند قـبا بگشـوده‌انـد
كـوه آهـن چـنگ را زرّيـن كـمر بـر بسته‌انـد

اطـــلس گـــليز ايـــن سـيمابگون خـرگاه را

پـرده پـردازانِ چـينى نـقش ديگـر بسـته‌انـد

يـا زبـهر حـجّت الحـق مـهدى آخـر زمـان

نـقرهٔ خـنک آسـمان را زيـن زر بـربسته‌انـد

مـهد خـاتون قـيامت مـى‌برند از بـهر آن

ديـده‌بانان فـلک را ديـده‌ها بـر بسـته‌انـد

دانـه‌ريزان كـبوترخـانهٔ روحـانيان

نـام اهـل البـيت بـر بـال كـبوتر بسـته‌انـد

دل در آن غـازى تـازى بـندگان در روز رزم

تـازيانش شـبهه انـدر قـصر قيصر بسـته‌انـد

عـصمت احـمد زمـطرودان بـوجهلى مـدان

قـصّهٔ حـيدر بـه مـردودان مـروانـى مگـوى

زمـرة المسـترحـمين زيـدوا وفـاء المرسلين

مـعشرالمسـتغفرين صـلّوا عـلى خـير الورى

قـلعه‌گـير كشـور ديـن حـيدر درنـده حـى

دسـته بـند لالهٔ عـصمت وصـىّ مـصطفى

كـاشف سـرّ خـلافت راز دار «لوكشـف»

قـاضى ديـن نـبى مسـند نشـينِ «هـل أتـى»

مـالک مـلک «سلونى» بـاب شـهرستان عـلم

مـالک اطـوار «لم أعـبد» شـهِ تـختِ رضـا

مــــفتی عـــلم الهـــی خـــاتم دستِ کـــرم
گـــوهر جـــان فـــتوّت روح شـــخص «لا فـــتی»
ســـــرو بســـــتان امـــــامت دُرّ دریـــــای هُـــدی
شـــمع ایـــوان ولایت نـــور چشـــم اولیـــا
مـــقتدای ســـروران ملک دیـن زوج بـتول
پـــیشوای رهـــروان راه حـــق شـــیر خـــدا
دیگـــر از بـــرج امامت مثل او اخـتر نتافت
بـــحر در درج کرامت همچو او گوهر نیافت
دیشب از آهـم حمایل در برِ جوزا بسوخت
وز نـفیر سـوزناکـم کـلبهٔ خـضرا بسـوخت
چـون نسـوزم کـز غـم سبطین سلطان رسـل
جـان مـنظوران این نُه منظر مینا بسوخت
آتش بـیداد آن سـنگین دلان چـون شعله زد
ماهی اندر بـحر و مـه در غـرفهٔ بـالا بسـوخت
چـون چـراغ دیدهٔ زهـرا کـه کشتندش بـزهر
زهـره را در دل چـراغ دیـدهٔ زهـرا بسـوخت
دجـلهٔ تـر دامـن آنـروزش بـیفکندم زچشم
کـان نـهال بـاغ پـیغمبر زاستسقا بسوخت
چـون روان کـردند از خـون قـرّة العین علی
چشم عیسی خون بباريد و دل ترسا بسوخت

بس كه دريا ناله كرد از حسرت آن تشنگان

گوهر سيراب را جان در دل دريا بسوخت

ديو طبعان بين كه قصد خاتم جم كرده‌اند

بغض اولاد نبى را نقش خاتم كرده‌اند

در قيامت كافرينش خيمه بر محشر زنند

سكّهٔ دولت بنام آل پيغمبر زنند

شهسواران در ركاب راكب دولت زدند

خاكيان لاف از هواى خواجهٔ قنبر زنند

تشنگان وادى ايمن چو در كوثر رسند

از شعب دست شعب در دامن حيدر زنند

هركه او چون حلقه نبود بر در حيدر مقيم

رهروان راه حق چون حلقه‌اش بر در زنند

قدسيان خرگاهيان عشق اهل البيت را

خيمه بر بالاى هفتم طارم اخضر زنند

مؤمنان حيدرى را مى‌رسد كز بهر دين

حلقهٔ ناموس احمد بر در خيبر زنند

گر چو خواجو در محبّت خالصى در نه قدم

تا بدار الملك معنى سكّه‌ات بر زر زنند

ره بمنزل برد هر كو مذهب حيدر گرفت

آب حيوان يافت آن كو خضر را رهبر گرفت

تقريب المعنى بالعربيّة:

انـــظر إلى البـــدر المـــنوّر كـيف أشـرف فـي السـماء
بـــالساهرين تـــزيد غـرّته البـــهاء عـــلى البـــهاء
والقـــبّة الزرقـــاء تـــبدو أطـــلساً[١] حســـن الرواء
أمـــلاً بأن تـغدو القـــباء مـــلفعاً آل العــــباء
ووجـــود ســـيّدة النســـاء ومـــا تـــفيض مـن الضـياء
خـــفي الكـواكب والنـجوم بـــنور ســيّدة النســـاء
والزهـــــرة الحـــمراء ليس لهـــا نـــصيب فـــي البـقاء
من بـعد مـظهر عـصمة الزهـ ـــراء فـــي ألق الســـناء
إن لاح صـــــدر الجـــيش يـــقدمه عـــليّ بـــاللواء
فغبار خيل العرب يـرفع فـو قـــهم فـــلك الهــواء
تـــاج المـــتوّج نـــعل دلدل حـــين يـــرفع فـي العـلاء
إذ يســـــتقلّ لرأســـــه فــلكاً مــحيطاً بــالفضاء
بـــل لا يـــرى الجـــوزاء لائـــقة لمـــفرقه المـــضاء
وتـــــراب نـــعليه غــــدا كـــحلاً لبـــاصرة البــهاء
وكـــــذا لبـــاصرة العـــوالم صـــار أثـــمد للـــجلاء
وهـــفى إلى رضـوان يـنطف مـــنه هـــاطلة الدمـــاء
حـــــتّى يـــصوغ لعـــينه الوجـــنات تـــزهو بـالرواء
ذاك الذي قـــــد قـــــيّد الشـــيطان يـرسف بـالعماء
حـــــرز العـــوالم كـــلّها بـــاسم يـــردّد للـــنجاء[٢]

---

(١) الأطلس: صفة الفلك واستغنى بها عن الموصوف لوجود قرينة القبّة الزرقاء.

(٢) النجاء السرعة، والنجاء الخلاص من الهلاك. قال في المصباح المنير: نجا من الهلاك ينجو نجاة خلص والاسم النجاء بالمدّ.

وله ثـــلاثة أحــــرف ... كـالشهد في مـاء السماء
عـادوا فـزانـوا بـالحلى ... عـروس وجـنـات وضـاء
وبـدت عـلى الخضراء أ ... قـبية كـحالية الكسـاء
وأمـاط عـنه ردائـه الـ ... كـحلي مـن بـعد ارتـداء
فـلك تـمنطق بـالنضار ... سـرى بأجـنحة بـطاء
والأطـلس المـفتوح يـنثر ... زهـرة مـلأ الفـضاء
تـدعوك زرقـة لونـه ... حسـبان ذاك خـيام مـاء
خـاطوا سـتائرها وقـد ... رفـعت عـلى هـام العـلاء
حـيكت لمـهديّ الزمـان ... عـليه آلاف الثـناء
قـد أسـرجـوا بـدر السماء ... له بـعقيان الصـفاء
مـهر لسـيّدة القـيامة ... قـد تـجلبب بـالحياء
غـضّت له أبـصارها[1] ... فـي الحشـر أمـلاك السماء
والنـاثرون الحبّ يـغرى ... الطـير فـي بـيت الرجـاء
كـتبوا عـلى جـنح الطـيور ... اسـم الهـداة بـلا مـراء[2]
عـقدوا عـلى الغـازي القلوب ... لتسـتحيل إلى وفـاء
لا تسألوا عـن عـصمة ... الهـادي المـقيمَ عـلى العداء
كـلّا ولا آيـات حـيدر ... عـند مـحمرّ اللـقاء

يـا زمـرة المسـترحـمين زيـدوا وفـاء المـرسلين
يا معشر المستغفرين صلّوا عـلى خـير الورى[3]

---

(١) غضّ طرفه: خفضه ودانى بين جفنيه ولم يلاق: مختار الصحاح وكتاب العين.

(٢) طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه للتحقير.

(٣) هذا البيت من الشاعر.

ذاك الذي فـتح القـلاع مشـيّداً ديـن الإخـلاء

زانـته عـصمته وصـيّ المـصطفى فـي الأنـبياء

مـن كشـف أسـرار الخلافة حـين ظـلّت فـي خـفاء

حـتّى قـضى ديـن النبي ولم يـضايق بـالقضاء

حـتّى أقـام بـ«هـل أتـى» عـرشاً يـقوّم بـالإباء

وغـدت «سـلوني» مـلكه يـجري بـها حكـم القـضاء

روح الفـتوّة لا فـتى إلّاه فـي دنـيا الوفـاء

يـرمي رؤوس الشـوس بـالهندي والأسـل الظـماء[1]

بـاب لعـلم المصطفى الـ هـادي إمـام الأتـقياء

مـفتي عـلوم الله ليس له نـظير فـي القـضاء

سـرو بـروض إمـامة شـمع بأيـوان الولاء

هـو قـدوة لسـراة مـلك زوج سـيّدة النسـاء

وإمـام أهـل الحـقّ قسـورة لجـبّار السـماء

مـا لاح فـي بـرج الإمـامة مـثل أنـجمه الوضـاء

كـلّا ولا فـي جـوهر كـنظيره بـادٍ لرائـي

قـد أحـرقت آهـات قـلبي ثـوب جـوزاء الفـضاء

وكـذاك مـن نـفثات قـلبي أحـرق الزرقـا بكـائي

إن كـنت لم أحـرق بـنار الهـم او نـار الفـناء

حزناً على السبطين موصولاً بـدمع مـن دمـاء

---

(١) الأسل: نبات دقيق الأغصان تتّخذ منه الغرابيل بالعراق، الواحدة أسلة، وقيل للرماح الأسل على التشبيه. «أساس البلاغة»

فلقد أحال الحزن جمراً ... كلّما تحت السماء
ومذ استطالت نار أعـ ... ـداء بسابقة العداء
قد أحرقت حتّى النجاء ... كحرق آنيةٍ ملاء
وكذاك أحرقت السحا ... ب وكان محبوك الرداء
لمّا سقى «عين البتول» الـ ... ـسمّ جمع الأشقياء
ذبلت بقلب الطهر زهرته ... كنفس في الذماء
من مقلتي أذريت دجلة ... بالدموع وبالبكاء
كي يرتوي غرس النبوّة ... حين ينعم بالرواء
لمّا جرى دم حيدر ... والنور آذن بانطفاء
سالت لروح الله عين ... من بعيد الدار نائي
كم أرسل الآهات بحر ... صنو آهات الظماء
وتقحّمت منه اللئالي ... المفعمات من البهاء
فانظر إلى نطف الأبالس ... كيف تمشي في ضراء
طبعوا ببغض المصطفين ... خواتماً للأدعياء
في الحشر تنصب خيمة ... للكائنات بلا حياء
وتقوم دولة آل طه ... ليس تأذن بانقضاء
وتجيء قادة عسكر الكرّار ... تزحف للقاء
يتعلّقون بقنبر ... مولاه موفور الحباء
والكوثر الطامي يخاطبهم ... بالسنة الولاء
ويد الإمام بكاسها ... تسقي الضمايا في هناء
يتحلّقون ببابه ... كالشرب دار على سقاء

وأقام أهل القدس خيمتهم بأطناب الرجاء
وسمت على السبع الشداد سموّ شاهقة البناء
والمؤمنون بحيدر داروا بخيبر في العراء
شادوا على أبوابه ناموس أحمد في مضاء
يا أيّها الخواجو تعلّق في عرى أهل العلاء
حتّى ترى في الحشر بين الخلق من أهل الثراء
من كان يقفو حيدراً بلغ الحياة بلا عناء
والخضر من يقفوه متّبعاً له طول البقاء

وله أيضاً:

وجه برات شام بر اختر نوشته‌اند
اموال شاه شام به خاور نوشته‌اند
مستوفيان خسرو كشور گشاى هند
بر باختر مواجب لشكر نوشته‌اند
در باب ظلمت آنچه خضر نقل كرده است
در گرد بارگاه سكندر نوشته‌اند
مضمون روزنامهٔ خورشيد خاورى
بر كارنامهٔ مه انور نوشته‌اند
بر گرد روى شاهد مشكين عذار چرخ
از شب خط سياه معنبر نوشته‌اند
دانى كه چيست آنكه خطيبان آسمان
بر هفت و چارپايهٔ منبر نوشته‌اند

یک شمّه از مکارم اخلاق مرتضی است
کان را در این کتابه به عنبر نوشته‌اند
منظومهٔ محبّت زهرا و آل او
بر خاطر کواکب ازهر نوشته‌اند
دوشیزگان پرده‌نشینِ حریم قدس
نام بتول بر سر معجر نوشته‌اند
رمزی که بر مطاوی طومار کبریاست
بر نام اهل بیت پیمبر نوشته‌اند
آن آیتی که نقش طوامیر نصرتست
بر رایت کشندهٔ عنتر نوشته‌اند
وصف خدنگ چار پر جان شکاف او
مرغان معنوی همه بر پر نوشته‌اند
از دست و پنجهٔ اسد الله کتابتی است
حرفی که بر جبین غضنفر نوشته‌اند
ابیات شوق آنکه نبی را برادر است
اجرام بر روان برادر نوشته‌اند
بابی است از فضایل او هر چهار فصل
کین هفت پیر کهنه معمّر نوشته‌اند
نقشش بکارگاه ملک برکشیده‌اند
مدحش ببارگاه فلک بر نوشته‌اند

مه پيكران طاق زبرجد محامدش
بر بازوى نطاق دو پيكر نوشته‌اند
لشكركشان عالم جان نام دلدلش
بر كوه‌هاى زينِ تكاور نوشته‌اند
صنعت‌گرانِ چرخ به زر نام ذوالفقار
بر تيغ زر نوشته و در خور نوشته‌اند
خنجركشان صف‌شكن خيل مهر او
بر آفتاب نعل به آزر نوشته‌اند
ذكر غبار درگه آن مير هاشمى
شاهانِ سرفراز بر افسر نوشته‌اند
در گوش ما مدايح شبير خوانده‌اند
بر جان ما مناقب شبّر نوشته‌اند
او را زما كه ديده رساند بخون دل
اى سال بر ولايت حيدر نوشته‌اند
آن را كه سر فداى هواى على نكرد
يا رب زحادثات چه بر سر نوشته‌اند
اشعار من كه مادح اولاد حيدرم
هم بحر مشق كرده و هم بر نوشته‌اند
اين بس كه هفت كشور گردون به يک نفس
مردان راه او بقدم در نوشته‌اند

فردوسیان حدیث روان‌بخش جذب من
در روضه بر حوالی کوثر نوشته‌اند
وز شوق مدحتش سخنم ساکنان مصر
بر کوزهٔ نبات بشکّر نوشته‌اند
چون است کز حوادث دوران روزگار
هر دم بنام من غم دیگر نوشته‌اند
دردی که در دفاتر تقدیر ثابتست
گوئی که بهر این دل غمخور نوشته‌اند
شادم بدین که بر صفحات عقیدتم
شرح خلوص آن شه صفدر نوشته‌اند
خواجو کمال نامهٔ مستان حیدری
بر جان عارفان قلندر نوشته‌اند
کرّوبیان ستایش ابکار خاطرم
بر چشمهای روشن اختر نوشته‌اند

تقريب المعنى بالعربيّة :

كتبوا حوالات الشئام ... على الأهلّة والكواكب
أموال ملك الشام قد ... كتبت على خدّ المغارب
وحياة خسرو فاتح ... الملك الذي لم يُلف طالب
كتبوا رغائب كيسهم ... للغرب ما أقسى الرغائب
ما قاله الخضر المقيم ... عن الظلام من العجائب

كتبوه في مثوى «سكندر»[١] إذ غدت مثوى الغرائب

وصحيفة الشمس انطوىٰ مضمونها يصف المطالب

خطبت على البدر المنير كأنّها جملات كاتب

في وجه مسكيّ العذار علىٰ ظلام الليل غالب

يبدو بليل شاهداً بين الكوائب غير غائب

كتبوا بخطّ عنبر الأُفق المطرّز بالثواقب

أعلمت ما كتب السماويّون من لطف المثارب

بقوائم في منبر ولمن يقوم عليه خاطب

ذكروا فصولاً من مناقب حيدر نعم المناقب

ومحبّة الزهراء والآل الأكارم والأطايب

بحروف نور لامست بجمالها زهر الكواكب

والحور في غرف الجنان جمعن قصراً في المضارب[٢]

اسم البتولة في المعاجر[٣] حيث تنسدل الذوائب

هو آية كتبت على الرايات تنجد كلّ غالب

ما ذلك الرمز الذي كتبوه في سيف المحارب

إلّا صدى الآل الكرام لكلّ مطلوب وطالب

وعلى جناح الطير مكتوب تجوب به السباسب

اسم الهداة لكلّ محروب تنال به المطالب

---

(١) قال الزبيدي: الاسكندر بالألف واللّام فحذفها يشير إلى صاحب القاموس حيث عنوان الباب بقوله «سكندر» / تاج العروس.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ـ الرحمن/٧٢.

(٣) المعجر: بالكسر ما تشدّه المرأة على رأسها (جمعه معاجر) / مختار الصحاح.

وبكــف أســد الله مكــتو	ب حــروفاً كــالقواضب[١]
وعــلى جــبين غــضنفر	ثـبتت كـما ثـبت الرواجب[٢]
أبــيات شــوق أفــصحت	عــن سـيّد للشوس غـالب[٣]
عــضد النــبيّ أخــوه نــا	صـره عـلى الخصم المحارب
لبست بــــه روح الهــدىٰ	شكــلاً كـما لبس الجـلابب
إنّ الكـــواكب ســبعة	شـابت قـواهـا فـي الغياهب
مــن كـلّ نــجم شــارق	يــتلوه آخــر مــنه غـارب
كـــتبت مــناقبه عــلى	رغـم مـن الخـصم الموارب
فــي كـلّ فـصل مـن فـصول	العــام زاهــية جــواذب
قــد مـثّلوا بـالملك صـورته	عــلى كــلّ الجــوانب
ومــديحه الأفــلاك تــحمـ	ـل ذاتــه فـوق المـناكب
كتبت على الجوزاء أقمار الســ	ــماء له المـــناقب
وعــوالم الجـنّ التـي خـفيت	عــلى عــين المــراقب
كـتبوا اسـم أحـياء بـدت	مـن فـوق هـامات الكواكب
صــنعت يــد الصـنّاع فـي	صــفحات أفــلاك لواعب
مــن جـوهر المسك المـذاب	عــلى الســوالف والتـرائب
مــن ذي الفــقار مــصمّماً	ويــحزّ أعــناق النــواصب
والحــاملون خــناجراً	تــزري بأشــفار القـواضب

---

(١) سيف قاضب وقضيب أي قطّاع والجمع قواضب وقضب / الصحاح للجوهري.

(٢) الغضنفر: الأسد.. العين، والراجب: مفاصل الأصابع / الصحاح في اللغة.

(٣) جمع أشوس وهو الجريء على القتال.

نصبوا لمهر الشمس نعلاً ... من زكيّ التبر ذائب
وغبار مشهده غدئ ... لرؤوس أملاك عصائب
خلصت حقيقته فلم ... تعلق بهيكله الشوائب
ملأوا بمدح شبير أسما ... عاً لنا طهرت جواذب
ومناقب من شبّر ... صيغت لأرواح نجائب
حركاتنا أدنت إلى الأبصار ... أفئدة سواغب
كتبت ولاية حيدر ... لشغافها من دون حاجب
من لم يفدّ حيدراً ... ما زال ورداً للمصائب
شعري بمدح بني عليّ ... مالأ كلّ الجوانب
في البحر والبرّ العريض ... لأهله يروى العجائب
يكفي أقاليم الوجود السبع ... من هاوٍ وواثب
كتبت بنور قد جرى ... من أعين النجم السواكب
مدح الوصيّ أخا رسول الله ... غالب كلّ غالب
قد خطّ سكّان الجنان ... حديث أرواح الحبائب
بضعاف كوثره الذي ... بالعذب يجري غير ناضب
كي يسعد الظامي ويطفى ... غلّة من كلّ شارب
واشتاق من أرض الكنانة ... حاضر منهم وغائب
فلذاك قد كتبوا على ... قدح البنات لكلّ راغب
مدحي لصهر المصطفى ... ليث المشارق والمغارب
من بعد ما سئموا الكتابة ... ما أصاب من النوائب
وكأنّ ما قد قدّروه ... من المصائب والغرائب

وضـــــعت لقـــلبي كـــلّها　　مكـــتوبة وضــع المــذانب
فـــــرحـــي بـــهذا أنّـــني　　أخــلصت فــي حبّ الأطـائب
لم يـــبصروا فـــي صـفحتي　　شــــيئاً لهــذا الحبّ شـائب
وعـــقيدة خـــلصت خـــلو　　ص البـدر مــن بـين الغـياهب
وإليك يـا خـواجـو اسـتمع　　مـا نـلت من خـير المـذاهب
المســــتهام بـــحيدر　　بـالصدق يـنبئ غـير كـاذب
كـــتب الوداد عـــلى قـــلو　　ب العــارفين ذوي المــذاهب
أبكـــار خـــاطرك التـــي　　كـتبت على زهـر الكـواكب
درّاً يـــتيماً قـــد وهـــبت　　ولا يـــعيب الدرّ عـــائب

وله أيضاً:

قـرطهٔ زر چـاک زد، لعبت سيمين بـدن
اشک مـلمّع فشـاند، شـمع مـرصّع لگـن
خـيز كـه گـل بـر دمـيد از دل خـاراى كـوه
مـــرغ چــمن بـركشيد زمـزمهٔ خـاركن
دانـــهٔ كـاورس چـيد بـاز سـپيد سـحر
داغ گـــلستان نـــماند بـر دل زاغ و زغـن
طـــاير طـاوس راغ، كـرد نشـيمن بـباغ
گلرخ بستان فـروز گشـته چـمان در چـمن
يـوسف‌گلروى‌شرق جسـته زچـنگال گـرگ
ليک بخون كـرده رنگ لاله صـفت پـيرهن

صبح مسيحا نفس از ره بام آمده
ساغر زرّين بچنگ چون صنم سيمتن
سالک دل يافته نكهت روح القدس
چون نبى يثربى بوى اويس قرن
انورى خاورى از سر صدق و صفا
ورد زبان ساخته محمدت بوالحسن
قاضى دين رسول خازن گنج بتول
قامع كيش هُبَل، ماحى نقش وثن
شاهد شامى كشيد شعر سيه بر بدن
افعى سيمين كشيد مهرهٔ زر از دهن
چرخ سراسيمه داد مهر سليمان بباد
صرح ممرّد فتاد بر گذر اهرمن
زد شب زنگى نژاد از پى تسخير ملک
خيمهٔ مهراج زنگ بر در شاه ختن
مادر پير جهان سينه سيه كرده است
تا دل شمس رضيع سرد شود از لبن
چرخ جواهر فروش بر سر بازار صنع
بر طبق لاجورد ريخته دُرّ عدن
خيل شه نيم روز رانده جنيبت بشام
خسرو هندوستان برده به چين تاختن

مهر چو مه روی مصر گشته بزندان اسیر
قطب چو یعقوب پیر ساکن بیت الحزن

ساقی زرّین قدح از پی بزم طرب
در بُن طاق افق ریخته دردی دن

خون شفق در کنار چرخ بسوگ حسین
درد غسق در جگر دهر بداغ حسن

آنکه بود رعد را در غم او ناله کار
وینکه بود ابر را بی رخ او گریه فن

روضهٔ تحقیق را گیسو او ضیمران
گلشن توحید را عارض او نسترن

یافته خلد برین از لب این ناروان
وآمده در باغ حسن قامت آن نارون

نیست بجز ذکر آن معنی جان را فنون
نیست بجز فکر این روضهٔ دل را فتن

دوش که بود از حزن شمع دلم شعله زن
سینهٔ انجم فروز مشعلهٔ انجمن

نار توان ناتوان سوخته از تاب دل
مرغ دل خون چکان دوخته بر باب زن

زمزمهٔ ریزم از نالهٔ شبگیر خویش
پارهٔ گلگونم از خون دلِ خویشتن

آتش مى‌ريخته آب من خاكسار

نغمهٔ بربط زده راه من ممتحن

مهدى مهد دماغ آنكه خرد نام اوست

از غرف كبريا كرده نظر سوى من

گفته كه تا كى بود در شب حيرت تو را

شمع دل تابناک دود زنان بى مسن

چند در اين تنگنا دل ببلا مبتلا

چند در اين تيره جا دل به عنا مرتهن

خيز چو عيسى بر اين طارم خضرا خرام

گوش ثوابت بمال چشم ثواقب بكن

دلو زحل بازگير از كف گردون پير

وز سر سلطان شرق افسر زر برفكن

ور كندت آرزو پايهٔ قطب فلک

باز ستان مردوار پايهٔ نعش سه زن

آتش خور بر فروز كلک عطارد بسوز

خنجر بهرام گير گردنِ گردون بزن

راه ملاهى مپوى راه الهى بجوى

وز پى سبزى مشوى دست زسلوىٰ و مَن

گرچه نه‌اى يار غار از در دار هدى

بگذر و چون عنكبوت پردهٔ غفلت مَتَن

چون زده‌ای کوس دین بر سر کوی یقین
تخت اقامت چنین بر در درگاه زن
درگذر از چند و چون تا بکی از کیف و کم
برگذر از نفی و نهی تا بکی از لا و لن
چون برسیدی بحال دم مزن از قیل و قال
چون بگذشتی بحال هیچ مگو ما و من
تا نکن ورد خویش مدح شه اولیا
از ورق خاطرات محو نگردد محن
شیر دل «لا فتی» شیر خدا مرتضی
حیدر خیبر شکن، صفدر عنتر فکن
شاه ولایت پناه، میر ملایک سپاه
کهف مکین و مکان، زین زمین و زمن
ناصب رایات علم، شارح آیات حق
واسطهٔ کاف و نون، کاشف سرّ و علن
مرغ «سلونی» صفیر، بحر خلیلی گهر
تازی دلدل سوار، مکّی قدسی سنن
ازهر زهرا حرم، گوهر دریا کردم
روح مسیحا شیم، خضر سکندر فطن
مکتب دین را ادیب، راه خدا را دلیل
ملک ملک را خطیب، شاه رسل را ختن

گفت زتعظيم‌شان محمدتش مصطفى
خواند زفرط جلال منقبتش ذوالمنن
نعل سم دلدلش تاجِ سرِ فرقدين
خاک ره قنبرش سرمهٔ چشم پرن
سبحه طرازان قدس در حرمش معتكف
قلعه‌گشايان چرخ بر علمش مفتتن
دست منه جز به او تا نشوى پايمال
فتنه مشو جز بر او تا برهى از فتن
جان ثنا خوان من تا ابد از محنتش
باز نيايد چو مرغ از گل و برگ و سمن
در ره مهرش فلک مشوره با من كنند
زانكه بود مستشار نزد خرد مؤتمن
چون نبرم از جهان حسرت آل رسول
روز جزا در برم سوخته بينى كفن
گفتهٔ خواجو گليست رسته زگلزار حال
كايد از انفاس او بوى خرد بى‌سخن
سرو قدكلک من چون متمايل شود
ريزدش از چيف زلف نافهٔ چين و ختن

تقريب المعنى بالعربيّة:

لقد خفّ بالسير قرط الذهب   وبدر اللجين هوىٰ فانقلب
وأسقطت الطلّ عين السماء   كدمع بعين الشموع انسكب

هلمّ فقد شقّ ورد الرياض ... ثياباً من الترب لا من قصب
وغنّى الهزار على دوحه ... عنادل تزري بلحن القصب
وقد جمع الصبح حبّ الحصيد ... وقلب الطيور عليه التهب
وغرّد جذلان من جمعها ... وهزّ غصون الرياض الطرب
وطاووسها في جمال العروس ... تبختر دلاًّ بحضن الهضب
ومن وجه يوسف عند الشرو ... ق تضرّج بالورد وجه الشهب
ترى الشرق تحسبه يوسفاً ... يمزّقه الذئب جوعاً إرَب
كأنّ الشقائق مصبوغة ... بلون الدماء عليها انكتب
وصبح تنفّس طيب المسيح ... وقد صنع الكأس فيه العجب
تنفّس سالك درب الوصال ... بريح من القدس في الحيّ هب
كما علم اليثربيّ النبي ... روح أويس غداة اقترب
لهجت بذكر إمام الهدى ... أبي القاسم القائم المرتقب
وورد لساني غدا باسمه ... وقلبي إليه اعتزى وانتسب
وقاضي ديون النبيّ الكريم ... وأثرى البتول هدىً لا ذهب
وقامع أصنامهم عنوة ... وماح لأوثانهم والنصب
لقد مدّ ليلى أطنابه ... وافعاه أبدت لسان العطب
وأسرع دهر لمهر النبي ... سليمان ذرّاه عند المهب
ودرب لإبليس صرح ... غدا ممرّدهُ كبريق الشهب
بنى الليل خيمة ربّ الزنوج ... لكي يملك الصين من عن كثب
وأُمّ الدنى أبرزت صدرها ... لترضع شمساً لباناً عذب
ليبرد حرّاً كوقد الضرام ... ترائت له ألسن من لهب

وأبـــــرز جـــــوهره بـــائع　　　عــلى طـبق مـن جـمال عـجب
هـــو اللاّزورديّ مـــن حســـنه　　　كـحسناء قـد بـان منها القـلب[١]
وخـــيل لعـــاهل نـصف النـهار　　　إلى الشـــام حـثّوا عــليه الطـلب
وخسـرو «هـند» لبـاب الخـطا　　　مـن الصـين جـهراً عـليها وثب[٢]
كـــيوسف مــصر غـدا بـدرنا　　　أســـيراً فـغاب وعـنّا احـتجب
وقـــطب الوجـــود كـــيعقوبه　　　تـــخفّى ليسكـــن بـيتاً حـرب
وســـاقٍ بكـــفّيه كأس النـضار　　　أتـــانا وفـــيه اسـتبدّ الطـرب
مـــلأكأســـه غـير عـاب بـما　　　أتـــاه بـــدرديّ مـا فـي الوطب
وذا شـــفق مـن دمـاء الحسين　　　تـــضرّج بـــالورد حـتّى انـتقب
وفـــي غســـق كـبد المـجتبى　　　مـــرىٰ كـبد الدهـر حتّى انسلب
وصـــار الرعـــود أنـيناً عـليه　　　وللـــمزن دمـــع عـليه انسكب
ضـــفائر تـحقيق روض الكـمال　　　له انســـدلت كـــانسدال النكب
بـــعارض روضـــة تـــوحيدهم　　　بـدى الورد يـزهو كنجم القـطب
ونـــال الجـــنان الخـلود بـما　　　له الله مـــن بـــانه قـــد وهب
وعبّ مـن الحســن حتّى ارتـوى　　　بـــغصن مـن الجـلّنار اضـطرب
ولا ذكـــر إلّا حـــديث جـرىٰ　　　يـــداعب فـي وجـده روح صب
ولا فكـــــر إلّا لروض بـــدىٰ　　　تـــلاعب بـــالحسن قـلباً أحبّ
ويـا ليـلة قـد مـضت أشـعلت　　　شـــموعي حـــزناً لعـقد الركب

---

(١) القلب: بالضمّ الأسورة جمع قلب وهو السوار إذا كان قلباً واحداً.

(٢) خسرو: ملك الفرس وعرّبه العرب بلفظ «كسرىٰ» أي واسع الملك / راجع القاموس المحيط مادّة «كسره» وهند أي بلاد الهند، والخطا شعب الصين.

وصــدري أضـاء النـجوم التـي ... بـدت فـي السـماء كـجيش لجب

ونـار تـوقّد فـي خـافقي ... شـوت طـائر القـلب لمّا وجب

تـقلّب فـوق سـفافيدها ... ومـا زال يشـوىٰ بـنار الغـضب

مـلئت الليـالي لحـون الجـوىٰ ... ومـرهم جـرحـي دم القـلب صب

تـبدّد مـاء الطـلا فـي التـراب ... فناديت في الصحب يا مـن شـرب

وعـقلي أطـلّ عـلى عـالمي ... كـما طـلعت فـي السـماء الشـهب

وخـاطب ذاتـي فـي كـبرياء ... وقـد كـان للكـبرياء الغـلب

وقـال إلى م تـظلّ تـبيت ... ليـلاً بـجيرته المكـتئب

ونـحمد شـمع بأحشـائه ... بـنور اليـقين قـضى مـا وجب

إلى كـم تـظلّ بـهذا البـلاء ... وحـولك صـرح الظـلام انتصب

فـثب مـثل عيسى لأوج السماء ... إلى أن تـحلّ بـروض أشب

وأطـلق لسـمعك فـضل العـنان ... لتسـمع مـا هبّ فـيها ودبّ

ودقّـق بـطرفك حـتّى تـرى ... رؤوس الحـقائق دون الذنب

وخـذ زحـلاً تسـتردّ الإنـاء ... مـن الفـلك الشـامخ المسـتلب

وسـلطان شـرق عـليه النـضار ... فـطوّح بكـفّيك غـاباً أشب

ولو طـلب الفـلك المسـتدير ... عـلى الخـلق ذاتك لبّـى الطـلب

وكـن مستجيباً إذا مـا دعـاك ... لتـصبح أُمـنيّة للـقطب

وقـاعدة النـعش خـذها مـن الـ ... بـنات فـتياً ولا تـرتهب[1]

وأوقـد جـهنّم حـتّى تـرى ... بـجيش عـطارد تـرعى القـصب

---

(١) يشير هنا إلى بنات نعش، وهنّ: سبعة كواكب أربعة منها نعش وثلاث بنات، وهذه هي الكبرى وكذلك بنات نعش الصغرى / الصحاح.

وخنجر بهرام لا تغتمده ونل عنق الفلك المستتب
ولا تقتفي أثر الملهيات فإنّ طريق الملاهي عطب
وسر في طريق إله الورىٰ تنل في حياتك ما ترتقب
وخلّ المقام لأصحابه فإنّ المقام طلاء كذب
ولا تك كالفار يؤذي الهدى وكن عنكبوتاً بأرض العرب
حمت سيّد الخلق حين ابتنت على مخبأ كان فيه الطنب
وحين نوىٰ هجرة مجبراً وخلّىٰ لهم داره والنشب
وجاء لأرض اليقين التي أتاها فما أحسن المنقلب
فدع جدلاً لا يغيث الرجاء وغادر إلى الأمل المرتقب
دع النفي والنهي في جانب وكن «لا ولن» فيهما يحتسب
فإن تبلغ «المحو» دع ما يقال ومن قول إنّي كن في هرب
وإمّا تخطّيت محو الوجود فقد نلت للصحو أعلى سبب
وكن مولعاً بمديح الوصيّ تنل من مديحك أعلى الرتب
وإن عفت ذلك لن تنمحي بقلبك ما ناله من نوب
هو البطل الندب في «لا فتى» وفاتح خيبرهم لم يخب
مليك الولاية من فضله تخطّى الملائك عند الحجب
وكهف الأمان وحرز المكان وغوث الزمان على من حرب
سمت راية العلم في كفّه وأوسع ابوابه للطلب
وقد شرح الحقّ في آية وميّز من جدّ عمّن لعب
وواسطة الكاف والنون كان وشاهد ما قد جرى لم يخب
ولولاه ظلّ بها السرّ سرّاً وكان بها علن يجتنب

وطير «سلوني» له وحده وذُرّ الخليلي إليه انتسب
وراكب دلدل من جنده ويجمعه والنبيّ النسب
وأزهر «زهراء» زوج له وجوهرة الجود لا مخشلب
خصال المسيح عليه السلام له شِيَم الأولياء النجب
أديب النبيّ دليل الإله لأهل السماوات منشي الخطب
ومنشأ مدحته المصطفى وربُّ مناقبه قد وهب
ونعل حوافر أفراسه على الفرقدين كتاج الذهب
وما داس قنبر في نعله من الترب كحلاً بدى في الهدب
لعين الثريّا وباقي النجوم فيالك من زينة تكتسب
ومن سبّح الله في عرشه بقدسك معتكف يطّلب
وفاتح أفلاك ربّ العباد وتحت لواءك يرجو الغلب
وكن قابض اليد إلّا إليه لتنجو وفي من سواه العطب
وفتنته كن بها عالقاً لتنجو من فتن المنقلب
وألحان روحي لم تنطلق بغير مدائحه لم تطب
كطير بألحانه عالق بأزهار سوسنه يجتذب
أشير على الفلك المستدير بحبّ الوليّ الذي قد وجب
وإن عفت حزناً لآل الرسول سألقىٰ غداة غد في لهب
و«خواجو» كزهر بدىٰ مقطفاً من الروض منتبذ مستلب
ولكن يفوح بأنفاسه شذى العقل من نبته المقتضب
يراعي إذا هزّ بين الطروس وسال عبيراً أتىٰ بالعجب

ومنها:

بنوکِ خامهٔ صورت نگارکن فیکون
که بسته در شکن زلف کاف طرّهٔ نون

حروف مصحف حمدش منزّه از کم و کیف
سطور لوح جلالش مقدّس از چه و چون

چو صفر هیچ بود در ادای قدرت او
هر آنچه در قلم آید زلوح بوقلمون

بحکم اوست که ضحّاک صبح کشورگیر
دهد به مهر دُر افشان درفش افریدون

بنات نعش زبهر نظارهٔ صنعش
سر از دریچهٔ ابداع می‌کند بیرون

فلک بچرخ درآید چه نام او شنود
ملک سجود کند چون کلام او شنود

بماه روی شب افروز «الذي أسرىٰ»
که یافت مشتری از طلعتش علوّ و بها

گشود دیدهٔ «ما زاغ» در جهان رایت
فکنده تخت ولی در مقام «أو أدنی

کشیده رخت لعمرك بخیمهٔ «لولاك»
چشیده طعم «فأوحی»زخوان«ماأوحی»

بعکس روی چو مه صبح طیّب و یثرب
به چین زلف سیه شام مکّه و بطحا

نداده بی‌نظرش اختران به کعبه شرف
ندیده بی‌قدمش رهروان به مروه صفا

زنور معجز او اقتباس کرده کلیم
زخوان دعوت او چاشت خورده ابراهیم

بدان امیر که شد شاه چرخ چاکر او
نمونه‌ایست مه نور زنعل استر او

به تختگاه «سلونی» عَلَم از آن افراشت
که بود مملکت «لوکشف» مسخّر او

بحکم قاطع‌کشورگشای مصطفوی
نبی مدینهٔ علم آمد و علی در او

چوکعبه‌مولداوگشت‌ازسبب‌شب‌وروز
کنند خلق جهان سجده در برابر او

هلال شامی ابرش سوار قلعه نشین
شده است حلقه بگوش غلامِ قنبر او

گدای درگه او شو که شاه مردانست
هزبر بیشهٔ اسلام و شیر یزدانست

بنور چشم پیمبر که عین اعیان بود
عقیق صفوت یاقوت شرع راکان بود

نبود هیچ بنور احتیاجش از پی آن
که شمع جمع طهارت از او فروزان بود

از آن وسیله شده زهره پیش او خادم
که اشرف قمرش در سراچه مهمان بود

چو شمس مشرقی از چشم سایر انجم

زبس اشعّهٔ انوار خویش پنهان بود

نگشت عمر من‌از‌حی‌فزون‌زروی قیاس

چراکه زندگی او بحقّ منّان بود

ورای ذروهٔ افلاک آشیانهٔ اوست

بمرغزار فرادیس آب و دانهٔ اوست

به دسته بند ریاحین باغ پیغمبر

که بود نیرهٔ برج قدس را خاور

عروس نه تتق و لاله برگ هشت چمن

تذرو هفت‌گلستان و شمع شش منظر

زنام او شده نامی سه فرع و چار اصول

بیمن او شده سامی دو کاخ و پنج قمر

کمینه خادم بیت الحرام او سارا

کمینه جاریهٔ خاندان او هاجر

به مطبخش فلک دود خوردهٔ در شش

زمه طبقچهٔ سیم و زمهر هاون زر

زسفرهٔ «أنـا أملح» کلام او نمکین

زشکّر «أنـا أفصح» کلام او شیرین

بزهر خوردهٔ زهرا که شبل شیر خداست

همای سدره و طاوس گلشن خضراست

زمـاه طـلعت او بـوده چشم دين روشن
به سـرو قـامت او گشته كـار ايمان راست
ازآنــزمان كـه چـو چـنگش رگ‌روان نگسست
خروش و غلغله در جان زهرهٔ زهـراست
سـپهر چـون نـه بسـوگش قـباى الماسى
زخون دل جگرى مى‌كند مگـر خـاراست
هــنوز رايـحهٔ عـود سـوز خـلق حسـن
بـباغ هـمدم آيـندگان بـاد صـباست
حـرارت‌شكـر از شـهدزهـره‌خوردهٔ اوست
شـرار سـينهٔ صـبح از دم فسـردهٔ اوست
بـحلق تشـنهٔ آن رشـك غـنچهٔ سـيراب
كه رخ بخون جگر شـويد از غـمش عـنّاب
شـه دو مـملكت شـهسوار نـه مـضمار
مـه دوازده بـرج و امـام شش مـحراب
چراغ و چشـم رسـول و فـروغ جـان بـتول
بـهار عـترت و نـوباوهٔ دل اصـحاب
حـديث مـقتل او گـر بگـوش كـوه رسـد
شـود زخـون دل اجـزاى او عـقيق مـذاب
وگـر سـپهر بـرد نـام آتشـين جگـرش
دهد بـه اشك چـو پـروين سـتارگان را آب
بكـربلا شـد و كـرب و بـلا بـجان بـخريد
گشود بـال و از ايـن تـيره خـاكدان بـپريد

بدان بزرگ حسنی نواز پردهٔ راز
کزو بلند شد آوازه‌ای به هفت حجاز
علی ثانی سلطان حیدری نسبت
امام رابع و کسرای مملکت پرواز
نشسته خامش و با چار رکن در گفتار
شکسته شهپر و با هفت چرخ در پرواز
صباح چو دم زند از گلستان اورادش
زجان فاخته آید ندای کوکو باز

هزار کسوت خور بود عطف دامن او
چراغ دیدهٔ مه بود رای روشن او

به آفتاب جهان تاب آسمان علوم
که شد منوّر از انوار او جهان علوم
مدار مرکز ایمان محمّد باقر
گل حدیقهٔ دین شمع دودمان علوم
اگر نه باب معانی او شدی مفتوح
به هیچ باب نکردی کسی بیان علوم
چو رای روشن او بود مشرق تفسیر
شد آشکار چو خورشید از نهان علوم
مفصّلی بود از مجمل معانی او
هر آن ورق که برآید زگلستان علوم

اگر نه وضع مصابیح علم بنهادی
نشان بیخ بلاغت که در جهان دادی

به صبح مطلق صدق آفتاب عیسی دم
که بود خاک درش نور دیدهٔ مردم
امام کعبه نشسن جعفر فرشته نهاد
خلیل خضر قدم صادق خلیقه خدم
فلک به حلقهٔ تدریس او حدیث حدوث
سماع کرده زلفظ محدّثان قدم
همای سدره بگرد حریم قبّهٔ او
مقیم در طیران چون کبوتران حرم
هدایت ازلی در تقرّبش مضمر
عنایت ابدی در تتبّعش منضم
کتابه‌ای که بر این چرخ چنبری کردند
بنام اشرفش از زرّ جعفری کردند
به عفو عفّت کاظم امام ربّانی
کلیم طور کمالات موسی ثانی
زبس که چرخ بر او تیر بی‌وفائی زد
شده است خون دل کوه لعل پیکانی
زآتش جگر این قلعه‌های قلعی رنگ
شود گداخته چون داستان او خوانی
گر آنچه بر سر او رفت بشنود رضوان
چو زلف حور شود مجمع پریشانی
بدوش درکشد از آب چشم ما هر دم
زمین به ماتم او جامه‌های بارانی

سپهر زيبقی از اضطراب اوست مدام

بسان زيبق محلول گشته بی‌آرام

بسرو باغ رضا مرتضای خضر قرين

چراغ چشم سماوات و شمع روی زمين

سهيل‌دار سلام و خور خراسان باب

شهيد مشهدوخسرونشان و طوس نشين

طراوت رخ ايمان امينِ ملکِ امان

حرارت دل مأمون حبيب روح امين

حسن نهاد و علی نام و موسوی گوهر

ذبيح نسبت و يحيی دل و مسيح آيين

فروغ طلعت او آفتاب اوج هدی

غبار درگه او کحل چشم حورالعين

فراز قطب سپهر آستان معبد اوست

سرشک ديدهٔ پروين گلاب مرقد اوست

به آبروی تقی آنکه عين تقوا بود

چراغ دانش و بستان سرای معنی بود

جواد مرتضی بانی مبانی جود

که ابر بحر عطا را حيا از او می‌بود

مه سپهر سيادت سپهر مهر شرف

که خاک روب درش شاه چرخ اعلی بود

دلش چو خضر زدی دم ز مجمع البحرین
از آنکه گوهر پاکش ز بحر موسی بود
تعلّق دل روح القدس به خاک درش
چنان که میل حواری به کُحل عیسی بود
سموم سم بزدش روزگار و پاک بسوخت
چو شمع ز آتش دل بر بساط خاک بسوخت
بدان شقایق سیراب گلشن اسرار
که هست شمّه‌ای از خلق او نسیم بهار
علی خلاصهٔ ایمان و قدوهٔ تمکین
علی نقاوهٔ ایمان و قدوهٔ ابرار
بذکر منقبتش مفتخر اولوا الالباب
به کحل محمدتش مکتحل اولوا الابصار
چهار گوشهٔ سجّاده‌اش ز فرط جلال
طراز سبحه طرازان گنبد دوّار
فراز گلبن بستان فروز خاطر او
چو عندلیب خوش الحان بباغ سدره هزار
شده است دامن گردون ز خون دل وادی
که بعد از این که بود در ره هدی هادی
بلذّت شکر عسکری بگاه سخن
که بود بلبل طوطی نوای هشت چمن

سراچه‌ایست زبستان سرای تعظیمش
چهار صفّه و هفت آسمان و شش روزن
سواد صفحهٔ اوراق روزنامهٔ غیب
بنور خاطر او خوانده قدسیان روشن
شده است بحر زجام تحیّرش سرمست
وگرنه از چه چنان کف برآورد زدهن
بروی شاه بساط امامت کونین
اگر چنانچه رخ آریم هم به وجه حسن
خلیفه گر بخلافش فصول کلّی خواند
بشد خلیفه بکلّی وز او خلافی ماند
به مقدم خلف منتظر امام همام
مسیح خضر قدوم و خلیل کعبه مقام
شعیب مدین تحقیق حجّة القائم
عزیز مصر هدی مهدی سپهر غلام
خطیب خطبهٔ افلاک منهی ملکوت
ادیب مکتب اقطاب محیی اسلام
شه ممالک دین صاحب زمان که زمان
بدست رایض طوعش سپرده است زمام
به انتظار طلوع طلیعتش خورشید
زند درفش درفشنده صبحدم بر بام
نه‌در ولایت او در خور است رایت ریب
نه در امامت او لایق است آیهٔ غیب

که شمع جان من از نور حق منوّر باد

دماغ من زنسیم سحر معطّر باد

مرا که مالک ملک جهان معرفتم

جهان معرفت و ملک دین مسخّر باد

دلم که مهر زند آل دین بر احکامش

فدای حکم جهان‌گیر آل حیدر باد

ضمیر روشن خواجه که شمع انجمن است

چراغ خلوتیان را روان ششدر باد

روان او شده از آب زندگی سیراب

رهین منّت ساقی حوض کوثر باد

در آن زمان که بود مرغ روح در پرواز

مباد جز برخ اهل بیت چشمش باز

تقريب المعنى بالعربيّة:

إذا قال كن في خلقه فيكون	برأس يراع والزمان يهون
وكاف له جعد أثيث إذا بدىٰ	لطرّة نون ليس يصمد نون[1]
تنزّه عن كمّ وكيف حروفه	بمصحف حمد وهو فيه قمين
وما كان من خلق العوالم كلّها	بدنيا وأُخرى ظاهر ودفين
لأدنى من الصفر الذي ليس ينطوي	بشيء من الموجود وهو مهين
إلى قدرة الله العليّ مكانه	فسبحان ربّ ما أراد يكون

(١) قال في العين: أثّ النبات والشعر يئثّ أثاثةً فهو أثيث ويوصف به الشعر الكثير والنبات الملتفّ. والطرّة: الناصية. راجع الصحاح.

لقد أورث الضحّاك قدرة فاتح ... ونال به الأختام «أفريدون»[١]
وأطلع في الزرقاء زهر كواكب ... فمن قد رآها قال تلك عيون
تدور له الأفلاك إذ تسمع اسمه ... وتسجد أملاك السما وتلين
وأسرىٰ ببدر الليل سبحانه وقد ... تعالت نجوم في السماء تبين
وذا المشتري قد طار في الأُفق عالياً ... كما رفعت فوق العيون جفون
وفي بصر «ما زاغ» وهو أمدّه ... وزاغت بدنيا الباديات عيون
وسوّىٰ مقاماً للوليّ وقد دنىٰ ... وأدناه أدنىٰ منه وهو مكين
«لعمرك» كنٌّ ضمّ فيه رياشه ... بخيمة «لولاك» السموّ يبين
خوان لما أوحىٰ استطال ونضّدت ... عليه «فأوحى» للعلوم صحون
كطلعته صبح بيثرب نيّر ... وطرّته ليل بمكّة جون
ولم يعط لولا نظرة منه رفعة ... لكعبة بيت الله وهو حصين
ولم ينتشر ثوب الصفا فوق مروة ... بأقدامه صُمّ الصخور تلين
ومعجزة نال الكليم اقتباسه ... ونال خليل الله وهو أمين
خواناً له أدنىٰ إليه جياعه ... فلم تشتك منه حشىً وبطون
بفضل أمير صار أفلاك كونها ... عبيداً له يسمو علاً وتهون
وغرّة بدر التمّ نعل جواده ... تسامىٰ به وجه له وجبين
وقاعدة للعلم علّا لوانها ... سلوني تضمّ الليث وهو عرين
ومملكة أضحت «بلو كشف الغطا» ... تصان ومن زيغ الصدور تصون
بحكم النبيّ المصطفى قول قاطع ... ولم يكُ أوهام به وظنون
مدينة علم الله كان حبيبه ... عليّ لها باب يروع أمين

---

(١) فريدون يقول العلّامة دهخدا ﷺ: اسم لعقل الفلك الثامن وهو فلك البروج الخ.

ولو لم تكن فيها ولادة حيدر ... لما نصبت فيها الصلاة تكون
هلال له في الشام أعظم قلعة ... أُقيمت لها شمُّ الجبال تلين
على أبرش في الصامتات محلّق ... له الريح صنو في السباق قرين
له الفخر إن يغدو غلاماً لقنبر ... وبينهما عند المكارم بون
على بابه قف سائلاً تغدو مالكاً ... له الأرض دار والسماء عرين
بدىً في عيون المصطفى سيّد الورى ... كنوزاً بها الدرّ الثمين دفين
عقيق وياقوت وللشرع زينة ... وقام بما زان الحقائق دين
وما كائنٌ إلّا ويحتاج نوره ... أُضيء بنور والظلام يشين
وللزهرة الحمراء في كبد السما ... له خادم في الخادمين مكين
وفي دارة من ملكه قمر السما ... قراه بأحضان النجوم يحين
قد احتجبت شمس النهار بنوره ... وغامت لها بين النجوم عيون
وما وهب الأعمار طولاً لأنّه ... له عمر عند الإله رهين
وصحّ قياس بيننا إنّ عمره ... وعمري كلينا ينطوي ويبين
وراء خطى الأفلاك بيت أعدّه ... له الله في الجنّات وهو حصين
وإضمامة الريحان في كفّ خاتم ... أُضيف لشمس عارض وجبين
عروس تفشّت بالكِلال تزينها ... وداعبها القحوان وهو ضنين[1]
تقلّب فيها الطير قد صار شادياً ... وكرسيّه بين الرياض غصون
يضاء بشمع ذي مناظر مشبه ... تحدّق فيه كلّهنّ عيون
ويفضله فرعان عند أُصوله ... وقد ربعتها واسمه الميمون
ويدعىٰ به قصران يشمخ فيهما ... وفي كلّ قصر يستطيل حصون

---

(١) الأقحوان. ويقال له: القحوان أيضاً / المحيط في اللغة.

وخمس من الأقمار أشرق ضوءها … وفيها خبا بدر أطلّ هجين

* * *

سارا وكعبتها أقلّ قطينها … وكذاك هاجر أُمّه والعين

أفلاك مطبخة الدخان تزخّه … برناتها والنار فيه دفين

سمة السماء خوانه أقمارها … ونجومه في جانبيه صحون

والشمس هاون عسجد متلألأ … ولها إلى الأُفق الرحيب حنين

في قوله «أنا أملح» حار الورى … والملح في هذا الكلام رهين

وكلامه «أنا أفصح» أحلى من … الشهد المذاب يعافه المغبون(١)

* * *

قسماً بنور الطهر فاطم إنّما … شبل من الأسد الهزبر وليدها

أسد الإله وشبله من فاطم … من زهو منظره الرياض برودها

طير السعادة في الجنان وإنّه … الطاووس يمرح في الرياض يرودها

قرّت به للدين عين واغتدىٰ … في سرو قامته اليقين يقودها

قد جرّع السمّ الذعاف وإنّه … سبط النبيّ جنى عليه عبيدها

من يومه علقت مصائبه بها … وأتى الحسين إلى الدموع يزيدها

صبغ الدنىٰ بالغار من دم قلبه … وبكاه إلّا صخرها وحديدها

ما زال تهدي الريح طيب خلائق … للطهر ينفحها الرياح تعيدها

والشهد أبدل بالمرارة طبعه … من ناقع آذى الفؤاد حديدها

وأوار صدر الصبح من دم قلبه … القاني تفجّر بالجراح بديدها

---

(١) اضطرّنا طول القصيدة وغموض رموزها إلى التحوّل إلى وزن الكامل كما أنّا نبنيها على عدّة أوزان وقواف تنبئك الجملة القادمة منها.

جسد البراعم ثغره وظمانه ... إن هبّ سارية النسيم تزيدها
بدمانه العنّاب أدمى وجهه ... فاحمرّ حين جرىٰ عليه شديدها
ملك الجنانين استقلّ بملكه ... وله المضامير استبان وجودها
هو فارس في التسع منها إنّه ... قد كان منه ركوعها وسجودها
قمر البروج العشر والاثنين قد ... زهرت بطلعته وبان سعودها
وإمام ستّ من محاريب الهدى ... لولاه ما أغنى العباد عديدها
نور لعين المصطفى وبتولة ... في روح مهجتها ابنها وحميدها
وربيع عترته وفي أصحابه ... باكورة طابت وطاب وفودها
ولو أنّ مقتله وعاه يلملم ... وألمّ فيه من المصائب سودها
لجرىٰ وذاب لعظم ما قد نابه ... كعقيقه بدم جرىٰ منضودها
أو أنّ نار فؤاده غزت السما ... لجرت بحوراً في السماء خدوّها
من دمعها وسقت نجوماً أطلعت ... غرراً يسرّ الناظرين شهودها
في كربلاء بكربها وبلائها ... يبتاعها بالروح وهو عميدها
ومن التراب يرفّ جنحاً مصعداً ... شرفاً وظلّ على الثرىٰ رعديدها
وشدت جلالته حسينيّة الهوىٰ ... وجلا ستار السرّ يضرب عودها
وتصاعدت أنغامه في كربلا ... سبعاً حجازية يرقّ نشيدها
وعليُّ الثاني عليه تحيّة ... من ربّه يذكو شذىً محمودها
هو حيدريّ نسبة من ربّعت ... أيّامه وبه استطال عمودها
تلك الإمامة فيهم قد نضدّت ... بيد الإله زهورها وورودها
غشّته أردية السكون وإنّه ... تصفى له الدنيا ويلوى جيدها
وثنى قوادمه الزمان ولم يزل ... يسمو بعزّته السماء يريدها

لو شئت عند مناقب في ذاته حتّى امتلت من بعض قولك بيدها
وأقمت تحصى آيه وتعنّها لهوت إليك جبالها ونجودها
ولروضه يحييْ شذاه بنفحة وهفى إليه قريبها وبعيدها
وسرى إلى الأطيار فانتفضت له حتّى تعالى بالثنا تغريدها
من ثوبه لبس الشموس ثيابها وكسى الوجود قديمها وجديدها
والبدر نوّر مقلتيه بنوره والأرض منه حياتها وسعودها
وبشمسه وبعلمه وسمائه ملأ الوجود وللعلوم حدودها
لم يحوها عدّ علوم جنابه فلذاك يعسر في الورى تحديدها
والباقر المولىٰ مدار وجوده هو مركز الإيمان وهو عميدها
لو فتّحت أبواب معناه لما قدر البيان بأن يُعدّ حميدها
وبنور رأى منه قام مفسّر يروي معاني الذكر ثمّ يعيدها
وانزاح غيم الشكّ عن آياته وغدت تزمجر في السماء رعودها
وذكرت منه مفصّلاً في مجمل إن جئته يلقاك منه مزيدها
روض العلوم تجمّعت أطيارها واهتزّ بالزهر المحبّب عودها
هذي مصابيح العلوم رفعتها فبدت بلاغتها وعاد فقيدها
ووضعت علم فصاحة وبلاغة وبرسم منهاج تجلّىٰ جيدها
حتّى إذا ما لاح فجر صادق مثل المسيح يعينها ويفيدها
كحلت بأعتاب لها أبصارها قد صار أثمد للعيون صعيدها
فهو الإمام وكعبة الله اغتدت مأوىً له تؤويه وهو قعيدها
والخضر صار خليله بل خادم في بيته إن يمّمته وفودها
والأطلس الدوّار يحضر درسه وتأمّه الأفلاك وهو شهيدها

طوبىٰ وطير سعادة في جوّها ... تهفو إلى حرم إليه سعودها
فكأنّها طير بمكّة حائم ... من ذا يقاربها به ويصيدها
وهداية أزليّة فيه انطوت ... وعناية أبديّة مقصودها
ما كان في الفلك المدير كتابة ... إلّا ومن لفظ اسمه مشهودها
كتبت بأحرف عسجد مشهودة ... قد طاب كاتبها وطاب شهودها
وبعفو عفّة كاظم مولى الورى ... زهت الإمامة فيه وهو وحيدها
موسى الكليم كماله من فضله ... قد ناله ولذاته تجسيدها
ورمته أفلاك السماء سهامها ... وتناولته بالهوان عبيدها
حتّى غدىٰ قلب الجبال لوقعها ... ياقوتة حمراء شفّ عقودها
إن تحرق الدنيا عليه فؤادها ... ويشبّ من ذكر المصاب وقودها
فلقد يهيج الأرض وقع مصابه ... إن حنّت عنه ويذبل عودها
ولو أنّ رضواناً أتاه مصابه ... لتشعّثت حور الجنان وغيدها
ولغطّت الدنيا مظاهر جسمها ... من دمعنا الجاري به أُخدودها
وغدا السماء كزئبق مترجرج ... من شدّة المأساة حين يعيدها
يبدو اضطراباً في السماء مصابه ... لو دام لاعجه لكان يبيدها
روض الرضا بسروه أنا حالف ... يبدو قرين الخضر وهو مجيدها
نور لأبصار السعادة شمعة ... في الأرض تزخر بالسناء حدودها
جمع الكواكب كلّها في غرّة ... تزهو إلى الدنيا ولاح سعودها
فسهيل دار السلم شمس في خرا ... سان يلوح من الحياة رغيدها
فهو الشهيد بمشهد سلطانه ... وبطوس مسكنه غداة يقودها
وجه الهدى متلألأ في نوره ... وأمين سلطان الأمان سعيدها

في قلب مأمون يقيم حرارة	يشتدّ فيه حريقها ويزيدها
وحبيب قلب المصطفى وهو الذي	يدري بأنّ أبا الجواد شهيدها
حسن بمعناه على باسمه	موسىٰ بجوهره الذبيح نضيدها
في قلب يحيىٰ والمسيح ديانة	وبه هوىٰ شيطانها ومريدها
والشمس طلعته إلى أوج الهدىٰ	وغباره كحل العيون يفيدها
قطب السما عتبٌ[1] لمشهد قبره	فيه يطاع من الورى معبودها
دمع الثريّا العطر يملأ قلبه	ما المسك يبهج ناشقاً ما عودها
بمؤونة المولى التقي وإنّه	عين التُقىٰ وعميدها وعمودها
نور العلوم وللمعاني روضها	وبه نجىٰ من هلكه موئودها
وهو الجواد وقد بنى بسخائه	صرح السماء وفيه يسمو جودها
وهو السحاب هما بجود ودقه[2]	مذ باخ من نسماته صيهودها[3]
لسما السيادة بدرها التمّ الذي	قد ضاء فيه من الليالي سودها
هبطت له الأفلاك تكنس أرضه	والترب من قرب به محسودها
من قلبه كالخضر يأتي «مجمع	البحرين» يعبر للضفاف يرودها
من حيث كان كدرّة مكنونة	يعزىٰ إلى موسى أبيه وجودها
ويحبّ روح القدس من أعتابه	ترباً لتكحل ناظريه يريدها
كالحور عند الروح عيسى قد هوت	كحلاً يجول بمقلتيها عودها
قد جال سمّ في حشاه كأنّه	نار على شمع يشبّ وقودها

---

(١) جمع عتبه وهي أُسكفة الباب.

(٢) المطر كلّه: شديده وهيّنه.

(٣) باخ الحرّ: أي سكن، والصيهود: الهاجرة الحارّة.

شقائق في رياض السرّ تزهو ... كمثل البدر جانبه السرار[1]

يمرّ نسيمه بالروح يسري ... على مهل كما يسري النهار

خلاصة كلّ إيمان عليّ ... وقدرة كلّ إمكان يدار

عليٌّ طهر إيمان ونبل ... وقدوة صالحين لهم يصار

وتفخر في مناقبه حلوم ... ويسمو في معالمه الوقار

وأبصار تكحّل في ثناه ... وعميان به تاهو وحاروا

يدور على مصلّاه احتساباً ... ذووا التسبيح أملاك كبار

على أركانه داروا جلالاً ... كما داروا على فلك يدار

كمثل الروض خاطره تجلّىٰ ... عليه يصيح مبتهجاً هزار

وسدرة منتهى الأفلاك أضحىٰ ... لقاصده وليس له قرار

ثياب الأطلس الدوّار صارت ... نجيعاً خلت عضّته الشفار

دم الهادي أطلّ عليه حتّى ... تجلّى منه في الفلك احمرار

كطعم السكّر المعسول ذكر ... تخال بذكره عسلاً يُمار

وذكر العسكري فدته نفسي ... بساق العرش مكتوب يزار

تغرّد باسمه الأطيار تذكي ... شقيق المسك ينفحه العرار

وما الدنيا سوى قصر أُقيمت ... بجانبه قواعده الكبار

بأربعة من الأركان تعلو ... على الدنيا معاليه الغزار

سماوات بها سبع تعالىٰ ... عليها مثلما وضح النهار

كوىً ستّ تدفّق فيه علماً ... وكان قديمه للعلم دار

وقد قرأت ملائكة عيوناً ... بأوراق يغلّفها السرار

---

(١) هي القصيدة نفسها وقد غيّرنا الوزن والقافية لطول سابقتها.

سجلّ الغيب فيها فاستبانت ... بيُمن وجوده ولها انتشار
وحار البحر من كأس أُنيخت ... للجّته وخامر الخمار
وإلّا ما بدىٰ زبد تراه ... على الشاطي يلاعبه الغمار
ولو أنّا تخيّرنا إماماً ... يكون عليه في الدين المدار
فليس يليق يشرق في سمانا ... سوى حسن ولكن لا خيار
ولو أبدىٰ خليفتهم خلافاً ... فما هو غير تيس يستعار
وما غير الوفاق يراد منه ... إن اختلفوا فذاك هو الخسار
وأقبل بعده خلف إمام ... همام كالمسيح له انتصار
هو الخضر الذي يطوي الفيافي ... وليس يعوقه منها القفار
كابراهيم في بيت حرام ... لكعبته أُقيم به الجدار
ومن في مدين يدعىٰ شعيباً ... لحجّته هوت حجج قصار
به حجّ الخصوم فلم يقيموا ... إمام الحقّ فاندحروا وطاروا
هدى الوالي العزيز بمصر حتّى ... بدىٰ حقّ وأسعفه القرار
خطيب خطبة الأفلاك منه ... به الملكوت بالحسنى يدار
أديب مكتب الأقطاب قامت ... به الأنوار واتّضح النهار
وأحيى الدين والإسلام لمّا ... من الأشرار وافاه الضرار
مليك ممالك الإسلام أعطىٰ ... له الدين الزمام فلم يماروا
وتبدو الشمس طالعة بأُفق ... لها لبزوغ طلعته انتظار
وترسل وهي مشرقة علينا ... أشعّتها بها الدنيا تنار
إمامته الحقيقة قد تجلّت ... فلا غيب يليق ولا استتار
بنور الحقّ نوّرني وأوقد ... شموعي إنّها نور ونار

وعــطّر فــطرتي بـنسيم روح | كـمثل المسك جـاد بـه التـجار[1]
ومــلّكني المــعارف والمـعالي | ولي فـي الديـن ذخـر وانـتصار
ويـختم فـي فـؤادي الديـن حـتماً | فـدىً لبـني الوصـي بـه يـصار
ضـمير الشـيخ نـور الشـمع ضـوىً | مـجالس حـين يـغشاها الكـبار
ولـلمتوحّدين سـراج نـور | بـه للـحقّ فـضل وازدهـار
مـلا مـاء الحـياة الروح مـنه | وغشّـته السكـينة والوقـار
لسـاقي الحـوض مـمتنّ وأضـحىٰ | عـليه كـؤوس كـوثره تـدار
وفـي زمـن إذا الأرواح طـارت | فـليس بـغيره أبـداً تـطار
وليس لغـير أهـل البـيت يـرجـو | وليس لغـير أهـل البـيت جـار

كان ديوان فصيح البيان «خواجو» يربو على عشرين ألف بيت يشتمل على القصائد الغرّاء والقصائد المليحة المؤثّرة التي تخترق شغاف القلوب خلا أنّ هذه التذكرة لا تتّسع لأكثر من هذا.

توفّي «خواجو» في أحد شهور سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة رحمة الله عليه.

الخواجه سلمان ساوجي رحمة الله عليه

يعتبر في رويّة الفصاحة والبلاغة ثاني حسّان، وفي الإخلاص لأهل بيت العصمة والطهارة والولاية ثالث أبي ذر وسلمان رضي الله عنهما.

وجاء في تذكرة دولتشاهي أنّه من أعيان مدينة ساوه وأكابر شعرائها، وأُسرته موضع احترام الملوك والسلاطين في تلك الأصقاع، ويُلقّب بجمال الدين، وأبوه الخواجه علاءالدين محمّد الساووجي وكان من الوزراء، وفضيلة الشاعر الخواجه

---

(١) التجار بالتخفيف والفتح وقيل بالكسر أيضاً هو التجّار بالضمّ والتشديد: كأنّها درّة أغلى التجّار بها.

سلمان مشهوده ومعهوده في الشعر والشاعريّة ويقدّم في زمنه على من عداه...

وكان الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني ﷺ يقول: ليس يوجد مثل رمّان سمنان وشعر سلمان في العالم كلّه، وهذه القصيدة وهي ليست في ديوانه شاهد صدق على قوّة طبعه وتدفّق قريحته.

يحكى أنّ الخواجه سلمان خرج من ساوه قاصداً بغداد وفيها التحق بمجالس الشيخ حسن نوبان ولازمه، فاتفق ذات يوم أنّ الأمير الشيخ حسن كان يرمي السهم ويعدو بين يديه غلام من مواليه ليأتيه به، فقال على البديهة هذه الأبيات:

چو در باد چاچی کمان رفت شاه — تو گفتی که در برج قوس است ماه

دو زاغ کمان با عقاب سه پر — بدیدم به یک گوشه آورده سر

نهادند سر بر سر دوش شاه — ندانم چه گفتند در گوش شاه

چو از شصت بگشاد خسرو گره — برآمد زهر گوشه آواز زه

شها تیر در بند تدبیر تست — سعادت دوان در پی تیر تست

بعهدت زکس نالهای برنخاست — بغیر از کمان گر بنالد رواست

که در عهد سلطان صاحبقران — نکرده است کس زور جز بر کمان

تقريب المعنى بالعربيّة:

وأطلق سلطان السلاطين سهمه — ومن قوس «شاشي» ظلّ في الريح مصعدا[1]

وأنت إذا أرسلت في الأمر نظرة — تخال ببرج القوس بدر السما بدا

أرى قنّتي سهم ونسراً جناحه — الثلاثي في ركن من الأرض أوردا

وفي منكب السلطان أسند رأسه — ولم أدر ماذا قال أو ما توعّدا

ومذ حرّر السلطان إبهام كفّه — تعالى من الناس الهتافات والندا

---

(١) شاشي أو چاچي: اسم بلد في تركستان تنسب إليه الأشياء لاسيّما الأقواس.

ألا أيّـها السـلطان سـهم تـحيطه ... بـتدبير كـفؤ كـان للسـعد مـوردا

ومـا أنّ فـرد فـي زمـانك مـجهد ... سـوى الوتـر الحسّـاس قـد أنّ مـجهدا

ولم يك ضـغط فـي زمـانك واقـع ... عـلى أحـد إلّا عـلى القـوس فـي العـدا

واستحسن الأمير حسن هذه الأبيات فعزم على تعاهد الخواجه سلمان ورعايته، وكان الشاه «أُويس» وهو قرّة عين السلطان وعليه إدارة الإمارة والبلاد وهو الابن الأكبر للأمير الشيخ حسن قد تعلّم قول الشعر من «الخواجه سلمان»، وكانت مرتبة الشاعر سلمان في دولة الشاه أُويس وأُمّه «دلشاد خاتون» أعلى المراتب، واشتهر في العالم المسكون كلّه، وبلغت شهرته أوجاً رفيعاً كما يقول هو في هذا المعنى:

من از يُمن اقبال اين خاندان ... گـرفتم جهان را بتيغ زبان

من از خاوران تا دم باختر ... زخورشيدم امروز مشهورتر

بِـيُمن وسعد من الأطيبين ... مـلوك الزمـان وسـاداتـها

تـملّك مـقولي الخافقين ... وسطّر في الصحف آياتها

وأصبحت أشهر من شمسها ... وذكـري يـرفّ بـرايـاتها

وقد أجاب الخواجه سلطمان بإشارة من السلطان أُويس وأُمّه «دلشاد خاتون» أكثر قصائد «ظهير» بأجوبة رشيقة عميقة، ونال عدّة ديات من ولاية الري صلة على تلك القصائد.

قال صاحب كتاب بهارستان: كان الخواجه سلمان شاعراً فصيح اللسان مترسّلاً بليغ العبارة، وليس له نظير في سلامة عباراته ودقّة استعاراته، وله قصائد يجيب بها الأساتيد بعضها يفوق الأصل وبعضها أرقى منه وأسمى، وله معان خاصّة لم يشركه فيها أحد، واستعارها منه جمع من الشعراء والأساتيد

لاسيّما كمال إسماعيل ولمّا أجاد هذا الأخير في عرضها، وعرضها بصورة أملح وأجود لذلك لم يقع تحت طائلة النقد والتفنيد، بل أصبحت معانيه مطلوبة أكثر ومرغوباً بها:

معنى نيك بُوَد شاهد پاكيزه بدن
كه بهر چند در او جامه دگرگون پوشند
هنر است آنكه كهن خرقهٔ پشمين زبرش
بدر آرند و در او اطلس و اكسون پوشند

إنّما المعنى كجسم يكتسي ثوباً قشيبا
يتعرّى ثمّ يكسىٰ حلّة حتّى يطيبا
وغدى المعنى إلى الفن صحيباً وحبيبا
ينزع الصوف ويكسىٰ ثوب ديباج رطيبا

لسلمان الشاعر كتابان مثنويّان أحدهما يُدعىٰ «جمشيد وخورشيد» وقد خرج فيه بالتكلّف عن الذوق المتعارف، والثاني اسمه «فراق نامه» وهو كتاب بديع ونظم لطيف رائق، وله غزل كثير مطبوع ومصنوع، ولكنّه لمّا كان خالياً من الحبّ الذي هو محتوى الغزل لذلك قلّ الإقبال عليه، وهذا تمام ما قاله صاحب «بهارستان».

*** والفضل ما شهدت به الأعداء ***

أمّا ما قاله عن الخواجه سلمان من كونه تصرّف في بنات الأفكار وسطى على معاني الأساتيد وأغار ثمّ عاد واعتذر عنه فإنّه يريد في الحقيقة أن ينحت لنفسه شريكاً في ذلك ويسحب ستاراً على سرقاته المخزية.

وأمّا ما قاله من أنّ أصحاب الذوق لم يعتنوا بغزل سلمان ولم يلقوا إليه بالاً

فإنّه عمّا قاله الناظرون في غزله المسروق أو أنّه نسب الشعر المسروق إلى صاحبه ولم يعدّه من شعره، ويناسب المقام ما قاله مولانا النظام الأسترآبادي في خطبة ديوانه، قال: رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم موضعاً أنفاً معشباً مزهراً تغطّيه المروج وتصطفّ على جهتيه الأدواح، ورأيت شخصاً واقفاً ظللت أُفكّر فيه فعرفته بحسن الفراسة والكياسة مَن هو؟ فدنوت منه وسلّمت عليه فأخرج رأسه وردّ سلامي، فقلت له: ألست «الخواجه سلمان الساوجي»؟

فقال: أجل أنا هو، واستدناني وعانقني وصافحني وقال: رحمك الله، إنّك تتناول القصائد بمهارة وتختمها بجدارة ثمّ وضع يده على متنيّ وأخذ يرمقني بنظرات راحمة وما زال يرقّ معي ويلين.

فخاطبته والحال هذه: إنّ هذا الحقير له عقيدة صالحة بمرافعيك ومنشئيك ولست أرى ذلك يليق بك أن تتصرّف بأشعار الناس وهذا التصرّف يعتبر عند الأُدباء سرقة ويسمّون شعره الشعر المسروق.

فقال: وأين ذلك؟

فقلت: إنّك قلت في تعريف العمارة:

این آن اساس نیست که گردد خلل پذیر　　　لو دُكّت الجبال وانشقّت السماء

خسأ الدهر ليس ينقض في الدنيا　　　أساساً أقمته للبناء

فقال: لماذا لا تعترضون على مولانا عبدالرحمن الجامي فإنّه أخذ من هذه القصيدة شطراً وهو:

كالبدر في الدجيّة والشمس في السماء

بقادری که سماوات بیستون برپاست　　　بقدرتش وعلى كلّ ما يشاء قدير

إلى رافع السبع الطباق سنادها　　　إليه عليها قادر ومحيط

وإنّي ما سمعت قطّ بالشطر الذي تلوته عليّ، ولمّا انتبهت من رقدتي رأيت الأمر كما قال، ومن هذه الرؤيا رسخ اعتقادي بقول القصيدة، وهذا غاية ما قاله مولانا النظام.

ولكن بعض من لا إنصاف لهم الذين يعيبون شعر سلمان ويردّونه ويفضّلون عليه «ظهير» إنّما غرضهم في ظاهر الأمر أن يصنّفوا أنفسهم من أهل التميّز بالدلالات الالتزاميّة، أو إنّهم يريدون ترجيح شعرهم على شعره، لأنّ الظهير إن كان قال هذا البيت وأعطى هذا النظم الرفيع:

زاعتدال هوا حكم جانور گيرد   اگر بنوك قلم صورتى كنند نگار

والجوّ أفرط في اعتدال هوائه   وبصفو صفحته ورقّة مائه

لو كاتب قد خطّ صورة ميّت   لسرت إليه حياته بدمائه

فلخواجه سلمان هذا النظم البديع:

بسان غنچه بدن در كفن همى بالد   زاعتدال هواى بهار موتىٰ را

وهذا الربيع بأنسامه   قداعتدل الريح فيه وطاب

وذاالميت فيه اغتدى برعماً   تفتّح عن وردة في الثياب

غدا ينفض الترب عن جسمه   وقد أنعشته دماءَ الشباب

وإن كان هذان البيتان لظهير أكثر جاذبيّة:

زلف بجادوئى ببرد هر كجا دليست   وانگه به چشم و آبرو نامهربان دهد

هندو نديده‌ام چو تركان جنگجو   هرچه آيدش بدست به تير و كمان دهد

بجعده يسحر ألبابنا   وعينه بالسهم تؤذيها

وما رأينا مثله واحداً   في الهند يبقىٰ قائماً فيها

لكنّه كالترك في حربها   تسعىٰ لتعطي القوس باريها

فإنّ للخواجه سلمان هذا البيت الذي لا نظير له:

چشمت بخنجر مژه عالم خراب كرد　　كس خنجر كشيده به مستى چنان دهد

هدمت عينك بالرمش　　بلاد العالمينا

وكذا خنجر من　　عبّ خمور الأندرينا

وباعتقاد المؤلّف أنّ شعر ظهير لا محصّل له لأنّ مضمون هذا الأسلوب جرى عليه الأُدباء في سننهم فأصبح متعارفاً عندهم بأن يقال: إنّ فلاناً يعطي كلّ ما يناله للسهم والقوس أو للكتاب وأمثال ذلك فيكون المعنى أنّه يعطي على سبيل المقايضة ولكن ذلك لا يظهر جليّاً في مادّة شعر ظهير لأنّه ليس مراده أنّ جعد الحبيب يقايض القلوب المدلهمّة بحبّه بالقوس والنبال، بل المراد من ذلك أنّه يودعها عند السهام والقوس وهما كناية عن العين والحاجب وإلّا فليدقّق النظر أصحاب الذوق والمعرفة في هاتين القطعتين اللتين نظمهما «أنوري» و«سلمان» في نعت الفرس ولينصفوا من أنفسهم وهم فرسان الكلمة، وليعذروا المؤلّف في ترجيح كفّة سلمان، فإنّ الحكيم الأنوري يقول:

تبارك از آن آب سير آتش بغل　　كه با ركاب تو خاكست و باعنانت هوا

بشكل آب رود چون فرو رود بنشيب　　بسير باد رود چون درآيد از بالا

زمرّدين شمس اندر دعا بقوّت جذب　　بديدهٔ مهرهٔ افعىٰ برون كند زقفا

مگر بسايهٔ او بر نشاندش تقدير　　وگرنه كى بعنانش رسد سوا و ذكا

بدخل خرج غبارىٰ كه نعلش انگيزد　　كند زصحرا كوه و كند زگه صحرا

جهان نوردى كامروزش ار برانگيزى　　به عالمى برود كاندر او بود فردا

تقريب المعنى بالعربيّة:

تبارك الله الذي أوجدت　　يداه طرفاً مثل ماء جرىٰ

فهو كماء إن جرىٰ من علٍ   وفي صعود هو مثل الهوىٰ

سنابك تحذف فيه الحصى   كومضة السيف إذا ينتضىٰ

لطف من الله على ظهره   فارس أحلام المعالي اعتلا

إذ كيف يدنو من غبار له   يثيره فارس شمس الضحى

صحرانه صارت هضاباً ترىٰ   وقد غدت مثل الهضاب الفلا

إن سرت في يوم على ظهره   صار سريعاً مثل أمس مضى

وقال سلمان هذه القطعة:

بزير زين زر اندر تراست شبرنگى

كه نعل او بگل تيره آفتاب اند است

هلال نعل و ستاره سنام و گردون سر

جهان نورد و زمان سرعت و زمين پيماست

جوان چو دولت سلطان روان چو فرمانش

جهنده همچو اعادى رسنده همچو قضاست

بلند پايه چو همّت فراخ رو چو طمع

گران ركاب چو حلم و سبک عنان چو ذكاست

شب سعادت ارباب همّت است مگر

كه روشنى سحر در مباديش پيداست

زروز و شب بگذشتى اگر نه آن بودى

كه روز روشنش از پيش و تيره شب زقفاست

زاشتياق سمش رفته نعل در آتش

شكال زآرزوى دستبوس او برپاست

بســعى قــوّت سـيرش رسـيده خــاک زمــين

هــزار پــی زحــضيض زمــين بــر اوج سـماست

شــــدن بــــجانب بــــالا ســــحاب را مــــاند

ولى عــرق نكــنـد آن غــريق بـحر حـياست

تقريب المعنى بالعربيّة:

يبدو الحصان تحت سرج الذهب	خـيل التـتار لا كـخيل العـرب
أسـود فـاحم تـخال نـعله	بـالغار مـصبوغاً فـيا للـعجب
فـنعله الهـلال يـبدو طـالعاً	ونـجمة الصـباح فـي تـلهّب
فـي عـنق زيّـنهاالله له	ورأسـه يـدور مـثل لولب[1]
يـدور فـي العـالم مـا أسـرعه	مـثل الزمـان مسـرع في الطـلب
كـدولة السـلطان عـمراً وقـويّ	وكـالقضاء نـازلاً فـي الغـلب
مـرتفع كـهمّة شـامخة	مـا قـيمة الهـمّة إن لم تـثب
ووجـهه يسـفر عـن صـباحة	لم تـبق مـن كـنابة المكـتئب
أثـبت فـي ركـابه يـوم الوغـى	إن هـربت أبـطاله مـن هـضب
يسـرع فـي الكـرّ على أعـدائه	لتـهطل الدمـا هـطول السـحب
كأنّـه ليـل سـعادة عـلى	أغـصانه ضـوء الصباح الأشـهب
يـمشي النـهار أبـداً أمـامه	والليـل يسـري خـلفه كـالذنب
والفـعل شـوقاً إن يـرى حـافره	صـار بـه وجـد لمّس اللـهب
دار الهـلال فـي شكـال رجـله	مـقبّلاً أقـدامـه للأكـعب

(١) قال الزبيدي: لولب وجمعه لواليب ولا أدري أعربيٌّ هو أم معرّب غير أنّ أهل العراق أولعوا باستعمال اللولب. لولب الماء. راجع تاج العروس.

قد أوصل الهلال من كوكبنا إلى السما كأنّنا في مغرب

كأنّه السحاب فوق رأسنا فهل جرىٰ ماء الحيا بصيّب

في الليل والنهار يمشي عمره وتتعب الشمس ولمّا يتعب

ومن قصائد الخواجه سلمان في مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام هذه القصيدة:

ای زمین و آسمانت عالم بالا شده

در هوایت آسمان چون ذرّهٔ دردا شده

طاق محراب تو رشک قاب قوسین آمده

نور ماه قبّه‌ات تا قرب او ادنی شده

در فضای پیشگاهت شرع و دین جا یافته

در هوای بارگاهت عقل و جان والا شده

باد صبحت خاک غیرت بر سر جنّت زده

گرد فرشت آبروی عنبر سارا شده

سدّه‌ات مر سالکان را بیت معمور آمده

حلقه‌ات روحانیان را عروة الوثقی شده

هر کجا در باب فضلت عقل فصلی خوانده است

انس و جان گویای آمنّا و صدّقنا شده

گر تو دریایی چه داری کان رحمت در کنار

ور تو کانی کی بود کان معدن دریا شده

لطف حقّی نور رحمت در دلت جا یافته

آسمانی آفتابی در دلت پنهان شده

آفتاب کبریا دریای دُرّ لا فتی

فخر آل مصطفی مخصوص نصّ هل أتی

آنکه چون کان مروّت در کف احسان اوست
لاجرم کوی فتوّت در خم چوگان اوست

شرع بر مسند نشسته عقل تمکین یافته
حیله دست و پا شکسته فتنه در زندان اوست

باب شهر علم می‌خوانندش امّا نزد عقل
عالم علم اوست گرچه علم عالم آن اوست

با همه رفعت که دارد آسمان چون بنگری
گوشه‌ای از گوشه‌های گوشهٔ ایوان اوست

«لحمك لحمي» نبیّش گفت و در تصدیق آن
«قل تعالوا ندع» از حق منزل اندر شأن اوست

خاطر ما و صفاتش چون تواند گفت چون
ناطقه مدهوش و دل سرگشته جان حیران اوست

آنکه ذات او مقدّم بر وجود عالم است
بهر ایجاد وجود او وجود آدمست

ای برابر کرده ایزد با خلیلت در وفا
آیهٔ «یوفون بالنذر» است بر قولم گوا

بود با أیّوب هم سر در گه صبر و شکیب
گشته با جبریل همره در ره خوف و رجا

نوح را در شکر اگر «عبداً شکورا» گفت گفت
از برایت «سعیکم مشکوراً» اندر هل اتی

گر بطاعت گفت عیسی را و اوصاف تو را
در «يقيمون الصلاة» آمد زنزد حق ندا
ور بعزّت مصطفی را مکّه الله برکشید
گشت منزل بهر اعجاز تو نصّ «إنّما»
ور سلیمان خلعت «ملكاً عظيماً» يافتست
آیة «ملكاً كبيراً» خلعت تست از خدا
می‌کنم اقرار و دارم اعتقاد آنکه نیست
در ره دین رهبری چون تو زبعد مصطفی
با زبان روح گفتا با محمّد آشکار
لا فتى إلّا علي لا سيف إلّا ذوالفقار
کنیت مرغان شاخ سدره بر پر کرده‌اند
مدحتت کرّوبیان عرش از بر کرده‌اند
فهم و وهمت مشکلات رای دین‌نگشوده‌اند
دست وطبعت سیم‌و زر را خاک بر سر کرده‌اند
قدرتت را شرح در فصل سلاسل‌خوانده‌اند
قوّتت را وصف اندر باب خیبر کرده‌اند
یک دلیلت در ولایت کرد نعل دلدلت
کز غبارش دیدهٔ گردون منوّر کرده‌اند
یک مثالت در ولایت روی و موی قنبر است
کز سوادش گیسوی شب را معنبر کرده‌اند

در دانش را دلت دریای معنی دیده‌اند
آفرینش را کَفَت فهرست دفتر کرده‌اند

ختم شد بر تو ولایت چون نبوّت بر رسول
شیر یزدان ابن عمّ مصطفی زوج بتول

این منم در خطّهٔ دل عالم جان یافته
وین منم در عالم جان ملک ایمان یافته

این منم با یوسف از چاه بلا بیرون شده
پس چو عیسی رتبهٔ خورشید تابان یافته

این منم با خضر بعد از زحمت راه دراز
در سواد مصر رحمت آب حیوان یافته

این منم با لکنت باقل در این عالیجناب
دستگاهی در فصاحت همچو سحبان یافته

این منم کز بعد چندین التماس از لطف حق
ملکتی زیباتر از ملک سلیمان یافته

این منم در بارگاه مقتدای انس و جان
با قصور عجز خود را منقبت خوان یافته

این منم با آستان فخر آل مصطفی
رتبهٔ حسّانی و مقدار سلمان یافته

حجّت قاطع امام حق امیرالمؤمنین
بحر دانش کان مردی لطف ربّ العالمین

تا که در دریای مدحت آشنائی می‌کنم
هرچه بی‌مدح تو باشد آن ریائی می‌کنم

آرزوی مدحتت داریم در بحر جنان

با چنین طبعی نه آخر بی‌حیائی می‌کنم

ما زراه افتادگان واله و سرگشته‌ایم

از ولایت التماس رهنمائی می‌کنم

با همه ملک گدائی تاگدایت گشته‌ام

بر سر شاهان عالم پادشاهی می‌کنم

تقريب المعنى بالعربيّة:

يا من علا في أرضه وسمائه وأرى السماكالذرّ في عليانه

محرابك السامي وطاقُ فوقه أعلى مقام قد هفىٰ للقانه

في قاب قوسين انجلت آياته لكنّها غبطت وميض بهانه

من حيث نور قباب قبرك قد دنىٰ أسمىٰ دنوّاً من عليّ سنانه

والدين والشرع التجا لمكانة يسع الوجود جميعه بفضائه

وكذلك العقل اعتلا بسموّه والروح نالت قدرها بأزائه

غار الجنان من الهواء يمرّ في صبح تأنّق في رقيق هوائه

وغبار فرشك عنبر جادت به سارا[1] وسدّ الأُفق في لألائه

وكذاك سنّتك العليّة أصبحت للسالكين هدىً سما بإبائه

وتفيّأوا ظلاً ظليلاً عنده ألقوا عصى التسيار في أفيائه

ولحلقة دارت عليك هفى لها ذو الروح رجّ الليل في أصدائه

قد عدّها كالعروة الوثقى له وكذاك من ساواه من زملائه

---

(١) طالما عبّر الأُدباء الفرس بعنبر «سارا» وهو نوع خاصّ من العنبر زكيّ الرائحة وقد كثر ذكره في شعرهم.

والعقل إذ يتلو لفضلك آيه ... والله قد أعطاه من أسمائه
ويجيبه الثقلان «آمنّا به» ... وكذلك «صدّقنا» شريف ندائه
إن كنت بحراً فيه ساحل رحمة ... شيبت لطائفها برقّة مائه
لطف الإله ورحمة بفؤاده ... الله ناشرها على أحيائه
أنت السماء وفيه شمس خُبّأ ... ت بفؤاده وكذاك في حوبائه[1]
ولكبرياء الشمس يعلو ضوئها ... وضيائها يسمو بفضل ضيائه
بحرٌ به درّ يخصّ «بلا فتى» ... و«بهل أتى» ويسرّ أهل ولائه
من كان في كفّيه يحمل منجماً ... ويصبّ للإحسان ماء عطائه
في مقبض بعصاه فضل مرونة ... هي عالم تكتض في أرجائه
والشرع مسنده أريكة عزّه ... والعقل مكّنه على أعدائه
والمكر أوجعه وكانت فتنة ... قد أوثقت في السجن من سجنائه
سمّوه باب العلم إلّا أنّه ... هو عالم للعلم في أحيائه
والعلم يملكه ولم يبخل به ... من شاء داوىٰ جهله بدوائه
وإذا نظرت إلى السماء رأيتها ... كالرقعة الزرقاء في أبهائه
قال النبيّ له: أيا من لحمه ... لحمي وشيب دمي بطهر دمائه
وأتى الكتاب مصدّقاً ما قاله ... في «قل تعالو» ندعو خير دعائه
من يستطيع يعدّ فيه صفاته ... ليس العقول العشر من ألفائه
خلق الوجود جميعه من بعده ... وأبوه آدم كان من نظرائه
يا من يساويه الإله بصنوه ... في فضله السامي ولطف وفائه

---

(١) الحوباء ممدوداً: النفس وجمعه حوباوات، وقيل: الحوباء روح القلب. راجع: تاج العروس مادّة حوب.

«يوفون بالنذر» التي نزلت بهم لهي الدليل على كريم إخائه
ساويت أيّوباً وصبرك صبره وكجبرئيل بخوفه ورجائه
إن قال عن نوح إلهك مادحاً «عبداً شكوراً» راضياً بقضائه
ولقد أتى في «هل أتى» عن سعيكم في أنّه المشكور عند ثنائه
ولئن أطاع الله عيسى قد أتىٰ فيكم «يقيمون الصلا» لرضائه
إن كان أعطى ربّنا أُمّ القرىٰ لنبيّه ما كنت دون حبائه
أعطاك ربّك «إنّما» ما فوقها من مقعد والله من جلسائه
ولئن حبىٰ ملكاً سليماناً به قد فاق أهل الأرض من إحبائه
فلأنتم «ملكاً كبيراً» ملككم «طوبىٰ» الجنان تعيش في أفيائه[1]
وأنا أقرّ فأنت بعد المصطفى كنت الوصيّ وحاملاً للوائه
قد قال جبريل بحقّك «لا فتى إلّا علي» في عظيم عنائه
كتبت على الجنح الطيورُ بسدرة في جنّة المأوى كنى أسمائه
وغدا الملائك ينشدون مديحه ما أعذب النغمات في إنشائه
كم مشكل للدين أنت شرحته فتقشّع الطخياء من ظلمائه
وأحلت بالطبع السليم وكفّك المعطاء أنقى التبر من بوغائه[2]
«ذات السلاسل» أخبرت عن قوّة نيطت بجهدك بعد طول بلائه
باب اليهود بخيبر قد أفصحت أنباته ما ضاع من أنبائه
وغبار دلدل[3] دلّ حين تطايرت حلقاته من ظلّ درب ولائه

---

(١) أي إنّ شجرة طوبى المعروفة في الجنّة تعيش في ظلّه وتحت فيئه مع ما لها من فيء وظلّ.

(٢) البوغاء: التربة الرخوة.

(٣) دلدل: هي البغلة الشهباء التي أهداها المقوقس صاحب مصر والإسكندريّة إلى رسول الله ﷺ.

وتكحّل الفلك المحيط بتربه فرأى الوجود ودار في كحلائه

وأرى المثال على ولاك بقنبر في شعره وسواده وروائه

ألقى على خصل المساء بقنبر من شعره يذكو بطيب ردائه

ورأت لثالي العلم قلبك مانجاً بالعلم قد خبّاه في أحشائه

ورأى الوجود بنقش كفّك دفتراً هو فهرس للكون في نعمائه

ختم الولاية فيك مثل محمّدٍ ختم النبوّة في هدىً بيضائه

هذا أنا قد نلت فيكم عالماً في الجنّ والإيمان من خلطائه

هذا أنا وخرجت من بئر البلا مع يوسف مذ ذقت ضعف بلائه

وغدوت أشبه للمسيح كأنّه شمس تفجّر في سنا غرّائه

ومشيت والخضر العظيم بلاحب طالت مسيرته على ضرّائه

ووصلت مصر ونلت ماء حياته وظللت أحيي الهمّ في أبنائه

قد صرت سحباناً وصرت كباقل وكذا الكلام أعدّ من فصحائه

هذا أنا بعد الدعا من بارئ قد نلت ملكاً صرت من نجبائه

ملك الفصاحة لا سليمان الذي أضحى عطاء الملك من بخلائه

هذا أنا قد صرت مدّاحاً أُرى في مشهد الإيمان من شهدائه

وربحت في أعتاب آل محمّد مجداً غدا حسّان من شعرائه

وكمثل سلمان عليه تحيّة تترىٰ وكان رجائنا كرجائه

في خدمة المولى علي إنّه مولى الورى بصباحه ومسائه

ربّانه بسفينة في بحره تجري ومادح غيره بريائه

نرجو الجنان بمدحه وبحبّه فلذاك أطمع جاهداً برجائه

لكنّني أنا تائه بمفازة أرجو يريني النور في عشوائه

إنّي لأستجدي حنانك طالباً جدة تنيل المرء برد ظمانه
مع ذا وإنّي فوق كلّ متوّج ساويته علوت برج سمائه

وله في مرثية الإمام الشهيد عليه السلام:

در حق باب شما آمد «عليٌّ بابها»
هر كجا فصلي در اين بابست در باب شماست
هركس از باطل بجائى التجائى مى‌كند
زانميان ما را جناب آل حيدر ملتجاست
كورى چشم مخالف من حسينى مذهبم
راه حق اينست و نتوانم نهفتن راه راست
سنگها بر سينه گريان، جامها در نيل غرق
مى‌رود نالان فرات آرير از اين غم در عزاست
هر سگى كز روبهى با شير يزدان پنجه كرد
گر همه آهوى تاتار است در اصلش خطاست
يا امام المتقين ما مفلسان طاعتيم
يک قبولت صد چو ما را تا ابد برگ و نواست
ياامام المسلمين از ما عنايت وامگير
خود تو مى‌دانى كه سلمان بندهٔ آل عباست
نسبت ما با شما اكنون در اين ابيات نيست
مصطفى فرمود سلمان نيز زاهل بيت است
روضه‌ات را من هوادارم بجان قنديل وار
آتشين دل در برم دانم معلّق زين هواست

يـــا ابـــاعبدالله از لطـــف تـــو حـــاجات هـــمه

چـــون روا شـــد حـــاجت مـــا بـــرآيـــد هـــمروا ست

تقريب المعنى بالعربيّة:

يـوم لأبـواب الورىٰ كـلّ سـائل — وإنّـي عـلى بـاب الهـداة سئول

وكـلّ رجـاء يـرتجي مـن سـواكـم — فـذا بـابكم يسـخو بـه ويـنيل

وكلّ امرئ إن يـلتجي نـحو بـاطل — فـإنّي إليكـم لاجـئ ودخـيل

فـلانعمت عـين المـعاند إنّـني — عُـبيد عـلى كـلّ الوجـود يـطول[1]

وهـذا طـريق الحقّ لاكطريقهم — وهـيهات عـن هـذا الطـريق أمـيل

أنا ضارب صـدري بـصخر ونـائح — عـلى السـيّد المـولىٰ وثـوبي نـيل

وماء الفرات الدمع يـجري بـجمره — فـدعه عـلى طـول الزمـان يسـيل

إذا أســـد الله أتـــته كـــلابهم — بأضـــغانها دومـاً عـليه تـصول

وأنـيابها قـد كشّـرتها لغـاية — وفـيها ابـن آوى مـرشد ودليـل

لئن طـيّبت بـالمسك كـلّ فـروعها — لقـد خـبثت عـند الغـراس أُصـول

وأنت إمـام المـتقّين وإنّـنا — مفاليس فـي التـقوى ومـنك قـبول

فـتنقذ آلاف المـفاليس فـي الورىٰ — وليس لنـــا إلّا إليك ســبيل

وأنت إمـام المسـلمين مـنحتنا — عـناية مـولى للـحياة تـنول

فـلا نسـلبنها لا نـزول عـن الهـدى — وسـلمان مـولاكـم فكـيف يـزول

ومـا صـلتي فـيكم بأقـوال شـاعر — وهـيهات مـا للـقلب عـنك عـدول

وقد قال خير الخـلق يـوماً لعـبده — وسـلمان مـنّا والحـديث طـويل

هويت بـقلبي روض قـبرك ليـتني — كـقنديله لا يـعتريه أُفـول

---

(١) الطول بالفتح المنّ، يقال: طال عليه و تطوّل عليه أي امتنّ.

يـضوّء درب الزائـرين بـنوره كما ضوّأ المصباح وهو صقيل
وأوقـد مـن نـار بـحبّك أُولعت ولو أنّـني ضـوء لديـه ضـئيل
وتقضى لنا حـاجاتنا وهـي جمّة وإنّـي لغيري طـالب وسـئول
كما سئلت نفسي لنفسي حاجة فأنـفذتها لا مـانع وبـخيل
وليس عـجيباً أن تكـون كـثيرةً فـهل إنّ مـا يـعطى الكريم قليل

مولانا الكاتبي النيشابوري كتب الله له الجنّة

جاء في مقدّمة كتاب «مجمع البحرين» وهو من كتبه المثنويّة تعبيره عن نفسه بمحمّد بن عبدالله النيشابوري، وقال في القصيدة التي رديفها «گل»[1]:

همچو عطّار ازگلستان نشـابورم ولى خار صحراى نشابورم من و عطّار گُل
أصبحت كالعطّار في روضـة راقت بـنيشابور أورادهـا
لكنّني كـالشوك فـي روضـها إذ أصـبح العـطّار يـعتادها

وهذا الشعر يوافق ما ذهب إليه ولكن دولتشاه قال في التـذكرة: إنّ مـولده ومنشأه «ترشيز». ووجه الجمع بين هذين القولين على العارف بأُصول وفروع نيشابور ما هو غير خاف ولا مستور.

وجاء في التذكرة السالفة أنّ الهداية الأزليّة ساعدت طبعه الفيّاض في رويّة القول، ومع وجود لطف طبعه ومع كونه فصيحاً بليغاً وصاحب ذوق في الأدب فقد سقي كأساً من حانة العرفان، وأصبحت الدنيا متاعاً مسترذلاً بإزاء ما له من همّة، والشاعر الطامع لا يعدل شيئاً عنده.

---

(١) الرديف: مثل الكريم عند شعراء العجم عبارة عن كلمة أو أكثر توضع قبل (كذا) القافية بشكل مكرّر لهامعنى واحد.. الخ، راجع «كشّاف اصطلاحات الفنون».

وبدأ رحلته من «ترشيز»[١] إلى نيشابور وأخذ عن «مولانا سيمي»[٢] سبيل التعليم، وكان تخلّصه بـ«كاتبي» لهذا السبب.

وممّا يذكر أنّ الرجل حسده الملّا سيمي على علمه وشاعريّته وفصاحته فهاجر من نيشابور إلى هراة وقال القصيدة التي رديفها «نرگس» لكمال إسماعيل، فأجاب الميرزا بايسنغر جواباً مليحاً ولكن الميرزا لم يعبأ به لمضايقة الخصوم والحسّاد له فتألّم من جرّاء ذلك وخرج من هراه ميمّماً شطر استرآباد وگيلان وشروان[٣] فاحتفظ به الشيخ إبراهيم الشرواني وتعاهده بالرعاية والتربية وأعطاه ذهباً ولكنّه أتلفه بمدّة يسيرة حيث ألهىٰ نفسه بأُمور الدنيا.

قيل: إنّ الميرزا إبراهيم وصله على القصيدة التي رديفها «گل» المشهورة عشرة آلاف درهم شرواني ولكن الرجل بدّد المال في شهر واحد بـ«نزل القوافل شماخي» وقسّمه بين الفقراء والشعراء والمستحقّين من غير أن يناله أسف أو حيف على ذلك، وسرقوا جملة منه، وطلب من خادم له أن يطهو له طعاماً ولم يملك من تلك النقود حتّى قيمة مقدار قليل من الدقيق، فقال هذا الشعر:

---

(١) ترشيز: معرب من طرثيث أو ترسيش وهو قصبة صغيرة تقع في اقليم خراسان بالقرب من نيشابور وينتسب إليها جمع من الشعراء / للمزيد راجع دهخدا.

(٢) مولانا سيمي: من أهل نيشابور ذو فضل واسع وله في الشعر والألغاز والترسّل باع طولىٰ شهد له بذلك أهل الصناعة والفنّ في عصره، وسلّموا له القياد، والمعروف عنه أنّه نظم في يوم واحد ألفي بيت من الشعر وكتب هذا السجع ليطبع في خاتمه وشعره قليل يتداول الناس بعضه / راجع لغتنامه دهخدا واقرء المزيد عنه.

(٣) استرآباد: قرية بالقرب من جرجان تقع في حضن جبل ديلمان طيّبة الماء والهواء. گيلان: اسم يتداوله سكّان السواحل الجنوبيّة لبحر خزر وأرضه مسطّحة ساحيله تقع بين چالوس وأنزلي. شروان: ولاية في جنوب شرق القفقاز في الجهة العليا من نهر أرس.

مطبخی را دی طلب کردم که بغرائی پزم
تا شود زآن آش کار ما و مهمان ساخته
گفت لحم و دنبه گر یابه که خواهد داد آرد؟
گفتم آنکو آسیای چرخ گردان ساخته

طلبت من طاه له همّة طبخ طعام لي وللضيف
فقال لا نملك شيئاً هنا ولم نزل في أوّل الصيف
قلت رحانا فلك فاصطبر فسوف يأتيكم بلا حيف

فلامه بعض أصحابه قائلاً: إنّ السلطان أعطاك الساعة عشرة آلاف درهم وأنت لا تملك ثمن قفيز دقيق، نخشى أن يتنكّر السلطان لك من أجل هذا، فقال: إن كنت أنا هنا خازناً للسلطان أو جهبذاً له فعليّ أن أعد العدة للجواب ولكنّه أحسن إليّ وأنا واحد فقسّمت إحسانه على ألف إنسان، فإذا استردّ منّي إحسانه حوّلته على هؤلاء المستحقّين وأقول له: أنت دللتهم عليّ؛ فلا تحملوا همّ خزانة شروان ولا تضيقوا ذرعاً بإفلاسي، ولي كنز من المعاني ولن يفلس من المروئة.

وأخيراً قدم مولانا من شروان إلى تبريز ومنه نوى الرحلة إلى اصفهان وتشرّف بصحبة الشريف مفخرة الفضلاء والمحقّقين الخواجه صائن الدين تركه ﷺ، وقرأ عدّة نسخ عليه في علم التصوّف فعرفه هناك وبايعه وعاد ثانية من خراسان إلى بلاد طبرستان ومرّ بدار المرز[1] وأقام في مدينة «استرآباد» فاستقبله حكّام ذلك القطر وكبراء وأعلام المنطقة بالترحاب والإجلال، واشتغل بجواب «خمسة نظامي» لفراغه وعدم اشتغاله بأمرٍ ذي بال، وأجاب أكثر كتاب المخزن على وجه الصواب.

---

(١) من أسماء مدينة رشت.

وتوفّي بالوباء الذي حلّ بالمنطقة سنة تسع وثمانين وثمانمائة ولبّىٰ داعي الحقّ.

يقول المؤلّف: إنّ مولانا وإن كان في خطبة (مقدّمة) بعض مثنويّاته بأمر أكابر أهل السنة أثنى على الخلفاء الثلاثة ولكنّه في القصيدة التي أنشأها آخر عمره وعارض بها الشيخ سنائي بل حاكاه وتتبّعه اعترف ببطلان ما قال حيث يقول:

خواهم كه عمر مانده بوصف تو بگذرد ... اى عمر رفته اين قدر اميدم از قضاست

غـر از ثـناى ايـزد و نـعت نـبىّ و آل ... هر چيز كان شنيده ام و گفته ام هباست

غـلمان نـويسدم خـط آزادى ار بـحشر ... گـويند كـاتبى ز غـلامان مـرتضى است

أردت قضاء العمر في نعت فضلكم ... فـقدت رجـائي بـالقضاء أيـا عـمري

ومـا قـلته إلّا ثـنائي لخـالقي ... ونعت النبيّ المصطفى صاحب القدر

وأولاده الأطـهار مـا كـان مـثلهم ... لأنّـهم المـوفون للّـه بـالنذر

هو الباطل المرفوض عند أُولي النُّهىٰ ... هو الهجر إنّي قد بـرئت مـن الهـجر

وأرجو بأن أُدعىٰ غـداً يـوم مـحشر ... أيا كاتبي أصبحت عـبد أُولي الأمـر

كما أنّ الكثيرين من أهـل الشيعة المـتيقّن بـتشيّعهم وولائـهم وإنكـارهم لخصوم أهل البيت ولم يكونوا في زمانهم بحاجة إلى التقيّة ولكـن لمّـا كـان لكلامهم انتشار وشهرة في بلاد العالم ولأهل السنة في تلك الأصقاع الأغلبيّة ويشكّلون السواد الأعظم فيها مِن ثَمّ ذكروا في كتبهم أسماء الأعداء والخصوم بتكلّف، وفي الحقيقة هذا نوع من أنواع الميل للدنيا وتغيير الحقيقة بنوع من الحيلة والتزوير لتظلّ حقيقتهم خافية على الأجانب ومتوارية عنهم:

آن كس كه زكوى آشـنائى است ... داند كـه مـتاع مـاكـجائى است

من عاش داخل حينا ... يدري مكـان مـتاعنا

ومن قصائد مولانا الكاتبي التي أنشأها في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام هذه القصيدة التي نختار جملة منتقاة منها ونذكرها هنا وهي:

به چشم عقل اقاليم سبعه گنج زر است
ولی چه در نگری اژدهای هفت سر است

به لعل و زر مرو از راه و لنگری پیش آر
که کوه را بس از این سنگ بار در کمر است

درون گنبد گردون به فکر کاری باش
مگرد هرزه به هر سو که خانهٔ پدر است

مگو اگر نکنم کار رزق نیست مگو
که خارِ خارگر جهل از این اگر مگر است

اگر فلک بُوَدَتْ پرده‌دار و پرده سرا
به پرده داری او دل مَنِه که پرده در است

زدال دایرهٔ فقر جوی دولت و دین
که هرچه هست جز این دال ذال الحذر است

مشو حریص و ز وجه رسیده باذل باش
که بذل بدرقهٔ سیر هر نکو سیر است

رسان کواکب ایثار بر سپهر اثیر
زبرج بذل که ایثار را بسی اثر است

هنر سخاست دگر جمله دست افزارند
اگر تو را به هر انگشت صد هنر است

سپهر را ززر وجود ساخت حلقه بگوش
در محيط نجف كافتاب بحر و بر است
اميرِ يمِ دل كان كف على عالى قدر
كه‌از سحاب علومش دو كون يک مطر است
بدان شجر كه فكند ابر همّتش سايه
خيال سبز سپهرش چو دانه در ثمر است
نجوم جوهر شمشير چرخ سيمايش
بقطع باديه‌هاى سلوك راهبر است
قضاى باز وكبوتر از او بقطع رسيد
كسى كه نيست بدينها مقر چه جانور است
رسول گفت مر او را در مدينهٔ علم
تو خواجهٔ دو سرا بين بشاه در چه در است
بدانه‌اى كه زخرما فكند بر سلمان
نموده شد بعرب كوچه نخل بارور است
عجب مدان خبر ديو و قيد او زولى
كه در بلاد ولايت هزار از اين خبر است
زبال او طيران يافت جعفر طيّار
كه همچو طاير قدسش هزار زير پر است
بدامن حجر الاسود است مولد او
چه جوهر است ندانم كه مولدش حجر است

زهی همای همایون که طوطی افلاک
بجنب قصر جلال تو کم زکبک در است
تو را زخوان نبی در زمان مهمانی
حدیث «لحمك لحمي» کمینه ما حضر است
بر آفتاب در آن عصر حکم فرمودی
مدینه را زتو این هم ولایتی دگر است
زبارگاه تو قانع به مهد شد جبریل
چرا که پیش کمال تو طفل شیرخور است
به دلدل تو عداوت زاصل ناپاکی است
به ذوالفقار تو یاری زپاکی گهر است
ندیده چون تو سلاسل گشای در دوران
فلک که سلسله جنبان حلقهٔ صور است
درون اردوی آدم نیافت چون تو سوار
قضا که معرکه آرای لشکر قدر است
شها نه حدّ من است اینکه باشمت داعی
چرا که داعیه‌های چنین نه مختصر است
طریقهای چنین از طریق نیست ولی
بشیر عفو تو داند که آدمی بشر است
مرا بسایهٔ خود خوان که نخل سبز سپهر
مظلّه‌ایست که عشر مضرّتش عشر است

هزار تير غم هر نفس زدل گذرد
خوشم بدين همه چون هرچه هست درگذر است

حروف نظم دلاويز خود نمی‌دانم
كه پارهٔ دل پر آتش است يا جگر است

دواى ريش دل اى كاتبى زخلق مجوى
كه ميل مرهمشان را خواص بيشتر است

به علم كوش و زعريان تنى مجو آسيب
كه جرم ميوه چو بی‌پوست شد لذيذتر است

وجود جاهعل اگر در نخ و نسيج بود
چو كرم مرده شمر كو درون پيله در است

مباش غرّه كه دارم عصاى عقل بدست
كه دست فتنه دراز است و چوب را دو سر است

بساز مرهم كافورى سحر خيزى
كه داغها زنجومت چو چرخ بر جگر است

مگرد دربدرى از براى خاطر نفس
كه لوح شحنهٔ هر در پر از خط خطر است

زمير نحل سخن گوى تا خرد گويد
كه شهد معنى منحول سنگ اين شكر است

سوار ارژنه را وصف گوى و از دشمن
جوى مترس اگر پنجه زن چو شير نر است

همیشه تا سخن از کوثر و بهشت بود
که مؤمنان همه را چار جویش آبخرو است
بفرق باد مرا ظلّ ساقی کوثر
که طوطی نعم او بهشت هشت در است

تقريب المعنى بالعربيّة:

وأنت ترى هذي الأقاليم سبعة — وتبدو بعين العقل كنزاً من الذهب
ولكن أفاعٍ في رؤوس كثيرة — وتقتل بالسمّ النقيع من اقترب[1]
فدع عنك تطلاب النضار وشبهه — فذلك ثقل فوق ظهرك ينتصب
يزلزل من أعلى الجبال هضابها — عذيرك من ثقل تزول به الهضب[2]
وذا الفلك الأعلى قباب تظلّه — فأجمل إذا ما تطلب العيش في الطلب
وليست قباباً بل بيوت رفيعة — لأُمّ تناها برّها بابنها وأب
وإيّاك من قول إذا عطّلت يدي — فلست أرى رزقاً لديّ ومكتسب
فذلك وهم الجهل يطفو على امرئ — وليس به خير طفى الجهل أو رسب
ولا تغترر بالدهر تغرى بفعله — وإن كان أعطاك البيوت من القصب
فسوف يرى يوماً يمزّق سترها — ويسلبها كاللصّ من بعد ما وهب
وفي فناء فقر دولة وديانة — وإلّا ففي ذالِ المذلّة تستلب
ولا تتولّ الحرص وانبذه جانباً — وجُد من عطاء حاضر تلق ما تحب
فذو الجود يلقىٰ في الحياة كرامة — ووداً سواء من قلاه ومن أحب
وضع كوكب الإيثار جمعاً على سما — أثير فإنّ الخير من ذاك يرتقب

(١) ابن الأعرابي: النقيع: السمّ الثابت يقال: سمّ منقوع / راجع: تهذيب اللغة.

(٢) أ هلمّ من يعذرك منه الخ.

وللفنّ جود في يديه أصابع — وفي كلّ عقد منه فنّ قد احتجب
وأعطى السماء التبر عبداً مملّكاً — إلى نجف المولى عليّ قد انقلب
هو الشمس في برّ وبحر تفجّرت — بأسرار ربّ العالمين قد اضطرب
وفي كفّه بحر ومعدن جوهر — يسيل رغاباً للأنام وما نضب
وما علم أصحاب النبيّ لعلمه — سوى قطرة بانت من الموج إذ وثب
وذا الدوح إذ يرمىٰ عليه ظلاله — خيال سماه خضرة فيه تحتسب
وما هو إلّا البذر وسط ثماره — كما يختفي قطر الحيا داخل السحب
وتبدو النجوم الزهر صفحة سيفه — كجبهته تنجي الأنام من العطب
تطلّ على عفر[1] المفازات يهتدي — بها في رمال مانج كلّ من ركب
ونجّى حمام الدوح من صيد أجدل — ومن لم يصدّق فهو للبهم ينتسب
وقال النبيّ المصطفى باب علمنا — تعال لباب المصطفى إنّه العجب
رمىٰ بالنوى سلمان فاخضرّ عوده — وصار من النخل الذي يزرع العرب
وإذ قيّد الشيطان مولاك فاتّئد — ولا تعجبن فالأمر بين الورى غلب
وجعفر الطيّار طار بجنحه — وألف من الأقداس في جنحه احتجب
وفي الكعبة الزهراء مولده أتىٰ — ولست أرى أمراً يتمّ بلا سبب
وفي الحجر الميمون ثمّ ولاده — فما سرّه والطهر للحجر اقترب
له الله من سعد به يسعد الورىٰ — به طائر الأفلاك كالقنّ ينتصب
وفوق الخوان المصطفى قال قولة — بلحمك لحمي أوجز القول واقتضب
حكمت على شمس السماحين أشرقت — فذا عالم من دار ملكك يحتسب
سرادقك الشمّاء جبريل أمّها — ليحمىٰ كما يحمىٰ الوليد إذا لعب

---

(١) العفر: محرّكة، ظاهر التراب. راجع القاموس المحيط.

وكلّ امرئ عاداك من خبث أصله وصار أميراً ذو الفقار على القضب
ولم يرَ شخص مثل شخصك مطلقاً قيود الورى عنهم وما عاقه تعب
وتشهدك الأفلاك تنفخ صورها إذا كلّ إسرافيل عن فعل ما وجب
ولم يرَ قرماً مثل شخصك فارساً لدى آدم في جيشه الضارب اللجب
قضاء أدار الحرب للقدر الذي يعيد حساباً ناقداً كلّما حسب
ولست أنا الداعي إليك لأنّني صغير وهل مثلي لذا الأمر ينتدب
وليس طريق مثل هذا موافقاً ولكن على علم بعفوك يرتقب
وخذني إلى ظلّ بأرضك واسع مظلّة نخل في السما عنده ريب
تؤلّف خضراء السما عشر ظلّها وطابت ظلال إذ غدىٰ روضها أشب
وأرمي نبال الهمّ تعبر مهجتي ويعبرها نبل الهموم فما صعب
ويعشق شعري سامع لست عالماً أقطعة قلبي أم هو الكبد التهب
ويا كاتبي لا تطلب البرء عند ذي رداء ففي ذا بلسم القوم لم يطب
خذ العلم واعزف عن عيوب مجرّد ألذّ ثمار الحقل ما قشره يذب
وأمّا وجدت الجهل في الغزل فاعتبر ولا تكترث للأمر واجتنب الغضب
فدودة قزٍّ للحرير ضرورة ولكنّها تعطيه حين ترى العطب
وإيّاك والجهل الذميم فإنّني قبضت عصى عقلي لكي تنشر الأدب
وإن كبرت يوماً بأرضي فتنة فهذي العصىٰ رأسان ليس لها ذنب
وخذ من قيام الليل للجرح بلسماً وفي الليل يبدو النجم كأس بها حبب
دوائر هذي النجم في الكبد الذي تقلّب فوق الجمر يؤنس من أحب
ولا تتسكع في رضا النفس سائراً فشحنة هذا الدرب ملأى من الرهب

وخـذ مـن أمـير النحل مـا قـال فـالنهىٰ | إذا نضجت في المرء كالراح في الضـرب[١]
وعـن فـارس حـدّث بأرجـنة أتـىٰ | وأنـقذ سـلماناً مـن اللـيث إذ وثب
ولا تـخش أعـداءً وإن كـان فـيهم | النسـاء كـمثل اللـيث في بـرثن عـجب
أطـل مـن حـديث الكـوثر العذب إنّه | لمـن يـتولّاهم هـنيئاً لمـن شـرب
وفـي ظـلّ سـاقي الكـوثر اذكـر محبّه | فـإنّي هـزار فـي الجـنان له انـتسب

ومن قصائده هذه القصيدة التي نختار منها ما يلي:

اى دل سـخن زدست و دل بـوتراب كـن
آبـاد سـاز كـعبه و خـيبر خـراب كـن
خـاک عـدو بـباده ده از گـرد دلدلش
وز ذكـر تـيغ او جگـر خـصم آب كـن
بـا هـركه آن جناب گـرفت اُنس اُنس گـير
وزهـركه اجـتناب نـمود اجـتناب كـن
تسبيح خارجى كه نه در ذكـر حـيدر است
در گـردن سگـان جـهنّم طـناب كـن
سـرچشـمه گـر بـجز اسـد الله بـاشدت
بشكـن سـبوى جسـم و سـفال كـلاب كن
شـاها درا بـمعركه وز گـرد دلدلت
آهـوى چـرخ را هـمه تـن مشک نـاب كـن
بـردار تـيغ و روى زمـين سـاز مـوج خـون
وان بـحر را زكـاسهٔ سـرها حـباب كـن

---

(١) الضرب: هو العسل الخالص / العين.

گر خاک شد مخالف اولاد پاک تو

دوزخ بیاد او ده و عدنش عذاب کن

ور چرخ لاعب این حرکت کرد چون اسد

در دم رخش زآب دهن پر لعاب کن

ای نوح اهل بیت پی ما سفینه سان

طوبیش تیر و گیسوی حورا طناب کن

ای پادشاه خیل عرب وقت کوشش است

لشکرکشان تخت عجم را شتاب کن

ای شهسوار معرکهٔ آخر الزمان

از دست رفته معرکه پا در رکاب کن

تو یوسفی نقاب تو حیفست حبس غار

در جان نشین و پردهٔ دل را نقاب کن

ای خارجی به کینهٔ ما خویش را مکش

چندین گناه هست تو را یک ثواب کن

انگور زهر خورده چه دادی امام را

میخانه قبله ساز و وضو از شراب کن

آن خس که خون موسی عمران چو می‌خورد

گو چوب نخل وادی ایمن رباب کن

آتش پرست مست نگوید که باده نوش

وز پارهٔ دل اسد الله کباب کن

مستيم ما زساقى كوثر اگر رواست

ما را بى شراب طهور احتساب كن

تقريب المعنى بالعربيّة:

يا قلب فاذكر أبا تراب ذكراً كثيراً بلا حساب

والبيت فابنيه باقتدار وخيبراً دعه للخراب

وانثر تراب العدو نثراً يعقد في الجوّ كالسحاب

من دلدل في غبار نعل يثار في ظلمة الضباب

وانعت لهم ذا الفقار دوماً تخرق أحشائهم بناب

تذيبها كالجليد تجري حرارة من لظى شهاب

وأنس بمولاه ثمّ فارق عدوّه دونما أياب

هذي التسابيح إن تخلّت عن ذكره من ذوي ارتياب

فاجعل رقاب الكلاب فيها تنظم كلباً إلى كلاب

جهنّم والعذاب فيها أجدر في هذه الرقاب

لو فرغ الجسم منك يوماً من أسد الله في الإهاب

فكوزة الجسم لا تدعها إلّا شظايا على التراب

واجعل بقايا الحطام منها ميلغة الكلب في انشعاب

مولاي فاهتف لحرب حزب أوجده الله للعذاب

وعطّرن من غبار نعل لدلدل منزل الصحاب

غزال مسكٍ له شميم يعطر الجوّ بالملاب

خذ صارماً ولتسل دماء والهام فيها مثل الحباب

فإن غدوا في الثرىٰ تراباً ففجّر الأرض بالعذاب

واقلب عليهم عدناً جحيماً ولتحترق هذه الروابي
إن جعل الدهر منه ليثاً من جاء هذا الورىٰ بعاب
فابصق على الدهر كي تريه من فعله شيبة الغراب
يا نوح آل الرسول فاصنع سفينة الله للعباب
واجعل حبال السفين طوبىٰ تشقّ موجباً مثل الهضاب
جدائل الحور في جنان تحمي حماها من الصعاب
يا ملك العرب جاء يوم يأتي به الجيش بانصباب
يقصد عرش الخصوم يمضي كالسحب تهمي على الجناب
يا قائداً جاء في زمان آخر من جاء في الحساب
عجّل لئلّا تفوت حرب هيّا ضع الرجل في الركاب
يا يوسف الحسن في نقاب بل سيّد الحسن في النقاب
فاجلس بأرواحنا وخلّ القلوب كالسيف في القراب
يا أيّها الخارجيّ اقصر لابدّ تمضي إلى تباب
فكلّ أعمالكم ذنوب فاجنح قليلاً إلى الثواب
وقد سقيت الرضا نقيعاً ودرتم فيه كالذئاب
قبلتكم حانة تداعت وضوئكم صار في الشراب
وشارب من عروق موسى دم ابن عمران كالرضاب
من نخل واديه وهو قدس يصنع الأوتار للرباب
يا عابد النار ليس سكراً شرب مدام بطعم صاب
ولكن السكر أن تغذّىٰ[1] بجرعة من دم الكتاب

---

(١) أي تتغذّى بحذف أحد التائين.

لقد ثملنا بما شربنا　　من كف ذي الكوثر المجاب
بخمرة قدّرت طهوراً　　تدوم فينا إلى الحساب

مولانا لطف الله النيشابوري أفاض الله عليه

جاء في تذكرة دولتشاه المذكور أنّ مولانا كان عالماً فاضلاً وليس له نظير في علم الأدب والإنشاء والترسّل، ويقال: إنّه كان عاثر الجدّ ضعيف الحظّ، ولابدّ ممّا سنتلوه عليك أنّ من أعرض عن الدنيا أعرضت عنه الدنيا كما قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله[1]: ما رأيت منصفاً أحسن من الدنيا، إذا شغلت بها شغلت بك، وإذا تركتها تركتك، وقد أشار مولانا في بعض أشعاره إلى هذا المعنى فقال:

طالعی باشدم که از پی آب　　گر روم سوی بحر برگردد
ور بدوزخ روم پی آتش　　آتش از یخ فسرده‌تر گردد
ور زکوه التماس سنگ کنم　　سنگ نایاب چون گهر گردد
به همه حال شکر باید کرد　　که مبادا از این بتر گردد
این همه حادثات پیش آید　　هرکه را روزگار برگردد

---

(١) الواعظ، أحد رجال الطريقة، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وقال ما ملخّصه: إنّه قدم (بغداد) واجتمع إليه بها مشايخ الصوفيّة والنسّاك ونصبوا له منصّة وأقعدوه عليها وقعدوا بين يديه يتجارون، فتكلّم الجنيد فقال له يحيى: اسكت يا خروف، مالك والكلام إذا تكلّم الناس، وقال: وكان لحيى بن معاذ أخ يقال له: إسماعيل بن معاذ وكان صاحب أدب وشعر ومجالسة للملوك وكانت له امرأة يقال لها فاطمة وكان ليحيى مناجاة وإشارات وعبارات فمنها قوله: عمل كالسراب وقلب من التقوى خراب وذنوب بعدد الرمل والتراب ثمّ تطمع في الكواعب الأتراب أنت سكران بغير شراب، ما أكملك لو بادرت أملك، ما أجملك لو بادرت أجلك، ما أقواك لو خالفت هواك. الكنى والألقاب. باب الجيم.

تقريب المعنى بالعربيّة:

لي حظّ لو أقصد البحر أرجو	الماء فيه لغار منه الماء
أو قصدت الجحيم أقبس ناراً	لاستحالت ثلجاً وجاء الشتاء
أو قصدت الجبال أطلب صخراً	صار دُرّاً تصونه الأُمراء
كلّ هذا وإنّني أشكر الله لئلّا	يقسو علينا البلاء
تقصد الحادثات من حظّه من	دهره في الورى قليّ وجفاء

وكان نبوغ مولانا لطف الله في عهد السلطان صاحبقران امير تيمور «گوركان»[١] وله في مدح الميرزا ميرانشاه نجل صاحبقران[٢] قصائد غرّاء، وكان الميرزا المذكور يرعاه ويشدّ أزره وأعطاه ذهباً كثيراً ولكنّ مولانا ضيّعه بمدّة وجيزة وعاش فقيراً معدماً مفلوكاً، وهاجر في شيخوخته من مدينة نيشابور إلى قرية «اسفراين»[٣] وهي المعروفة بـ«قدمگاه امام رضا» أي أثر موطأ الإمام الرضا عليه السلام وكانت له أرض مزروعة في المدينة فأقام بها، وكان قليل الخلطة مع الناس.

وجائه ذات يوم جماعة من محبّيه إلى زيارته فرأوا باب حجرته مقفلاً فطرقوا الباب عليه وأكثروا الطرق فلم يجب مولانا، فظنّوا أنّه يتعمّد ذلك، فأشرف أحد الجماعة على المكان فرأى مولانا ساجداً ودخل باقي الزائرين عليه فلمْ يَرفع رأسه من سجدته، ففتحوا الباب عليه قسراً فلم يتحرّك ولا ترك السجود، فحرّكه

---

(١) الأمير تيمور، رأس السلسلة الكوركانيّة ومؤسّسها واستولى من سنة ٧٧١هـ إلى سنة ٨٠٧ هجري قمري على أكثر ممالك آسيا وأحكم سلطانه عليها، وكلمة تيمور تعني الفولاذ بالتركيّة.

(٢) ميرزا جلال الدين ميرانشاه الابن الثالث لتيمور لنك ولد عام ٧٦٩هـ قمري وتولّى في عهد أبيه على العراق وآذربيجان ودياربكر والشام ولكنّه أُصيب بعقله في حياة أبيه ومع ذلك نال السلطنة من بعده ثلاث سنوات وقُتِل سنة ٨١٠هـ ق على يد قرايوسف تركمان في الحرب.

(٣) مدينة من مدن خراسان.

بعضهم فرآه قد فارقت روحه بدنه وفرّ طائر روحه من قفص جسمه، فبكى عليه محبّوه بدموع من دم كالغيث إذا انهمر حزناً على فراقه في بحر الوحدة، وبعد تجهيزه بجهاز الإسلام دفنوه في الموضع المعروف بقدمگاه الإمام المعصوم ووجدوا في يد مولانا هذه الرباعيّة قد خطّها على ورقة وهو قابض عليها:

ديشب زسر صدق و صفاى دل من ‏ ‏ ‏ در ميكده آن روز فزاى دل من

جامى به من آورد كه بستان و بنوش ‏ ‏ ‏ گفتم نخورم گفت براى دل من

في ليلة سلفت لصدقي والصفا ‏ ‏ ‏ عرضت عليّ الروح كاسات الوفا

قالت فخذ واشرب فقلت تمهّلي ‏ ‏ ‏ أنا لست ممّن يستبيح القرقفا

قالت أُناشدك الوداد فعد إلى ‏ ‏ ‏ عهد مضى لتعيد أيّام الصفا

بلغ مولانا من العمر عتيّاً حتّى وافاه الأجل المحتوم سنة عشر وثمانمائة، ولمولانا قصائد غرّاء في نعت سيّد الأبرار ومناقب الأئمّة الأطهار عليهم الصلاة والسلام، ومنها خريدة الدهر هذه:

بنازد عقل و جان و دل به مهر سرور غالب

اميرالمؤمنين حيدر علىّ بن ابى طالب

نبى اندر مقام «أنت منّي» مادحش بوده

چنانكه اندر خطاب «إنّما» بودش خدا خاطب

اگر قرآن بُوَد بر حق بقول حق امامت را

حواله با كه كرد احمد بدان مجمع كه بُد ذاهب

بيا اى آنكه مى‌گويى كه با ايمان و اسلامم

تفكّر كن در اين معنى تأنّى كن در اين موجب

مکن با عقد بیدادی، مباش از هو آزادی
زحق چون خارجی خارج، به شک چون ناصبی ناصب
اگر تفضیل حکمت راست در دانش که بود اعلم
وگر ترجیح عصمت راست زآلایش که بُد طیّب
تو گر طاعت کنی بی حبّ حیدر معصیت باشد
که رند معتقد بهتر بسی از زاهد معجب
تو بوجهلی پیمبر را و دجّالی مسیحا را
چه زرّاقی کنی در فقه و دجّالی کنی در طب
در اخبار عرب برخان زحرف بدر آثارش
گرت با داستان دین و ملّت دل بود راغب
ایا ملک حقایق را خردمند از رهت رهبر
ویا گنج حقایق را هنرور از درت کاسب
عطائی این ثناخوان را که بی‌برگست و تو منعم
نوائی این پریشان را که محتاجست و تو واهب
یقین کز چاکرانت هرکه این ابیات غرّا را
بسمع جان و دل اصغا کند زین بندهٔ مذنب
بجای سیم زر خواهد که در رکن سر افشاند
بدین مطبوع پر زیور زبیض صاحب صایب
از آن بحر کرم نبود عجب گر پیش حق گردد
شفیع جرم نااهلی که بُد با نفس خود غاضب

مگـر گـردد زبـان و طبع لطف از مدح مهر او

بـواجب گـفتنى جـارى زنـاشايستنى تـائب

تقريب المعنى بالعربيّة:

ليستوي العقل وأحشائي والروح فوق الفلك النائي

علي الغالي ولكنّني فديته بالطين والماء[1]

مادحه المختار خير الورى بـ«أنت منّي» غيض أعدائي

والله قد قال له «إنّما وليّكم» في كلّ أنحاء

إن يكن القرآن حقّاً فقد قال عن المولى «بغرّاء»[2]

وقال يا أحمد بلّغ وقُم فانصب علياً نقطة الباء

إمامهم يسعد أحوالهم والموت والذلّ لأعدائي

هلمّ يا مسلم وانظر إلى الحقّ فقد بان بلألاء

وحكّم العقل بما قلته تفز بإفضال ونعماء

لا تترك العقل ولا تتّبع أهواء غاوٍ بين أهواء

فالحقّ يدعوك إلى خطّة مشرقة الطلعة بيضاء

واترك ذوي النصب إلى نارهم وقد قضوا في نار بغضاء

إن كانت الحكمة حقّاً فمن أعلمهم ما بين أحياء

أو كانت العصمة حقّاً فمن أطهر في أبناء حوّاء

وإن تطع ربّاً ولا حيدر بطاعة شوهاء عمياء

فحيلة من زاهد مدّع افضل من طاعة غوغاء

---

(١) أي الجسم.

(٢) أي بكلمة غرّاء.

أنت أبو جهل على أحمد كنت له أخبث أعداء

وأنت دجّال بلا مرية لمن مشى يوماً على الماء

انظر إلى بدر وخذ فعله العالي لأغيار وأكفاء

وطهّر الأرض ببتّاره من كلّ همّاز ومشّاء

إن كنت تهوى الله ترضى به ربّاً بنى عدناً بقفراء[1]

فلا تدع مولى الورى حيدراً واسعد بوجه منه وضّاء

يا من حوى في ملكه للورى حقائق العلم بإمضاء

وقفت في بابك مستجدياً لي أمل أحظى بإثراء

هب ذا الثنا خيراً فمن عمرة يتمّ في الدنيا بسرّاء

إنّي محتاج إلى واهب يرحمني يحمل أعبائي

إن مرّ هذا الشعر في مسمع لخاطر بالحبّ معطاء

لخير خلق الله مولى الورىٰ يملأ بالرحمة أرجائي

فإنّه شعري وإنّي امرئ أذنبت مغروراً بدنيائي

لا أبتغي النضّار أزهو به فإنّ في إثرائه دائي

بل أبتغي الصحبة في مورد أُريد من كفّك إروائي

وبحرك السمح سفيني به تسير رهواً دون إبطاء

واشفع لعبد ليس أرجو سوىٰ المولى بإصباحي وإمسائي

فإنّ نفسي طالما أرهقت من ثقل ما جنته أعضائي

أطلقت في مدحك قولي لكي تنير من نورك ظلمائي

وتبت من فعل بجهل جرىٰ كما جرىٰ قبلي لآبائي

---

(١) أي جعل الجنّة فوق الأرض القفراء.

ومن قصائده هذه القصيدة التي نظمها في ذمّ الدنيا وفي ختامها يمدح مولى الأتقياء وسيّد الأولياء وآله الأطهار:

حجاب ره آمد جهان و مدارش زره تا نيندازدت بر مدارش
چه مى‌جويدت رنج راحت مجويش چه مى‌دارت خوار عزّت مدارش
چنين است گردون گردان و گردش چنين است دوران و دارو مدارش
بباد دى و تاب تيرش نيرزد نعيم خزان و نسيم بهارش
نه با راحت وصل او رنج هجرش نه با نوش خرماى او نيش خارش
صد اقداح نوشين نوشش نيرزد به يک جرعه‌اى زهر ناخوش گوارش
رخ دل ز معشوق دنيا بگردان مکن منتظر ديده بر انتظارش
که هست و بود بهر او کشته گشته به هر گوشه همچون تو عاشق هزارش
چه بينى يکى گنده پيرى جوان طبع اگر چادرش برکنى از عذارش
دل آزردن و بى‌وفائى است رسمش جگر خوردن و جان‌گدازيست کارش
همه غنج و رنج است فنّ و فريبش همه بوى و رنگست نقش و نگارش
کنار از ميان تو آن روز گيرد که خواهى که گيرى دمى در کنارش
قرار از دل تنگت آنگه ربايد که تو دل نهى بر اميد قرارش
نماند ز دستان اين زال ايمن تنى گر بود زور اسفنديارش
کسى را که او معتبر کرد روزى بروز دگر کرد بى‌اعتبارش
به کس آتشين جامش آبى نداده است نکرده است چون باد تا خاکسارش
که دارد فراغ آنکه ميلى ندارد نه با دار ملک و نه با ملک دارش
خنک آنکه شادان و غمگين ندارد دل از بود و نابود ناپايدارش
به پرهيزد او از متاعى که نبود قبول خردمند پرهيزکارش

قبول خرد گر بدی رد نکردی شه اولیا صاحب ذوالفقارش
سلام خداوند دادار بادا بر او باد و اولاد و آل و تبارش

تقريب المعنى بالعربيّة:

لواء المظفّر في العالم تدرّع لتنجو من الظالم
تعدّ الضنا راحة تبتغي وتعطي بناءك للهادم
ولا ترض بالذلّ يا ذا الإبا فما لذّ ذلّ لدى طاعم
فلا تحسبن تعباً راحة ولا الذلّ عزّاً من الغاشم
كذا يفعل الفلك المستدير يدور بفعل له دائم
عواصف ترمي بزرق النبال بجهد فتيّ له عالم
ويهدف بالري شمس الضحى كباغٍ على نورها ناقم
ويعبث بالريح فصل الخريف كما يعبث الطيف بالحالم
ويأتي الربيع بأنسامه معطّرة بالشذى الناعم
ولا يعدل الوصل هجرانه ولا التمر للابر الناظم
ولا يعدل الريح في قصفها نعيم الربيعين للغارم
وكأس اطلا منه في لطفها بجرعة سمّ له قاصم
وأغض عن الغيد في وصلها بدنياك من قنّها الجاحم
فإنّ لها من قتيل الهوى أُلوفاً قضوا بالردى الحائم
عجوز تصابئ لطلّابها وأمضى مضاءاً من الصارم
ستبدو لعينيك إمّا رميت بعيداً ببرقعها الكاتم
صناعتها أن تذيب القلوب كمنهلّ بارقها الساجم
تصانع بالغنج عشّاقها وتخدع كلّ امرئ هائم
صناعتها الغنج شابت به هموماً بموقدها الضارم

وتـضحك للـناس لكـنّها ... كـيوم مـطير الضحى غـائم
وتأخـذ مـثل الذي تـبتغيه ... وتـقرنها أنت فـي حـاتم
وتأخـذ مـن جـانحيك الهـدوء ... وتـعبث فـي لبّك السـالم
تـظنّ الدوام لهـا خـلّة ... ومـا طـيب دنـياك بـالدائـم
ولا ينجو من عسف هذي العجوز ... سـوى بـطل عـالم حـازم
وإن كـان أقـوى مـن اسـفنديار ... وأشـرس مـن فـاتح حـاكـم
ولم يـعطها القـدر إلّا الذي ... يـجرّدها مـنه فـي القـادم[1]
ولم تسـق مـن كأسـها جـرعة ... لأيّ امـرئ مـن بـني آدم
وكـم أنـزلت مـن ذرى شـاهق ... أمـيراً فأصـبح كـالسائم
وكـم صـيّرت حـاكـماً فـارغاً ... عـلى الرغـم مـن أنـفه الراغـم
يرى المـلك مقتسماً في الرجـال ... ومـا نـال مـن قسـمة القـاسم
فـلا تـفرحـنّ ولا تـحزننّ ... ولا تـعطي عـودك للـمعاجم
ولا تـقبلنّ مـتاعاً أتـىٰ ... إليك كـمثل البـلا الداهـم
ولو أنّـها تسـتحقّ القـبول ... لمـا ردّهـا سـيّد العـالم
أمـير عـلى أوليـاء الإله ... بسـيف كـمثل القـضا الحـائم
سـلام مـن الله يـترى عـليه ... عـلى آله مـن بـني هـاشم

منظور الأنظار الإلَهيّة الأمير شاهي روّح الله روحه

ولد في سبزوار وينتهي إلى ملوك «سربدار»[2].

---

(١) الله تعالى يعطيها القدر في هذا العالم ويجرّدها منه في العالم الآخر أي الآخرة.

(٢) هم سلسلة من الأمراء من (٧٣٧ هجري قمري إلى ٧٨٣) ورأسها رجل يدعى «عبدالرزّاق من

⬅

وجاء في تاريخ حبيب السير أنّه لمّا كان من شيعة «سلطان الولاية» «شاه ولايت» أميرالمؤمنين عليّ بن إبراهيم من ثمّ كان يتخلّص بـ«شاهي» وفهم الميرزا بايسنقر هذاالمعنى منه فقال له ذات يوم: أرى من المناسب أن تترك هذا التخلّص وتتخلّص في أشعارك باسم آخر، فرفض أمير شاهي هذا الطلب لذلك أظهر الأمير بايسنقر عدم العناية به وأشاح بوجهه عنه.

وجاء في «تذكرة دولتشاه» أنّ الاتفاق حاصل من الفضلاء أنّ حرارة «خسروي» ورقّة حافظ وصفائه في أقواله موجودة في كلام أميرشاهي وهو آقا ملك بن ملك جمال الدين فيروزكوهي[1] وأجداده من كبار أُمراء «سربدار» وهو أحد بني أُخت الخواجه على المؤيّد ورجع إلى الأمير «بايسنقر»[2] بعهدٍ من ميرزا شاهرخ كوركان لمّا آل وضع سلسلة «سربدار» إلى الانهيار، وكان الأمير

⊃ أهل قرية «باشين» من قرى خراسان واستطاع هذا الرجل أن يخضع القرىٰ المجاورة لها وتمكّنت هذه السلسلة من الاستيلاء على خراسان قرابة النصف قرن وخرج منها عشرة أُمراء تمكّنوا من حكم البلاد وأسمائهم كما يلي: عبدالرزّاق فضل الله ٧٣٧ هجريّة قمريّة، ٢ ـ آي تيمور محمّد ٧٤٤هـق، ٣ ـ اسفنديار ٧٤٦هـق، ٤ ـ فضل الله ٧٤٦هـق، ٥ ـ شمس الدين علي ٧٤٨هـق، ٦ ـ يحيى ٧٥٣هـق، ٧ ـ ظهيرالدين ٧٥٦هـق، ٨ ـ حيدر قصّاب ٧٦٠هـق، ٩ ـ حسين دامغاني ٧٦١هـق، ١٠ ـ علي مؤيّد ٧٦٦ ـ ٧٨٣هـق الخ، ولمزيد الاطّلاع راجع دائرة المعارف الفاخرة المفيدة للمرحوم العلّامة دهخدا.

(١) تعتبر فيروزكوه قرية من توابع «تربت جام» مدينة «مشهد» مائها يجري في قنوات تشطر أرضها ومحاصيلها المعتمدة الغلال والقطن، وهناك منطقتان أُخريان يسمّيان بهذا الاسم إحداهما قلعة بين هراة وغزنين، والأُخرى مدينة صغيرة من دماوند.

(٢) ابن شاهرخ گوركان وحفيد تيمور گوركاني. توفّي سنة ٨٣٨هـق ١٤٣٣م، ولد سنة ٨٠٢هـق. وقال دولتشاه أنّه صاحب جمال وكمال ويعدّ من السلاطين المرموقين في عهده ويقاس بـ«خسرو پرويز»، مات وهو سكران. يحسن قول الشعر بالتركيّة والفارسيّة ويفهمها جيّداً، قبض سنة ٨٣٧ وعمره خمس وثلاثون سنة / من لغتنامه دهخدا بتصرّف.

المذكور يخصّه بمزيد العناية، وردّ عليه بعض أملاكه الموروثة التي وقعت في عهد «سربدار» بأيدي المقرّبين وموظّفي الديوان وصار مقرّباً من الحضرة.

ويقال: إنّ أباه ملك جمال الدين طعن أحد أُمراء «سربداران» وولّى هارباً على وجهه وحدث ذات يوم أنّ الأمير بايسنقر درالنگ كهدستان هرات[1] تبع صيداً وتوقّف هو وصاحبه «أمير شاهي» وركض العسكر يطردون الصيد، ولمّا خلى به ولم يبق في المكان سواهما عند ذلك استقبل الأمير دولتشاهي وقال له: إنّ أباك اغتنم الفرصة في هلاك عدوّه وهذه فرصة فتمعّر وجه الشاعر دولتشاهي وقال للأمير: إنّ الولد إذا اشتغل بغير عمل أبيه لا يقصد مواليه ولا يغدر بهم، ثمّ مال عن السلطان وأقسم بعد ذلك أن لا يخدم سلطاناً ما دام على قيد الحياة، فراح يقضي يومه بالفراغ، وكان له في سبزوار أرض يتعيّش بها وهو جذل مسرور فارغ البال، واغتنم الفضلاء وذووا المواهب فراغه فاحتوشوه وداروا به واحترمه الأُمراء والحكّام وأعزّوا مكانه وصانوا وجهه.

وكان أمير شاهي رجلاً فنّاناً ولم يكن له نظير في الفنّ في زمنه ويترسّل ويكتب إنشاءاً حسناً وهو أُستاد في ذلك وكان في الوصف والتصوير على شكل يناسبه هذا البيت:

گر به چنين نسخۀ تصوير زپيش تو برند

تا چهها روى دهد در فن خودمانى را[2]

---

(١) اصطلاح عسكري يطلق على حائط يبنى على فرقة تريد فتح قلعة ما، وورد له ذكر كثير في التاريخ منها كتاب «حبيب السير» فقد أحصى المؤلّف واحداً وعشرين اسماً مضافة إلى غيرها ومنها «كهدستان. وقال المؤلّف: بضمّ الأوّل وفتح الثاني. ثمّ قال: وهو بمعنى الرياض ومجتمع الطير، وبفتح الأوّلين معناه الحائط والسناد لفتح القلاع، وكان يستعمل كثيراً بهذا المعنى، ولمّا أُضيف إليه اللّام أصبح اسماً علماً / راجع لغتنامه بتصرّف.

(٢) ولو أخذوا من ذاك للصين نسخة   لما كان فرع بين ما أخذت منها

كان ماهراً في علم الموسيقىٰ ويجيد الضرب على العود ونال الغاية في حسن المعاشرة وطيّب الأخلاق والمنادمة على أقرانه وتنسب إليه هذه القطعة من الشعر قالها في مجلس أحد السلاطين حين أُجلس في الموضع المؤخّر عن مكانه اللّائق به:

شاها مدار چرخ فلک در هزار سال ... چون من يگانه مى‌نمايد بصد هنر

گر زير هركس و ناكس نشانيم ... اينجالطيفه‌ايست بمانم من اين قدر

بحريست مجس تو و در بحر بى‌خلاف ... لؤلؤ بزير باشد و خاشاک بر زبر

تقريب المعنى بالعربيّة:

يا مليكاً على الملوك تعالى ... فلك الكون دوره يتوالى

منذ ألف يدور يطلب مثلي ... لم يجده إذ كان يبغي المحالا

أنا فرد أُجيد مائة فنّ ... وكذا من يطيب عمّاً وخالا

إن تكن غير عابئ بي فاعلم ... إنّ همّي يقلقل الأجبالا

أنت تدني البعيد والساقط ... النذل قريباً وتبعد الأبطالا

لي قول أقوله من صميم الـ ... ـقلب عندي فصدّق الأقوالا

إنّ في القاع يكمن الدرّ لكن ... سقطه فوق سطحه يتعالىٰ

ونيّف «أمير شاهي» على السبعين وتوفّي في عهد السلطان «بابربهادر» (كذا) وحمل نعشه إلى دارالمؤمنين سبزوار ودفن في الخانقاه التي أقامها أجداده خارج بلدة سبزوار بجانب نيشابور وكان ذلك في شهور سنة سبع وخمسين وثمانمائة، وكان معاصروه هم الشيخ آذري والخواجه فخرالدين أحمد المستوفي والملّا حسين السليمي رضوان الله عليهم أجمعين.

قال صاحب حبيب السير: سمع من الثقات أنّ «أمير شاهي» قد نظم في

حياته اثني عشر ألف بيت من الشعر منها الأبيات الألف المشهورة بين الفضلاء وجعل منها ديوانه ومحى تتمّته بماء الإبطال.

ورثاه الخواجه أوحد السبزواري في مرثية فارس وقال فيه مرثيّة منها هذا البيت:

گو بشو زير و زبر از اشک و آهم سبزوار
زآنکه شهر شاه بی شاهی نمی‌آید بکار

وحيد الزمان خواجه أوحد السبزواري ﷫

جاء عنه في تذكرة «دولتشاه» أنّه الحكيم صاحب الفضل ولا نظير له في الفنون والعلوم لاسيّما علم الطبّ والحساب والأحكام والنجوم، وكان مقتدىٰ أهل عصره في علم الشعر وفي نظمه، ولم يكن أحد يلحق بشأوه في الخطّ والإنشاء والتاريخ من أهل زمانه، وكان الخواجه من أعلام سبزوار، وكانت أُسرته تدعىٰ من المعاصرين بـ«المستوفيان» وقد ورد ذكرهم في تاريخ البيهقي.

وكان الخواجه فخرالدين «أوحد» مع ما أُوتيه من فضل وكمال ينهج نهج الفقراء ويحيا حياتهم، وقد جمع من الكتب التي خطّها بيده فأصلحها ونقّاها وقابلها ألف جلد ولم يكن له من وسائل العيش في الدنيا إلّا الصيد، ولم يترك من بعده إلّا الكتاب والذكر الحسن، وقدموا إليه أُمراء البلاد والوزراء يدالعون وقدّموا له الخدمات الجليلة، فكان المترجم المذكور ينفق ذلك على إخوانه وأخلّائه وروّاد مجلسه، ويعد في منزلته اليوم وهو نادرة الزمان مرتاد الفضلاء[1]، وهو الذي تثوب إليه الفضائل وتعود إليه الحكم، قدوة أرباب الفضل الحكيم

---

(١) سيّدنا، هذه العبارة لم توصل المقصود والمؤلّف يقول: منزله اليوم مقصداً للفضلاء.

مولانا غياث الملّة والدين محمّد أدام الله فضله الذي لو كان «جالينوس» حيّاً لانتفع بحكمته واستفاد من علمه فقد وضع الحقّ في مكانه وراعىٰ صلة الرحم وحلّ محلّ الخواجه المذكور، وألقى من منزل ذلك الشريف العظيم وربّما زاد على ذلك بأضعاف الدروس والإفادة، وانتظمت في بيئتها ومناخها أعني به منزل الخواجه.

زنده است كسى كه در ديارش ... ماند خلفى بيادگارش

لم يمت من بداره ترك الأخلا ... ف تسعى كسعيه المشكور

ولمّا كان الخواجه مع وجود الفضائل الجمّة التي يتمتّع بها فهو شاعر كامل أيضاً، وديوانه الشريف يشتمل على القصائد والمقاطع والغزليّات المختارة، فرأيت أن أختار من قصائده في هذه التذكرة قصيدة ومقطوعة من شعره وأثبتها هنا، وهذه القصيدة جادت بها قريحة الخواجه في ذكر مناقب إمام الجنّ والإنس عليّ بن موسى الرضا عليه التحيّة والثنا..

گردون فراشت رايت بيضاى آفتاب

وز پردههاى ديدۀ شب شست كحل خواب

صبح سمن عذار چو خوبان شوخ چشم

پرده زرخ فكنده برون آمد از حجاب

نظارگى زمنظر اين كاخ زرنگار

صد لعبت سمن سلب سيمگون ثياب

مصباح صبح چهره فروز از ظلام شب

چون نور شيب شعله زنان در شب شباب

سيمين طراز گشت چو خرگاه خسروان
پرده‌سرای چرخ که بُد عنبرین طناب
هر کوکبی نمونهٔ صفریست في المثل
حیران شده محاسب عقل اندر آن حساب
جوی مجرّه بین چو بفردوس جوی شیر
طفلان چرخ از او شده قانع بشیر ناب
کیوان که گوی برد برفعت زهمبران
میل غروب کرده به آهنگ اغتراب
برجیس را زده غم را می ره شکیب
آری چگنه صبر کند وعده بی‌رباب
رفته بغرب بیرق برّاق ترک چرخ
چون تیغ تهمتن بنهان خانهٔ قراب
یوسف رخی چو مهر گرفتار چاه بود
یونس وشی چو تیر زماهی در اضطراب
از بزم زهره تا بثریّا همی رسید
ناگه سپهر فکند چو نیلوفرش در آب
کفّ الخضیب رایت نصر گذاشته
بر اوج آسمان زدعای تو مستجاب
عقد پرن زنور چنان می‌نمود راست
کاندر میان سلک گهر لؤلؤ خوشاب

عيّوق از آن عنان عزيمت بر اوج تافت
كاندر طلوع هست ثريّاش همركاب
هم سلک با هم از پی آنند شعريان
كين سيم ناب باشد و آن گوهر مذاب
قلب الاسد گره زده بر جبهه خشمناك
با طرفه هر دم از طرف ديگرش عتاب
ببريده عفر رشتهٔ پيوند از بدن
زانرو درست گشته به پيكانش انتساب
راهی كمين گشاده بر كركسان چرخ
وز بر دام حوت رشا گشته رشته تاب
طفل سها چشيده بسی از بنات نعش
كرده شهاب پهلوی شير ژيان كباب
گر با ذنب قوی نشود رأس دور نيست
وجب بود ز صحبت نااهل اجتناب
ظلم ظلام تا كند از روی شام دفع
هر گوشه گشته برق زنان بيرق شهاب
در برّ و بحر در نگر اجرام مستنير
چون شاهدان كه جلوه نمايند در نقاب
گشته فلک ز خوشهٔ پروين گهر فشان
بر روضهٔ مقدّس سلطان دين مآب

سر خيل اصفياى مكرّم كه ذات او

ايزد زخاندان كرم كرده انتخاب

شاهنشه كليم كلام خليل خلق

مكّى طالبى سرى هاشمى خطاب

سلطان جعفرى نسب موسوى گهر

كو بود بر سران جهان مالك الرقاب

علّام علم دين على موسى الرضا

خضر سكندر آية و شاه ملك جناب

در راه شرع قافله سالار جنّ و انس

در باب علم مسأله آموز شيخ و شاب

بر باد داده خاك درش آبروى بحر

آتش فكنده خاك درش در دل سحاب

آب از حياى ابر نوالش در ارتعاش

وآتش زشوق دشمن جاهش در التهاب

گردون بطوع چاكريش كرده اختيار

اختر بطوع بندگيش كرده ارتكاب

با حلم او زمين نزند لاف از درنگ

با عزم او زمان نكند دعوى شتاب

يابد از او نسيم ولايت دماغ جان

آرى دمد هر آينه بوى گل از گلاب

ملک سخا ز گوهر او یافت انتظام
بحر کرم ز فیض کفش دید انشعاب
شاهان نهند روی انابت چو بر درش
خیزد ز عرش نعرهٔ طوبی لمن أناب
از تاب قهرش اطلس نه توی چرخ را
حاصل همین بود که قصب را ز ماهتاب
پیر دبیر چون ز فصاحت کند سؤال
مفتی کلک او «أنا أفصح» دهد جواب
بر امر و نهی اوست مدار جهان و شرع
زین خوبتر چگونه توان کرد احتساب
هر سفله نیست در خور آداب حضرتش
نبود نعیم باغ جنان لایق دواب
خواهد دلم ثنا بطریق خطاب گفت
بشنو بگوش جان که خطا نیست مستطاب
ای قهرمان کشور عصمت به اصل و نسل
ای والی جهان ولایت چو جدّ و باب
حرف محبّت تو هم از ابتدای کون
کلک قضا رقم زده بر تختهٔ تراب
ایزد بدست لطف رساندت به پایه‌ای
کانجا نمی‌رسد قدم و سعی و اکتساب

لعل از حیای گوهر ذات مبارکت

هر دم بخون دیده کند چهره را خضاب

گاه از نسیم لطف تو گوهر دهد صدف

گاه از سموم قهر تو دریا شود سراب

صافی دلان زمهر تو در عین اشتباه

سرگشتگان زکین تو در تیه التهاب

گو خصمت از معاملهٔ رنج حادثه

غافل مشو که مادّه هست اندر انصباب

گشته عقاب قهر تو از تیر چار پر

بدکیش را عقوبت و بدخواه را عقاب

نمرودوار پشهٔ کین تو خصم را

بر سر زغصّه دست زنان ساخت چون ذباب

رنج حسد هلاک کند حاسد تو را

آری پر عقاب بود آفت عقاب

در جنب روضهٔ تو چه باشد ریاض خلد

پهلوی شاخ سدره چه جولان کند سداب

با شیر مردی تو چه تاب آورد کس

کز بیم شیر پرده شود زو توان و تاب

در دین کسی که غیر تو دانست پیشوا

گوئی گناه باز نمی‌داند از ثواب

افلاک را مدار از آن شد زمین که هست
یک مشت خاک در کف اولاد بوتراب
گاه شدن جناب شریعت شعار را
بود آخرین سخن سخن عترت و کتاب
دریا دلا سپهر جنابا توئی که هست
بحر محیط با کف جودت کف خلاب
ما بندهٔ ضعیف و تو سلطان کامران
ما خادم کمین و تو مخدوم کامیاب
اوحد که تافت از همه عالم رخ امید
زین آستانه روی نتابد به هیچ باب
مپسند کاسمان کندش خستهٔ ستم
واختر بجای شربت عذبش دهد عذاب
این خاک را زجام رضا بخش جرعه‌ای
آن دم که دست ساقی لطفت دهد شراب

تقريب المعنى بالعربيّة:

رفع الشمس راية بيضاءا	فلك زاد رفعة وعلاءا
ثمّ ثنّى يزيل كحلاً بعين	إنّ لليل مقلة كحلاءا
وتجلّىٰ عذار صبح كوجه	دافق في جماله يتراءىٰ
وأزاح الستار عنه فلاحت	غرّة تشبه السنا والسناءا[1]
عجب الناظرون للمنظر الأعلى	عليه حلي زهىٰ وأضاءا

(١) السنا مقصور: ضوء البرق، والسناء من الرفعة والشرف ممدود.

وكأنّ الصبح الذي مسح الظلمة ... من وجه ليلة ليلاء[١]

ومضة الشيب قد تجلّت بنور ... يتلالا في لمّة سوداء

أبيض اللون في سرادق ملك ... عنبريّ الأطناب يذكي الفضاء

كلّ نجم يضاف كالصفر حتّى ... حيّر الحاسبين والحكماء

هاك وانظر نهر المجرّة يجري ... ويغذي لبانه الأبناء

قنعت فيه أسرّة الفلك الأعلى ... فصاروا بجوّه سعداء

فاز كيوان بالسباق فعلىٰ ... فوق أخدانه يزين السماء

وهوى في غروبه لاغتراب ... حينما ظلّ وحده فاستاء

ظلّ برجيس[٢] بائساً عند قوس ... حين لم يسقه الرباب[٣] الماء

غاب في الغرب بيرقاً يخطف العين ومن أطلس الوجود تنائىٰ

واختفى كالجراز في الجفن حتّى ... لا ترى العين منه الأخلاء

يوسفيّ الجبين كالشمس في بئر ... أسير يسامر الظلماء

وتخفى عطارد كنبيّ الله في ... الحوت يسكن الأحشاء

وتعالت مجالس للثريّا ... قد أُقيمت لزهرة زهراء

وغدا عقدها نثيراً كورد ... جسّ بالخدّ نسمة هوجاء

راية «كفّها الخضيب»[٤] حواها ... حينما ربّها استجاب الدعاء

والثريّا بعقدها يشرق النور ... كدرّ قد أوجد اللألاء

---

(١) شديدة الظلمة.

(٢) نجم المشتري.

(٣) الرباب: السحاب الأبيض.

(٤) الكفّ الخضيب: نجم أحمر يقع شمال الأرض ويعتقد الأوائل أنّه إذا بلغ دائرة نصف النهار فذلك موقع استجابة الدعاء / لغتنامه دهخدا.

وتبدّى العيّوق[١] يسرع عدواً والثريّا قد صاحبته وراءا
وكذا الشعريان[٢] جاءا فهذا من لجين وذاك ذاب حياءا
وتجلّى بعضبة الليث قلب الأسد الضخم يطرد الجوزاءا
قاطعاً فرعه من الجسم فالسهم بحقّ يدعىٰ إليه اعتزاءا
والنسور السهام للفلك الأعلى إذا ما رمت تجيد الرماءا
وارت الحوت منزل القمر الثاني تجلّىٰ ليقري النزلاء
والسها الطفل راضعاً من بنات النعش ثدياً يريد منه ارتواءا[٣]
ويثير الشهاب خاصرة الليث فيغدوا للطاعمين شواءا
إن تنائىٰ رأس عن الذنب الهابط بعداً ومال عنه احتواءا
لا عجيب فالصاحب الكفؤ يبغي في حياة لصحبة أكفاءا
إن بدىٰ الظلم ظلمة وتجلّىٰ ضوء نور ليطرد الظماءا
يبرق الكون بالسنا ويضوي قبس منه كلّ ما يترائىٰ
انظر الكون بحره والبراري ونجوماً قد زادت استعلاءا
شاهدات الوجود منتقبات يا نقاباً قد زادهنّ جلاءا
جعل الأطلس الثريّا نثاراً فوق ركن من روضة عصماءا
إنّها روضة الإمام وليّ الدين ساد الملوك والأمراءا
سيّد الأصفياء واختاره الله صفيّاً ليرفع الأصفياءا

---

(١) العيّوق: كوكب بحيال الثريّا إذا طلع علم أنّ الثريّا قد طلعت / العين.

(٢) الشعريان: إحداهما العبور وهي التي خلف الجوزاء والأُخرى: الغميصاء وهي في الذراع أحد الكوكبين / المخصّص.

(٣) السها: كوكب خفي في بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهم / الصحاح.

ومليك ملك[1] كليم خليل ... الخلق زادت به الكرام علاءا

طالبيّ وهاشميّ ومكّيّ إمام ... يشرف الإسماءا

جعفري الآباء جوهره موسى ... يدير الوجود أنّىٰ شاءا

عالم الدين وابن موسى الرضا ... طال من المجد قمّة شمّاءا

غلب الخضر بالعلوم وفتح ... لقلوب الأنام لا الدقعاءا

سار بالركب حولها الجنّ والإ ... نس ينير البصائر العمياءا

لطريق الشرع الشريف دليلاً ... شانه الله واصطفاه اصطفاءا

ترب أعتابه تجلّى على البحر ... فلم يبق للبحار حياءا

وتجلّى برقاً بجنح سحاب ... فاستحالت سحابة وطفاءا

يرعد الماء من حياء لما ينظر ... من برّ جوده الفقراءا

وكذا النار إذ تلظّى اشتياقاً ... في لهيب لتحرق الأعداءا

ما استدار الأفلاك إلّا امتثالاً ... وتسير النجوم إلّا اهتداءا

إنّ من حلمه تعرّت عن الفخر ... أراضٍ سرت فكانت بطاءا

وكذاك الزمان أقصر عن فخر ... بعزم للطهر زاد مضاءا

تنشق الروح من عبير ولاه ... خفقة إذ تزيد فيه انتشاءا

زاد في عالم السخاء انتظاماً ... جوده حين أعجز الكرماءا

وكذا البحر من سيول بكفّيه ... تشظّى جوداً وفاض رجاءا

والملوك العظام تعلن توباً ... عند أبوابه وترجو النجاءا

عزمه في أطالس الفلك الأعلى ... يزيد الأفلاك منه علاءا

قصب السبق صار للبدر لمّا ... فلك إذ يدور بالعجز باءا

---

(١) ملك: وسط ساكن بمعنى ملك مكسور الوسط وذلك جائز.

يسأل الشيخ كاتباً من هو الأفصح حتّى يجوّد الإنشاءا
فيجيب اليراع إنّي أنا الأفصح فقت الكتّاب والفصحاءا
واستقام الشرع الشريف على أمر ونهي منه أقام البناءا
سيّد لا يكون أعلى مقاماً منه بل لم نجد له أكفاءا
طاب أصلاً وطاب فرعاً وصحباً ليس اتباع سيّدي سفهاءا
إنّما حضرة الإمام علي خصّ فيها الأشراف والعلماءا
شئت مدحاً له يكون خطاباً فاستمعه قد أعجز الخطباءا
يا مليكاً علا بمملكة العصمة أصلاً وسادة نجباءا
وكذا فرعه عليه سلام الله فاق الهداة والأنبياءا
مزبر للقضاء خطّ على الأرض حروفاً تحكي الوجود ابتداءا
هي حبّ قد خصّك الله فيه خصّ فيه الأطياب والسعداءا
رفع الله منك قدراً بلطفٍ قد كسىٰ من بهائه الأولياءا
واشتهى اللؤلؤ الثمين حياءاً يصبغ الدمُ غرّة غرّاءا
من نسيم يهب منك لطيف يهب البحر درّة بيضاءا
وسموم يجتاح بحراً خضمّاً فيكون السراب فيه الماءا
طاهر القلب من محبّتك السمحاء قد ضيّع الطريق اهتداءا
وكذا الحاقدون في التيه كانوا قد أضاعوا الخضراء والغبراءا
فليكن خصمك المغفّل شخصاً ما أصاب الأُساة فيه دواءا
عالماً بالذي يؤول له الأمر فيعطيه طعنة نجلاءا
ولقد ذاق من عذابك سهماً أربعياً يمزق الأحشاءا
فينيل الكفور منه عذاباً وينيل العقوق منه جزاءا

كبعوض النمرود حقد أُناس ... كان فيهم قطيعة وجفاءا
برؤوس منهم يطنّ كما طنّ ... ذباب في البيت يؤذي النساءا
يهلك الحاسدون بالحسد المرّ ... كريح هاجت بهم صفراءا
يصرع النسر من جناحيه فيها ... بعد سحب توسّد البوغاءا
ما الذي تعدل الرياض بخلد ... إذ تساوى بروضة زهراءا[1]
واهتزاز الغصن الرخيص بدحو ... نزّهوا عنه سدرة عصماءا
أنت ليث من ذا يقاتل ليثاً ... وبه الأيد[2] يستحيل هباءا
من تولّى سواك في الدين أضحىٰ ... عنده الإثم والثواب سواءا
كانت الأرض بعد دورة أفلاك ... تراباً ناراً هواءاً وماءا
إنّها قبضة لآل عليّ ... فنفوا عن عيونها الأقذاءا
وبنى الله مجدهم فتعالى ... وعلوا فيه عزّة قعساءا
ربّما كانت الشريعة في الناس ... شعاراً تعلي عليه اللواءا
وبه آخر الحديث هم الآل ... ويتلوهم الكتاب رضاءا
قلبك البحر والسماء وما فيها ... متى كان قلب عبد فضاءا
وكذاك المحيط قبضة رمل ... جود كفّيك يملأ الأرجاءا
خول نحن أنت سلطاننا الفذ ... وصرنا خدّامك الأوفياءا
خالق الكون مذ برى الأمل المطلوب ... لم يعدُ بابك الوضّاءا
لا تدعني معذّباً «بسماء» ... قد سقتني نجومُها العذبَ داءا

---

(١) يجوز قطع الصفة ونصبها بإجماع النُّحاة وذلك بتقدير فعل «أعني» أو نحواً من ذلك، بينها وبين الموصوف.

(٢) الأيد: القوّة / العين.

واسق هذا التراب من كأس لطف جرعة من يديك كانت شفاءا

وبعد أن بلغ الخواجه «ثمانين عاماً» من العمر وزاد سنة واحدة نفض رداء العصمة من غبار هذه الكرة المليئة بالمحنة وعرج إلى العالم المعمور الأبدي في شهور سنة ثمان وستّين وثمانمائة وقضى عمره وحيداً لم يقترن بأُنثى فحرم من بركة الأولاد والأحفاد بل صان نفسه من غصص هذه الجماعة ومن سعادتهم.

غم فرزند و نان و جامه و قوت باز دارد ز سير در ملكوت

قد منعنا بشغل أهل وقوت أن نعلي بعالم الملكوت

وكان الخواجه يدعو جماعة إلى التأمّل في دلالات العالم وكتب هذه القطعة اعتذاراً إلى بعضهم:

همدمى مى‌گفت با اوحد در اثناى سخن

كى تو آگه از رموز چرخ و راز آسمان

هم به استحقاق ملک فضل را مالک رقاب

هم به استعداد اقليم سخن را قهرمان

مريم طبع گهرزايت چرا كرده است قطع

چون مسيحا رشته‌اى پيوند زابناى زمان

مرد را هرگز نگيرد چهرهٔ دولت فروغ

تا بنور زن نيفروزد چراغ خانمان

حيف باشد غنچه‌سان بر جان خود بستن گره

چند روزى كاندرين باغيم چون گل ميهمان

گفتمش اى يار نيكو خواه مى‌دانم يقين

كز نكو خواهان بجز نيكى نمى‌شايد گمان

وصل زن هرچند باشد پيش مرد كامجوى

روح وراحت راكفيل وعيش وعشرت راضمان

ليک با او شمع صحبت درنمى‌گيرد از آنك

من سخن از آسمان مى‌گويم او از ريسمان

تقريب المعنى بالعربيّة:

لي رفيق قد قال وهو يناجيني	**إلى كم تجفو رموز الزمان**
أنت بالفضل أوحديّ وبالقول	**مثال للصحب والإخوان**
فلماذا قطعت نسلك تقلو	**مريم الطبع خيرة النسوان**
علّها تتحف الوجود بنسل	**مثل عيسى مشرف الولدان**
لن يرى المرء رونقاً في حياة	**دون إكمالها بشقّ ثاني**
ومن الحيف أن تبرعم روحاً	**وهي تخفي شقائق النعمان**
ليس هذي الحياة إن فكّر الإ	**نسان إلّا دقائق وثواني**
قلت يا من تبغي لي الخير إنّي	**عالم أنّ خير روضك داني**
قد علمنا النساء روح وريحان	**وعيش وراحة الإنسان**
غير أنّا اثنان طرداً وعكساً	**كيف يحيىٰ اثنان مختلفان**
أنا أهوى الحياة شعلة قدس	**وهي تهوىٰ منّي الوجود الفاني[1]**

الأمير يمين الدين فريومدي أدركه الله بلطفه السرمدي

جاء في تذكرة دولتشاه أنّ وجود الأمير الشريف شجرة ثمرتها ابن يمين وهو رجل حيّ الضمير يقظان اللبّ، ذو خلق رائع وفضل بارع، وأصله من الأتراك،

(١) قطع الشاعر هنا ألف الوصل في «اثنان» لضرورة الشعر، والحمد لله ربّ العالمين.

كان في عهد السلطان محمّد خدابنده في «فريومد»[1] وكان الصاحب السعيد الخواجه علاء الدين «فريومدي» الذي كان في عهد السلطان أبي سعيد صاحب ديوان خراسان عدداً من السنين ويعتبر خواجة له احتشام وقد بالغ في العناية به واحترامه الأمير يمين الدين وكان بينه وبين ولده الأمير محمود مساجلة شعريّة وكلاهما فاضل بليغ جيّد الترسّل واللغة، والظاهر من بعض الفضلاء الذين يقدمون حديث الأمير يمين الدين ويفضّلونه على حديث الأمير محمود أنّها محض مكابرة.

وكتب الأمير يمين الدين هذه الرباعيّة إلى الأمير محمود:

دارم زعتاب فلك بوقلمون ... وز گردش روزگار خس پرور دون

چشمی چو كنارهٔ صراحی همه اشک ... جانی چو ميانهٔ پياله همه خون

عتبت على قلب حوّل ... من الفلك الدائر المعتلي

يغيّر ألوانه يستحيل ... كحرباء عن لونه الأوّل

فما العين إلّا صراحيّه[2] ... وفيها جرى الدمع كالجدول

وذي الروح كاس ملا هادم ... من القلب في حرّه يغتلي

وقال الأمير محمود في جوابه:

دارم زجفای فلک آينه گون ... پر آه دلی كه سنگ از او گردد خون

---

(١) فريومد: وتسمّى أيضاً فرومد حيث يطلق عليها اليوم هذا الاسم وهي القصبة المركزيّة لبلدة «فرومد» من ناحية «ميامي» وتبعد عن الشمال الغربي لداروزن حدود الكيلومترين، وعن الشمال الشرقي لميامي حدود المائة والخمسة كيلومترات، وتقع على رأس طريق لم يعبّد ولكنّه قابل لسير السيّارات من شاهرود إلى سبزوار، وينتصف بها هذا الطريق إلى عبّاس آباد وأرضها مستوية وهوائها معتدل ويسكنها ما يقارب الستّة والثلاثين شخصاً.

(٢) إناء من الزجاج والبلّور يتّسع في وسطه وله عنق يطول أو يقصر يوضع فيه الشراب.

روزى بـه هـزار غـم بشب مـى‌آرم تا خود به شب از پرده چه آيد بيرون

عندي من الفلك الجافي وقد برزت مـرآتـه وحكت لي مـا يـلاقيها

آهـات جـمر مـلت قـلبي بـلوعتها وقـد أذاب رعـان الصـخر حـاميها

أُقـلّب اليـوم غـمّاً كـي أُودّعـه فـي ليـلة بـالهموم السـود أحييها

والليـل فـي بـطنه الآلام يـحملها وفي النهار أنا المسكين أحصيها

ورسائل الأمير يمين الدين ونظمه ونثره الذي أرسله من الروم إلى ولده محمود في خراسان لها شهرة عظيمة، ولا يتّسع المجال في هذه التذكرة لذكرها.

وهذه المناجاة من شعره:

بـزرگوار خـدايـا بسـرّ سـينهٔ آنـان

كه علم و حكـمت تـو راه يـافت در ايشـان

بـه عـارفان سـراپـردهٔ سـراچـهٔ قـدست

كـه هيچ دل نـبرد ره بـنفس كـامل ايشـان

بـزاد و راحـلهٔ ره روان عـالم قـربت

كه مرغ وهـم نـزد بـال در مـراحـل ايشـان

بسـوز و نـالهٔ بـيچارگان بـى‌سر و پـايت

كه جز تو كس نبرد ره بحقّ و باطل ايشان

بـه بـى‌نيازى ديـوانگـان سـلسله دارت

كـه رمـز عشـق بـود نـالهٔ سلاسل ايشـان

به شـاهدان مـعانى كـه چشـم‌گـوشه‌نشينت

نـظر نگـاه نـمى‌دارد از شـمايل ايشـان

بـه آبـروی جـوانـان نـورسيده بـه وصـلت

کـه نفس ناطقه لال است در فـضايل ايشـان

بـه آب ديـدۀ پـيران ژنـده پوش غـريبت

کـه نيست جـز تـو کـسی زيـر ژنـده مـايل ايشـان

بخون پـاک شـهيدان عشـق بـی‌دل و ديـنت

کـه هـيچ ديده نديده است دست قـاتل ايشـان

بـعزّ قـربت پـيوستگان عـالم پـاکت

کـه هيچ روح مـقدّس نشـد مـقابل ايشـان

بـه آل امـثلۀ بـی‌مثال آل عـبايت

کـه شـد دليـل بـزرگان ديـن دلايـل ايشـان

کـه بـا وجـود نـعيمی نـعيم دوز مـا شـد

رهـائيی ده از او تـا شـويم واصـل ايشـان

بـزرگوار خـدايـا بگـويمت کـه مـرا تـو

در اين جـريدۀ مـقصود سـاز داخـل ايشـان

دلی چو کشـتی تـن بشـکـند زمـوج حـوادث

رسـان تو تختۀ جان مـرا بـه سـاحل ايشـان

تقريب المعنى بالعربيّة:

إلهـي بـالسرّ الذي عـمرت بـه صدور ذوي التقوى وطابت قلوبها

وبـالعلم يـمليها وبـالحكمة التي تـفجّر فـيها حـين هبّ هـبوبها

وفي حـرق تـبدو بـحسرة مـتعب ولم يـدر إلّا الله مـاذا يـصيبها

كـذا بـالغنى للـوالهـين بـربّهم لسـرّ وقـد أمـضاه فـيها حـبيبها

بمعتزل بين الزوايا وما رأت عيون الورى في سرّها ما يريبها
بماءٍ بوجه الناشئين وقد دنوا حديثاً وضمّنهم عراضُ وطيبها
ولم ينجل من فضلهم بعض أمره لناطقة[1] يعلو بعلم نصيبها
بدمع جرىٰ من مقلة الشيخ يرتدي ثياباً تداعت حين بانت ثقوبها
وما رقمتها العين إلّا تجهّمت وعينك من بين الورى تستطيبها
وفيض دماء للشهيد الذي قضىٰ وما أبصرت عينان كفّاً تصوبها
بغرّ لقرب منك فيمن توصّلوا إلى العالم القدسي يهوي منيبها
وما اقتربت روح تقدّس سرّها إليهم ولا سرّ غريب يشوبها
بآل العبا من لا مثيل لهم بها هم الطهر لا عيب هناك يعيبها
دلائلهم فيها استدلّ أُولوا النهى وهل عالج الأمراض إلّا طبيبها
إلهي وأطلقنا من النار كي يرىٰ وجوههم النعمىٰ وأنت مجيبها
إلهي وأدخلنا إلى الحرم الذي حواهم لكي يخلي القلوب وجيبها
سفينة قلب حطّم الموج لوحها فأوصل به روحي إلى ما يثيبها

الأمير محمود المشهور بـ«ابن يمين» في أصحاب اليمين وهو:
محمود بن يمين الدين «فريومدي»

چنين بود پدرى كش چنين بود فرزند چنين بود عرضى كش چنان بود جوهر
كذا يكون الابن من والد مثل أبيه ذي السنا الأزهر
وهكذا الأعراض تزكوا إذا كان لديها مثل ذا الجوهر

جاء في تذكرة دولتشاه بأنّ الأمير محمود من فضلاء زمانه وكانت له

---

(١) النفس الناطقة.

الأخلاق الحميدة والسيرة المجيدة، له طبع لا نظير له وشعر طبّق الآفاق لاسيّما مقطّعاته التي تناقلها محافل السلطان والصغير والكبير، منها هذه القطعة التي قالها في مدح الإمام الرضا عليه السلام وفيها إشارة إلى قطعة جائت ضمن الأبيات التي نظمها أبو نؤاس في مدح الإمام الرضا عليه السلام:

به پند ابن يمين گفت دوستی كه تونی — كه شعر توست كه برآسمان رسيده سرش

را مديح سرای رضا همی نشوی — كه در جهان نبود كس بپاكی گهرش

بگفتمش كه نيارم ستود امامی را — كه جبرئيل امين بوده خادم پدرش

(ويقابله قول أبي نؤاس ـ المترجم):

«قيل لي أنت أوحد الناس طرّاً — في فنون من الكلام النبيه

لك من جوهر الكلام بديع — يثمر الدرّ في يدي مجتنيه

فعلىٰ ما تركت مدح ابن موسىٰ — والخصال التي تجمّعن فيه

قلت لا أهتدي لمدح إمام — كان جبريل خادماً لأبيه»[1]

وهذه القطعة الحكيمة التالية والتي تشير إلى الطعن في الخصوم الجفاة من أشعاره أيضاً:

رو هنر جمع كن از تفرقهٔ مال منال

مرتضى را چه تفاوت كه برد غير فدك

مال مايل بود ای ابن يمين علم طلب

كز تو يک دم نشود در غم و شادی منفك

علم دادند به ادريس و به قارون زر و مال

شد يكی فوق سما و دگری فوق سمك

---

(١) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا ج١ ص١٥٥.

قم وانفق المال في علم تفوز بـه ... مـاذا يـضير عـليّاً لم يـنل فـدك

ومـل إلى العـلم واطـلبه فـإنّ بـه ... فـوزاً وأيـن رفـيع العـلم والدرك

وطالب المال لا ينفكّ في حـزن ... وطالب العلم قد يـعنو له الفـلك

ونال إدريس علماً فـاستطال بـه ... ونـال قـارون مـالاً فـهو مـرتبك

والأمير محمود مدّاح لـ«سربداران» كافّة، وخلد إلى الراحة الأبديّة في أحد شهور سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وقال وهو ينال الراحة في مهده الكبير هذه الرباعيّة:

منگر كه دل ابـن يـمين پـر خـون شـد ... بنگر كه از اين جهان فـانى چـون شـد

مصحف بكف و رو بره وچشم بدوست ... با پيک اجل خـنده زنـان بـيرون شـد

اناظرُ قلب ابن اليمين وقـد جـرى ... دمـاً فـانتبه مـاذا جـرى فـتحوّلا

أودع أيّـاماً شـداداً قـد انـطوت ... كأنّ سـتاراً بـيننا اليـوم مسبلا

بكـفّي كـتاب الله والوجـه دائـر ... لدربي وعـيني فـي الحـبيب تـنقّلا

وفي خطوة تـمّت وسـنّي ضـاحك ... من الأجل المحتوم رحت مـهرولا

ومرقده المنوّر في «فريومد» في صومعة والده مدفون إلى جانبه.

الأمير الحاج حسين الجنابذي

من سادات جنابذ خراسان[1] وهو غنيّ عن التعريف في طهارة أصله ولطافة طبعه.

وجاء في «التحفة السامية» أنّ انقطاعه و تجرّده بلغ حدّاً أنّ المير علي شير زار ذات يوم حجرته فوجده كمخزن خواطر أهل القلوب خالياً من المتاع الدنيوي،

---

(١) قرية من نواحي نيشابور في خراسان وتسمّى گنابذ / راجع لغتنامة دهخدا.

لذلك عمد إلى تفقّده فاختصّه بجميع ما يحتاج إليه من نقد وجنس ومتاع وبعثها إليه، ولمّا رأى حضرة المير أنّه وقع في الوثاق ورأى بعينه المتاع البرّاق فرّ من تلك الحجرة إلى موضع آخر ولم يجز لنفسه أن يقع تحت طائلة الآخرين.

كان يميل من فنون الشعر إلى القصيد والغزل، ويجهد خاطره دائماً بمدح أهل البيت ويدعوه لذلك.

جاء في «حبيب السير» أنّ تخلّصه في ديوان قصائده بـ«مير حاج»، وفي غزليّاته بـ«أُنسي»، ونظم حكاية ليلىٰ والمجنون وافتتحها بهذا البيت:

ای عشق تو را جهان طفیلی　　　مجنون تو صد هزار طفلی

ومن قصائده في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام هذه القصيدة:

ای دل حکایت از شرف بوتراب کن	در مطلع سخن سخن از آفتاب کن
پیرایهٔ جمال عروس ثنای او	از جوهر معانی اُمّ الکتاب کن
از برق تیغ حادثه شورش حکایتی	با دوستان بگوی و دل دشمن آب کن
ای جان زبان ناطقهٔ خوش سرای را	وقف ثنای آن شه عالی جناب کن
ای آفتاب برج ولایت چو آفتاب	از پیش اهل مظلمه رفع حجاب کن
روی زمین زبحر کف ابر موهبت	چون قعر بحر معدن در خوشاب کن
همچون حصار خیبر از امداد لطف حق	باز آ و برج قلعهٔ بدعت خراب کن
طاوس زر جناح سپهر آشیانه را	از گرد خیل خویش چو بال غراب کن
از آتش مقاتله نسرین چرخ را	بر تابهٔ سپهر مدوّر کباب کن
چشم فلک زگرد مراکب سیاه ساز	روی زمین زخون مخالف خضاب کن
ای چرخ سال خورده جهاندیده ارتفاع	از سدّهٔ سنیّهٔ او اکتساب کن
خاک رهش چو سرمهٔ بینش به میل مهر	در دیدهٔ ستارهٔ بی‌خورد و خواب کن

شاها سپاه فتنه جهان را فرو گرفت منشين درون پرده و عزم ارتكاب كن
هم سنّت سنيّه شعار عباد ساز هم پوشش زمانه ثياب ثواب كن
نصب لواى مصطفوى منصب تو شد اى شهسوار معركه پا در ركاب كن
افتاده چون اطاعة افشان كهكشان از دست شرع رايت بيضا شهاب كن
رودى روانه ساز بشكل شفق زخون موجش فراز لجّة انجم حباب كن
آن را كه همچو تير بكيش تو راست نيست از خنجرش دو نيمه چو پرّ عقاب كن
از گرد جيش نافهٔ خورشيد و ماه را در شاه راه منطقه پر مشك ناب كن
بر روى چار بالش عصمت قرار گير و آنگه بيان حكمت فصل الخطاب كن
چندين هزار مسأله بر عقل مشكل است آن را ز روى علم لدنّى جواب كن
در خشكسال جود رياض اميد را مستغنى از عطاى بحار و سحاب كن
اى مير حاج بعد ثناى ائمّه گو يا رب دعاى خسته دلان مستجاب كن

تقريب المعنى العربيّة:

يا قلب حدّثني عن الكرّار أبي تراب صفوة الجبّار
إنّ حديثاً فيه ذكر حيدر أغلى من الجوهر والنضار
وابدء بذكر الشمس في مطلعه تنبيك عنه غرّة النهار
كزينة العروس في جلوتها ثنائه المصحوب بالإكبار
أمّ الكتاب ضمّنت من مدحه جواهراً كالدرّ في البحار
وحدّث الزمان عن معركة بالقوس والخُطى والشفار
لتبهج المحبّ في حديثها وينضج الخصم لهيب النار
واقصر حديث النفس للمولى على ناطقة جامعة الأسرار
خذها بمدحه المجيد وحده ولتبعدن عن مدح الأغيار

يا شمس من برج الولاء أشرقت لم تخف وجه الشمس بالستار

واجعل مواهب السحاب إذ همت بالغيث في ضروعها الغزار

بحراً وفيه معدن مبارك قد استقرّ الدرّ بالقرار

مثل حصار خيبر تعيده تدمّر البدعة بالحصار

وسقف هذي الأرض إذ طاووسه من ذهب يخطف للأبصار

تجعله جنح الغراب لونه ثمّ تحيله إلى نثار

وفي قتال الأخوين وهما النسران نار الجمر والشرار

ضع الشواء حيث يغدو ناضجاً من حرّها بألسن حرار

هيا ارفع العثير فوق فلك قد طليت جبهته بغار

خضّب جبين الأرض من دم العدىٰ لا يلمس الشفاء من أواري

يا دائر الأفلاك قد شخت استمع ما ينطق الحقّ من الأخبار

واكتسب اليقين من سدّته واترك عدوّ الطهر للبوار

واجعل تراب الدرب منه كحلاً واكحل به عيون نجم ساري

مولاي جيش فتنة دار على الدنيا مطوّقاً بعزم واري

فاكشف حجاباً ضمّ سيّد الورى وطهّر الأرض بذي الفقار

واجعل شعار الصالحين سنّة واكس الزمان بزّة الأحرار

لك اللوا تحمله للمصطفى فانهض فدتك النفس للمغار

هوىٰ من الشرع اللوا كنيزك[1] طاح من اليمين واليسار

فاجعله كالشهاب يحرق الأُولىٰ قلوبهم أقسىٰ من الأحجار

---

(١) النيزك: نحو من المرزاق. عجميّ معرّب وقد تكلّمت به العرب قديماً واشتقّت منه. والشاعر لم يقصد معناه بل رمىٰ إلى النيزك الهاوي من السماء.

وأرسل الدماء نهراً دافقاً ... في شفق يبدو بالاحمرار
تطفو النجوم فوق مائه كما ... تطفو الحباب فوق ماء جاري
من لم يكن موالياً لمذهب ... إمامه المولى أبو الأطهار
فاجعله نصفين كجنحي طائر ... ودعه يرتدي ثياب العار
وسرّة الشمس وسرّة ابنها ... فلتمتلأ من ثائر الغبار
يثيره الفيلق وهو صائل ... ينفح ريح المسك في الديار
قد ثنيت لك الوساد فاتكأ ... وانطق بما تضمر من أسرار
مسائل على العقول أشكلت ... تحلّ «باللدن» وبالأنوار
في الجدب إذ تسقي رياض أمل ... فتمتلي بالورد والأزهار
سقيتها بالعلم حتّى لم تجد ... من حاجة لصيّب القطار
ويا أمير الحاج قل مواصلاً ... من بعد مدح سادة الأبرار
يا ربّ وارحم ضارعاً منادياً ... أجب دعا المضطرّ بالأسحار

ومنها:

مرا دليست اسير چه زنخدانش
شكسته بسته تر از طرّهٔ پريشانش
زگريه چون مژه‌ات از سرگذشت و هنوز
بديده تا چكند روزگار هجرانش
هلاك تير جگر دوز دلبر است تنم
كه برگ عيش دل خسته است پيكانش
بگرد عارض مه طلعتان نوشته خطى
كه هركه شيفتهٔ ماست واى بر جانش

بجامه زينت خود داد و سر برون آورد
بجلوه يوسف مه از چه زنخدانش
بر آتش لب لعلت خطست شعلهٔ سبز
كه هر نفس اثرى ديگر است در جانش
تنم كه در تب سوزان زفرقتش بگداخت
نماند قوّت فرياد و روز افغانش
كدام سينه كه عشقت نسوخت چون لاله
كدام ديده كه حسنت نساخت حيرانش
مباش در پى آزار آن گرفتارى
كه نيست قبلهٔ جان جز شه خراسانش
ابوالحسن على موسى آن شهنشاهى
كه خوانده‌اند سلاطين دهر سلطانش
مه سپهر كرامت سپهر اوج شرف
كه تافت بر همه كس آفتاب تابانش
امام دنيى و دين داورى كه از سر مهر
سپهر كرده بطوع انقياد فرمانش
نهال باغ ورع سروگلشنِ تقوى
كه مرغ روح سزد عندليب بستانش
باعتقاد خرد دامن مطهّر اوست
كه نيست گرد فجور و غبار عصيانش

گــهی کـه مـائدهٔ لطـف گسـترد نسـزد

هــلال یک شبه بـر چـرخ جز لب بـانش

نشــان خــیبر خـرگاه اوست هـالهٔ مـا

کــه دیـده است ز رفـعت ورای کـیوانش

ایـا سـپهر مأبـی کـه خـاک درگـه تـو

هــزار بــار بــه از سـرمهٔ سپاهانش

کـف جـواد تـو ابـریست بـر سر فـقرا

کـه جـز امـانی مـقصود نـیست بـارانش

محیط همّت تـو لجّه‌ایست در همه شهر

نـدیده دیـدهٔ غـوّاص عـقل بـارانش

صـحیفهٔ عـمل هـرکه مـدحتت دارد

بـدست راست دهـد روز حشـر یـزدانش

کسـی کـه بـدرقهٔ لطـف اوست همره او

بســوی چــاه ضـلالت نـبرد شـیطانش

سـرای جـاه تـو زان شمع نـو فـروخته‌انـد

کـه بـر فروخته‌انـد از چـراغ ایـمانش

کـدام سـفله زکین بـر رخ تـو تـیغ کشید

که نیست چهرهٔ پرچین بشکـل سـوهانش

اگر کند خسکی دشمن تـو نـیست عـجب

که ساخت حادثه دم سرد چون زمستانش

به دشمنان تو هرکس که همزبان گردد
به سنگ حادثه بشکست چرخ دندانش
شها غلام تو میر حاج بی‌دل محتاج
که در محبّت تو محکم است پیمانش
ستایش تو و اجداد باکرامت تست
وسیله‌ای که خلاصی دهد زنیرانش
چو خوان لطف نهای به‌کوی با خادم
که ناامید نگردانی از چنین خوانش

تقريب المعنى بالعربيّة:

أسر القلب نحرها والخدود وتصبّاه شعرها المعقود
وبدت طرّة على طلعة البدر تريك القريب وهو بعيد
ونثير الجديل[1] طار كقلبي حين أضحى وهو الشريد الطريد
ونسيت البكاء في رمش عينيك تقضّى وللبكاء حدود
غير أنّ العينين من هجرك الآن يُحميٰ على لظاه الوفود
وتولّى الهلاكُ جسمي بسهم من حبيب تخاط فيه الكبود
وغدا عيشي المحبّب سهماً يتمنّاه قلبي المعمود
وعلى عارض الهلال بخطٍّ كتبت تنطق الحروف السود
من أحبّ الجميل منّا فبشّره بقلب يموت وهو عميد
من ثياب لزينة طلع البدر علينا كيوسف بل يزيد

---

(١) الجديل والجديلة مأخوذ من الجدل يعني الفتل، والمقصود بذلك شعر الحبيب المتناثر هنا وهناك، والضمير في «أضحى» للقلب.

كـتبت فـوق ثـغره شـعلة النـا ر حـــروفاً هـــنا تـقول الورود
كـلّ نـفس تـنساب فـوق لظـاه تـعرف الحبّ مـا عـليه مـزيد
ذاب جسـمي بـنار حـمّى جفاه وجـفاني النـداء والتـعديد
أيّ قـلب لم يـحترق بـوداد مـن سـعير الهـوى وأنت الودود
أيّ عـين مـا احـتار إنسـانها في صيد ظبى وأنت ظبي صيود
دع أذى المـبتلى فـإنّي شـخص قـبلتي مشـهد الرضـا المـحمود
ابـن مـوسى الرضـا وسـلطان كـلّ النـاس يـرجـوه سـيّد ومسـود
ودعـوه السـلطان كـلّ السلاطين ومـا فـي الداعـين إلّا الحسـود
قـمر في السماء مدّت سجوف مـن كـراماته التـي لا تـبيد
أشـرقت شـمسه فطبقت الأرض فـغابت مـنها اللـيالي السـود
إنّه السـيّد الإمـام لدنيانا وللـدين حكـمه المـوعود
نـبت روض الهـدىٰ وسـرو التقى والروح فـي روضـه هـي الغرّيد
طـهرت ذاتـه وأذيـاله الغرّ من الذنب وهـو عـنه بـعيد
وإذا مـا تـمتدّ مـائدة اللـطف عـليها كـلّ الأنـام شـهود
ويـظلّ الهـلال يـقبس مـنه لمـع الخـير وهـو غـضّ جـديد
وله هـالة تـحيط بـدنيانا وكـيوان[1] مـبدء ومـعيد
يا سـماءاً غبار حـضرتك السـافي هـو الكـحل مسـعف من يـريد
هـو أولى ألفـاً مـن الكـحل يـزجـيه بسـاحتنا رعـيل مبيد
وعـلت كـفّ جـودك السـمح فوق الفقر تقصيه وهي ظلّ مجيد
ليس فـيها سـوى الأمـاني تـبنى لهـم الخـير فـي الدنىٰ وتشـيد

---

(١) كيوان: نجم يقال له زحل. انظر «العين».

لك عـــزم هـــو المـحيط تـجلّىٰ ... لجـجاً فـي الـبلاد خـيراً تـجود
مـلأ الدرّ قـعره لم يـر الغـوّاص ... شـــبهاً ولا حـــوته عـــقود
كلّ مـن قـال مـدحة فـيك يـعطى ... فـي اليـمين الكـتاب وهـو سـعيد
والذي نـــلته بـــلطف ســـيهدىٰ ... والضـــلال المشـــين عـــنه بـعيد
وبشـمع مـن جـاه فـضلك يـزداد ... ضـــياءاً إيـــمانه المـــنشود
أيّ وغـد بـالسيف يـضرب وجـهاً ... قـد أبـى مـن أذاه حتّى الحـديد
وإذا مـــا العـــدوّ يـبذر شـوكاً ... لا عـجيب كـذا يـكون الحـقود
صـانعاً حـادثاً هـو الثـلج بـل أبـر ... د مـــنه وهـــو الغـــبيّ البـــليد
كـــلّ مـــن ضـمّ صـوته لعـدو ... لك أودىٰ لســـنّه الجـــلمود
ســـيّدي إنّ «مـــير حـــاج» ... لمحتاج ليدنيه مـنك عـيش رغـيد
ليس عـندي وسـيلة غـير حـبّي ... لك أنـــجو بـــه غـــداً وأسـود
وأخـلي الجـيحم للـنصب يأتـيها ... فـــيحويه بـابها بـها المـوصود
جـنت بي من خوان فـضلك أعـطى ... كـــلّ خـير وأنـت فـيه الجـود
ســـيّدي خـلّني بـجنبك أحـيا ... إنّـما القـرب مـن جـنابك عـيد

مولانا محمّد بن حسام أحلّه الله دار السلام

اشتهر بين الناس بابن حسام وكان قويّ الطبع في نظم الشعر.

وجاء في تذكرة دولتشاه: إنّ مولانا مع كماله في الشعر فإنّه من أهل الفضل والقناعة أيضاً. وكان مولده في «قصبة خوسف» من أعمال قهستان خراسان، وأكل لقمته من عمل الفلاحة وكان يحرث الأرض على البقر فإذا ما ذهب في الصباح الباكر إلى الحقل يظلّ إلى أن يمضي هزيع من الليل، وما قاله من الأشعار

يكتبه على مقبض المسحاة، واعتبره بعضهم وليّاً حقّاً، وله في نعت الرسول المجتبى ومناقب أئمّة الهدى قصائد غرّاء وهي مشهورة في بلاد إيران وعلى ألسنة المحبّين لأهل العبا، ومن جملتها هذه القصيدة التي قالها في المدح وذكر المناقب:

ای رفته آستان تو رضوان به آستين ‏ جاروب فرش مسند تو زلف حور عين

باد صبا زنکهت زلف تو مشک‌بيز ‏ خاک عرب زنفخهٔ قبر تو عنبرين

از لعل آبدار تو ارواح را شفا ‏ وز زلف تابدار تو حبل المتين متين

بام فلک زرفعت قدر تو تاجدار ‏ کام هوا زشربت لعل تو شکّرين

ذات تو همچو نام شريف تو مصطفى ‏ حسن تو همچو خلق عظيم تو نازنين

ماه منير مملکت آرای طا و ها ‏ شاه سرير مسند اعلای يا و سين

بابای مهربان بنی آدم و شفيع ‏ فرزند آدم از همه ليکن خلف‌ترين

پا بر سرير «کنت نبيّاً» نهاده‌ای ‏ آدم هنوز بوده مخمّر به ما و طين

ای ره روان راه حريم اله را ‏ شرح تو تا بروز ابد شارع مبين

رويت در آسمان «لعمرك» مه تمام ‏ در باغ «فاستقم» قد سرو تو راستين

يک جاريت زحضرت با احترام تو ‏ ترک چار بالش و قصر چهارمين

نام تو بر نگين سليمان نوشته‌اند ‏ بهر نفاد حکم به خطّ زمرّدين

فيروزی ممالک لا ينبغی نيافت ‏ ناکنده نقش خاتم لعل تو بر نگين

صاحبقران عهد رسالت توئی بحق ‏ آنکس کجا که با تو تواند شدن قرين

شاد که سايد از جهت آبروی خويش ‏ بر خاک آستان تو کرّوبيان جبين

در عهد زندگيم نمودی جمال خويش ‏ بعد از وفات از تو توقّع بود همين

آب حيات خضری از آن رو نهفته‌ای ‏ گنجی بزير خاک از آن گشته‌ای دفين

وقتست كز درون سراپردهٔ حرم   بیرون خرامی ای سر سرخیل مرسلین
وقت خروج تست که هر صبح می‌نهد   بر سبز خنگ چرخ فلک زآفتاب زین
بگشای باز نرگس «ما زاغ» رازخواب   برزن گره بنفشه بر اطراف یاسمین
از تکیه‌گاه برد یمانی بر آر دست   تا دستبرد خویش نمائی به آن و این
سودای خاطرم بدرازی کشید سر   با زلف خود بگوی که احوال ما ببین
حال شکستگی و پریشانی دلم   از طُرّهٔ معنبر خود پرس بعد از این
بگشای تیر غمزه زابروی چون کمان   غمّاز بین نشسته زهر سوی در کمین
دین منست منقبت خاندان تو   بی‌دین کسی بود که نیاورد دین بدین
گر نعت اهل بیت تو فضل است رافضم   هم آسمان گواست بر این قول هم زمین
دریا زاصل خویش چه پاکست باک نیست   گو سگ هزار بار بدو اندرون نشین
بوجهل هم زجهل کلام مجید را   بنگر چگونه خواند «أساطير الأوّلين»
اندر کمال صفوت آدم چه اختلاف   ابلیس گر نکرد تقرّب به ساجدین
گر یک تن از هزار موافق نشد چه شد   گر یک‌سر از مجادله کردن کشد چه کین
با بولهب زعصمت آدم سخن مگوی   بیگانه را بدیدهٔ عقل آشنا مبین
رمز صحف زمزمهٔ زردشتیان مجوی   هرگز گمان مبر که شود ناامین امین
فرعون را چه سود زبرهان موسوی   از سنگ خاره کی گذرد میخ آهنین
از حیله‌های گربهٔ زاهد مرو زراه   ای کبک خوش‌خرام کجامی‌روی چنین
در کیش عیسوی چه تصرّف کند کسی   کو ره نمی‌برد زرها بین براه بین
تیغ زبان ابن حسام آتش است و آب   گه آتشی چو آب و گهی آب آتشین
بردوستان چونوشم وبردشمنان چو نیش   گه سرکه می‌نمایم و گاهی ترانگبین
شاید که بر طبیعت سحر آفرین من   هاروت بابلی کند از بابل آفرین

اشعار من به روضهٔ فردوس گر برند   اى خارجى تو خارجى از روضهٔ برين

تقريب المعنى بالعربيّة:

يا من بروضة قبره   رضوان فاتح كلّ باب
ويجيء ينفض تربها   بالردن منه وبالثياب
والحور تجعل شعرها   كسبائك الذهب المذاب
وتحيله في مشهد   ستراً يقيه من التراب
مرّ الصبا في نكهة   ريّاه قد طابت وطاب
قد عنبرت منه الجزيرة   فهي كالعطر الملاب[1]
من لؤلؤ في الثغر منك   يظلّ يسبح بالرضاب
قد عوفيت أرواحنا   من كلّ سقم أو مصاب
حبل المتين غدا بشـ   ـعرك مرسلاً طوق الرقاب
من قدرك الفلك الرفيع   سمى بتاج مستطاب
وفم الهواء قد استحال   لسكّر حلو الشراب
واشتقّ لاسمك «مصطفى»   ربّ يجل عن الحساب
ذاتاً قد اشتقت من اسم   المصطفى من دون عاب
حسنت كخلقك فهي في   الظلما كبارقة الشهاب
قمر منير، طائه والها   بمملكة الرغاب
وكذاك ياسين اسمه   هو مسند عالي الجناب
وأب لعترة آدم   وشفيعهم يوم الحساب
ولئن رجعت لأصله   هو مثلهم في الانتساب

(١) الملاب: كلّ عطر مائع / فقه اللغة.

لكن لرفعة آدم سبب هو العجب العجاب

ووضعت رجلك فوق عرش عنه تنحط الهضاب

كنت النبيّ وآدم ما بين ماء أو تراب

يا سالكاً درب الهدى ما بين ملتبس الشعاب

قد ظلّ شرعك للقيامة خالداً هو والكتاب

والبدر وجهك في السماء بدا يضيء بلا حجاب

وطلعت في روض «استقم» سرو أكسيف في قراب

تركوا النعيم وطلقوا اللذ ات أهلك والصحاب

وتيقّنوا أنّ المصير إلى علاك هو الصواب

كتب ابن داود بخاتمه المبين وقد أصاب

حرفاً من اسمك مستبيناً كي تذلّ له الصعاب

ما نال من ملك «بما لا ينبغي» إلّا الكذاب[1]

حتّى تجلّى فوق خاتمه لك اسم لا يعاب

يا مالكاً عهد الرسالة في دنوّ وانتساب

من ذا قرينك في الأنام هل السواقي كالعباب

سجد الملائك فوق أعتاب سمت فوق القباب

قد عفّروا جبهاتهم فيما عليها من تراب

قد كنت في الدنيا جمالي كن كذا عند الحساب

ماء الحياة أقمت تحـ ت الأرض للخضر الشراب

---

(١) بكسر الكاف: الكذب أي الباطل، لأنّه لم يحصل بيديه منه شيء إلّا مضى وانقضى، فكأنّما الملك كذب عليه.

وغدوت كنزاً راح يعطاه فدام له الشباب
آن الأوان لكي نرىٰ منك الجبين المستطاب
والشمس يسرجها لك الفلك العظيم بلا حجاب
ولعلّ أعيننا تفتّح بعد نوم في الرحاب
والنرجس الوسنان يفتح عينه عند العتاب
واعقد عقود بنفسج من ياسمين أو سِخاب[1]
أخرج من البرد اليماني كفّ محتجب مهاب
طال التفكّر في شج من بؤسه بلغ النصاب
يرنو لطالعة الرجا حتّى توارت بالحجاب
فانظر لامتك التي تطفو وترسب في السراب
واسأل عن المسكين عن قلب تطاير باضطراب
وأعد سؤالك عن جعود أشبهت ليل العذاب
وارسل سهامك من رموش مثلما هطل السحاب
واعلم بديني إنّه دين رمىٰ عنه النقاب
ولع بذكر الآل ليس له عن الآل اجتناب
هذا ويمن يجفوهم ما دينه إلّا التباب
وإذا دعوني رافضياً لست آنف أو أُعاب
شهدت لي الخضراء و الغبراء باسمٍ مستطاب

---

(١) السخاب: بوزن كتاب قلادة من مسك وقرنفل ومحلب بلا جواهر، والسكّ طيب يعجن ويقرّض ويترك يومين ثمّ يثقب بمسلة وينظم في خيط قنّب وكلّما عتق طابقت رائحته. راجع ديوان مهيار ج ١ ص ٣٧ طبعة أولى ١٣٤٤ هجريّة دار الكتب المصريّة.

قل لي أيخشى البحر وهو يـزجّ موجاً في اصطخاب
إن كـان فـي شـطئانه فـينانةٌ تـقعي الكـلاب
هـذا أبـو جـهل يكنّى حـينما جـهل الكـتاب
مـا ضـرّ آدم إنّ إبليساً قـلاه ومـا اسـتجاب
فأبـى السـجود ولم يـنل إلّا المـذمّة والعـذاب
إن كـان بـين الألف فـرد لم يـوفّق للـصواب
أو كـان ألف فـي الرؤوس غـدا يـعاند فـي الخـطاب
مـاذا يـضرّ الحق من هـذا وذلك بـالسباب
واتـرك أبـا لهب فـقد قـضى حـياة فـي هـباب[1]
عـن عـصمة نسـبت لآدم لا تكـلّم ذا الكـذاب[2]
مـن عـقله فـي عـتمة تـنبيك عـن ريش الغـراب
لا تـطلبن رمـز الصـحائف مـن مـجوس كـالذباب
هـيهات لا يـغدو الخـئون هـو الأمـين بـلا ارتـياب
مـا نـفع فـرعون بـموسى حـين نـاقشه الحسـاب
هـل يـنفذ المسـمار إن حـاولت فـي صـمّ صـلاب
يـا طـير لا تـخدع بـقطّ زاهـد يـخشى العـقاب
وارجـع ولا تـذهب إليـه فـإنّ بـيت القـطّ غـاب
سـيف لسـاني قـاطع كـالنار تـضرم بـالتهاب
فـيكون نـاراً تـارة ويكـون مـاءاً فـي الربـاب

---

(١) الهباب: كسحاب: الهباء.

(٢) ذا الكذاب: صاحب الكذب.

وأنـا الرحيق لصاحبي لكـنّ للأعـداء صـاب[1]
فأكـون «خـلّاً» تـارة جـمعت حموضته الذبـاب
وأكـون أريـاً[2] تـارة بـالماء من مزن يشـاب
ولعـلّ وضـع طـبيعتي كـالسحر يأخـذ بـالرقاب
هـاروت قـام بـبابل ويـصوغ مـن رمش حراب
يـا خـارجـيّ اخـرج إلى نـار، حـرمت من الثواب

ومنها:

سـاقى بـزم افـق دوش كـه سـاغر شكست
مـهرهٔ سـيماب‌گون در قـدح زر شكست
دود غسـق روشـنى از رخ عـالم بـبرد
شـعلهٔ زردشت را در دل اخگـر شكست
طـوطى طـاوس بـال بـيضه در آتش نـهاد
بـاز سـبک سـير را زاغ سـيه پـر شكست
گـنبد پـر دود را هـندو شب در گشـود
سـقف زرانـدود را شـرفهٔ مـنظر شكست
حـجله نشـينان غـيب بـر در و بـام آمـدند
مـاه بـنظاره گـى شـقّه زرخ بـر شكست
تـير بـنوك قـلم بس كـه صـنايع نـمود
دفـتر مـانى بشست خـامهٔ آذر شكست

---

(١) ضرب من الشجر المرّ.
(٢) الأري: العسل / العين.

مطرب بزم طرب شاهد عذرا عذار
جلوه‌گری را زرخ گوشهٔ چادر شکست
خسرو چارم سریر رو به هزیمت نهاد
تاج مرصّع نهفت زینت و زیور شکست
صدر عدالت قرین روی سعادت نمود
خانهٔ بیداد را دولت او درشکست
طبع سخن ساز من مونس و دمساز من
مطلع دیگر نهاد مقطع دیگر شکست
یار سر زلف با زخم بخم اندر شکست
زینت گلبرگ داد رونق عنبر شکست
سنبل خوشبوی او غالیه بر لاله ریخت
سلسلهٔ موی او بر مه انور شکست
لعل گهرپوش او جزع یمانی نمود
حقّهٔ یاقوت را خندهٔ او درشکست
طعم دهانش شکر در دهن کام ریخت
لذّ نوش لبش قیمت شکّر شکست
چشم دل آشوب او زینت نرگش ببرد
قامت رعنای او زیب صنوبر شکست
لالهٔ سیراب او بس که ببرد آب من
سنبل پرتاب او بس که به من برشکست

طلعت رعناى او قدّ دلاراى او
آب رخ گل بريخت قامت عرعر شكست

خال سه بر رخش همچو بر آتش سهند
سوخته چون عود تر نكهت مجمر شكست

دوش نسيم سحر غاليه افشان رسيد
يار مگر صبحدم جعد معنبر شكست

عطر رحيق مذاب عنبر و عود وگلاب
بس كه رواج گل و مشك معطّر شكست

خاك زمين نكّهت عنبر سارا گرفت
روح مقدّس مگر طرّة شهپر شكست

كرد مگر سلسبل خازن جنّت سبيل
ياقدحى در كف ساقى كوثر شكست

حيدر لشكر شكن صفدر عنتر فكن
آنكه به شمشير دين لشكر كافر شكست

صيقلى رمح او زنك قمر برگرفت
لمعة صمصام او شعشعة خور شكست

گاه بنوك سنان گاه بگرز گران
مغفر خاقان ربود افسر قيصر شكست

ضربت تيغش زتن كرد جدا ران عمرو
بازوى گردافكنش گردن عنتر شكست

خنجر تیزش سر مرّهٔ کافر برید
نیروی دستش در قلعهٔ خیبر شکست
خنده زنان خنجرش بر رخ هرکس که تافت
غرغرهٔ گره‌اش در بن خنجر شکست
قوّت بازوی او سطوت رستم ببرد
پنجهٔ شیرافکنش فرّ غضنفر شکست
فتنهٔ یأجوج را می‌بتواند نشاند
آنکه تواند بگرز سدّ سکندر شکست
نقش ضلالت سترد لات و هبل کرد خرد
عزّت عزّی ببرد عرض مکندر شکست
تیغ وی افسر شکست بر سر شاهان چنانك
باد سحر در چمن برگ گل تر شکست
صبح سر تیغ او در افق ملك شام
درق زراندر سر خسرو خاور شکست
حیدر تارك شكن چون صف صفّین کشید
قلب خوارج بدان تیغ دو پیکر شکست
ضابطهٔ داد و دین کرد پیمبر درست
رابطهٔ کفر و ظلم حیدر صفدر شکست
لات و عزی را بهم در حرم محترم
هر دو بهم پشتی دوش پیمبر شکست

آنكه‌در اين ورطه‌جز كشتى او ساخت جاى

جنبش طوفان وراكشتى و لنگر شكست

پايه چو بر پايهٔ منبر عالى نهاد

نام فرومايگان بر سر منبر شكست

شعشعهٔ نور او ديدهٔ اعمى نديد

زلزلهٔ كوس او بستگى كر شكست

آب كف جود او فيض سحابى نمود

تاب تف تيغ او گرمى آتش شكست

آنكه بنور جبين عكس رخ روشنش

روشنى طلعت بدر منوّر شكست

گر ببنان نبى در طلب معجزات

بر طبق لاجورد قرص مزعفر شكست

طاعت عصر تو نيز تا نشود از تو فوت

روز برجعت بر اين منظر اخضر شكست

خطبهٔ تو در بيان سرّ الهى بگفت

منطق تو در سخن معدن گوهر شكست

از پى مدح تو دوش تيغ قلم بركشيد

وز ورق نقره‌كوب كاغذ و دفتر شكست

غيرت مدح توآش چون به حقيقت رسيد

خامه نگونسار كرد نطق سخنور شكست

گــر ورقــى مــى‌كشد بــهر تــو ابــن حســام
عــاقبت‌از عـجز خـودجـدول‌ومسطر شكست
تـــا فــلك چـــنبرى چـــنبر زرفـــام را
خـواهـد از ايـن دايـره در چـم چـنبر شكست
چـنبر طـوعت چـنان طـوق هـمه گـرد نـان
بــاد كـه نـتوانـدش چـرخ مـدوّر شكست

تقريب المعنى بالعربيّة:

كســر الســاقي ولمّــا يـفق[1] قــدح الأُفــق إلى أن نــلتقي
حــطّم البــدر بكأسٍ ذهب فــتردّى الكـونَ بـرد الغسـق
والدخــان امـتدّ حـتّى خفيت شــعلة النــور بـوجه الأُفـق
سـترت شـعلة زردشت من[2] القـلب حـبّاًكـاختفاء الشـفق
وأتــى الطـير الذي مـن جنحه يـتجلّى جـنح طـاووس شـقي
واضــعاً بـيضاً بـاتون الغـضى وبــدى البــاز بــجنح قـلق
كــاسراً فـي وكـره لمّـا بـدا لغـــراب جــنحه لم يــلحق
قـبّة اللـيل امـتلت ممّا جرى بــدخان صـاعد مـن حـرقي
وبــدا اللــيل كــهنديّ غـدا فــاتحاً فـيه نــضار الفـلق
مشــرفاً يــنظر مـن شـرفته كسـر الشـرفة كسـر البـندق
وذووا الغـيب أتـوا مـن حـجلة يـملأون السـطح مـلأ الفـيلق
وكــذا البــدر لكـي يـنظرهم قـد أزاح السـتر عـن وجـه نـقي

---

(١) هي «لما» الجازمة إحدى حروف الجزم الأربعة.

(٢) شعلة زردشت: كناية عن الحبّ. أحسبها هكذا ولم أجزم بذلك.

وبشقّ القلم النجم الذي جاور الشمس ولمّا يخفق
قد ملا بالصنع آفاق الدنىٰ وسمىٰ في صنع ما لم يطق
ومحىٰ دفتر ماني وأتىٰ كسر شقّ القلم المنطبق
وأتى المطرب يبغي طرباً مجلس الأُنس الذي لم يسبق
وجلى العذراء في جلوتها فبدت في وجه بدر مشرق
«خسرو» الرابع خلّى عرشه ورمى التاج وحلّى المرفق[1]
وكذاك العدل ولّى وجهه يطلب الراحة فيما قد بقي
ورأى الظلم هوىٰ في بيته أمس مهوى العالم المنسحق
وأنا طبعي غدا يؤنسني يرصف المنطق بعد المنطق
وحبيبي قد بدا في دلّة يعقد الشعر كعقد الحلق
نشره قد أكسب الأُفق شذىً سلب العنبر من مستنشق
أكسب الأزهار طيباً طيبه واختفى البدر بشعر مطبق
وبدىٰ جوهره في واضح يا له من جوهر في يقق[2]
أخجل الجوهر حتّى قد غدا «جزعاً» من يمن منطلق[3]
طلعة الياقوت حين ابتسمت ورأت طلعته لم تنطق
ريقه السكر يبدو بفم قد تجلّى بجمال «الزنبق»[4]

---

(١) هو ما ارتفقت أو انتفعت به.

(٢) أبيض يقق شديد البياض / المحيط في اللغة. اليقق البياض / جمهرة اللغة. أبيض يقق ككتف: شديد البياض / القاموس المحيط. شديد البياض ناصعه / لسان العرب.

(٣) الجزع: الخرز والواحدة جزعة، أجوده وكثيره في ظفار لذلك نسب إليها فقيل جزع ظفاري.

(٤) الزنبق: الورد. وقالوا: هو زهر يجعل في السيرج ويعمل منه دهن كغيره من أنواع الأزهار / راجع: تاج العروس.

وتـــدلّت شـــفة فـــيه روت كـيف يـقضي ظـامئ بـالشرق
لحـظه إذ يأســر القـلب بـدى يـهب النـرجس مـرضى الحـدق
قـامة قـد بسقت[1] فاعتدلت تسلب الحسـن «لسـرو» مـعرق
وزهـىٰ بـالزهر حـتّى لم يـدع مـنظراً يـصبي بـروض مـونق
وغـــدا القـحوان فـي بسـتانه يـرسل الطـيب بـزهر عـبق[2]
وجـــهه والقـــدّ مـــن قـامته أخـجل الورد بـــوجه طـلق
قامة السـرو هـوت مـن بـعد مـا قـــدّه قـــيس بســـرو مـملق
عـــمل الخـــال عـلى وجـنته عـــمل الجـــمر بـــعود عـبق
أحـرق العـود وفـاح الطيب من مـــجمر فــاح بـطيب مـعرق
زارنـــي الطـيب بـبيتي سـحراً وأنـــا وحـدي أُعـاني حـرقي
هـل تـرى يـمشط خـلّي شعره فـــزكى مـن شـعره والمـفرق
كـــرحـــيق كـملاب أرسـلت طـــيبه والأرض لمّـــا تـــفق
فـــاح فـي ريّـاه مـا نسـتافه مـــن لهـات الروض غبّ الودق
عـــنبر مـــاج بأرض خـــالصٍ وعـــلى جـنح المـلاك الخـفق
هـل أبـاح العـذب من كـوثره خـــازن الجـنّة كـيما نسـتقي
يـحمل الكـاس مـليئاً حـيدر ويـــروّي ظـــامئاً فـي الرمـق
هـــازم الكـفر بسـيف صـارم إن تـــر الروح عـــليّاً تـــزهق
صـدأ البـدر اغـتدىٰ في رمـحه زائـلاً مـن وجـه بـدر مشـرق
ومـحى الشـمس بـبرق كـاشف عـــضبه لولا الردىٰ لم يـــبرق

---

(١) كلّ شيء تمّ طوله فقد بسق / المزهر.

(٢) الأقحوان: للنبات المعروف ويقال له القحوان أيضاً / راجع المحيط في اللغة.

تارة بالرمح أُخرى بالعصىٰ ... يسلب القيصر تاج المفرق
عقر القرم ابن وذٍ سيفه ... ودهى عنترة بالرهق
ورمى من خيبر باباً غدا ... بعد لم يفتح لهم أو يغلق
يضحك الخنجر في أعناقهم ... حين يجري دمعهم بالعلق
كسر السطوة من رستم في ... عزّة السيف التي لم تطق
عنق الليث لوتها عنوة ... قبضة تألف بتر العنق
قامع فتنة يأجوج الذي ... هدم السدّ بسيف حنق
والضلال انطمست أعلامه ... هبل راح بذلّ موبق
وكذا اللّات مع العزّى هوت ... وهي لولا حيدر لم تمحق
إنّ تيجان ملوك هشّمت ... نثرت نثر الصبا للورق
بذبال السيف صبح طالع ... كاسراً في الأُفق جنح الغسق
عبر الشام وخلّى قيصراً ... وأتىٰ خسرو لم ينغلق
فلق الهام بصفّين هوت ... بحسام مانج كالزئبق
وغدا إذ خرجت خارجة ... رامياً أحشائهم بالفرق
وأقام العدل والدين معاً ... سيّد الخلق بقلب مشفق
ورمى بالكفر والظلم معاً ... حيدر إذ وجدا في نسق
طهّر البيت من اللّات ومن ... صنم العزّى وما منها بقي
ما رسىٰ إلّا سفين عابر الموج ... في مستنقع مستغلق
إذ له يعزى وفيه قد نجى ... من عتيٍّ موجُهُ لم يغرق
وارتقى المنبر فانهدّت له ... قوّة من باطل مسترق
نوره قد أبصر الأعمى به ... وعنى الصمّ لصوت مصعق

سبق السحب جدى راحته | وتجلّى سيفه بالحلق
خمد النيران من جذوته | كرماً حتّى غدت لم تحرق
وجبين ساطع من نوره | بدر تمّ قد غدا في مغسق
لو بقى المعجز في أنمله | كالنبيّ المصطفى لم يسبق
لاختفت شمس الضحى في طبق | قد بدى من لازورد أزرق
كان سرّ الله في خطبته | قد أعدّت لبيان المنطق
هزم الجوهر في معدنه | لبيان بالمعاني مونق
جرّ للمدح بليل قلمي | في لجين وبياض يقق
وبلغت الحقّ في مدح جرىٰ | بلسان عربيّ ذلق
وقف المزبر معكوساً على | عظم المدح الذي لم يطق
لو أراد ابن حسام ورقاً | ينشر المدح كنشر العبق
عجزت آلاته من مدح | بكم اختصّت كفجر المملق
واختفت من فلك أقماره | وهوت من مغرب او مشرق
إذ بدت أنجم مدحيك على | أُفق إذ يحتويها ضيّق
هالة قد طوّقت عنق الورىٰ | لك لم تسبق ولمّا تلحق
بان عجز الريح أن يحملها | إنّه ريح الحمام السبق

ومنها:

اى زلعل دلدلت بربسته زيور آفتاب
با فروغ طلعتت از ذرّه كمتر آفتاب
خطبه بر نام تو خواند از سر بام فلك
بر چهارم پاية اين هفت منبر آفتاب

تا درست مغربی را سکّه بر نامت زند
هر شب اندازد در آتش قرصهٔ زر آفتاب
ترک روشن رای بام تست زآنرو می‌نهد
چار بالش بر فراز هفت بستر آفتاب
جز به‌کشتیبان مهرت کی رساند بر کنار
کشتی زرّین از این دریای اخضر آفتاب
فضله‌ای از فضل عام خوان انعام شماست
بر سماط نیلگون قرص مدوّر آفتاب
خاک درگاه تو روید روی مهر از راه قدر
زان جهت فرمان دهد بر هفت‌کشور آفتاب
تا نباشد در کمال طاعتت نقصان فوت
کرده میل از باختر خود سوی خاور آفتاب
مسند جاه تو را فرش مزیّن آسمان
گلشن قدر تو را شمع منوّر آفتاب
سال و مه در انتظار آفتاب روی تست
بر کنار بام این فیروزه منظر آفتاب
در جهان آفرینش نیّر اعظم سه‌اند
روی تو اوّل دوم ماهست و دیگر آفتاب
تا زبدو آفرینش دیده روشن کرده بود
صورتی نادیده چون رویت مصوّر آفتاب

خیره گردد دیدهٔ خورشید اندر روی تو
آنچنان چون خیره گردد دیده اندر آفتاب
هیبت تیغ تو دارد کز گریبان فلک
برنمی‌آرد برون از ترک و مغفر آفتاب
از نهیب نیزهٔ جوشن‌گذارت روز جنگ
درع داودی کند هر روز در بر آفتاب
بسکه‌تیغت خاک‌شام از خون اعدا سرخ کرد
شد نهان در حُقّهٔ یاقوت احمر آفتاب
تا عدو را چون شفق در خون نشاند دم به دم
برکشد هر صبحدم تابنده خنجر آفتاب
درع زرّین تو دارد مه ستاره نقره‌کار
قبضهٔ تیغ تو را زرکوب زرگر آفتاب
خنجر سبز تو گویی زآسمان دیگر است
بر رخ چون آب او تابنده‌گوهر آفتاب
بر رواق همّتت سقف مدوّر آسمان
بر سپهر رفعتت تابنده اختر آفتاب
برندارد ظلمت از روی زمین تا روز حشر
گر نتابد زآسمان بر مهر حیدر آفتاب
اطلس نیلی زخون دیده سازد سرخ رنگ
بهر خون ناحق آل پیمبر آفتاب

دل پر آتش می‌شود زآن روز کاندر کربلا
تافت بر لب تشنهٔ ساقی کوثر آفتاب

تا ز تاب آفتاب آن سرخ گل را زرد کرد
زان خجالت می‌رود با روی اصفر آفتاب

خاک روب روضهٔ چون جنّتش زلفین حور
رشتهٔ تاب معجر زهرای ازهر آفتاب

مهد جنبانندهٔ سبطین زهرا جبرئیل
مهرهٔ گهوارهٔ شبّیر شبّر آفتاب

یا امیرالمؤمنین روی من و خاک درت
کان همایون آستان دارد شرف بر آفتاب

بعد پیغمبر به نسبت بر کسی دیگر متافت
زآسمان آفرینش از تو بهتر آفتاب

ای که شهرستان علم مصطفی را تو دری
بر نتابد روی مهر از خاک این در آفتاب

ای تو مولی المؤمنین مولای تست ابن حسام
من که باشم ای تو را مولی و چاکر آفتاب

اندر آن ساعت که چون خلقان همه مستان شوند
زآب‌خشک آید برون چون زآتش تر آفتاب

صورت تکفیر بر شمس منوّر برکشند
همچو آتش گرم سازد صحن اغبر آفتاب

در پــــناه دولتت دارم امــــيد سـايه‌ای

چــون نـتابد گـرم بـر صـحرای مـحشر آفـتاب

تقريب المعنى بالعربيّة:

يــا مــن تـزيّنت السـماء بـنوره	وتـضائلت لجـماله شـمس الضـحىٰ
خـطبت عـلى الفـلك المـدير مشيدة	بـاسم الوصـيّ له المـدائـح والثـنا
خـطبت لتـطبع سكّـة مـن عسجد	عـند الأصـيل كأنّـه نـار الغـضىٰ
يـتماوج الشـفق المـلوّن بـاسمه	وكأنّ قـرص الشـمس مـن ثـقل هـوىٰ
ولهـا حـبيب فـوق دارك مشـرق	فلذا استراحت فـي السـماوات العـلىٰ
ربّـان حـبّك فـي السـفينة قـائم	وبـه البـلوغ إلى المـراسـي يـرتجىٰ
أومـا تـرىٰ هـذي السـفينة أبـلغت	فـي أخـضر وهـي النـضار المـبتغىٰ
وعـلى خـوانك فـضلة مـن نـعمة	هـي ذلك القـرص المـنوّر فـي السـما
نـفضت بأعـتاب الضـريح غـباره	أمـرت بـذاك لحـبّها للـمرتضىٰ
فسـمت عـلى السـبع الشـداد أمـيرة	في فرشها السامي بـذاك قـضى القـضىٰ
كـي لا يـرى نـقص الكـمال بـطاعة	مـن غـربها للشـرق مـوكبها سـعىٰ
قـد كـان جـاهك للسـماء مسـانداً	نـضدت وكـان الشـمع شـمساً للورىٰ
تـتطلّع الأيّـام تأمـل أن تـرى	شـمساً بـوجهك كـلّ يـوم يـرتجىٰ
والشـمس فـي أُفـق السـماء مـطلّة	مـن فـوق فـيروز بـحضرته بـدى
وثـلاثة تـتنوّر الدنـيا بـهم	شـمس ووجـهك والهـلال إذا نـما
أشـرقت فـي بـدء الوجـود بـغيبه	فـقضى بشـمس مـثل وجـهك إذ بـرىٰ
مـا أغـمضت للشـمس عـين فـهي لم	تـبرح مـحلّقة بـوجهك إذ أضـا
فـلذاك تـعجز كـلّ عـين أن تـرى	قـرصاً لهـا مـتلألأً خـوف العـمىٰ

ويهابك الفلك الأشمّ وسيفك البتّار يخشىٰ فهو صاعقة القضا
والشمس ما نزعت لخوف درعها كلّا ولم تخلع لمغفرها ذكا
من خوف رمحك في القتال تدرّعت في درع داود ذكاء في السما
كم قد أراق ذبال سيفك من دم في يوم صفّين بسيف منتضىٰ
فصبغت أرض الشام حتّى أصبحت شمس عليها من يواقيت ردا
حتّى يضلّ الخصم يسبح بالدما في ارضه وبحمرة الشفق احتبى
ستظلّ تشحذ كلّ صبح خنجراً شمس لقد ظمئت لهاطله الدما
من درعك البدر استغلّ نجومه ليصوغها لقتير درعك تبتغىٰ
والشمس صاغتها فكانت آية محبوكة حبكاً به حتّى السُّهىٰ
فكأنّ خنجرك السماء جديدة يجري بكفّك مثل ماء قد جرىٰ
والشمس ساطعة عليه بنورها حتّى يرىٰ عضباً برونقه الردىٰ
ورواق همّتك السماء تكوّرت كالشمس يشرق فوق رفعتك العلىٰ
لو لم تلح بوداد حيدر شمسنا لم ينجل من فوق كوكبنا الدجىٰ
والأطلس العالي تبدّل حمرة من زرقة بدم لناظره همىٰ
ودماء أحمد قد أُريقت جهرة في كربلاء فآلمت قلب الهدىٰ
ملئت بنار الحزن أفئدة الورىٰ في يومها حزناً على آل العبا
واصفرّت الشمس التي في حمرة الورد ازدهت لمّا ألمّ بها الحيا
كسحت بشعر الحور روضته كما عقد الشموس خمار سيّدة النسا
جبريل هزّ المهد للسبطين في وضح النهار وفي المساء وفي الضحىٰ
والشمس كانت حلقة في مهده مهد الحسين كذاك مهد المجتبىٰ
سمعاً أميرالمؤمنين فإنّ في وجهي غباراً من ضريحك قد علا

قد طلت حتّى الشمس في عليائها وسموت في شرفي إلى أُمّ العلا
ما أشرقت بعد النبيّ على امرئ شمس بأشرف منك قدراً يحتذى
باب المدينة والنبيّ مدينة والشمس قد طلعت على خيرى الورى
مولى جميع المؤمنين وإنّني لابن الحسام وأنت مولىً ترتضى
دعني أنا فالشمس عبدك ما بدت إلّا لتكشف نور وجهك للملا
إنّي لأرجو يوم يبدو الناس من عطش كأنّ قلوبهم نار الغضى
أُسقى بكوثرك المصفّق شربة ما أحسن العذب الفرات على الظما
تطفى على الشمس الجحيم كأنّها بحر بلجّته على الدنيا طفى
وتظلّ هذي الشمس يصهر حرّها هضب الثرى حتّى تسيل على الثرى
إنّي لأطمع أن أعيش بظلّكم في دولة تعنو لها أُمّ القرى
إذ لا تمدّ ذكاً علينا نارها ويجيرنا منها غداً حامي الحمى

ومنها:

هر صبحدم مصوّرِ اين چرخ اخضرى از كان لاجورد دهد زرّ جعفرى
مخفى كند مشاعل خرگاه نيل فام از عكس نور شعشعهٔ شمع خاورى
استبرق مرصّع گلگون بگسترد بر چار طاق رفرف خضراى عبقرى
تعيين كند به مملكت شاه زنگبار داراى روم را به كلاه سكندرى
تزيين دهد به حسن زليخاى روز را همچون جمال يوسف كنعان بدلبرى
از هر كنار دامن كافور گون حرير بندد بر آستين و گريبان عنبرى
بر طرف هفت اطلس گلريز سيم و زر زينتگرى كند به دؤاج معصفرى
خاتوق چار بالش قصر رفيع را تزيين دهد به كسوت زربفت اصفرى
ديباى زرنگار زانداز قرمزى بندد بر آن شمايل زيبا به زيورى

بیرون دهد زکان زبرجد عقیق ناب چون بر بساط ارض خضر لالهٔ تری

بر خاتم زبرجد مینا زند نگین هنگام صنع قدرتش از لعل گوهری

این نه طبق لالی در خوشاب را سازد نثار افسر خورشید یکسری

زرکش کنند کتابه و ایوان بام را نه جدول و نه مسطر نه زر نه گوهری

بر اوج بام گنبد مینا زعکس روز مینو صفت کند چمن باغ عبقری

بر خوان نقره کوب نهد قرص سیم خام هر روز بارگاه فلک را مقرّری

بر سر نهد بگاه بر این کاخ لاجورد سلطان روز راکرمش تاج سروری

شمشیر تابناک فلک را دهد فروغ چون آفتاب تیغ جهانتاب حیدری

بلِّغ تحيّتي وسلاميّ ودعوتي ای باد اگر بجانب آن روضه بگذری

ای مهتری که داده همه مهتران دهر در پیش کهتران تو اقرار کهتری

مجموع منزلات و کمالات انبیا موجود در وجود تو الّا پیمبری

باکبریای قدر تو مکر مخالفان چون معجزات و سحر وکلیم است سامری

بر مسند جلالت عزّت زروی قدر شایستهٔ سریر و سزاوار افسری

فضل ار بعلم حلم و سخا و شجاعت است آن کس کجا که با تو زند لاف همسری

از بعد مصطفای معلّای مجتبی مسند خرام مسجد و محراب و منبری

ای آفتاب جیب تو را ماه در کنف وی آستان قدر تو را زهره مشتری

سرو حدیقهٔ چمن آرای عصمتی ایوان نشین گلشن زهرای ازهری

داماد مصطفی و وصی و پسر عمی زوج بتول و والد شبیر و شبّری

قسمت کنندهٔ نعم هشت جنّتی الحق بحق که مفتی هر چار دفتری

قاضیّ مار بر سر منبر تونی بشرع دارای دادگستر باز وکبوتری

شافی خستگان سنان محبّتی ساقی تشنگان بیابان محشری

بــالانشين صــدر نشــينان سـدره‌ای مسـند خـرام روضـۀ فـردوس اكـبری

ساقی خوش لقای حیاض ریاض خلد فـيّاض آب چشـمۀ كـافور و كـوثری

در درج معدلت چو گـرانـمايه گـوهری بر برج مـنزلت چـو فـروزنده اخـتری

صـاحب لوای رايت و اعـلام احـمدی پــيغمبر و رسـول خـدا را بـرادری

ضـربت رسـان گـردن گـردان سـرفراز تلخیّ عيش مرحب و عـمرو سـتمگری

آن كس كه بهره‌ای زعطای تو بـرد بـرد گوی شرف زعـرصۀ فضل و هـنروری

ابن حسام تـا مـدد از هـمّت تـو يـافت بگرفت ملک شعر بـه تـيغ سـخنوری

شـاها بـدولت تـو شـد اكـنون مـی‌سرم شعر حيات بـخش بـه افكـار خـاطری

دوشــيزگان پــرده‌نشين خـيال مـن گـوئی مگـر كـه آب حياتند از تـری

هاروت طـبع خـاطر مـن درچـه خـيال برده سبق به جادوی بابل بـه سـاحری

اشـعار مـن سـتايش دامـاد مـصطفی زيـن آب بـود طـينت مـا را مـخمّری

هــذا عــقيدتيّ وطــريقيّ ومــذهبي يا رب بر اين عقيده زخـاكـم بـرآوری

طـوبی لمـرجـعيّ وتـرابـيّ ومـرقدي با مهر اهل بيت بـخاكـم چـو بسـپری

تقريب المعنى بالعربيّة:

فـي كـلّ صـبح مـن إطـار أخـضر مـن مـعدن اللازورد تـبر جـعفري

يــخفي مشــاعل خـيمة مـخضرّه شــمع يــصيح بـجنح ليـل أغـبر

ويـحيل هـذا الكـون مـن اسـتبرق خـصب الجـناب إلى حسـان عبقري

أعــطى لدار الروم مــملكة بــها يــحيى الزنــوج بـعمّة الإسكـندر

بــجمال وادي النــيل يـطبع لونـه وجـمال يـوسف قـد كساه بـمظهر

فــي كــلّ ركـن يسـتثير نسـيمه الكــافور مــمزوجاً بـطيب العـنبر

تــتزيّن الأركــان بــالأخوين مـن ذهب ومــعدن فــضّة فــيها ثـري

فكأنّما ألقيت فوق رياضه ... حللاً بثوب يستطاب معصفر
وتمهّدت بالقصر سيّدة على ... سند طليت حريره بالعصفر
حيكت من الذهب النقي خيوطه ... وتنزّهت عن بائع أو مشتري
ديباجة القاني بتبر زيّنت ... أطرافه يا للحرير الأحمر
من معدن لزبرجد قد أطلعت ... فيه العقيق على بساط أخضر
وشقائق النعمان ترفل فوقه ... والطير يرسل لحنه من منبر
قد ركّبت فصّاً من المينا على ... أحد الخواتم في زبرجد مظهر
يد حكمة هانت على قدراتها ... في الأرض صنع خواتم من جوهر
وتناثرت أطباق درّ خالص ... تسعُ على شمس بوجه مسفر
قد ذهبت أيوانه وكتابه ... يد مبدع في التسع لم تتغيّر
في جدول ومسطّر وجواهر ... لاحت على قسمات ليل مبدر
قد أظهرت اليوم في أوج السما ... صفة الرياض سعادة لم تقصر
وعلى خوان من لجين يصطفي ... كف من الفلك العظيم الأكبر
وتفضّض القرص الذي هو فضّة ... دأبت على صنع اللجين المقمر
في كلّ صبح فوق قصر أزرق ... ملك النهار ينال تاج المفخر
وينوّر الفلك الأشمّ بنوره ... كالشمس طالعة حسام حيدري
بلّغ تحيّاتي سلامي دعوتي ... يا ريح إن جئت الرياض من الغري
يا ذا الجلال إلى جلالة قدره ... خضع الجميع إلى علاك الأكبر
صفة النبوّة كلّها في ذاته ... إلّا النبوّة إنّها منها عري
وقف المخالف من جلالك خائراً ... كالسامري مع الكليم الأطهر
أنت الأحقّ بمسند الفرّ الذي ... للطهر يسند لا لوغد أبتر

والفضل علم والشجاعة والسخا ركن له والحلم عن متجبّر
من حازها غير الإمام المرتضى قل لي فكيف يروق قدر مقصّر
لك بعد طه ماله من مسجد وخلافة آلت لغير مؤمّر
يا شمس قد لاذ البدور بركنها وانحطّ عن معناك قدر المشتري
الروض أنت لحقت عصمة سابق وظهرت في نور البتول الأزهر
صهر النبيّ وصيّه وقريبه زوج البتول أبو الشبير وشبّر
أنت القسيم لجنّة ونعيمها نيطت بعلم العالم المتبحّر
ولقد قضيت لحيّةٍ في منبر وحميت ضعف حمامةٍ من أنسر
كم قد شفيت معذّباً من دائه وسقيت ظمئاناً بيوم المحشر
في البدء أنت مقدّم والمنتهى ولك الإمارة في النعيم الأكبر
ساقي العطاش إذا النفوس توافدت يوم اللقاء ببرد ماء الكوثر
في كنز عدل أنت أفضل جوهر في برج منزلة كنجم مزهر
ولك اللواء حملته للمصطفى في محشر وأخوه لم يستأثر
يا ضارب الأعناق من شجعانهم أعطيت مرحب ضربة لم تقصر
وكذا ابن ودّ حين قام منادياً هل من يبارز فانتدبت لقسور
من نال من نعماك بعض عطائها نال العلا وسما بمجد مسفر
وابن الحسام بك استطال على الأُولىٰ ناووه من باغ ومن متكبّر
فاستلّ ملك الشعر من أيديهم لا في حسام قاطع بل مزبر
يا سيّدي قد نلت مجد الشعر من صلتي بفضلك في الزمان المعسر
ومخدّرات من خيال قد سقت ماء الحياة لظامئ متصحّر
هاروت طبعي قد غدا بخياله يجتاز في سبق ملائة محضر

شعري جرىٰ في مدح صهر المصطفى ... صار النطاف لطيني المتخمّر
وعقيدتي وطريقتي وتمذهبي ... هذا وأنت عليه ربِّ[1] مصوّري
طوبىٰ لمرتجعي وتربة مرقدي ... أمّا وضعت بحبهم في مقبري

ومن مثنويّات ابن حسام كتاب «خاور نامه»« على غرار «الشاهنامه» وقد نظمه شعراً ونقتطف منه هذه الأبيات المشتملة على النعمة ومنقبة النبي وآله في حديث المعراج صلّى الله على النبيّ وآله وسلّم الوارد في ذلك الكتاب:

كس را كه باشد سليمان نديم ... زيدو ستمكاره او را چه بيم
چه با كشتى نوح باد به آب ... برستى زطوفان دريای آب
گر آتش بگيرد جهان ای سليم ... تو چون با خليلى زآتش چه بيم
ره از دزد و از راه زن پاک نيست ... تو با شارع شرع روباك نيست
نخواهى كه در ره شوى پايمال ... برو جانب مصطفى جوى و آل
برون كن زهر جستجوى فضول ... كتاب خدا جوى و آل رسول
نخواهى كه باشى زگم بودگان ... مزن دست در دامن آلودگان
مگير اد دستم زراه صفا ... بجز دامن عترت مصطفى

تقريب المعنى بالعربيّة:

أنا إن كنت سليمان نديمي ... كيف أنصاع لشيطان رجيم
إن ركبت البحر في مركب نوحٍ ... لا أخاف الموج في البحر العظيم
وإذا ما اشتعلت دنياي ناراً ... لا أُبالي إن غدت مثل الجحيم
فخليل الله يحميني منها ... وأنا في داره وهو مقيمي
وإذا يعبث في دربي لصوص ... أنا أمشي في حمى ربّ رحيم

---

(١) ربّ: منادى حذفت منه «ياء» النداء أي يا ربّ.

إن أردت الفوز في الدنيا فيمّم　　آل طــه بــصراط مســتقيم
دع فضول القول واختر راضياً　　عترة الهادي مع الذكر الحكيم
وإذا شــئت نـجاة مـن ضـياع　　فاترك الضلّال في الليل البهيم
أنـــا لا أعـــطي يـــداً إلّا إلى　　عترة الهادي ذوي القدر الكريم

مولانا كمال غياث الشيرازي رحمه الله

قال دولتشاه في تذكرته: هو امرئ عالم حكيم ومؤرّخ سليم الطبع «قصّاص في الحارات»[1] شاعر «بهلوان» وله قصائد غرّاء محجّلة في مناقب الطيّبين الطاهرين، ولها شهرة واسعة، وكان يرمي بساطه في ميدان السعادة بشيراز ويهدل بزجل المناقب، وكان رجلاً منصفاً ولم يكن في التشيّع كأبناء جلدته بل كان معتدلاً ويراعي مشاعر الخصوم.

وسأله السلطان الگوركاني إبراهيم ذات يوم: أي المذاهب الكلاميّة أفضل من سواه؟ فقال: إنّ سلطان العالم الساعة يجلس في داخل البيت وله عدّة أبواب، فمن أيّ باب دخل الداخل يراه، وأنت ابذل جهدك لتنال فضل خدمته ولا تسل عن الباب.

وسأله مرّة ثانية قائلاً: يا مولانا، أتباع أيّ مذهب أفضل من غيرهم؟ فقال:

---

(١) العبارة المترجمة ليس لها معادل أو مرادف في العربيّة وجاءت هكذا «معركه گير» وجاء في معناها أنّه الذي يجمع الناس حوله بالشعوذة والحيل والحكايات الأُسطوريّة وأحياناً يسمّىٰ قارئ المناقب بهذا الاسم كمن يحدّث الناس بمعجزات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأولياء الدين وما أشبه ذلك، وتطلق الكلمة أيضاً على من يجمع الناس حوله بالحركات البهلوانيّة وذكر الأقاصيص الخرافيّة وعلى الحوات ومربّي الحيّات والأفاعي، ويسمّىٰ المجلس الذي يعقد على أمثال هذه الأفعال «معركه» وغالباً ما يحدث ذلك في الميادين العامّة والساحات الكبيرة.

الصالحون من كلّ قوم ومذهب. فاستجاد السلطان قوله وأكرمه وأنعم عليه.

ويقول الفاضل السمرقندي في هذا المقام من تذكرته القيّمة على سبيل النصيحة والموعظة: إنّ أيّ إنسان له أدنى إلمام بعالم المعنىٰ يسمو بنفسه عن القبول أو الردّ، ويعلم علم اليقين بأنّه لم يخلق للعبث لاسيّما في قبول أصحاب النبيّ ﷺ وردّه لأنّه كفر في الطريقة والشريعة بل يؤمن بعظمتهم جميعاً وكونهم على الحقّ، وفي هذا الباب يقول الشيخ العطّار:

الا يا در تعصّب جانتْ رفته ... گناه خلق در ايوانتْ رفته
دلی از ابلهی پر زرق و پر مکر ... گرفتار علی ماندی و بوبکر
گهی این یک بود نزد تو مقبول ... گهی آن یک بود از کار معزول
گر این بهتر ور آن بهتر تو را چه ... که تو چون حلقه‌ای بر در تو را چه
همه عمردت دراین محنت نشستی ... ندانم تا خدا راکی پرستی
یقین دانم که فردا پیش حلقه ... یکی گردند هفتاد و دو فرقه
چه گویم گر همه زشت ار نکویند ... چو نیکو بنگری جویای اویند
الهی نفس سرکش را زبون کن ... فضولی از دل جمله برون کن
دل ما را بخود مشغول گردان ... تعصّب جوی را معزول گردان

تقريب المعنى بالعربيّة:

يا من أقام على التعصّب عمره ... وحوى ذنوب الخلق في مخلاته
متقلّباً يغرىٰ بلين زمانه ... بين الإمام وأوّلٍ وصفاته
يرضى عليّاً تارة ويردّه ... لينال من تيم فلان بذاته
ويعود يرفضه بهمّة مبغض ... ليذوق حرّ الجمر من مقلاته
ما أنت في تعيين أفضل صاحب ... أو حلقة في الباب من حلقاته

وسلخت عمرك كلّه في محنة وجـهلت حقّ الله في صلواته
وعلمتُ يوم الحشر أُمّة أحـمد تـغدو إلى أُمـم بـفعل جُـناته
إن قلت خاب فلانُ وهـو مـطهّر أولى بهذا البحث عن حسناته
يا ربّ أخضع كـلّ نـفس صعبة وابعد عن الشعب الكريم هـناته
واشغل بذكرك قلب كـلّ مـوحّد وانفِ التعصّب عن قلوب حماته

ولا يخفى على أذكياء الأنام أنّ هذا النصح الأبتر وهذه النصيحة البائدة هي مفاصل كلام فجّ ليس له حاصل الذي أرشد إليه خديعة الطبع ومشايخ بـخارا وملوك سمرقند لعجزهم عن بلوغ المطالب الرفيعة فقد صيّروه فخّاً يصطادون به عوام الناس وحبّاً يجمعون طالبي الفـهم ذوي الحـاجة، وإلّا فـإنّ العـارف بمعارف أُصول الكلام واضح لديه تمام الوضوح أنّ الجـرح والتـعديل أصـل جليل وعليه مدار مجتهدي الأحكام وحكّام الإسلام في تـحقيق حـال رجـال الحديث النبوي الذي فاه به سيّد الأنام ومن أجل هذا بنيت تزكية الشهود في كلّ مقام عليه، ولو أنّ هذا الناصح المشفق أراد من عالم المعنى كشف الذوق فإنّ ذلك حديث ليس له حاصل، ومن حلية المعنى عاطل، ذلك أنّ المعنيّين بهذا الحديث هم أصحاب الفقه والأُصول، وهؤلاء مأخـوذون بـظاهر الشـرع لأنّ وظائفهم التمسّك بظاهر القرآن ويحتاج الناتج من ذلك إلى دليل وبرهان.

لا نسلّم أنّ دوران الأمر بين القبول والردّ لا دليل عليه من العقل أو النقل، لأنّه طبقاً للحديث الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»[1] والإمامة إحدى الأُصول والنظر فيها متابعة للّه والرسول.

---

(١) هذا حديث مشهور ولشهرته نشير إلى أسماء الكتب الشيعيّة التي أخرجته: كشف الغطاء، ←

وأمّا إنّ قوله إنّ ردّ صحابة الرسول أو قبولهم هو الكفر بالطريقة والشريعة، فإن كان يقصد من الطريقة طريقة الصوفيّة المتّبعين لآل رسول الله كالشبلي وبايزيد والبهلول فإنّنا لا نسلّم أنّ ردّ أو قبول الصحابة في طريقة هؤلاء كفر وليس بمعقول، ودليلنا على ذلك هو الديوان المعنوي المثنوي للمولوي وحقيقة الشيخ السنائي الغزنوي، وإن كان يريد بهذه الطريقة طريقة مرشدي النقشبنديّة المخادعين فإنّ هذه النصيحة لا تجدي نفعاً إلّا مريديه البسطاء وأبناء الخواجات لهذه الأُسرة، وإن كان يريد من المذهب مذهب... فهو مصادرة، وإن كان يريد العموم فهو نهاية المكابرة.

وما أظهرت من أشعار الشيخ العطّار فهو بعد غضّ النظر من إرادته التقيّة والتسليم على أنّه فهم منها نفس ما عرضه بالشعر دونما زيادة أو بعض فإنّها معارضة بأبيات له أُخرى، وفيها بيان حاله، وقد سبق لنا ذكرها.

أو إنّ غرض الشيخ من هذه الأبيات نفي العصبيّة والتعصّب والمقصود منه هو الشتم والسبّ والجدال، وليس تمييز الحقّ من الباطل والاستدلال عليه بل يرمي الشيخ بأقواله إلى المستضعفين الذين لا ثبات لهم على مبدأ فهم أحياناً يجنحون إلى عليّ وأحياناً إلى أبي بكر بمحض الهوى والشهوة، وليس فيهم قدرة على الاستدلال وتحصيل اليقين، ويقضون أعمارهم مذبذبين بين هذا وذاك في محنة.

وإطلاق كلمة «فضولي» في كلام الشيخ ترشد إلى هذا المعنى لأنّ الغوص

⮌ وسائل الشيعة، مستدرك الوسائل، مقتضب الأثر، العمدة، إقبال الأعمال، بحار الأنوار، كتاب الأربعين للماحوزي، جامع أحاديث الشيعة، أمان الأُمّة من الاختلاف لطف الله الصافي، مواقف الشيعة الميانجي، منتهى الدراية الشوشتري، رسالة في آل أعين: الزراري، الذريعة، أعيان الشيعة، كشف الغمّة، الكنى والألقاب، ومثلها من كتب السنّة كالملل والنحل وغيره.

على أمثال هذه المواد بل في دقايق المبدأ والمعاد مع الاستعداد من العلماء هو عين الصواب والسداد، وكيف يرى الشيخ مطلق الردّ والقبول تعصّباً غير مقبول، ويعتقد بأنّ رأي جميع الناس في هذا هو الفضول بينما هو نفسه يسلك في البيت السادس نفس المسلك من الردّ والقبول، وأخذ بتبيّن الفرق بين الناجي والهالك، وراح يركّز على الفرقة الواحدة الناجية بمقتضى الحديث: «الكفر ملّة واحدة»[1] وبمقتضى المقدّمة «الناس إمّا إماميّ وإمّا كافر» يخرجها من ثلاث وسبعين فرقة من فرق الأمّة المحمّديّة فقد أعطى اثنتين وسبعين فرقة حكماً واحداً وردّها بأجمعها، والله وليّ الإفهام والإفادة..

مولانا نظام الأستراًبادي

هو من دار المؤمنين «استرآباد» ومن جملة أرباب الفضل والسداد، ولمّا كان ذوقه ينسجم مع فنّ «الألغاز» فقد مال في بدء أمره إلى هذا الفنّ وفي أواخر أيّامه عندما أظهر ختم المدقّقين المير حسين النيشابوري فنون طبعه ورفع فنّ الألغاز إلى المراتب العالية فقد استقى ومن ذهب مذهبه من أرباب الألغاز من معين سنائه وكان ذلك من الأمور الثابتة المسلّمة للمير المذكور، واتّجه مع ذلك لمدح أهل بيت رسول الله ﷺ واهتمّ به اهتماماً واضحاً، والرؤيا الصالحة التي قصصناها سابقاً في ترجمة الخواجه سلمان تؤكّد ما ذهبنا إليه فقد أمرعت رياض الأدب من رشحات أقلام بلاغته، وتفتّحت براعم حديقة العلم بالأزهار

(١) صيّره سيّدنا حديثاً ولم أجد في الكتب التي ذكرته من أسنده أو عزاه إلى المعصوم اللهمّ إلّا مولانا الشيخ الجواهري ﷺ فقد قال في جواهر الكلام: فالمراد بقوله ﷺ الخ، فهو إمّا خطأ منه أو إنّه يراه مسنداً إلى المعصوم.

الملوّنة من بركات سحاب إفادته، وكان يذهب أحياناً إلى نظم المثنوي وكتاب بلقيس من بعض مثنويّاته.

توفّي في سنة إحدى وعشرين وتسعمائة.

ولمّا كان ديوانه المقصور على مدح أهل البيت متداولاً بين الناس وله شهرة فائقة لذلك نقتصر على انتخاب جملة منه، وهذه منها:

گذشت عمر دريغا كه در سراى جهان — بقدّ خم شده سنجم ترازوى عصيان
زمنظر شه و غوغاى او مرا چه خبر — كه سرفكنده به پيشم زگوشهاى گران
سمند سركش عمرم كند مراحل قطع — خميده‌ام كه زدستم ربوده است عنان
دراين مقرنس عالى اساس زنگارى — كه چشم عقل زنظّاره‌اش بود حيران
مرا چه كار كه خاليست كشور دشمن — مرا چه كار كه عاليست منظر سلطان
مرا چه كار كه برگشت بخت از قيصر — مرا چه كار كه برخاست دولت خاقان
مرا چه كار كه اين راست علّت سرسام — مرا چه كار كه آنراست زحمت يرقان
مرا چه كار كه رعنا قديست در شيراز — مرا چه كار كه‌گل‌چهره‌ايست در همدان
مرا چه كار كه گويم حريص غافل را — كه بر جهان چه نهى دل كه‌بى‌وفاست جهان
مرا چه كار كه بهر ملوك عهد قديم — مديح سنج نكو بود شاعر شروان
مرا چه كار كه در مدحت شه بغداد — زصنعت است موشح قصايد سلمان
مرا چه كار كه جان بخشد اهل معنى را — سخن سراى معانى نگار اصفاهان
مرا چه كار كه در نفيس نظم نظام — زمانه داده برون از خزانهٔ جرجان
من و محبّت آل على كه در دل من — نمانده است بغير از محبّت ايشان

تقريب المعنى بالعربيّة:

ذهب العمر سدىً — تحت سماء العالم

وانحنائي صار ميزاناً لذنب الظالم

ما أنا في دبدباتٍ لمليك قائم

يملأ الأرض صياحاً باللّوى والصارم

أنا طأطأت برأسي ماشياً كالهائم

ثقل السمع كأنّي يقظاً كالنائم

وكميت العمر في عمري كحوت عائم

قطع العمر وأيّامي بعدو دائم

وحناني آخذاً منّي لجام العازم

هذه القبّة تعلونا أساس الغارم

سعّر الدنيا على الناس بوقد جاحم

لم تشاهد عين عقل مثلها في هادم

ما أنا والوطن الخالي لخصم غاشم

ما أنا إن رفع السلطان للدعائم

ما أنا إن كان للقيصر خطّ النائم

ما أنا إن رفع الخاقان في العوالم

ما أنا إن كان من سر سامه المقاوم

قد شفي زيد رأى العلّة في العلائم

ما أنا من يرقان في جلود جاثم

ما أنا إن كان في شيراز قدّ قائم

وانّه السرو إذا يسمق في المعالم

وما أنا إن لاح في همدان وجهُ باسم

كأنّه الورد الذي انشقّ من البراعم
وما أنا إن غفل الحريـ ـص في المواسم
ونسي الدهر الذي ينذر في الملاحم
ولم يف الدهر بما قال لنسل آدم
وما أنا إن مدح المـلـ ـوك بالعظائم
فيما مضى من عهدنا من جاهل وعالم
وما أنا إن كان في بغداد كالغمائم
يهطل شعر شاعر في مدح قيلٍ قائم
كأنّه موشّح يهبّ في النسائم
قد قاله سلمان مبـ ـسوطاً على العمائم
وما أنا إن دبّت الـ ـروح بشعرٍ نائم
قد أقبلت من أصفهان خيرة العواصم
وما أنا إن أخرج الدرّ يد المسالم
ما أحمل الدرّ إذا كان نظام ناظم
تعطيه من جرجانه[1] يد كمثل حاتم
لست أنا إلّا بحبّي للأُولى من هاشم
عليٌّ المولى على رغم حسود ظالم
وآله من بعده آل الهدى الضراغم

ومنها:

---

(١) أي مدينة جرجان كما ورد في الشعر الفارسي.

شب قضا از ماه نوکشتی بر آب انداخته

زآفتابش لنگری زیر طناب انداخته

از شفق گردیده سرخ انگشت شست آسمان

بسکه بهر زاغ شب تیر شهاب انداخته

کرده‌ام زین دشت و آهو مانده نقشی از سمش

گاه جستن نافهٔ پر مشک ناب انداخته

چرخ را از سر فتاده افسر زرین مگر

چشم بر ایوان قصر بوتراب انداخته

آن شهی کز بهر کلب آستانش آسمان

بر زمین هر شام قرص آفتاب انداخته

قصد حلق دشمنش دارد سحاب از هر طرف

زان کمند برق را در پی و تاب انداخته

از دم تیغ جهان سوزش هوا بگریخته

خویش را در خیمهٔ تنگ حیات انداخته

نبض ابر نوبهاران را که دارد ابر نام

رشک دست جود او در اضطراب انداخته

گشته نور چشم مردم در میان مردمان

گوشه چشمی بهر کس ز آن جناب انداخته

آنکه از غیر تو دانش جسته باشد تشنه است

کز برای آب خود را در سراب انداخته

ای نگشته بهتر از مدحت کلامی منتخب
تا سخن دان طرح و رسم انتخاب انداخته
محمل خصمت بسوی کعبهٔ مقصد نرفت
بسکه گمراهی براهش پیچ و تاب انداخته
گر نشد خصم تو در دنیا معاقب نیست غم
کردگار این کار با یوم الحساب انداخته
آنکه با بغض تو طاعت کرد شبها تا بروز
بیخبر بوده کتان در ماهتاب انداخته
بر نظام افکن نظر شاها که چرخش آتشی
در دل محنت کش و جان خراب انداخته

تقريب المعنى بالعربيّة:

سجى الليل واستعلىٰ على العالم البدر — ولاح سفيناً[1] والفضاء له بحر
وألقىٰ بجوف اليمّ مرآة حسنه — جسيساً بمرساة ومرساته السحر
وفي شفق يحمرّ اصبعه السما — لفرط الذي لاقاه من ظلمة عمر
وهمت بصحراء مع الوحش أبتغي — غزالاً جرى في قلبه المسك والعطر
وعن رأسه الدوّار للتاج رافع — فهل لاح من دنيا على له القصر
مليك له في كلّ يوم ترى السما — تردّ ذكاً ليلاً ويطلعها الفجر
ومن أجله البرق الذي في السما بدىٰ — لتلحم أعداه لجاماً هو الجمر
ومن خوف تيّار له الريح أخلدت — إلى خيمة الأرض التي شأنها الحصر
لقد حسدت سحب السما سحب كفّه — إذا ما همت بالجود يمنو لها القطر

(١) أي عندما كان هلالاً.

لقد صار نوالنا شخص صبا له ... ومازجه منه الصبابة والذكر
وإن طلب العلم امرئ عند غيره ... سيقضي ظمأً في الجهل يقتله الحرّ
وما لذّ قول مثل مدحك في الورى ... وهيهات لا يجري بغير اسمك الذكر
وما وصل البيت الحرام مضلّل ... لغيرك بعد والتراب له ستر
وإن لم يعذّب في الحياة فإنّه ... يعذّب يوم الحشر إن جاءه الحشر
ومن عبد الباري ببغضك إنّه ... كحلّة كتّان ويخلقها البدر[1]
أعد نظراً وارع النظام فإنّه ... له محنة جلّت، بها عظم الأمر
تحكّم في روح تداعىٰ نظامها ... فلم تنطلق إلّا ويفجئها الأسر

ومنها:

حضور اگر نبود بخت من بود معذور
که روز قسمت روزی نبوده‌ام به حضور
نماند بر جگرم آب و کم نگشت سرشک
به خشک سال کند گرچه آب چشمه قصور
بخاطرم گذرد سیم و برقرار خودم
چنانکه عکس کواکب کند در آب عبور

---

(١)

لا تعجبوا من بلا غلالته ... قد زرّ أزراره على القمر

قد عمد كما ترى إلى شيء هو خاصيّة في طبيعة القمر وأمر غريب من تأثيره ثمّ جعل يُرىٰ أنّ قوماً أنكروا بلىٰ الكتّان بسرعة وإنّه قد أخذ ينهاهم عن التعجّب من ذلك ويقول: أما ترونه قد زرّ أزراره على القمر، والقمر من شأنه أن يُسرع بلىٰ الكتّان. راجع لذلك كلّه «أسرار البلاغة» ج ١ ص ١٠.

ندید شهد وفا کام جان زچرخ که نسیت

بغیر نیش وفا زآشیان پر زنبور

ستاره بخت سیه را چسان دهد امداد

که بهره نیست زعینک چو دیده شد بی‌نور

زذرّه مهر در این بزم کمتر است آن

که چون ستاره تماشا کند کسی از دور

بشاخ عمر چسان جان کند کبوتر اُنس

چنین که یافته جنبش زتند باد غرور

چو دهر خواست کمین از ملال تکیه مکن

برای این نتوان ساخته خویش را رنجور

سری برون کن از این بحر نیلگون پیداست

که زیر آب توان بود تا چه وقت صبور

بجوی خاطر دانادلی زاهل زمان

که به زصد ده ویرانه یک دل معمور

بسان سیم شوی خاک در زمین آخر

زگنج سیم چو قارون چه می‌شوی مغرور

برون خرام زبزم جهانیان که درو

زکینه نسیت تهی غیر سینهٔ طنبور

دل خسیس چه امکان که میل خیر کند

که خسته راست طبیعت زهر مفید نفور

زمانه داشته دستور جور تا بوده
برون نمی‌رود اکنون سپهر از دستور
دم سپیدهٔ صبحم گذشت در خاطر
که بهترین عمل چیست شامگاه نشور
ندا رسید همان دم زعالم ملکوت
که ای گناه تو یوم الحساب نامحصور
به از محبّت سلطان اولیا نبود
زهر عمل که شود در صحیفه‌ات مسطور
علی امام معلّای هاشمی که بود
سواد منقبتش بر بیاض دیدهٔ حور
شهی که تا بکنون همچو او شهنشاهی
نگشته در نظر لطف ایزدی منظور
امام کافهٔ مسلمین ولیّ الله
که شمع دولت آلش نمیرد از دم صور
وصیّ احمد مرسل که بی محبّت او
بروز حشر نگردند انبیا مغفور
برای ثبت مدیحش زمهر و ماه شده
سپهر مهره‌کش صفحهٔ سنین و شهور
زحبّ اوست بروز جزا نه از طاعت
امید مغفرت از حیّ لا یزال غفور

نتیجه‌ای ندهد بی‌محبتش در حشر
مکاشفات جنید[١] و ریاضت منصور[٢]

زدل سواد معاصی برون برد مهرش
چنانکه ماه برد ظلمت از شب دیجور

مگو که از نظر خاکیان در آخر روز
شود بزیر زمین مهر خاوری مستور

که به هر شمع سحرگاه خادمش هر شام
کنیز شب کند اخگر نهان بقعر تنور

علوّ اوست بجائی که اختر از پروین
فشانده در قدمش مشت لؤلؤ منثور

ببسته خدمت او را میان ضعف و قوی
گشاده مدحت او را زبان اناث و ذکور

نخسته بر شجر حکم او نسیم غلط
ندیده آینهٔ عزم او غبار فتور

زهی بعلم ازل فی البدیهه حل کرده
نکات دفتر تورات و مشکلات زبور

---

(١) الجنيد البغدادي بن محمّد بن الجنيد البغدادي الخرّاز أبوالقاسم: صوفيّ من العلماء بالدين، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد، توفّي سنة ٩١٠ ميلادي. راجع الأعلام للزركلي.

(٢) الحسين بن منصور الحلّاج أبو مغيث فيلسوف يعدّ تارة من كبار المتعبّدين والزهّاد وتارة في زمرة الملحدين، أصله من بيضاء فارس، نشأ بواسط العراق أو بتستر، وانتقل إلى البصرة، قتله المقتدر العبّاسي وأحرق جثّته / راجع الأعلام للزركلي.

فروغ مهر تو در منهج هدایت خلق
شبیه آتش موسی است در مناهج طور
پی حکومت فردوس خادمان تو را
نوشته‌اند زدیوان سرمدی منشور
ببوی لطف تو گردند انبیا سرخوش
سحرگهی که شوی ساقی شراب طهور
اگر فتد به طبایع شرارهٔ غضبت
بدهر افکنند آتش طبیعت کافور
زجویبار ضمیرت نمی است آب حیات
به آب خضر ندانم چرا شده مشهور
بود بشب زفراقت ستاره در ماتم
میاله هاله زمهرت ولی قمر در سور
فتاده چون بجهان لمعه‌ای زخاطر تو
نمانده هیچ بجز حق لم یزل مستور
کلید عکس هلالست بحر را ببغل
مگر که بحر عطای تو را شده گنجور
نمانده هیچ در ایّام دولتت مشکل
که بوده علم تو حلّال مشکلات امور
نماز شام چرا سیم ا ختران گیرد
سپهر اگر نبود خادم تو را امروز

نسیم لطف تو گر در مشام خاک رود
برآورند سر از زیر خاک اهل قبور
کشیده سر بفلک زآستان همّت تو
لوای دولت خاقان و مسند فغفور
کجا شوند بصد قرن دیگران چون تو
ستاره ماه جهانتاب کی شود بمرور
اگر نه ذات تو بودی غرض کجا آرم
زکتم غیب نهادی قدم بصدر ظهور
ببر فکنده لباس سیه چو ماتمیان
زمقدم تو از آن دم که کعبه شد مهجور
مهابت تو مگر در دل بلاد گذشت
وگرنه بهر چه لرزد زمین نیشابور
مرا چه غم زغم روزگار مهر گسل
که دل زمهر توَام گشته جلوه گاه سرور
عبارتیست نظیرت زثانی عنقا
عبادتیست مدیحت به مذهب جمهور
به هرچه حکم تو باشد قضا بود محکوم
به هرچه امر تو باشد قدر بود مأمور
شنیده سامعهٔ دولتت نوید دوام
ندیده آینهٔ عصمتت غبار فجور

تو آن خجسته شعاری که در ازل ما را
برای شعر مدیح تو داده‌اند شعور
بود بدولت مدح تو در سرای بهشت
زغنچهٔ قلم نقش غرفه‌های قصور
شدم زوصف تو آن کامل بسیط سخن
که خامه‌ام کند از قطرهٔ پدید بحور
شکست تیغ زبانم نشد زغیبت کس
که زود جوهر الماس کی شود مکسور
نظام چونکه زخواب عدم شود بیدار
زکاسه‌های سر بزم معصیت مخمور
برای دفع خمارش زمرحمت جامی
کرم نمای زخمخانهٔ شراب طهور
به مرحمت نظری کن که درگذرگه عمر
زپا فتاده‌ام از دست روزگار غیور
دهف لقای تو جان را فروغ روشن ساز
شب وداع شبستان من بنور حضور
جز این دعا نبود اهل حال را بزبان
که باد بخت ابد بر موالیت مقصور

تقريب المعنى بالعربيّة:

لم أكن حاضراً وقد قسّم الرزق ... فحظّي في فقده معذور
وإذا جفّت السحاب يجفّ افرزق ... بين المروج وهو غزير

ويمرّ اللجين في خاطري إن ... مرّ في الماء رسم نجم عبور
لم أذق للوفاء طعماً وكم ... زف حماتٍ للحمي الزنبور[١]
والذي نجمه سواد لحظّ ... لم يلح في سماه يوماً نور
كيف يرجو نفعاً وهل ينفع ... المنظار عيناً ونورها مستور
لم أجد رحمة بمجلسهم هذا ... كأنّي تحت الثرىٰ مقبور
مثلما ينظر السما من بأرض ... وله في النجوم عين تدور
كيف يأوي إلى الغصون حمام ... كي يشيع الهنا بنا والسرور
والغصون انطوت مع الريح لمّا ... نفخ الريح في الغصون الصور
لا وفاءاً للدهر إيّاك أن تسند ... ظهراً فالدهر حتماً يجور
أنت في البحر غارق فاخرج الـ ... ـرأس فهيهات ليس يبقىٰ صبور
وتحرّى قلباً ذكيّاً ولكن ... في زمان يعيا عليه العثور
ربّما في المثات لا تجدالوا ... حدّ بالعلم قلبه مغمور
سوف تغدو في الترب ... كالمعدن الغالي لجين بتربه مغمور
ثمّ قل ما الذي حوى منه قارون ... حوىٰ الضعف وهو مثرٍ قدير
كن بعيداً عن محفل يسفل الحقد ... ويعلو بحقده الطنبور
لم تكن للخسيس نيّة خير ... ومن النذل كلّ خير نفور
قد مضى في الزمان دستور جور ... وهو ماضٍ بغيّه الدستور
قد بدىٰ في الصباح في الذهن أمر ... ما مفيد إذا يقوم النشور
وأتاني النداء في الملأ الأعلى ... تبصّر يا من خطاه كثير
ليس أجدى من حبّ حيدر ... في الأعمال فاجهد فإنّه المبرور

---

(١) بالضمّ: ذباب لسّاع كالزنبورة والزنبار.

كـم له مـن مـناقب كـتبتها فـي بـياض مـن العـيون الحـور
يا مليكاً مـا ضـمنت مـثله الدنـيا كـمـا ضـمّن القـلوب الصـدور
صـار مـن رحـمة الإله مـليكاً وبـرى تـاجه الإله القـدير
سـيّد المسـلمين وهـو وليّ الله حـاوٍ للـمسلمين وسـور
ليس يـغني سـلطانه وهـو و الآل لواء عـلى الورى مـنشور
إنّـه للـنبيّ خـير وصـيّ وبـه ذنب آدم مـغفور
نـالت الأنـبياء فـيه مـناها وبـه كـلّ مـذنب يستجير
أوجـد الله فـي الوجـود زمـاناً فـيه يـوم وسـاعة وشـهور
ذاك مـن أجـل أن يـثبت مـدح لعـليّ وفـي الوجـود يسـير
لست مـن أجـل طـاعة الله أحـببـ ـت عـليّاً فـحبّه تـطهير
يـغفر الذنب ربّـنا ثـمّ نـحبو بـولاه مـن العـذاب السـعير
ليس تـجدي مكـاشفات جـنيد لاولا مـا يـروض المـنصور[1]
يـملأ القـلب بـغضه بـظلام مـثلما يـملأ السـما الديـجور
لا تـقل تـختفي بآخـر يـوم شـمسنا مـثلما يـغيب الخـفير
إنّـها تـترك السـماء لشـمع كـلّ ليـل فـي العـالمين يـنير
وتـدلّي عـرائس اللـيل تـفد مـثل فـحم يـضمّه التـنّور
إنّـه فـي العـلوّ قـد بـلغ الغـاية حـتّى لم تسـتطعها البـدور
والثـريّا نـثارها فـي الأعـالي تـحت رجـليه لؤلؤ مـنثور
خـدمنه القـوى مـع الضـعف وانـصاعت إنـاث لمـدحه وذكـور
مـا هـفىٰ دوح حكـمه لنسـيم خـاطئ فـي هـبوبه إذ يسـير

---

(١) صوفيان ويعني بالمنصور الحسين بن منصور الحلاّج.

عاف مرآته غبار فتور أين من عزمه العظيم الفتور
إنّه العالم الذي حلّ ما أشكل في البدء علمه الموفور
ثمّ دانت له بما أشكل منها توراتهم والزبور
إنّ ما ضاء من ولاك من النور به يهتدي المضاع الحسير
مثلما أبصر الكليم بنار لم تكن تستضيء لولا الطور
وبكفّ الموكّلين على الحكم كتاب مؤبّد منشور
هاهنا يا وليّ جنّة عدن ونعيم يرىٰ وملك كبير
ينتشي الأنبياء من لطف ريّا ك إذا انهل منه ماء طهور
إن ألمّت شرارة منك في طبع تجلّى بناره الكافور
ليس تبقى الطباع مثل الذي كانت إذا يغضب الوليّ الأمير
دافق من ضميرك الطهر نهر أين منه عين الحياة تصير
لست أدري عين الحيات لماذا يدّعيها الخضر العتيد الشهير
جلّلت بالسواد أنجمنا الزهر ومالت على سناها الستور
مأتم حين فارقتك الليالي والليالي بما يسيء تدور
هالة البدر تستدير على البدر حزيناً كأنّما هي سور
برقت منك لمعة بان منها كلّ شيء إلّا الإلٰه القدير
إنّ هذا الفضاء بحر وفيه يتجلّى الهلال وهو صغير
مثل اقليد[1] مخزن فيه مال فهل الكون كنزك المستور
لم تشاهد عين بحكمك جوراً أترى سيّد الأنام يجور

---

(١) جاء مجموعاً في القرآن الكريم: «له مقاليد السماوات والأرض» أي له مفاتيح خزائنها، وواحدها اقليد، ويقال أصله فارسي أكليد / غريب الحديث لابن قتيبة.

لو جرى من نسيم لطفك في ... الأرض تخلّت من ساكنيها القبور
واستطالت أعتابك الشمّ حتّى ... ذلّ خاقان[١] أو هوىٰ نغفور[٢]
ولواء الملوك منهم تهاوىٰ ... ليس إلاّ لواءك المنصور
أترىٰ هل يجيء مثلك فرد ... هل لشمس في الخافقين نظير
أنت لولاك لم يصوّر أبونا ... آدم وهو قائم مستور
خلعت كعبة الإلّه لباساً ... مأتميّاً كأنّه الديجور
لتجلّيك في الولادة فيها ... مستهلاًّ كما تجلّى النور
هل سرت منك هيبة وسط الأ ... رض فماجت لذاك نيشابور
أتراني أخشى زماناً خبيثاً ... ولك الحبّ والهوى والشعور
إنّ من قال قد برى الله ... للطهر نظيراً فما لديه ضمير
وهو ثنّى العنقاء في قوله ... هذا وما مثلها رأته الطيور
وترى أُمّة النبيّ مديحاً ... لك يحيىٰ بطيبه الجمهور
تعبد الله جلّ فيه وتدري ... كلّ ذنب بمدحه مغفور
وبحكم حكمت يجري قضاء ... قدر بالذري ترىٰ مأمور
كان في حكمك السرور مقيماً ... لم يلوّث مرآة عدل فجور
ولمدح خصصت فيه أتانا ... منذ بدء من الإله الشعور
صوّر الله في الجنان قصوراً ... بمداد يخطّه التقدير
إنّ هذا لمن بمدحك يقضي ... عمره لا يخونه التعبير

---

(١) خاقان: ملك الترك وله أخبار كثيرة في تاريخ الإسلام.

(٢) هلك لاون وملك بعده نغفور، وفي سنة سبع وثمانين ومائة غزا الرشيد هرقله ودوّخ جهاتها وصالحه نغفور ملك الروم على الجزية / تاريخ ابن خلدون ج٢ ص٣٧٢.

صرتُ بالمدح كاملاً وبسيطاً ويراعي تفيض منه بحور
شفرة في اللسان لم يثنها ذم لشخص ولم ينله قتير
ما عهدنا الألماس يكسر حتّى بحديد يعود وهو الكسير
ولئن أيقظ «النظام» منام موقظ مثلما تنام الصقور
ولئن عاد من مجالس أُنس في معاص كأنّه مخمور
آملاً منك أن تروّيه كأس رقّ فيها الشراب وهو طهور
سيّدي عد بنظرة تصحب العمر فقد جفّ وهو غضّ طرير
رحمة منك قد وقعت ودا ستني رجال كما يداس الجرير[1]
واستنارت روحي بلقياك فاجعل من وداعي إذا أتاني الحضور
ليلة كالصباح تبسط نوراً فكأنّ الصباح ضرعُ درور[2]
واملِ قبري بنور وجهك حتّى يرهب الصبح ليلي المغرور
ليس عندي إلّا الدعا لمواليك لهم منك جنّة وحرير

ومنها:

شبى كه لرزه فتد چرخ را به هفت اندام
گه جهاد كه تيغ تو سر كشد زقراب
بصدر صفّة تحقيق كرده خاطر او
به يک ملاحظه حل مشكلات چار كتاب
نظير او نبود وركسى جز اين گويد
بود معاينه چون چشم احول كذّاب

---

(١) أبو عبيد: الجرير حبل مفتول من أدم يكون في أعناق الإبل.

(٢) وناقة درور كثيرة الدرّ وكذلك ضرع درور. لسان العرب بتصرّف.

بحسب حکم الهی روند احبابش
بسوی خلد برین بی‌حساب روز حساب
زهی شهی که نه آبای چرخ را نبود
برای طفل نظیر تو نطفه در اصلاب
هنوز نامده بر لب سؤال را سایل
به مدّعای خود از همّت گرفته جواب
به دوستی تو گر خلق جمع گشتندی
بروز حشر نبودی غم حساب و عقاب
مودّت تو بود اصل و فرع اهل نجات
محبّت تو بود تار و پود ثوب ثواب
تو آن شهی که اگر کرده‌اند فی الواقع
خلاف رای تو اصحاب وای بر اصحاب
کناره جسته زاعداکشیدهٔ دامن
کشند دامن خود پاکدامنان زخلاب
بگور خفته‌به‌آنکس‌که‌پیش چون تو امام
بود برای امامت ستاده در محراب
شها صحیفهٔ نظم نظام بخش نظام
بود به یمن مدیح تو روضة الاحباب
بلطف تاب تنش ده که همچو رشتهٔ خام
زدور منعکس چرخ گشته بس بی‌تاب

كشــيد ســر بگـيربان غـم تـفقّد كـن
اسـير چـاه بـلا را بـه مـرحـمت دريـاب
بـه رهگـذار جـفاى سـپهر عـاجز كش
چـو مـور گشـته گرفتار زيـر پـاى دواب
خداگواست كـه هـيچ اختيار نـيست مـرا
اگـر بـه مـدح تـو بـايد طـناب نـظم اطـناب

تقريب المعنى بالعربيّة:

يـا مـليكاً يـهابه الفـلك الدوّار | إن سـلّ سـيفه مـن قـراب
حقّق الكتب وهـي أربـعة تـتسلّى | مـبيّناً رمـوز كـلّ كـتاب
لم نـجد مـثله ومـن لم يـقل هـذا | له عـين أحـول كـذّاب
لمـواليـه جـنّة فـادخلوها | بـوصاة الإله دون حسـاب
فـهنيئاً لسـيّد حـين لم يـخرج | نـظير له مـن الأصـلاب
قـبل أن يـلفظ السـؤال مـلمّ | بـعلاه يأتـيه ردّ الجـواب
لو تـبانى عـلى ودادك كـلّ | الخـلق لم يـبتلوا غـداً بـعقاب
حـبّك الأصـل للـنجاة وفـرع | وسـدى لحـمة لبـرد الثـواب
يـا مـليكاً إذا عـصاه صـحاب | نـزل الويـل كـلّه فـي الصحاب
طـهّر الذيـل مـن عـدوّ لدود | إنّـهم فـي طـباعهم كـالكلاب
وكـذا يـفعل المـوالي إذا طـا | ح بـمستنقع له غـلاب[1]
لا رعـى الله مـن تـقدّم عـلياك | إمـاماً وقـام فـي المـحراب
سـيّدي إنّ ذي صـحيفة نـظم | مـن «نـظام» كـروضة الأحـباب

(١) طاح يطيح ويطوح: هلك وسقط. راجع الصحاح في اللغة.

فاعطه من جداك ما يتمنّىٰ ... رحمة أُنزلت كقطر السحاب

إنّ هذا الحزين قد وضع الوجه ... على ساعديه عظم المصاب

فخذ المبتلى من الدرب قد أصبح ... كالنمل تحت رجل الدواب

قسماً بالإله ما من خيار ... سيّدي اقبل مدحي مع الإطناب

ومنها:

آنان كه در جهان بخلاف تو دم زنند ... پیوسته در کشاکش دهرند در امین

فيّاض علم غير تو نبود زعمرو و بكر ... نايد زبحر نى ثمر گوهر ثمين

جان يابد از خيال ولاى تو خرّمى ... چون از وصال يار دل عاشق غمين

فرما عنايتى كه تو را شد زجان نظام ... مدّاح آل و بندهٔ اولاد طاهرين

تقريب المعنى بالعربيّة:

إنّ قوماً قد خالفوك جهاراً ... لم يزالوا بفتنة وعذاب

من يساويك في العلوم أبوبكر ... ومن قد أتى من الخطّاب

هل ترىٰ توجد الجواهر في ... ماء جرىٰ في الثرىٰ بغير العباب

بخيال الحبيب ترجع روح ... لحبيب نأىٰ عن الأحباب

أولني رحمة فإنّ نظاماً ... مادح للأئمّة الأطياب

يمدح الآل بالجميل من القول ... وعبد لآلك الأنجاب

ومنها:

امير صفر غالب على ابوطالب ... وصىّ احمد مرسل ولىّ حىّ قدير

خميرمايهٔ علمش نبودى ار بودى ... هنوز نان فضيلت بخوان دهر فطير

شهنشها صفت ذات اشرف تو بود ... برون زكنه الهى زحيّز تقرير

بدست قهر اگر چرخ رابيفشارى ... چكد زخوشهٔ پروين بروى خاك عصير

شكست رونق دين شد نه قيمت گهرت　　چه اهل غدر شكستند عهد روز غدير
محبّ آل تو را چهره ارغوان زار است　　ولى دمد زبناگوش دشمن تو زرير

تقريب المعنى بالعربيّة:

هو الأمير المفدّىٰ　　وغالب كلّ غالب
مولا الأنام عليّ　　أبوه والد طالب
وصيّ أحمد رغماً على العدوّ　　الكاذب
وليّ حيّ قدير　　له الولاء الواجب
له خميرة علم　　تطيب فيها المواهب
لولاه كان فطيراً　　خمير قوم لواغب
يا ذا الصفات التي لم　　تكن لغير الأطايب
قد قدّر الله تبقىٰ　　كنه الإله المحاسب
لو قد غضبت على الكو　　ن واستللت القواضب
لأمطرتك الثريّا　　ماء كفعل السحائب
وما هزمت لغدر　　من اللئام الأجانب
بل غادروا الدين شلواً　　لطالب ولخاطب
يوم الغدير نسوه　　بعداً لتلك الثعالب
وسعيهم وهو غدر　　للدين ظلّ مصاحب
وإنّ وجه محبّيك　　كالشهاب الثاقب
ووجه مبغضك النذل　　مثل بيت العناكب

ومنها:

شها چه غم كه دو روزى زاختر خاين　　رواج يافت ببازار نقد روى اندود

به ديگران كند آن بى‌هنر تو را نسبت — كه هيچ باز ندانسته عابد از معبود

سيّدي ما يضير إن خنوناً — ما جرى وجهه بماء الحياء

ظنّ قوماً سواك أكفاء عليا — ك لقد بان قبحهم بالعراء

خفي العابد المطيع عن المعبود — حتّى رفعت رأس الغطاء

بابا فغاني عليه الرحمة

ولد في شيراز وامتاز من بين الأُدباء بالابداع في فنّ الغزل، صار إلى خدمة يعقوب في أوّل أمره فرفعه إلى مراتب عالية وأطلق عليه في ذلك الزمن لفظ «أبو الشعراء» حتّى توفّي ذلك السلطان المذكور فصار إلى خراسان في عهد «صاحبقران» المغفور له، وأقام في مدينة «أبيورد» ورعاه حاكم تلك الديار وكان من أُمراء صاحبقران المغفور له، فبسط له وسائل العيش، ورحل بآخره إلى الحضرة الرضويّة وأقام فيها تائباً وشرب الجرعة التي يتذوّقها الأحياء جميعاً ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في أحد شهور سنة خمس وعشرين وتسعمائة، له ديوان غزل، عفّى على «نامهٔ عمل» المعزوّة إلى «خسرو دهلوي» وتغلغلت قصائده المناقبيّة في ديوان «ناموس الأخيار».

ومن قصائده في مدح أميرالمؤمنين عليه السلام هذه القصيدة التالية:

زبان خامه ندارد سر رقوم و رسوم — بجز مناقب ذات مقدّس معصوم

محيط علم لدنّى كه ذات اقدس او — رسيده از ره معنى به منتهاى علوم

مگر حجاب نماند وگرنه از در وصف — بصد كتاب نگردد مقام او معلوم

زهى امام كه پاست نگاه مى‌دارد — بوقت نيّت از انديشه خاطر مأموم

حباب‌وار زبحر وجود اين همه در — بدوستى تو موجود گردد و معدوم

زجانبين بوجهى تصادقست كه نيست ... ميان‌ذات تووعقل‌كل‌خصوص‌وعموم
بتاب يا اسد الله پنجهٔ ظالم ... كه دست ظلم دراز است بر سر مظلوم
هزار خنجر زهر آب داده در دلهاست ... از آنكه كرد جگرگوشهٔ تو را مسموم
زميوهٔ دلت آنكس كه آب داشت دريغ ... بر مراد بر او تلخ باد همچو زقوم
رسيد وقت كه شمشير آبدار كشى ... زجوى عدل چو باغ ارم كنى بر و بوم
شود زطالع سعد توكار دهر چنان ... كه هيچ‌دم‌نبودنحس وهيچ ساعت شوم
اميد هست كه اين نقد ناتمام عيار ... به سكّهٔ تو رساند فغانى محروم

تقريب المعنى بالعربيّة

ما لساني بنائل ما يروم ... غير مدح يدعىٰ به المعصوم
ذاته موضع العلوم اللدنّي ... وهو من تنتهي إليه العلوم
تهتك الحجب في المديح وإلّا ... فمنات الأسفار ليست تقوم
ببيان لفضل معناه إلّا ... بكتاب يوحي به القيّوم
وهنيئاً لسيّد يحرس المرء ... لسوء يأتي به المأموم
كحباب بحر الوجود يريه ... من وجود وتارةً معدوم
كلّه قائم على لطف معناك ... الذي ليس تحتويه الفهوم
صدق الجانبان حيناً ولكن ... بين عقل الكلّ الذي يستقيم
ثمّ ذات المولى يكون خصوص ... عند شخص محقّق وعموم
أخذ الظالم القوي على المظلوم ... كالنسر في السماء يحوم
سيّدي خذ يديه يا أسد الله ... بقيد لينجو المظلوم
إنّ في كلّ مهجة خنجراً سم ... بطعن تزيد منه الكلوم
حزناً أن ينال نجلك جرح ... في فؤاد لأنّه مسموم

يـحزن المـاء إن شـربنا فـيغدو ‏ مـــا هـــو المـاء إنّـه الزقّـوم

آن وقت استلال ماضيك فانهض ‏ إنّ بـــالعدل كـلّ مــلك يـدوم

واجـعل الأرض كـلّها عـمراناً ‏ حـيث يـحيىٰ بـعيشه المحروم

واجعل السعد في الزمـان رفـيقاً ‏ ليس فـيه نـحس ولا فـيه شـوم

أمــلي أن يــزور سـمعك نـقد ‏ مــــن «فـــغاني» فـإنّه مكـلوم

ومنها:

قسـم بـخالق بـی‌چون و صـدر بـدر انـام

کـه بـعد سـيّدکـونين حـيدر است امـام

امـام اوست بـحکم خـدا و قـول رسـول

کـــه مســتحقّ امــامت بـود بـنصّ کـلام

امام اوست که قايم بود بـه حـجّت خـويش

چـــراغ عــاريت از ديگـری نگــيرد وام

امـام اوست کـه چـون پـای در رکـاب آورد

روان زطـیّ لســان کـرد هـفت شـمع تـمام

امام اوست کـه بـخشيد سـر بـروز مـصاف

بـــدان امـيد کـه بـيگانه را بـرآيـد کـام

امـام اوست کـه دانـد رمـوز منطق طـير

نه آنکـه رهـزن مـردم شـود بـه دانـه و دام

امـام اوست کـه دست بـريده کـرد درست

نه آنکه کرد به صد حـيله وصـله بـر انـدام

امـام اوست که خـلق جـهان غـلام وی‌انـد
نـه آنکـه از هـوس افـتد بـزیر بـار غـلام
تـو وای اهـل حسـد را امـام مـی‌دانـی
گشـای چشـم بـصیرت اگـر نـه‌ای سـرسام
کدام‌از آن دو سه بـیگانه از طـریق صـواب
نـهاده‌انـد بـه انـصاف و آشـنائی گـام
کدام از آن دو سه در حلّ مشکـلات یکـی
بـه عـلم و فـضل و هـنر داد خـصم را الزام
مـن آن امـام نـخواهـم که بـهر بـاغ فـدك
کـند زحـرص بـه فـرزند مـصطفی ابـرام
مـن آن امـام نـخواهـم کـه آتش افـروزد
بـر آسـتانهٔ صـدر الکـلام و کـهف انـام
مـن آن امـام نـخواهـم کـه در خـلا و مـلا
بـرند تـا بـه ابـد مـردمش بـه لعـنت نـام
حـدیث عـایشه بگـذار و حـجّت اجـماع
چـه اعـتبار بـقول زن و تـعصّب عـام
خسـی اگـر بگـزینند نـاقصان از جـهل
مـطیع او نـتوان شـد بـه اعـتبار عـوام
بگـرد خـوان مـروّت چگـونه ره یـابد
سگـی کـه آرزوی نـفس کـرده گـرده خـام

گل مراد کجا بشکفد زغنچهٔ دل
تراکه بوی محبّت نمی‌رسد به مشام
میانهٔ حق و باطل چگونه فرق نهند
مقلّدی که نداند حلال را زحرام
اسیر چاه طبیعت کجا خبر دارد
که مبطلات کدام است واجبات کدام
چه خیزد از دو سه نااهل در علف‌زاری
یکی گسسته مهار و یکی فکنده لگام
در آن‌زمان که شریعت بدست ایشان بود
مدار کار شریعت کجا گرفت نظام
دو روزه مهلت ایّام آن سیه بختان
زاقتضای زمان بود و گردش ایّام
هزار شکر که آن اعتبار بی‌بنیاد
چو عمر کوته دون همتّان نداشت دوام
بسر شاه که اوقات از آن شریف‌تر است
که ذکر خارجی و ناصبی کنیم مدام
وگرنه تابهٔ اخگر شود دمی صد بار
زبرق تیغ زبانم سپهر از مه فام
زند معاویه در آتش جهنّم سر
چو ذوالفقار علی سر برآورد زنیام

به مبدعی که مسمّای اسم اسمی اوست

بنور معرفت ذوالجلال والاکرام

بگوهر صدف کاینات یعنی دل

به انبیای عظام و به اولیای گرام

که در حریم دلم داشت بامداد ازل

فروغ روشنی اهل بیت داشت مقام

فغانی از ازل آورده مهر حیدر و آل

بخود نساخته از بهر التفات عوام

سفینهٔ دلم از مدح شاه پر گهر است

گواه حال بدین علم عالم العلّام

بطوف کعبهٔ اسلام تا چو اهل صفا

کبوتران حریم حرم کنند مقام

خمیده باد قد خارجی چو حلقهٔ دال

شکسته باد دل ناصبی چو گردن لام

تقريب المعنى بالعربيّة:

ويميناً بالله ثمّ بطٰه	إنّ من بعده عليّاً إمام
حكم الله أن يقوم عليّ	بعد خير الورى ليسمو المقام
جاء نصّ عليه من قِبَل الله	على حقّه يدلّ الكلام
وإمام الورى عليّ وقامت	حجّة في يمينه لا ترام
إنّ حكم المصباح لا يستعير	النور من غيره فذلك ذام[1]

(١) الذام: العيب / المحيط في اللغة.

إنّه للأمام مذ لاح في الغا	رب لم يبق في الشموس ضرام
بذل الروح في الجهاد ليغدو	كلّ فرد منعّماً لا يضام
إنّه للإمام في منطق الطير	خبير ويرتضيه الأنام
ليس يرمي حبّاً ليصطاد فيه	جائع الطير إنّ ذاك حرام
إنّه للإمام يقطع ردناً	لا بكذب يُرقّع الهندام[١]
إنّه للإمام والدهر عبد	ليس مثل الذي علاه الغلام![٢]
وتظنّ الحسود منهم إماماً	فتبصّر إن لم يصبك قتام
من من المدّعين سار بدرب	الخير لم تنزلق به الأقدام
من من المدّعين حلّ من الإ	شكال أمراً جرى به الإلزام
قد برئنا من غاصب فدكاً	قهراً مع الآل طبعه الإجرام
قد برئنا من موقد النار بالبـ	ـاب تعالى دخانها والضرام
من إمام حقّت له لعنة	اللاعن بين الورى عليه تقام
دع حديث الجمال أو دعوة	الإجماع أو ما تقول عنه العوام
كيف يدعىٰ كلب حضور خوانٍ	وهو مستقذر قلته الأنام
ومتى تفتح الورود بقلب	قبل أن تنجلي لديه المشام
هل يفرق حقّاً من البطل شخص[٣]	جاهل ما حلالها والحرام
والذي يصطبيه جاه متى	يدري عن الواجبات كيف ترام

(١) الهندام: كلمة معرّبة وتعني القوام الحسن واستعارها الشاعر هنا للثياب راجع لمعناها: لسان العرب وتاج العروس.

(٢) لعلّها ترجمة صحيحة للشطر الفارسي من القصيدة «نه آنكه از هوس افتد بزير بار غلام» هذا ما فهمته وأسأل الله أن يكون معنى الشطر غير الذي فهمته، لأنها مسألة فاقدةٌ للاعتبار.

(٣) تقول: البطل الشيء هذا أي إنّه الباطل. راجع العين مادّة «بطل».

ما الذي يخرج الدعي من الغابة ... إلّا من لم يصبه اللجام

حين كانت شريعة الله في أسر ... أُناس منهم جفاها النظام

آنستهم يومين ديناً وحكم ... يقتضيه الزمان والأيّام

نشكر الله حين ما كان للملك ... الذي بلّغوه يوماً دوام

لا نضيّع وقتاً نفيساً بذكر القوم ... فالقوم إن نظرت لئام

إنّ وقت المليك أسمىٰ فلا ... يهدر إلّا لما به يستهام

صحّ ما قلته إليكم وإلّا ... سوف يكسو السماء برداً جهام

وتصير السماء قدراً وتطهىٰ ... فيه أجرامها وعندي الذمام

فإذا سلّ منه تخرج نار ... ذا لساني منه تطير الهام

سيدقّ الخبيث في النار رأساً ... إن بدىٰ في يد الإمام الحسام

بالذي أبدع الوجود بحرف ... يحتويه الجلال والإكرام

بضياء العلم الذي أظهر الكو ... ن وفيه الشموس والأجرام

وبعلق مجوهر وهو قلب ... وبما قال أنبياء عظام

وبفضل للأولياء تجلّىٰ ... مثل تبر يماط عنه الرغام

دخل القلب منذ صورت في ... الآزال حبّ الهدى عليه السلام

معه آله الكرام وهل إلّا ... إليهم محبتّي والهيام

«وفغاني» أحبّ حيدر و ... الآل وأغضىٰ عمّا يقول العوام

وسفين الفؤاد يملأ من مدح ... إمام جواهراً لا تسام

يعلم الله ذاك منّي وهل ... يعلم إلّا المهيمن العلّام

إنّ أهل الصفا يطوفون بالكعـ ... ـبة دوماً كأنّما هم حمام

هي بيت لهم وكنّ ومأوىً ... وبها مستقرّهم والمقام

تنحني قامة الخوارج كالدال وعنق من النواصب لام

ومنها:

چمن شكفت و جهان پر زسوسن و سمنست
بصد هزار زبان روزگار در سخن است

زخاک سوختهٔ داغ آرزومندی
دميد لاله و سوزش هنوز در كفن است

رسيد نافه گشا باد صبحدم گويا
روان به دامن صحرا روايح ختن است

چو لاله در غم روى تو جامه چاک زدن
بطرز واقعهٔ بيستون و كوه‌كَنست

در آن چمن كه شود قامت تو دست‌افشان
چه جاى جلوهٔ شمشاد و رقص نارونست

هواى كوى تو دارد صبا زگشت چمن
چو آن غريب كه ميلش به جانب وطنست

زجان گذشتم و ديدم جمال كعبهٔ جان
در اين ره آنكه زهستى گذشت جان من است

تبارک الله از آن روضهٔ بهشت آئين
كه يک غبار درش آبروى نه چمن است

چه جاى گلشن عالم كه هشت باغ بهشت
طفيل روضهٔ سلطان دين ابوالحسن است

علی موسی جعفر امام گلشن وحی
که طوف بارگهش از فرایض و سنن است
زیمن سایهٔ اقبال قاف قربت او
همای ناطقه ناظر به کشور بدنست
بگرد روضهٔ تو گر نعیم هشت بهشت
شود نثار یکایک بجای خویشتن است
فروگرفت جهان را چراغ دولت تو
چو آفتاب که خنجر گذار و تیغ زنست
گلی که از چمن کبریای تو سر زد
شکفته باد که چشم و چراغ انجمن است
فغان زمکر تو ای ناصبی بگو آخر
که این چه دشمنی و لاف دوستی زدنست
زجام ساقی کوثر کجا شوی سیراب
ترا که کاسهٔ سر پر هوای درد دنست
در این چمن که زآسیب برگ ریز خزان
هوا مبدّل و بلبل فکرا و ممتحن است
خسی که دانهٔ انگور دام خجلت ساخت
چو خوشه از گنه آن بگردنش رسنست
فسانهٔ زن جادو و سر پرده و شیر
حکایتی است که ورد زبان مرد و زنست

زهی چراغ دلت شمع هفت پردهٔ دل
خیال نخل قدت زیب چار باغ تن است

قبای سبز تو فارغ زچاک دامن و جیب
نگین لعل تو ایمن زدست اهرمن است

کند ولای تو رنگ موالیان چه عقیق
طلوع مهر تو همچون سهیل در یمن است

سپهر را سر رمح تو افسر شرفست
زمانه را سر تیغ تو مانع فتن است

به آب دیده فغانی چو مدحت تو نوشت
سواد کاغذ شعرش بنفشهٔ دمن است

همیشه تا بمصاف سپاه غنچه و گل
نسیم پرده در و باد صبح صف شکنست

حسود جاه تو با پردهٔ خجالت باد
چو عنکبوت که بر عیب خویش پرده تنست

تقريب المعنى بالعربيّة :

مـلأ الروض كـلّه	يـا سـميناً وسـوسنا
وغـدا زهـره الجميل	حـديثاً والسـنا
مـن تـراب مـحرّق	فـيه تُسـتعذب المـنى
خـرج الزهـر ضـاحكاً	لكـن الجـرح كـفّنا
أوصـل المسك فـي	الصـباح نسـيم إلى هـنا

طـــاب نـــفساً فـــما أتـــىٰ الأرض إلّا لـيـــحضنا[1]

* * *

وشـــقّ الشـــقائق أثـــوابـــه بـــوجهك عـــن وجـده مـعلنا

كـما يـنحت الجـبل المشـمخر وتـــبسط الواحـــه بـــالعنا

بـــروض يـرقص قـدّ الحـبيب ويكـــمل بـــالجلّنار الهـــنا

وعـــود الصـــبا نـــحو روض أريض كعود امرئ ذكر المـوطنا

وأطـــلقت روحـــي وأنّــىٰ لهـا وقـــد رأت النـــور أن تسكـنا

بكـــعبة روحـــي وأوصـــافها فـما فـارق الأرض روحـي أنـا

تـــبارك ربّ بـــرىٰ مشـــهداً غـــبار بـــه شـــرف للـــدنى

ومـــا قـــيمة الروض إنّ الجـنا ن عـــلي يشـــرّفها بـــالسنا

أبــوالحسـن المـرتجىٰ والرضـا فـــداء لأعـــتابه كـــلّنا

عـليّ بـن مـوسى بـن جـعفر مـن مـحبّوه فـي الحشـر نـالوا الغـنا

طـــواف بـــمشهده مـــثلما تـــؤدّىٰ بـــه سـنن عـندنا

بـــإقباله اليـــمن فـــي قـــربه يـــعمّر طـــير الهـنا المسكـنا

بـــجسم لصـاحبه الخـير فـيه فـــطاب وطـــاب له المـــقتنى

ويـــفدىٰ النـــعيم بـــجنّاته لروض حـــوى الجسـد الأيـمنا

مـــلا نـــور دولتك العـــالمين فكـنت كشـمس بـدت حـولنا

وزهـــر بـدىٰ مـن ريـاض السـمو فســـاق الســـرور لنـا والمـنى

فـقل «يـا فـغاني» عـن النـاصبي لعـــنت فـــإنّك خـــصم لنـــا

---

(١) رأيت هذا الوزن القصير لا يتّسع لمعاني القصيدة فقلبته إلى وزن أطول منه وأطـوع فـي جـمع المعاني.

أتـــزعم أنك تـــهواهـــم وتـــبدى هـــوىً خـائراً مـوهنا
أتـــروى بكـــف عـــليّ غـداً وتـــحشو لهـم رأسك الأرعـنا
بـــمكر وبـــغض عـلى خـدعة كـــذلك تـــملأه بـالخنا
كـــدنّ بـــدرديه[1] طـافح وكـــان بـــملمسه ليّـنا
وفي الروض حين يحلّ الخريف ويـــنثر أوراقـــه والجـنىٰ
يـــبدّل فـيه النسـيم العـليل ويـــفقد بـلبله السـوسنا
ويـطوي جـناحيه مـن بـؤسه ويـفزع للـحزن بـعد الغـنا
حـقير مـن الحبّ يبني الفخاخ يـطوّق فـي جـيده أرسـنا
خرافة أُنثى مع السحر والستار حـديث غـزا الألسـنا
وفـي سـردها أسـد رابـض وكـان له بـيتها مسكـنا
بـخ لسـنا شـع مـن قـلبك الطـهور عـلى الخـلق حتّى دنا
ومـا أحسـن القـدّ فـحل بـدا يـزين بـمنظره الأعـينا
قـباءك مـن سـندس أخـضر له المـدح حـين صـفا والثـنا
وخـاتمك المـنتقى لم يـلح بـإصبع إبـليس كـي يـلعنا
وصـار لمـولاك حسـن العـقيق بـحبك لمّـا إليك انثـنىٰ
وفـي يـمن لاح مـن أُفـقه سـهيل إليـنا بـحبّ رنـا
عـلى رأس رمـحك يـرعى الز مـان مـحبّيك خـوف الردى والفـنا
وتـخشى مـن الدهـر أفـعاله وفـي سـيفك الدهـر حـام لنـا
فـغاني يـخطّ بـدمع مـديحك حـتّى بـنفسجة كـوّنا

---

(١) الدردي: بضمّ الدال الأُولى وكسر الثانية وسكون الراء ما رسب في أسفل السائل من عكره، والدنّ ما عظم من الرواقيد كهيئة الحبّ، والراقود: كهيئة الدنّ طويل الأسفل والجميع رواقيد.

قد انقلبت منه هذي الحروف إلى زهرة زينة تقتنى
قد انتظم الزهر مثل الجداثل لمّا النسيم إليها دنىٰ
وداعبها وهو نضو عليل فما عتم[1] الصفّ حتّى انحنى
وليت الحسود لكم لا بدئ وكان السرار له ديدنا
ليخفى كما خفي العنكبوت عنا بوهن لبيت بنا

مولانا أهلي الشيرازي عليه الرحمة

انتظم في سلك الشعراء الكرام والفضلاء العظام، وأمّا عن فقره ومسكنته وقلّة اختلاطه بأهل الدنيا فإنّه أشهر من أن يذكر أو ينشر، وكان الميّزة في الشعر على أهل السلوك والأُدباء والشعراء، وكان كاملاً في علم القوافي والعروض والألغاز والمعمّيات، وقد شارك في نظم فنون الشعر كلّها ونظم المثنوي ذو البحرين وذو القافيَتين، وفيه يتحيّر العقل ويذهل اللبّ، وتتبّع قصيدة الخواجه سلمان التي صنعها باسم «المير علي» وأضاف عليها صنوفاً من الصنعة وأنصف المير علي شير حيث قال: إنّها أفضل من صنعة الخواجه سلمان. وديوان غزله اعترف بجودته أرباب النظر ومطالع أشعار سعدي بالنسبة لكلامه أُمور مضمرة.

ومن قصائده في ذكر المنقبة هذه القصيدة:

ای با سپهر بوقلمون هیبتت بجنگ
روز و شب از نهیب تو گردید رنگ رنگ

---

(١) عتم الرجل تعتيماً إذا كفّ عن الشيء بعد ما مضى فيه / العين. يريد الشاعر الزهر ـ الورد ـ يريد الاستمرار بالوقوف ولكنّه كفّ عنه وانحنى لمّا اضطرّه النسيم لذلك.

تیفت نهنگ معرکه و جوش و جوهرش
طوفان ماهیان بود از جوشش نهنگ
بر تنگ دلدلت مه نو حلقه بود
یک نیمه گشته ظاهر و یک نیمه زیر تنگ
روی زمین به موی سفید آفتاب رفت
تا بی‌غبار لنگر قدرت کند گرنگ
ناجح بکف دوان مه یک هفته بر فلک
پیکی است با رکاب تو با صد هزار رنگ
رنگ زری که ماه نوش یک زبانه است
بربست تا بعرش رساند صدای زنگ
شهباز قدرتی وصف دشمنان تو
یک حمله‌ات همگی گسلد چون صف کلنگ
خصم ستاره سوخته‌ات گر رود به باغ
گلخن کند زبخت سیه سبزه و النگ
تو مظهر عجایبی و در ثنای تو
عقل و قیاس بیخود و فهم و حواس دنگ
شرمنده‌ام که تحفهٔ من نیست جز سخن
از راه نظم و قافیهٔ تنگ بسته تنگ
گلدسته نیست شاخ گیاهست پیش تو
این نخل گل که کلک من آراست شوخ و شنگ

اهـــلى سگ تـو است بـدين افـتخار اوست

تـــرسم كـــزو كـــنند سگـــان درِ تـو نـنگ

كـــالنقش فـــي الحـــجر بـنگين دلش بـود

مهر تو همچو مهر نـه مهرى بـه ريـو و رنگ

هـــفتاد ســـال در رهت اى كـــعبهٔ مـــراد

رفـــتم بـــفرق و بـــاز نـماندم بـعذر لنگ

ســـلمان وشـــم بـــواقـعه فـرياد‌رس شـدى

در دشت ارژن از كـــف شـــير ســـياهرنگ

اكـــنون بـــواقـــعم بـرهان زاژدهـاى نـفس

كـــين مـــار دل سـياه بـمن بسـته راه تـنگ

مـــرغ دلم بـروضهٔ جـان‌بخش خـود رسـان

زان پـيش كـايد از قـفس تـنگ بـن بـتنگ

يـــا رب مـــقيم روضـهٔ شـاهم كـن از كـرم

چـندانكـه مـانده است مـرا در جـهان درنگ

تقريب المعنى بالعربيّة:

يـا مـن بـهيبته عـلى الأكـوان غشّـىٰ سـماء الحـرب بـالألوان

بتّارك الحوت التي قـد أحـدثت في البحر عـاصفة عـلى الحيتان

دار الهـلال عـلى فـم مـن دلدل نصف بـدىٰ وانـضمّ نـصف ثـاني

وبدت ذكاً في أشيب من شعرها لتـريك قـدرتها عـلى الفـرسان

والكـوكب السيّار دار مـدارهـا يـرعىٰ ركـابك عـند كـلّ زمـان

مـن لونـه الذهـبي للقمر الذي قد أرهـف الأسماع فـي الأكـوان

وصل اللسان به ليوصل صوته للعرش عند تخارس الألحان
مولاي خصمك في قواه مضعّف يندكّ في الآفاق مثل دخان
في حملة تهوي عليه فينثني متشرذماً كجماعة الغربان
يلقىٰ الدنىٰ في طالع[1] متفهّم صار الرماد بألسن النيران
ويحيل مخضرّ الرياض كمهمه قفر ويعصف في جناه الداني
يا مظهراً لعجائب جلّت ولم يحص الثناء عليك أيّ لسان
العقل يصحبه القياس تعطّلاً بعداً ولم يقرب لك الإثنان
والفهم يصحبه الحواس كلاهما والعجز في صوغ الثنا سيّان
إنّي ليغلبني الحياء فلا أرى إلّا الكلام يضمّه عنواني
فأصوغه شعراً بمدحك إنّه باب أطلّ به على إيماني
إضمامة الورد التي قد قدّمت وتزيّنت بالورد والأغصان
بمثابة النخل التي قامت على كتفيّ تحرسني من الخسران
إنّي لأفخر أن أكون بعتبة فيها تقيم ملائك الرحمان
كلباً لديك وإنّما أنا خائف إنّي أكون حبائل الشيطان
كالنقش في حجر ولاءك ثابت في قلب عبد طاهر الأردان
لا حبّ تزوير بقلب نافر كنفور منخلع الفؤاد جبان
سبعون عاماً في رحابك عشتها يا كعبة الإتقان والإيقان
وبلغت قمتها ولمّا أعتذر لمصاحب إنّي من العرجان

---

(١) في اصطلاح أهل الهيئة هو البرج الذي يهلّ من الأُفق الشرقي عند الولادة أو سؤال السائل ولكلّ طالع أو برج من البروج الاثني عشر أثر على نحو من الأنحاء وسعادة مستقلّة وهو رائج بين العامّة بل لا دين لهم في موضوعه سواه ويقابل الحظّ العربي والبخت الفارسي وهلمّ جرّاً.

كن لي مغيثاً من بلاء محدق لا أستكين وأنت من أعواني

أطلق سراحي من شجاع جاثم في النفس فهي ملاعب الثعبان

سدّ الطريق عليّ حتّى أنّني صار الطريق كخاتم ببناني

أدخل هزار القلب روضك إنّه روض سما بالروح والريحان

واجعل عبيدك من مقيمي روضة شرفت بآل الطهر من عدنان

ومنها:

سوزدم از خواب صبحی کز نسیم عنبرین

شبنمی از عنبرین شبنم نشستی بر زمین

باد می‌بردم بعالم فوج فوج و موج موج

کاروان درکاروان منزل بمنزل‌مشکچین

نکهت جان عالم اندر عالم و پنداشتم

عالم جان آفرین آن صبحدم جان آفرین

گفتم این بوی ملک باشد که آید از فلک

عنبرافشان ازکنار و مشکریزان زآستین

یا فلک را از نسیم مشک‌بوی صبحدم

گل شکفت از غنچهٔ مهر وزکوکب یاسمین

یا مگر بند قبای ناز یوسف برگشاد

صد هزاران نافهٔ مشکین زلف حور عین

عقل گفت اینها که می‌گویی همه باد است باد

بوی جان‌است اینکه برمی‌خیزد از خلد برین

گفتمش ممکن نباشد در جهان بوی بهشت
جز نسیم روضهٔ پاک امیرالمؤمنین
سرور مردان علی بن ابی طالب که هست
هم امیرالمؤمنین و هم امام المتّقین
کاشف علم الله آن گیتی نمای «لوکشف»
دیده راه هر دو کون از دیدهٔ علم الیقین
کعبه زان شد سجده‌گاه انبیا و اولیا
کامد آنجا در وجود آن قبلهٔ اصحاب دین
شهر علم مصطفی جو از «عليٌّ بابها»
از در علم آی و شهرستان علم الله ببین
مصطفی را نیست داماد از علی شایسته‌تر
شاه مردان را سزد خیر النساء العالمین
چرخ اطلس پیش علم اوست طفل ساده لوح
بلکه نشناسد یسار خویشتن را از یمین
رشتهٔ مهرش کمند جان بود بر بام عرش
ذره را خطّ شعاع مهر شد حبل المتین
با تو چون روباه دشمن حیله‌سازاز سگدلیست
سگ بود هرکس که با شیر خدا سازد کمین
هرکه جا بستد به مکر و مشورت ناحق زتو
مکر حق جانش ستد والله خیر الماکرین

هرکه با خصم تو درجنگست جنگ او غزاست
نصرتش یاراست وبختش یاور وفتحش قرین

کی مجال همعنانی باشدش با دلدلت
نقره خنگی کش مه نو آورد پا زیر زین

یا علی چشمی فکن بر بندهٔ دیرین که تو
بهترینِ عالمی (اهلی) غلامی کمترین

شیر یزدانی مهل کز زخم این گرگ فلک
همچو یوسف خسته‌ام دارد چو یعقوبم حزین

شصت سالم جان چو زر در کورهٔ مهرت گداخت
تا شدم زآلودگی صافی‌تر از ماء مَعین

این زمان از سکّهٔ نطقم چو زر کن سرخ رو
تا شود نقد روان در روز بازار حنین

تا فلک باشد جهان بادام بکام آل تو
دوستانت شادکام و دشمنان اندوهگین

عالمی دست دعا دارند با من بر آله
استجب عنّي دعائي يا إلّه العالمين

تقريب المعنى بالعربيّة:

تبرّج صبح في نسيم معنبرٍ — وظلّ الندي يهمي كماء مقطّر
وضمّ الهوى فوجاً إلى الفوج سارياً — وموجاً إلى موج كجند بعسكر
قوافل من بيت لبيت تناوبت — لتجمع من مسك هناك معطّر
بنكهة روح عالم أثر عالم — تبدّىٰ صباح في جبين منوّر

فقلت لمن هذه الطيوب تفاوحت ... من الفلك الأعلى بأطيب مظهر
سرت بالنسيم الروح أذهب عنبراً ... وقد ضمّ في أردانه طيب مجمر
أو الفلك الدوّار فتّح برعماً ... وضمّ إلى أقماره كلّ مزهر
فمن ياسمين فتّح الصبح نوره ... إلى أقحوان ضمّ في حضن مشتري
وهل من لهاث للمسيح تعطّرت ... بلطف ربانا من مسيح محرّر
وهل رابع الأفلاك حلّ بأرضنا ... فعطّر أرواحاً بعطر مقدّر
وهل يوسف قد حلّ أزرار ثوبه ... فهبّ نسيم العطر من ذلك الثري
وهل ماشطات الحور تنثر شعرها ... فصار شميم المسك يعزىٰ لمصدر
فقال لي العقل انتبه كلّ موضع ... ذكرت هباءاً إن نظرت لمخبر
تنسّمت روح الخلد مرّ بروضها ... محمّلة طيباً لكلّ مطهّر
فقلت له لا خلد في الأرض عندنا ... سوى روضة تعزىٰ لمولاي حيدر
عليّ هو المولى لكلّ موحّد ... إمام الهدى قد فاق كلّ تصوّر
إمام أميرالمؤمنين وللتُّقىٰ ... رئيس وغيض الحاقد المتجبّر
وكاشف علم الله لو كشف الغطا ... لما ازداد علماً في يقين مقدّر
وما كان بيت الله للناس قبلة ... إذا لم تكن فيه ولادة حيدر
مدينة علم الله طه وبابها ... عليّ ومنه للمدينة فاعبر
هو الصهر صهر المصطفى ليس غيره ... وما غيره في الأمر هذا بأجدر
مليك الورى أهل لسيّدة النسا ... فدع عنك من قد كان بالحقّ يمتري
وما أطلس الأفلاك عند علومه ... سوى حدث وعر الخليقة أصغر
هو العروة الوثقى وحبل وداده ... إلى العرش إن تعلق به الروح تفخر
وكان لها الحبل الوثيق ومن يلذ ... به كان من شرّ الضلالة قد بري

عــدوّك مـن طـبع الثـعالب طـبعه　　وقـد ظـلّ فـي عيش بـئيس مكـدّر
ويـحتال كـي يـرقىٰ مـنابر أحـمد　　وكـيف تـرى كـلباً عـلا فوق منبر
فـما هـو إلّا ثـعلب فـي طـباعه　　ومـا هـو إلّا الكـلب في لؤم مخبر
وإنّ الذي بـالمكر يـغصب مـنصباً　　خـصصت بـه مـن خـالق مـتجبّر
سـيردىٰ بـمكر الله جـلّ جـلاله　　ويـحيىٰ بـقلب مـن ولاءك مـقفر
ومن حارب الخصم الذي أنت خصمه　　سـينصره الرحـمن في خير معشر
ومـا يسـتوي النـوعان هـذا مفضّل　　وهـذا ذمـيم تـزدريه ويـزدري
أبـا الحسـن انـظرني بـنظرة راحـم　　فأنت الذي يـحيى بـه سوء مظهري
ويـا أسـد الله احـمني من جراحة　　يـعالجها دهـري بـجمر مـقطّر
وذا الفـلك العـالي أم الذنب حـاشني　　كـيوسف فـي يـعقوبه المـتحيّر
لقـد أولعت روحـي بأتّـون حـبّكم　　فـصارت كـتبر خـالص مـن مكـدّر
كـماء مـعين من يد السحب نـازل　　على نـابت من ظامئ العشب مـمطر
وخـذني عـلى أن ألقـط التبر نـاطقاً　　ليـصبح نـقداً مـن لسـان مـعبّر
ومـا دامت الأفـلاك يسـعد عـالم　　بآلك فـي دوح مـن اليـمن مـثمر
فـيغدو المـوالي فـي السـعادة رافلاً　　وخـصمك في ركب من الذلّ مصحر
ويـدعو بـما أدعـو إلهـي عـالم　　فـيا ربّ جُـد بـالخير فيهم ويسّـر

ومنها:

آن شهنشاهي كه بحر «لا فتى» راگوهر است
شحنهٔ دشت نجف شاه ولايت حيدر است
ذات پاك مصطفى را با كسى نسبت مكن
زانكه اين آب حياة از چشمه‌سار ديگر است

معنی قول «عليٌّ بابها» آسان بدان

کاین سخن را صد جهان معنی بهر بابی در است

در شب جان باختن بر جای احمد تکیه کرد

زانکه جای مصطفی هم مرتضی را در خور است

پیش لطفش هشت جنّت وادنی باشد خراب

نزد قهرش هفت دوزخ تودهٔ خاکستر است

عالم علم نهان کاندر دبیرستان او

تختهٔ تعلیم طفلان قصّهٔ خیر و شر است

از خطاکاری کسی از مهر او بوئی نبرد

گر همه آهوی مشکین است از سگ کمتر است

گر زدشت ارژن تو سلمان کسی یاد آورد

آب گردد زهرهٔ او گر همه شیر نر است

هرکه راکینِ غلامان علی در دل بود

گر برادر باشدم گویم گناه مادر است

گر زروی مقبلی قنبر غلام شاه بود

من سگ آن بختیارم کو غلام قنبر است

یا امیرالمؤمنین آنی که گر گوید کسی

نیست جز حب تو ایمان مؤمنان را باور است

هرکه نبود میوهٔ حب توآش چون چوب خشک

آتشش باید زدن گر خود همه عودِ تر است

چـون نسـوزد دشـمنت از داغ دل کـاندر تـنش

چون انار از نارگین هر قطره‌ای چـون اخگـر است

خـطبه بـر نـامت چو خـوانـد بـلبل روح القـدس

گـلبن طـوبی زروی پـایه چـوب مـنبر است

کـرد اهـلی جـان فـدا بـهر شـهید کـربلا

وز «سـقاهم ربّـهم» مـزدش شـراب کـوثر است

گـر حسـودان چـو روبـه دشـمن جـان وی‌انـد

غـم نـدارد زانکـه وی را شـیر یـزدان یـاور است

سـایهٔ آل عـلی پـاینده بـادا کـین پـناه

سـایه‌بانی از بـرای آفـتاب مـحشر است

تقريب المعنى بالعربيّة:

ذلك المـالك الذي	هـو فـي بـحر «لا فـتىٰ»
درّة يسكـن الغـري	أتـىٰ فـيه «هـل أتـىٰ»
وعـليّ له الولايـة	مـن بـارئ المـلا
لا تـقس ذات أحـمد	بـامرئٍ مـن بـني الورىٰ
إنّ مـاء الحـياة ذا	جـاء مـن سائل سوىٰ
إنّـما بـابها عـلي	تـدبّره فـي النّـهىٰ
فـاتحاً ألف عـالم	مـن مـعانيه تـرتجىٰ
كـلّ بـاب لعـالم	شـاهد بـالذي جـرىٰ
نـام فـي بـرد أحـمد	ليـلة الغـار إذ سـرىٰ
إنّـه الأهـل أن يكـون	له مـنزل الهـدىٰ

ورتبة المصطفى له	ولذا صار مرتضىٰ
بأزا لطفه الجنان	من الخلد تزدرىٰ
وكذا النار وهي أ	صعب من جمرة الغضىٰ
إن بدت منه غضبة	حينما الحرب تجتلىٰ
أصبحت كالرماد قد	ذرّ في عاصف الهوىٰ
علم الله أنّة	عالم السرّ والخفا
في فنا صرح علمه	كلّ شخص قد اقتدىٰ
علم الله ما هو	الخير والشرّ في الورىٰ
كلّ من في رحابه	عمره عاشه سدىٰ
والذي من نسيمه	لم يصب أنفه الشذىٰ
هو عن عالم الكلاب	تنائى وقد هوىٰ
ولو أنّ الغزال من	سربه المسك ينتقىٰ
كان أدنىٰ من الكلا	ب قدراً وإن علا
وكذا كان جيفة	نتنها يملأ الفضا
إنّ صحراء أرزن	ثمّ سلمان والفلا[1]
معقل الأسد أرضها	ومن الأسد يختشىٰ
من غدا في ضميره	بغض من حبّه الهدىٰ
أو مواليه إنّما	العيب من أمّه يرىٰ

---

(١) إنّ مركز قرية صحراء أرزن «ناحية كوهمر طودان» من بلاد كازرون وتشرب من عين ماء تدعىٰ «عين سلمان» والظاهر أنّها معقل الأُسود ولكن هناك موضع آخر يدعىٰ صحرا أرزن تنسب له الأسد أيضاً.

إن يكــن قـنبر غـلاماً ... ســـمىٰ فـــيه أو عــلا
فأنـــا عـــبد قـــنبر ... نــلت فـي ذلك الرضــا
سـيّدي يـا أبـا الحسين ... وروحــــي لك الفـــدا
إنّ مـــن قـــال حـــبّه ... هــو إيـمان ذي الحجىٰ
فــهو فــي ذاك صـادق ... رضـي الخـصم أو أبـىٰ
مــن أبـىٰ عـوده الوداد ... وفـــي بـــغضه انـطوىٰ
مـــاله فـــي حـــياته ... مــن جـزاء سوى اللظىٰ
يـــحمل الخـصم نـاره ... فــي فـؤاد ومـا اشـتوىٰ
سـوف يـهمي عـليه من ... صخر سجّيل مـا هـوىٰ
ومـــتى يـصدح الهـزار ... مـن القـدس في الذرىٰ
بــــعليّ وبــــاسمه ... تــخمد النـار والجـوىٰ
إنّ طــوبىٰ ســـتفتدي ... فــي ذرى القــدس منتىٰ
أنـــا أفــدي وأُســرتي ... لشـــــهيد بكـــربلا
ســوف يســقى بكــوثر ... مـــن أبــيه إذا ســقىٰ
«وســـقاهم» بـــه أتت ... «ربّــهم» جـلّ أو عـلا
إن يكـن حـاسدوه قـد ... أشـبهوا الذئب في الفلا
فأبــــوه وجـــــدّه ... وهـــما ســادة الورىٰ
مـــعهم كــلّ أغــلب ... أســد الله فـي الشـرىٰ(١)
وليـــدم ظــلّ حـيدر ... مـــعه الآل فــي الهـدىٰ
إنّــه الظــلّ فـي القـيا ... مــة مـن لاهب الغـضا

---

(١) الشرى: موضع تنسب إليه الأسد / المخصّص.

وله:

بـــزرگوار خـــدايـا مـن آن تـهيدستم كه خجلتم نگذارد كه سـر بـر آرم هـيچ
به خـوشه چينيم از خـرمن كـرم بـنواز كه من نكاشته‌ام تخم و گر بكـارم هـيچ
بـــزير بـار گـنه مـانده‌ام زبـد كـارى زكار وبار چه پرسى كه كار و بارم هـيچ
بـه خـاندان مـحمّد كـه از مـحبّتشان مـتاع هـر دو جـهان را نـمى‌شمارم هـيچ

تقريب المعنى بالعربيّة:

إلهـي أنـا العـبد الفـقير وذنـبه يـهيب بـه أن يـرفع الطـرف للسـما
أتـيت لأسـتجدي السـنابل بـيدر الكـرام ولم أزرع حـصيداً لأنـعما
بقيت عـلى ظهري الذنوب محمّلاً بسوء فـعالي مـا وقـوفي فـي الحـمىٰ
فإن قلت ما شغلي وما حمل عـاتقي فـلست تـرىٰ إلّا ذنـوبي جـثّما
إلهـي بأبـناء النـبيّ مـحمّد أُولئك مـن حـبّي لهـم فـاق كـلّما
إلهـي مـتاع العـالمين تـركته فـما حـملت كـفّي لزادي درهـما
سـوى أنّني أرجـوهم عند مرقدي بـقبري لأغـدو فـي النشـور منعّما

رباعيّة:

يا رب سگ كوى مقبلى ساز مرا آئـينه زعشـق مـنجلى سـاز مـرا
اقبال جهان مرا جوى نيست قبول مـقبول مـحمّد و عـلى سـاز مـرا
يا ربّ فاجعلني لهم حزبا واملأ بهم من قبلي القـلبا
لم أربـح الدنـيا تـصالحني لكـن بآل مـحمّد أحـبىٰ

توفّي في شيراز بعد أن بلغ من العمر عتيّاً في أحد شهور سنة اثنين وأربعين، ونظم الملّا ميرك هذه القطعة اللطيفة في تاريخ وفاته:

در مـيان شـعرا و فـضلا پير با صدق و صفا بود اهلى

رفت بـا مـهر عـلى از عـالم — پـيرو آل عـبا بـود اهـلى
سال فوتش زخرد جستم گفت — پـادشاه شـعرا بـود اهـلى
بـين أهـل الشـعر والفـضل — عـاش فـي صـدق الصـفا أهـلي
فـارق الدنـيا بـحبّ عـلي — وكـذا كـان بـينهم شـغلي
جـاء تـاريخ مـوته بـيدي — «ملك الشعر في الورى أهلي»(١)

مولانا لساني عليه الرحمة

أصله من شيراز ولكن قضى جلّ أوقاته في بغداد وتبريز، شاعر فخم متين دقيق النظر مُلمّ بالنكات الشعريّة. بلغنا عن بعض الثقات بأنّ شعر مولانا لساني بلغ أكثر من مأة ألف بيت ولكن ضاع أكثره بسبب الغفلة عنه وعدم العناية به، والأشعار التي جمعها تلميذه «شريف» وسمّاها بـ«سهو اللسان» هي أشعار ظريفة ولكنّها اليوم ليس لأكثرها من أثر يُذكَر.

كان الشاعر مملقاً، درويشاً، وكان يضع على رأسه تاجاً ذا اثنى عشر علامة وهي حلقة مستديرة قد زيّنت من الداخل بزينة ناتئة تعبيراً عن حبّه وإخلاصه للأئمّة الاثني عشر عليهم السلام إلى أن قصد السلطان سليمان الرومي تبريز لاحتلالها، ولمّا وصل الخبر عن قرب وصوله تبريز إلى مولانا وكان ساعتئذ في المسجد الجامع يدعو ويتضرّع بعد الصلاة، رفع يديه إلى السماء ودعا الله قائلاً: اللهمّ إنّ هذا الجبّار المتغلّب يصل تبريز وأنا لا أقدر على خلع التاج عن رأسي وكذلك لا

---

(١) هذا الشطر المحدّد ليس تاريخاً بل هو ترجمة للتاريخ خالفت حروفه التي هي أساس التاريخ حروف الشطر المترجم الذي يتضمّن التاريخ؛ فمن أراد التاريخ فليرجع إلى الشطر المترجم لا إلى الترجمة.

أستطيع رؤيته يحتلّ تبريز، اللهمّ فاقبضني إليك وخذني إلى رحمتك، ثمّ سجد ولم يرفع الرأس بعدها لأنّ الله تعالى توفّىٰ روحه وهو في حالة السجود.

ومن قصائده التي تذكر «المنقبة» هذه القصيدة الغرّاء التي نظمها في النجف الأشرف في طريقه إليها:

مى‌رسم از گرد راه، رقص‌كنان چون صبا
باد جنون در دماغ، عاشق سر در هوا

بر سر من ريخته سنگ حصار ستم
بر رخ من بيخته گرد و غبار بلا

پاى بدنيا زده، در سر سودا زده
بسته بدوش جفا توشهٔ راه فنا

گوهر بى‌قيمتم در صدف آسمان
دانهٔ بى‌قوّتم در دهن آسيا

سينه زبيداد ريش، مرهم او در عدم
چاه ملامت به پيش، ديدهٔ عقل از قفا

سرمهٔ كورى به چشم، پنبهٔ غفلت به گوش
دست ندامت به سر، خار ملامت به پا

غير گناه از دلم صادر و وارد نگشت
كرده غلط بر غلط، گفته خطا بر خطا

دوش كه عنقاى فكر گوشهٔ عزلت گزيد
عزم سفر داشتم تا درِ دولت سرا

بـارکـئی داشـتم تـیز رو و تـیز هـوش

گـوهرِ او مـجتمع زآتش و بـاد و هـوا

همچو فلک تندرو ، همچو قمر تیز دو

همچو ختا مشک بیز ، همچو صبا عطر سا

در حرکت ناشکیب ، چرخ هلالی رکیب

صـورت او دلفـریب ، سـیرت او دلربـا

رایـض اقـبال مـن چون بـه چنین تیرگی

زیـن سـعادت نـهاد گـفت رهـی را صلا

پـا بـه رکاب طلب کردم و بیرون شدم

بـادیه‌ای چـون بـهشت پیش ره آمد مرا

سـنبل او مشک‌نـاب ، لاله عـقیقِ مـذاب

آب طـبرزد مـزاج ، خـاک زبـرجـد گـیا

ریگ بـیابان او سـرمهٔ عـین الجـنان

خـاک مـغیلان او گـلبن جـنّت سـرا

گـل زیـحا پـر عرق ریخته زر در طبق

فـاخته راهـمنشین بـلبل دسـتان سـرا

خضر سحرگه نمود چون رخ آتش زدود

رایت اسکـندری از ظـلمات فـنا

گشت حـصاری پـدید ، کرد سواد حدید

چـون خـط گـل عـارضان کرد رخ جـانفزا

سـر زده‌زآن‌آب و خـاک‌گـنبدی‌از نـور پـاک
شـعله صـفت تـابناك ، شـمعِ صـفت بـاصفا
گـوشهٔ مـحراب او قـبلهٔ اربـاب صـدق
حـلقهٔ ابـواب او دیـدهٔ اهـل فـنا
مـن مـتحیّر زشـوق ،کین چـه بـهشتست وقـصر
ور بـمثل کـعبه است کـعبه کـجا مـن کـجا
هـاتفی آواز داد کـی خـلف پـاکـزاد
کـعبهٔ اهـل صـفا از درِ دولت در آ
سـجده کـنان در شـدم از هـمه بـرتر شـدم
زایـر حـیدر شـدم ، حـیدر خـیبر گشـا
واقـف اسـرار دیـن ،کـاشف عـلم یـقین
دیـدهٔ او پـاک بـین ، دامـن او پـارسا
عـالم از او نشأه‌ای ، آدم از او نـطفه‌ای
از هـمه کس پـیشتر ، بـر هـمه کس پـیشوا
تـیغ چـو الـماس او بـرق مـخالف گـداز
صـرصر انـفاس او بـاد مـخالف ربـا
حـلقهٔ بـازوی او کـوی زمـین راکـمر
نـعرهٔ یـاهوی او زنگ فـلک را صـدا
دادن سـر پـیشه‌اش ، فـکر حـق انـدیشه‌اش
بـخش او بـی‌غرض ، طـاعت او بـی‌ریا

هم زده بر قلب كفر حلقهٔ ميم محک

هم زده بر فرق بخل ارّهٔ سين سخا

گونهٔ همچون گلش اختر گيتی‌فروز

نقش سم دلدلش ساغر گيتی نما

قاطع دست اجل، قاتلِ اهل جبل

صحبت او بی‌بدل، گوهر او بی‌بها

يک رقم از نامه‌اش، راز درون و برون

يک نظر از جامه‌اش، نقش خلا و ملا

ای بقياس خرد بی عملِ حبّ تو

كثرت طاعت قليل، نقدِ عبادت هبا

با همه سرگشتها، نورِ ولای تو خضر

با همه سنگين دلان، جذب تو آهن‌ربا

از سر گردن‌كشی، خادم بار تراست

شمع منوّر كلاه، چرخ مرصّع قبا

لفظ تو آب حيات، حبّ تو راه نجات

روی تو درمان دل، كوی تو دارالشفا

با حسنات تو كفر برد گران نام جود

با درجات تو ننگ برد گران التجا

گوهر دريا دلی، قلزم بی‌ساحلی

لطف تو بی‌ابتدا، جود تو بی‌انتها

یـا اسـد الله زشـوق شکـر کـه بشـتافتم

بـار دگـر یـافتم روضـهٔ پـاک تـو را

دادم‌از آن‌آب و خاک مشرب جان را حلی

دیدم از آن خاک پاک دیدهٔ دل را جلا

ریـخت در آن منزلم گـرد گـناه از دلم

ایـمنم از احـتراق ، فـارغم از ابـتلا

من نه در این یک دو روز ساکن این روضه‌ام

ساکن این سکنه بود جان و دلم زابتدا

چشـم جهان کور شد پرده زرخ برفکن

خـلوت باطن بس است از در ظاهر درا

دست غضب برفشان چون اثر کهکشان

تـا بـقدم بـر شکـاف دلق سپهر لقـا

ابـر شـریعت ببار ، تخم طریقت بکار

یک سره بر باد ده خرمن چون و چرا

زانکـه لسـانی بـجان بندهٔ غفران تست

تـا درجـات حـلس بگـذرش از مـاجرا

واسـطه کـن رحـمتش تـا درِ دار السـلام

بـدرقه کـن همّتش تـا در دولت‌سـرا

تقريب المعنى بالعربيّة :

بـلغت مـن الدرب القـصيّ كأنّـني صـباً هبّ فـاجتاح الرؤوس من الحبّ

رؤوساً مشى فيها الهوى فأمضّها هـياماً وأنـضاها الحـنين إلى الصحب

وأمطرني الظلم الحجارة سدّدت إليّ وغطّاني غبار من الكرب
خطوب بدنيا طبعها الهوس الذي حملت به وقراً من الثقل في دربي
أنا جوهر قد ضمّ في صدف السما له قيمة تربو على اللؤلؤ الرطب
وحبّة برّ أُودعت في لهى الرحىٰ فما حبّة في قوّة الدفع في الحبّ
وصدري الذي عاث الزمان بجرحه وما مرهم يرجىٰ لجرح فتى صبّ
وقد كحل العين العمىٰ ثمّ مسمعي به صمم عمّا يثار من الخطب
وضعت على رأسي يد الخيف نادماً وفي باطن الرجل المثير من القطب[1]
وما أصدر القلب الشقيّ إلى الورىٰ واستوردت يمناه شيئاً سوى الذنب
من الحمق فوق الحمق ثمّ من الخطا على خطأ قد صار مسرحها قلبي
سهرت بليلي عند عنقاء خاطري وقد عزلت تهوى البعاد على القرب
شددت رحالي قاطعاً شقّة الهوىٰ لأبلع ملكاً جاز منغلق الحجب
وراحلتي كالبرق سيراً وخاطراً وذات لها صيغت من النار والسحب
هي الفلك العالي هي البدر في السنا هي المسك منشوقاً هي الريح في الوثب
وليس لها صبر إذا ما تطامنت وصورتها تعزى وسيرتها تصبي
وراحلة السعد التي اجتاز سيرها طلاماً كهذا أغمضت مقلة الشهب
لقد أسرجت للسير ثمّ مشت على طريق منير أصبح السعد للركب
فسرت بها أطوي القفار ميمّماً فناءاً كجنّات الخلود من الخصب
ومن طيبة المسك الفتيق ورده فتيق مذاب فاض بالسلسل العذب

---

(١) حسك السعدان، وقيل: بينهما فرق وذلك أنّ ورق السعدان أفراد وورق القطب مقترن ثنتان ثنتان وشوكه السعدان ضعيفة.

يــذرّ عــليه سكــر مــن «طــبرزد»[١] ... ومن جـوهر صيغت أراضـيه لا التـرب

وكــحل لعــين الخــلد رمـل بأرضــه ... وعوسجه «طوبى»[٢] هي الظـلّ للسـرب

وبـــلّ جـــبين الورد بـــالعرق الحـيا ... وألقــىٰ مــن التــبر القـناطير للنهب[٣]

وغـــنّى الحـمام الورق ألحـان بـلبل ... وحــنّت حنين الترب يشتاق للترب

تــجلّى عـــلينا الخـضر لمّـا بـدا له ... لواء لذي القـــرنين يــؤذن بـاللهب[٤]

وجـاء يـصفّي الأرض مـن ظـلمة الفنا ... كـما نــقي الزرع المـفيد مــن العشب

وطـوّقها حـتّى غـدت فـي سـوادهـا ... كـعارض «طـفل» زانـه الروض مـن جـدب

ســمت قـبّة مـنه فـناطحت السـما ... وشعّت كنور لاح في الشـرق والغـرب

وزاويـــة مـــن أرض مـحرابـه التـي ... غــدت قــبلة مــعمورة لذوي اللبّ

وحــلقة بـاب الطـهر عين ذوي الغنا ... وللكـبد الريّـا مـن الديـن كـالخِلب[٥]

وحـــرت بأمـري أيـن مـنّي جـنانها ... وكـــيف أرىٰ فـي كـعبة الله كـالهدب

فـصاح بـنا مـن جـانب البيت هـاتف ... فيا ابن الهدى اخرج من ممرّ على الدرب

هـويت سـجوداً ثـمّ ولّـيت خـارجـاً ... وزرت عـليّاً قـالع البـاب فـي الحـرب

وعـالم أسـرار الهـدىٰ كـاشف الغـطا ... حـديد يـرىٰ مـا لا يُـرىٰ طـاهر القـلب

ومـــن عـــنده هـــذا الوجــود وآدم ... ونــطفته بـل قـائد العـجم والعـرب

---

(١) الطبرزد: نوع من السكّر، وقال الأصمعي: سكّر طبرزد على الصفة / لغتنامه دهخدا عن الصحاح.

(٢) أي شجرة طوبىٰ.

(٣) جرت عادة القدماء أن ينثروا الدنانير في المجلس ويأمروا الجالسين بالتقاطها نظير الشاذ كلىٰ وهو خلط الورد بالدراهم الخفاف تصنع من أجل النثار خاصّة لكن لا تؤذي من تنثر عليه.

(٤) اللهب: اشتعال النار الذي خلص من الدخان. راجع العين.

(٥) بكسر الخاء وهو حجاب الكبد.

وسيف يذوب الصلد من برقه له ... على كلّ ريح ريح أنفاسه تربي

بقبضته تطوى الدنىٰ وبحجزة ... عن الفلك الدوّار حول الدنىٰ ينبي

يفجّر أفكار الرؤوس بفكره ... وفكرته نور كطالعة الشهب

يجود بلا منّ ويغني بجوده ... وليس له قصد يرام سوى الربّ

وأغلق قلب الكفر ميم محكّه ... ويغلق فرق البخل بالسين من سكب

وصورته كالنجم تسطع في الدنىٰ ... وحافر بغل عنده الكأس للشرب[1]

وقاطع آجال الأنام وقاتل ... لأهل الجبال الشمّ بالرمح والعضب[2]

ولا قول يعلو قوله وهو جوهر ... أقلّ عطاءاً منه يغني عن الكسب

حوىٰ كلّ ما نخفي ونعلن كتبه ... بل الخوف منها ذلك السرّ في الكتب

إلى حبّه الأعمال تدنو وما لنا ... شفيع إلى الله العليّ سوى الحبّ

ولولاه كانت كلّ أعمالناهباً ... لعبنا بها هل يسعد المرء باللعب

بنورك يسري الخضر في كلّ موطن ... وجذبك مغناطيس يعطف بالجذب

بخدمتك الجبّار يرفع قدره ... وإن كان في الأعلى من المركب الصعب

وإن كانت الشمس المضيئة تاجه ... وكسوته الدوّار[3] باللؤلؤ الرطب

بقولك نحيا وهو درب نجاتنا ... ووجهك يرعى القلب من ألم الكرب

وأنت لنا دار الشفاء وما لنا ... سواك مغيث القوم في السهل والصعب

وأنت لنا درّ وبحرك لا يرىٰ ... له ساحل يحمي السفين من الرعب

ولطفك لا وقت له فيه يبتدي ... ولا بعد منسوب إلى جودك الرحب

---

(١) الشرب: القوم يشربون، الشرب جمع الشارب / إصلاح المنطق.

(٢) العضب: السيف القاطع / العين.

(٣) أي الفلك الدوّار.

ويـا أسـد الله الذي شـوق شكـره دعـاني كـظامي القلب لم يُـر بـالعذب
وأسـرعت لي ألقـىٰ ريـاضك ثـانياً أُمـرّغ فـي تـرب بأعـتابها قـلبي
وحـلّيت فـيها الروح والقـلب فـتّحت له مـقلة صـارت تـرى البـعد مـن قـرب
خـلعت ثـياب الذنب فـارتاح خـاطري وأيـقنت مـن درء العقوبة عن جـنبي
ومـا جـنت مـن يـومين روضك إنّـما شـروقي بـها يـبدو وأبـقىٰ إلى الغـرب
لقـد عـميت عـين من الدهـر إذ بـدىٰ جـمالك فـلنمش إلى ظـاهر الحبّ
فكـم نـختلي فـي بـاطن طـال عـهده وحيناً يكون الكشف من مـطلب الصبّ
ومـدّ يـدأ مـثل المـجرّة فـجّرت بأسـيافها قـلب السـماوات للـصحب
وجـئنا[١] بسـحب للشـريعة مـاطر وكـن نـاثراً أرض الطـريقة بـالحبّ
وكـن عـاصفاً كـالريح فـي مـتشكّك بـماذا لمـاذا وهـو مـنخلع اللُّبّ
وغـفرانك اللـهمّ مـن سـوء مـقولي وإنّ لسـاني فـي الذي قـاله ذنـبي
فـجرّده حـتّىٰ يـغتدي حـلس داره فـتستر أخـطائي وتكشـف لي كـربي
وكـن راحـماً حـتّىٰ يـرىٰ بـاب جـنّة وأوصـل مـن دار السـلام إلى الخـصب

وله رباعيّة:

گـر بـند لسـانى گسـلد از بـندش ور خـاك شـود وجـود حـاجتمندش
بـالله كـه زمشـرق دلش سـر نـزند جـز مـهر علـى و يـازده فـرزندش

لو قـطّعوني قـطعاً في الهـوىٰ وأودعـوا الجسـم بـبوغاته
لم يبصروا وسط فؤادي سـوىٰ حبّ أخـي الهـادي وأبـنائه

توفّي الملّا لساني في سنة أربعين وتسعمائة ودفن ﷺ في سرخاب تبريز[٢].

(١) الفاعل هنا أنت أي جئنا أنت بسحب و«نا» ضمير المتكلّم مفعول به.

(٢) سرخاب اسم جبل متصل بتبريز جنوبي المدينة لا ماء فيه ولا نبات ولونه ضارب إلى الحمرة، وسرخاب قرية تقع في «نير» ناحية مركزيّة من تبريز، ولم يبيّن المؤلّف في أيهما قُبر «لساني».

الخاتمة

تختصّ المقدّمة بوصيّة المؤلّف للمحقّقين أصحاب النظر الدقيق والملاحظة التي تستخرج النكات من أعماق الكتاب الذين تتشرّف هذه المجالس بقرائتهم ويضعون مادّتها تحت اعتبارهم وامتيازهم في النظم والترتيب، فأقول:

أوّلاً: لمّا كانت هذه المجالس أو بعضها على أحسن تقدير رتّبت في أيّام فراغ البال وانتظام الأحوال كما أنّ شطراً منها نظّم في أوقات الملال والاشتغال بصحبة ذوي الجاه والجلال وخوف ضياع الفرصة وأُكمل على هذا النحو من الطي والنشر، ولفّق على هذه الشاكلة، وبناءاً على هذا إن بدىٰ لهم في فصاحة المفردات لحن وتفاوت، أو عثروا في بلاغة عباراته اختلافاً وتفاوتاً فلا يحملوا ذلك على قصور هذا الفقير أو تقصيره لأنّ الغرض من تأليف هذا الكتاب هو التقرّب إلى الباري عزّ وجلّ والتزلّف إلى رسوله المصطفى وآله الأطهار، وليس الغرض الإعراب عن الفضل والفضيلة وإظهار خصلة الفصاحة والبلاغة عند المؤلّف، والمعنى المقصود بأيّ لغة ظهر وبأيّ كسوة ارتدىٰ وبأيّ ثوب عبارة تزيّا فهو مقبول لذوي الوله والشوق الماثلين في أحياء الترقّب والانتظار:

عباراتنا شتّى وحسنك واحد ... وكلّ إلى ذاك الجمال يشير[1]

---

(١) لم ينسب في كشكول البهائي وكتاب تزيين الأسواق لداود الأنطاكي إلى قائل وذكرته كتب كثيرة وأغفلت اسم الشاعر.

به جبّه يا به قبا هرچه هست بيرون آى كه من حريف توانم بهر لباس شناخت

اخلع لباسك لا تخفى عليّ فلي عين ترى الخصم خصماً أينما كانا

ثمّ إنّ التوفيق لم يحالف هذا الفقير في الحصول على بعض الكتب التي تتضمّن أحوال عقائد الكثير من أكابر المؤمنين وسرائرهم فإذا حالف الحظّ أحياناً القارئ فاطّلع على أحوال بعضهم ولم تكن مذكورة في الكتاب فليلحقها بهذه الأوراق على شكل هامش.

كما وأُحبّ أن لا يحكم القارئ بالتكرار اللفظي أو المعنوي إذا ما شاهد بعضاً من الشواهد أو العبارات والجمل قد أُعيد بناءها مرّة ثانية فيعدّها في نظرته الأُولى مكرّرة فإنّه إن تأمّلها وأعاد النظر فيها وتجاوز ظاهرها المشعر بذلك فسوف يلاحظ وجود سرّ فيها أو نكتة دقيقة استدعت إعادتها، وقد كان بعض الجهّال يظنّون في القرآن العزيز التكرار ولكنّه منزّه عن ذلك وإنّ تحت كلّ كلمة يكمن عدد من الأسرار والنكات.

أعد ذكر نعمان لنا إنّ ذكره هو المسك ما كرّرته يتضوّع[1]

ثمّ إنّ بعض الكلمات المنقولة في ذكر أحوال أبي تمّام الطائي في المجلس الحادي عشر من أخباره وأشعاره لا تخلو من سقم وارتياب، فمن عثر على الوجه الصحيح منها فلا يقصرنّ في تصحيحها وذكر الوجه الثابت منها.

ثمّ إنّ من يرى أنّ تخصيص هذا الكتاب لذكر جماعة الموجودين قبل ظهور الدولة الأبديّة السرمديّة الصفويّة لا وجه له فإنّ قوله هذا بعيد عن الحقّ بُعد المشرقين لأنّ الغرض من وضع هذا الكتاب هو إثبات تقدّم التشيّع ورجاله على

---

(١) ذكره كثير من المؤلّفين واستشهدوا به ولم يذكروا صاحبه، وفي المجدي في أنساب الطالبيّين لعليّ بن محمّد العلوي أنّه لمهيار الديلمي.

هذه الدولة حيث كان يرى بعض المعاندين أنّ التشيّع فرض فرضاً من قبل الصفويّين وحمل رجاله على التمذهب به بالترغيب والترهيب منهم وحينئذٍ يكون ذكر هؤلاء بنظر المعاندين بهذا الأُسلوب من قبيل المصادرة على المطلوب، وبناء على هذا فمن ذكرنا من رجالهم في هذا السياق ببعض المجالس فإنّما ذكرناه للتدليل على إثبات عدم الأثر للصفويّين في مجمل اعتقاداته وإنّهم بمنأىً عن هذه التهمة الباردة، مضافاً إلى نكات أُخرى تظهر بالتأمّل.

أضف إلى ذلك أنّه لمّا كان الغرض من هذا التأليف وكتابة هذه المجالس هو الاطّلاع على أحوال الأكابر من قدماء الشيعة ومتأخّريهم ودفع الوهم الذي وقع فيه القوم من حدوث مذهبهم وحدّته وإنّه لم يكن معروفاً في الأوائل ولا معلوماً لديهم وهذا الأمر يظهر جليّاً في المجالس الاثني عشر الأُولى، فالرجاء من فضلاء الدهر ومؤلّفي كلّ عصر أن لا يعزلوا بعض هذه المجالس من الكتاب ويدخلوا الخلل على صورته المنضودة وسياقاته المعهودة ومعانيه المقصودة، ولمّا كان دأب بعض القاصرين من أجل اختصار المسافات للوصول إلى تأليف الكتب وظهور أسمائهم على أغلفتها بيسر وسهولة دون أن يتجشّموا أيّ عناء أو يعانوا أيّ بلاء فقد تمتدّ أيديهم إلى هذا الكتاب بالاختصار أو التحوير والتزوير فإنّي أقول لهم خافوا من غضب الله لأنّ هذا الكتاب إنّما كتب باسمه ليُتقرّب به إليه فاحذروا يا قوم من هذا العمل المرفوض عند أهل الخير.

وأخيراً أطلب من أهل الولاء أن يستروا هذا الكتاب عن المخالفين ومن لا أهليّة لهم خشية أن يطلعوا منه على أحوال بلاد الشيعة وطوائفهم فينكلوا بآحاد الشيعة الموجودين في ديارهم ويؤذوهم أو تمتدّ أيديهم الأثيمة إلى مزارات أسلافهم.

ثمّ إنّني لمّا أتممت تأليف الكتاب نسخت منه سبع نسخ وقابلتها على الأصل مقابلة دقيقة مِن ثَمّ أذنت بإشاعتها وبناءاً على هذا فالذي آمله من الإخوان الكرام أن يعمدوا إلى هذه النسخ فينقلوا منها أو إنّهم يشمّرون عن ساعد الجدّ وتمضي بهم هممهم قدماً إلى النسخة الأصليّة فيصحّحون كتاباتهم ونقولهم عليها لئلا يتكوّن من النقول غير المسئولة نسخ سقيمة كما حدث لأكثر الكتب من التواريخ والسير وذلك لتعاقب النقل وتحرّر الناقلين من الالتزام بالأصل وحينئذٍ تنشأ جرّاء ذلك نسخ تؤذي خواطر الفضلاء وتسيء إلى طباعهم اللطيفة فيعرضون عنها ويسئمون منها، بتوفيق الله خير الناصرين واستعانة أشرف المرسلين وإسعاد أئمّة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

تمّ الكتاب والحمد للّه ربّ العالمين.

وفرغت من ترجمته بصبر وجلد في شهر رجب المرجّب الثامن منه سنة ١٤٣٣ هجريّة في بيتي الواقع في مدينة الأهواز في الساعة الواحدة ظهراً وقد حظرت على نفسي الراحة والاستجمام وانكبت عليه وترجمت نثره نثراً وشعره شعراً بصبر أطلب عليه الأجر من الله والقرب من أحبابه محمّد وآله ﷺ وخدمة للمؤلّف أن يتحوّل الكتاب إلى لغة أجداده الطاهرين صلّى الله عليه وعلى أجداده، والآن بلغت الساعة الواحدة وثلاث دقائق من يوم الأربعاء، والحمد للّه ربّ العالمين.

المترجم: محمّد شعاع فاخر

المحتويات

المجلس الثاني عشر
في ذكر شعراء العجم